

أخي القارئ

تمّ تنضيد الكتب على عجل

وأبى خطأ مطبعي

هو نتيجة الإسراع

في تنزيل هذه الكتب على النت

نزولاً عند رغبة الإخوة القراء

ونتيجة عدم مراجعتها

لذلك نعتذر

إن وجدت بعض الأخطاء المطبعية

ونعد بتصحيحها لاحقاً بإذن الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

محطات في سبيل الحكمة

المفارق بين

السنة الشريفة وروايات الأحاديث

المهندس عدنان الرفاعي

المهندس عدنان الرفاعي

محطات في سبيل الحكمة



.. عفواً أيها السادة ..
.. هذا الكتاب ..
.. للباحثين عن الحقيقة ..
.. أولي الأبواب في كل جيل ..

المهندس عدنان الرفاعي

كاتب ومفكر إسلامي

مواليد : سورية - درعا - قل شهاب .. عام : ١٩٦١ م ..

من المؤلفات:

"النظرية الأولى (المعجزة)

"النظرية الثانية (القدر)

"النظرية الثالثة (الحق المطلق)

"النظرية الرابعة (الحكمة المطلقة)

"النظرية الخامسة (إحدى الكبر)

"النظرية السادسة (سلم الخلاص)

"المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء)

"محطات في سبيل الحكمة

"الحق الذي لا يريدون

"قصة الوجود

"نقد نقد النظرية الإعجازية في القرآن الكريم

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المقدمة

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. جوهرُ معانَةِ الفِكرِ التّنويري ، المحمول بالبراهين والأدلة من كتاب الله تعالى على مركب العقل والعلم والمنطق ، جوهرُ معاناته ، أنّ الحاملَ التاريخي للمنظومة الفكرية المحسوبة على الإسلام ، والحالة الثقافية الفاعلة على أرض الواقع ، تتوزعُ بين جهتين أساسيتين :

.. هناك تيارٌ محسوبٌ على الإسلام يُكَلِّفُ نَفْسَهُ بِحَمْلِ رَايَةِ الدِّينِ ، منهجُهُ تراثيٌّ جمعيٌّ ، يُصوِّرُ الفِكرَ مُنحَزاً منذ قرون ، وما على الأجيال إلاّ اجترار ذلك الفكر ، وبالتالي - فهذا التيار - يقف دائماً في الخندق المعادي لأيِّ فكرٍ جديد ، مهما حمل هذا الفكرُ الجديدُ من أدلة وبراهين مستنبطة من كتاب الله تعالى ..

.. وهذا التيار يستقطبُ خلال التاريخ معظمَ أفراد الأمة ، ويسوقُهم من عواطفهم وحبّهم للدين نحو مُرادِه باسم الدين ، مُصَوِّراً نقدَ التاريخ برجالته ورواياته من أجل معايرة رواياته على كتاب الله تعالى ، يُصوِّرُه للعوام بأنّه هجومٌ على السنّة وعلى شخص الرسول ﷺ وعلى الثوابت .. وهو بذلك يُجنِّدُ أولئك العوام في سبيل محاربة كُلِّ وَمَضَّةٍ نورٍ يمكنها أن تُولَدَ من رحمِ الأمة ..

.. وهناك تيارٌ لا علاقةَ له بالدين ، ولكنّه لا يستطيعُ رؤيةَ الدين إلاّ من خلال التيار الأوّل ، وبالتالي فموقفه من الفكر التّنويري ومن المنهج التّدبري لكتاب الله تعالى ، هو

موقف اللامبالاة .. صحيح أنه لا يُحاربُ التجديد التنويري كما هو حال التيار الأول ، ولكنه في الوقت ذاته لا يعنيه ذلك التجديد ، ولا يراه إلا حركةً انقلابيةً لا تختلف كثيراً - من حيث النتيجة - عن التيار الأول ..

.. بين هذين الشاطئين ، تنهادى مراكبُ التجديد الفكري خلال التاريخ .. وتحت ضغط هذين التيارين ، تخبو أنوارُ التدبر الحقيقي لكتاب الله تعالى خلال التاريخ .. وبين هذين الحدين ، تكمنُ معاناةُ أصحابِ الفكرِ التنويري وتُضَيِّعُ براهينهم مهما اتكأت على أدلة من كتاب الله تعالى .. فإمّا أن تُواجهه هذه الأدلة بالافتراء والتدليس من أصحاب التيار الأول ، أو تُواجهه بتميعٍ وتغييبٍ لبريقِ نورها من أصحاب التيار الثاني ..

.. وأكبرُ مأساة في تاريخ الفكر المحسوب على الإسلام ، هو استخدامُ السنّة الشريفة كمظلةٍ تُوضَعُ تحتهَا كُلُّ الأهواء والعصبيّات التي وصلتنا خلال التاريخ على أنّها سنّة من صلب الدين ، وذلك عند السنّة والشيعية على حدّ سواء .. فحتّى القرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه ، حيث لا سبيلَ إلى إدخالِ عصبيّاتهم إليه ، التفوا على دلالته من خلال تفاسير وتأويلات لآياته الكريمة ، تنكئ على روايات تاريخية تم نسبها للسنّة الشريفة ، فأصبحت - عندهم - معايير لتفسير كتاب الله تعالى .. وبالتالي تُغيَّبُ الدلالات الحقُّ لكتاب الله تعالى في الوقت ذاته الذي تُقرأ فيه آياته ، وتُحفظ عن ظهر قلب ..

هذا كله يُنتج - مع الزمن - تربةً قاحلةً ومُنَاخاً عقيماً ، لا تنبتُ فيهما أزهارُ الحقيقة .. فالعوام كمتلقين للفكر ، يُساقون بعواطفهم نحو مُرادِ ذيولِ عابدي أصنام التاريخ ، ومن جهةٍ أخرى يُكوّن هؤلاء العوام حالةً اجتماعيةً تضغطُ باتجاه اغتيال الجراءة التي يُمكنها أن تتولد حتى عند مُنظرّهم ذاتهم .. فكلُّ مخالفٍ للموروث التفسيري وللروايات التاريخية تُصبُّ فوق رأسه شلالاتُ التهم الباطلة والتكفير والخروج عن الحق وعن الإجماع ..

.. وبذلك تُصبحُ سلطةُ العواطف الهوجاء عند العوام ومنظرّهم على حدّ سواء ، تُصبحُ أقوى من سلطة الحجة والدليل والبرهان .. وتصبحُ سلطة المذهب والطائفة أكبر وأقوى من سلطة المنهج ذاته ..

.. وهكذا يتمُّ الابتعاد - مع الزمن - عن حقيقة كتاب الله تعالى ، باتجاه التاريخ بما يحمل من أهواءٍ وعصبيّات ، وتغرقُ الأمة في أحوال التاريخ ، فتتعطلُّ القوة الدافعة لحركة

التاريخ ، وبالنتيجة تخرج الأمة من هذا التاريخ كقوة فاعلة فيه صانعة لنظم حركته ، ولا يتجاوز دورها اجترار جزئياته ..

.. ومع الزمن حيث يُظهر التطور الحضاري فساد بعض هذه الروايات ، وأنه تستحيل صحتها ، كونها تُناقض الحقائق العلمية ، يظهر المؤولون والشارحون والمفسرون لهذه الروايات ، مُلبسين على الحقيقة ، لقطع الطريق على كل إمكانية للعودة الحقيقية إلى كتاب الله تعالى ، فنرى شروحا وتفسيرات وتأويلات لهذه الروايات ، لا يحملها ميزان ، ولا يقبلها عقل ، ولا تزيد الفكر إلا سقوطاً في أحوال التاريخ ، ولا تحمل لمنهج الله تعالى إلا إساءة وشكاً وبعداً عن جوهره ..

.. الطامة الكبرى في فكر عابدي أصنام التاريخ ، أنهم أقنعوا أنفسهم بما لا يستطيع عقل قبوله ، وأنهم يُعرضون عن الحقائق التي يواجههم بها أصحاب الفكر التنويري ، مُحاولين بكل ما أوتوا من جهد عدم وصول هذه الحقائق إلى الناس .. الطامة الكبرى أنهم يختلقون - عبر التاريخ - الأكاذيب التي تُستخدم كالدخان الكثيف حتى لا يرى الآخرون تلك الحقائق ، في الوقت ذاته الذي يُقدّمون فيه أنفسهم حاملين راية الدين مُدافعين عن السنة الشريفة ، مُستخدمين كل أدوات التهريج في سبيل ذلك ..

.. فعندما تتحوّل معايير فكر الأمة إلى شكل لا يتجاوز اللحي وأطوال الثياب ، وإلى حالة عاطفية لا تخرج عن الأدعية والأناشيد ، ويقتل أبناء الأمة بعضهم بعضاً تحت مظلة هذه المعايير .. عندما تُصبح أدوات فكر الأمة وسائل هدفها عدم اطلاع أبناء الأمة على بعض الروايات التي تُقدّم على أنها من صلب الدين .. عندما تُفسّر نصوص الروايات بتأويلات تففز فوق قواعد اللغة العربية وثوابت العقل والمنطق ، ويُكفر أبناء الأمة بعضهم بعضاً تحت مظلة هذه المعايير .. عندما تُغيّب دلالات كتاب الله تعالى فتصبح أسيرة رؤى رجالات التاريخ ، وتصبح أحكام كتاب الله تعالى منسوخة ومقيّدة بروايات التاريخ ، ويُصبح من الجريمة الكبرى التمسك بكتاب الله تعالى معياراً لهذه الروايات .. حين ذلك .. تكون النتيجة هي الواقع الذي نراه ، ولا نكون إلا كالمعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

.. ويبيِّن لنا القرآن الكريم أنَّ إقرار الروايات الموضوعية ، وجعلها جزءاً من المنهج ، هو ظلمٌ أكبر حتَّى من التكذيب بالمنهج ذاته .. يقول تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] .. ويقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] ..

.. إننا نرى أنَّ افتراء الكذب على الله تعالى هو أشنع أنواع الظلم ، وهو أشنع حتى من التكذيب بآيات الله تعالى ، بدليل تقديم عبارة افتراء الكذب على الله تعالى ، على عبارة التكذيب بآيات الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ ۗ ﴾ ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ ﴾ .. وهذا يدلُّ على أنَّ الإقرار برواية مكذوبة على الرسول ﷺ ، واعتبارها من الدين ، وفرضها على الناس ، هو ظلمٌ أكبر من التكذيب بالمنهج ذاته ، لأنَّ هذا الإقرار هو إساءة للمنهج ذاته ، وقطعٌ للطريق على كلِّ باحثٍ عن الحقيقة يريدُ معرفة الحقيقة التي يريدُ الله تعالى إيصالها للناس عبر منهجه ..

.. فمن يقرُّ ما ليس من المنهج ويعتبره جزءاً من المنهج ، ويفرضه على الناس ، إنَّما يسيءُ للمنهج أكثر من إساءته لنفسه ، بينما المكذب بآيات الله تعالى يسيءُ لنفسه أكثر من إساءته للمنهج .. من هنا ندرك الحكمة الإلهية في تقديم عبارة الافتراء على الله تعالى ، على عبارة التكذيب بآيات الله تعالى ..

.. حينما أبحرتُ في كتابِ الله تعالى تدبُّراً وتعقلاً وبحثاً عن الحقيقة ، مستخدماً منهجيةً مُجرّدةً عن الأهواء والعصبيّات والتصوُّرات المسبقة الصنع ، حين ذلك رأيتُ الفارق الكبيرَ بين دلالاتِ كتابِ الله تعالى التي يحملها ، وبين ما يُلبَّسُ عليه في موروثاتنا التاريخية من روايات وتفسيرات وتأويلات .. لذلك .. رأيتُ من الضرورة أن أبيِّن للناس حقيقةَ الفارق بين الروايات من جهة ، وبين السنّة الشريفة من جهةٍ أُخرى ..

.. لا شكَّ أنَّ هذا الكلامَ يجفُّ منه الكثيرون من ضحايا عابدي أصنام التاريخ ، الذين يحسبونُ نقدَ التاريخ هجوماً على السنّة الشريفة ، ويفترون على كُفِّ تنويريِّ

بكلّ أشكال التهم التي لا يفهمون حتى معانيها ، ويسعون لأن يجعلوا من الأمة جيشاً من المهرجين يسردون روايات التاريخ ، ليطمروا بها الكثير من الحقائق القرآنية التي تنقض مضامين تلك الروايات ..

.. كنت أود ألا أدخل في أودية التاريخ وألا أغوص في أحواله ، ولكنني لم أجد بديلاً عن ذلك ، فكلّ تدبّر لكتاب الله تعالى أستنبط عبره حقيقةً مجلّلة بالحجج والبراهين ، كان يصطدم بروايات التاريخ التي وضعوها فوق كتاب الله تعالى .. وعندما نقول لهم : هذا دليلنا الجلي من كتاب الله تعالى ، يقولون : هذا إنكارٌ للسنة الشريفة ، لأنه يخالف الروايات ، وعندما نقول لهم : لماذا لا تكون رواياتكم هي المخالفة لكتاب الله تعالى ، ولأجل ذلك فهي ليست صحيحة ، وبالتالي ليست مقدّسة ، يقولون : لا يحق لنا أن نفعل عقولنا في النصوص المقدّسة ، وعندما نقول لهم : الله تعالى هو الذي يأمرنا بتدبّر كتابه ، وبأن تكون نصوصه معياراً لكلّ شيء ، وبأن لا نرفع أيّ نصٍّ مهما كان إلى مستوى التسليم الذي نُسلم به لكتاب الله تعالى ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا

عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الحائية : ٦] .. عندما نقول لهم ذلك ، تُستنفر في نفوسهم كلُّ قوى التعلّق بالأصنام التاريخية ، ويبدأ قرع طبول المتاجرة بالسنة الشريفة كوسيلة لتغيب العقل ، ويبدأ التهريج بخطابات رنانة فارغة من أيّ محتوى فكريّ ، ومن أيّ قيمة حجّية ، ممّا يُشكل حالة غوغائية ، تُفعل فيها القلوب أمام سبل تدبّر كتاب الله تعالى ، ويُغتال فيها العقل الذي يأمر الله تعالى بتفعيله لإدراك دلالات آياته ، وتُغيب فيها إمكانية العمل بمضمون قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣]

.. ألم نسمع تهريج الكثيرين بأن الدين لا يؤخذ بالعقل ، وأنّه ما علينا إلا التسليم الأعمى لروايات التاريخ التي عدت سنة بمجرد إتيانها عبر مقاربات تاريخية مبنية على السند ، أي على تقييم رجال لرجال آخرين ، دون أن يسألوا أنفسهم السؤال التالي : كيف يُزكي بعض رجال التاريخ رجالاً آخرين تركيةً مطلقةً ينتج عنها رفع النصوص التاريخية إلى درجة المقدّس ، في الوقت الذي لم يعلم فيه النبي ﷺ ذاته بعض الذين مردوا على النفاق ممّن كانوا في عصره وفي ذات المدينة التي عاش فيها ﷺ !!! ..

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ
النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. فهل يستطيع رجالُ التاريخ أن يزكوا أولئك الرجال الذين لم يعلم ﷺ حقيقتهم
!!!؟ .. أم علينا أن نُطلقَ عقولنا وألاً ننظر إلى دلالاتِ هذه الآيةِ الكريمةِ وغيرها خوفاً من
معرفةِ الحقيقةِ !!!؟ ..

.. وعندما نسألهم : أليس العقلُ ضرورةً لإدراكِ دلالاتِ نصوصِ التاريخِ التي
تقدّمونها لنا نصوصاً مُقدّسةً !!!؟ ، ولماذا لا يتفاعل مع كتابِ الله تعالى ومع نصوصكم
التاريخيةِ الحصانُ أو الأرنبُ أو أيُّ حيوانٍ آخر ، عندما نتلوا عليه آياتِ كتابِ الله تعالى ،
أو عندما نتلو عليه تلكِ النصوصِ !!!؟ .. وما هو الفارق بين الإنسانِ المُكلّفِ وبين هذه
الحيواناتِ ، أليس هو العقلُ الذي تسعون لتغييبه !!!؟ .. عندما نسألهم مثل هذه الأسئلة
، يبدوون بذرّ الرماد في العيون وبالعزفِ على أوتار العواطفِ الهوجاءِ لخلقِ حالةٍ تنماها
فيها الحقيقةُ مع الخيالِ ، والحقُّ مع الباطلِ ، لتكونَ النتيجةُ حالةً كحالةِ الموصوفين بقوله
تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ
آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٦]

.. الفارقُ كبيرٌ بين الدعوةِ الصادقةِ المُجرّدةِ لله تعالى ، ولأجلِ الله تعالى ، وبين
الدعوةِ لأصنامِ التاريخِ تحت ستارِ الدعوةِ لله تعالى .. فاختلاطُ الحقِّ بالباطلِ لا يُؤدّي إلاّ
إلى النفاقِ ، وهذا لا يقلُّ سوءاً عن الجحودِ بالحقِ ، فمستنقعُ النفاقِ مصيدةٌ للبسطاءِ ،
ودفعٌ لأبناءِ الأمةِ نحو ساحةِ المعنيين بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَّا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥]

.. لا يُمكنُ لأيِّ حقيقةٍ أن تنتصرَ في أيِّ معركةٍ فكريةٍ معيارها الوحيدُ هو تغييبُ
العقلِ .. فكيف بهم يدعون لتغييبِ العقلِ في إدراكِ المنهجِ ، في الوقتِ الذي يزعمون فيه

أَنَّهُمْ يَدْعُونَ الْآخَرِينَ لِدُخُولِ سَاحَةِ مَنْهَجِ اللَّهِ تَعَالَى عَبْرَ تَعَقُّلِهِمْ لِحَقِيقَتِهِ ؟!!! .. وكيف يزعمون أَنَّهُمْ يسعون لوحدة الأمة وللم شملها في الوقت الذي ينسبون فيه للرسول ﷺ أَنَّهُ قال : **[[لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ قَبِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ الْجَمَاعَةُ]]** ، وتزعم كل فرقة من الأمة أَنَّهُا هي الجماعة المعنوية ، وبالتالي هي فقط تلك الفرقة الناجية ؟!!! .. فأبي وحدةٍ وأبي لم للشمل يمكننا تصوّره بعد ذلك ؟!!! ..

.. ففي مجتمع فكره تراثي جمعي صممي محارب للعقل ، من الصعب جداً إدخال أي فكرة في منظومته الفكرية والثقافية ، ولا يوجد أصعب من ذلك إلا إخراج تلك الفكرة - إن تم إدخالها - من تلك المنظومة .. ففي هكذا منظومات فكرية يعد كل شيء صنماً لا يجوز نقده ، ولا حتى التجرد في فهمه ..

.. مقولة الدين لا يؤخذ بالعقل تكون صحيحة فقط في حالة جعل أهوائنا وتصوراتنا المسبقة الصنع معياراً لتحديد حقيقة كتاب الله تعالى ، أما أن نُفعل عقولنا في إدراك دلالات كتاب الله تعالى ، فهذا يعني أننا نعمل بقوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

[ص : ٢٩]

.. لا يمكن للعقل المجرد عن الأهواء والعصبيات أن يختلف مع كتاب الله تعالى .. الخلاف يكون بين العقل المجرد في تفاعله مع كتاب الله تعالى من جهة ، وبين الكثير من الروايات التاريخية في الصحاح وغيرها التي ثبتت مخالفتها لكتاب الله تعالى ولثوابت العلم والعقل والمنطق .. وهذا ما سنراه - إن شاء الله تعالى - بعد قراءتنا لهذه المحطات ..

.. وفي هذه المحطات انطلق من مقدمات قرآنية في شرح مفهوم تدرج الرسائل السماوية ، وكيف أن حكمة الله تعالى اقتضت تركّز الرسالة الخاتمة منهجاً ومعجزةً في النصّ القرآني ، لتكون رسالة فوق التاريخ وصالحة لكل زمان ومكان ..

.. ثم انطلق بعد ذلك إلى تحديد مفهوم السنّة الشريفة ، التي سماها الله تعالى بالحكمة ، وكيف أنه علينا أن نُميّز في شخص محمد ﷺ بين صفتي الرسالة والنبوة ، وأن جانب التشريع متعلق بصفة الرسالة ..

.. وانطلق بعد ذلك لتبيان حقيقة يُبينها كتابُ الله تعالى ، فأبينُّ أنَّ الزعمَ بوجودِ أحكامٍ شرعيَّةٍ في الرواياتِ دونَ كتابِ الله تعالى ، هو زعمٌ باطل ، وذلك تصديقاً لقولِ الله تعالى : ﴿ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] .. بعد ذلك انطلقُ في شرحِ حقيقةِ القرآنِ والسنةِ في حياةِ النبي ﷺ ، وكيف أنَّ القرآنَ الكريمَ كُتِبَ بين يديه ﷺ كما هو مرسومٌ في اللوحِ المحفوظ ، وأنَّ السنةَ لم تُكتبْ أبداً في حياةِ النبي ﷺ ..

.. بعد ذلك انطلقُ غوصاً في التاريخِ ورواياتهِ مبيناً حقائقَ يتمُّ طمرها ، وكيف أنَّ رجالاتِ الجيلِ الأوَّلِ وما تبعهم من أجيال ، كانوا كأبي جيلٍ يختلفون فيما بينهم ويكذبُ بعضهم بعضاً حتى فيما يُنسبُ إلى الرسول ﷺ ، وأنَّهم قتلوا بعضهم بعضاً ، وأنَّ فرضيةَ عدالةِ الصحابةِ وفرضيةَ عصمةِ آلِ البيتِ ليست إلاَّ عصبيةً مسبقةَ الصنعِ في سبيلِ تحويلِ التاريخِ برجالتهِ ورواياتهِ إلى أصنامٍ تحولُ بين أبناءِ الأمةِ وبين رؤيتهم لحقيقةِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى ..

.. ثمَّ انطلقُ لأبينَّ كيف أنَّ الحديثَ وعلومه أقرب إلى التاريخِ منه إلى المنهج ، وأنَّ تلك العلوم لا ترتقي إلى صفة العلم الذي يعني الوقوفَ على حقائقِ الأشياء ، لأنَّها مبنيةٌ على مقارباتٍ تاريخيةٍ مليئةٍ بالأهواءِ والأخطاءِ والعصبيةِ ، ولأنَّها اتكأت على السندِ دونِ المتن ..

.. انطلق بعد ذلك إلى التطبيقِ العملي من خلال وضعِ رواياتِ الأحاديثِ في ميزانِ القرآنِ والعقلِ والمنطق ، لنرى كيف أنَّ هناك أحاديثَ كثيرةً في الصحاحِ ينقضها كتابُ الله تعالى ولا يقبلها عقلٌ ولا منطق ، ولنرى أيضاً كيف أنَّ تأويلَ هذه الأحاديثِ ليس أكثرَ من ذرٍّ للرمادِ في العيون ، وأنَّ معظمَ حالاتِ تأويلِ الأحاديثِ المتناقضة تنقضها قواعدُ اللغةِ العربيَّةِ وثوابتُ العقلِ والمنطق ..

.. حتى لا يُكذَّبَ على الناس ، وحتى لا يُتاجرَ بهم ، وحتى يُعطى كتابُ الله تعالى حقه من التدبُّر ، وحتى تصل الأمانةُ بصدقٍ إلى أهلها ، ودفاعاً عن السنةِ الشريفة ، وتبياناً لحقيقةِ منهجِ الله تعالى ، وتفنيداً لتهريجِ المهرجين ، وإضاءةً لحقيقةِ فكرِ عابدي أصنامِ التاريخ .. وتبياناً لحقيقةِ أنَّ كلَّ المذاهبِ والطوائفِ - دون استثناء - ليست أكثرَ من نتاجٍ سياسيٍّ لعصورٍ سابقة ، وأنها لم تكن - في يومٍ من الأيام - نتاجاً فكرياً علمياً

مُستنبطاً من المنهج .. من أجل كلّ ذلك .. عملت هذه المحطّات ، راجياً من كلّ باحثٍ عن الحقيقة أن يقرأها بتجرّد ، وعلى ضوءِ كتابِ الله تعالى ، وأنّ يعلمَ أنّ حقيقةَ الأمرِ ليست بينه وبين عابدي أصنام التاريخ ، وليست بينه وبيننا ، إنّما حقيقةُ الأمرِ هي بينه وبين الله تعالى ..

المهندس عدنان الرفاعي

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الأولى

((حكمة تدرّج الرسالات السماوية))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. لا شك أن إدراك حقيقة منهج الله تعالى ، في رسالته الخاتمة ، يتطلّب إدراك حكمة موقع الرسالة الخاتمة على سُلّم تدرّج الرسالات السماوية ، كونها آخر رسالة من السماء ، وكونها صالحة لكلّ زمان ومكان ، وكونها الرسالة الوحيدة التي تلتحم فيها المعجزة بالمنهج ..

.. إن الارتقاء في تدرّج الرسالات السماوية ، وصولاً إلى الرسالة الخاتمة ، لم يكن منفصلاً - أبداً - عن حكمة الله تعالى ، ولا عن علمه في تطوّر الحضارة الإنسانية ، وصولاً إلى مرحلة تستطيع فيها البشرية التفاعل مع نصّ مكتوب ، يحمل أحكاماً تستوعب التطوّر الحضاريّ للبشرية إلى قيام الساعة ، ويحمل في الوقت ذاته معجزة يقف الإنسان عاجزاً أمامها مهما تطوّرت الحضارة البشرية .. فبحكمة الله تعالى وبعلمه المطلق تدرّجت الرسالات السماوية ، حتى تركّز منهج الله تعالى ومعجزته في نصّ موجود بين أيدي البشر إلى قيام الساعة ، هو النصّ القرآني ..

.. هذه الحقيقة يحملها كتابُ الله تعالى (القرآن الكريم) في كلِّ حرفٍ من حروفه ،
ونستطيعُ قراءتها والبرهانَ عليها من أكثرَ من سبيلٍ تدبيريٍّ لكتابِ الله تعالى .. من هذه
السبل ، قراءتنا وتدبيرنا للعبارات القرآنية التالية .. يقولُ تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣]

.. لننظر الآن في هذه العبارات القرآنية ، نظرةً تدبّرٍ هادفةٍ لمعرفة حقيقة الأدلّة
والمعاني الكامنة فيها ، وذلك من خلال الوقوف على حقيقة صياغتها اللغوية .. فنحن
نعلم أنّ معجزة القرآن الكريم وما يحملُ من أحكامٍ ودلالات ، كلُّ ذلك ، يكمنُ في
صياغته اللغوية ..

.. ما نراه في هذه العبارات القرآنية ، أنّ هناك ثلاثَ فتراتٍ زمنيةٍ متميزةٍ تُصوّرُ في

ثلاثِ عبارات .. العبارة الأولى هي : ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ .. والعبارة الثانية هي :

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ .. والعبارة الثالثة هي : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾

.. وما بين هذه العبارات القرآنية المُصوّرة لهذه الفترات الثلاث ، نرى الفوارق التالية في
صياغتها اللغوية ..

١ - الوصية في العبارة القرآنية : ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ تأتي بصيغة الغائب والمفردِ

، فكلمة ﴿ وَصَّى ﴾ ، تُؤكّد ذلك .. بينما الوحي والوصية في العبارة القرآنية التالية لها

مباشرةً : ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ، نراهما

بصيغة المتكلم وبصيغة الجمع .. وكلمتا : ﴿ أَوْحَيْنَا ﴾ ، ﴿ وَصَّيْنَا ﴾ ، تُؤكّدان هذه
الحقيقة ..

٢ - في وصف ما شرعه الله تعالى ، نرى في رسالات نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى عليهم السلام ، نرى الوصف بصيغة الوصية : ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ، ﴿ وَمَا

وَصَيَّنَّا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ^ط ، بينما في الذي شرعه الله تعالى بالنسبة للرسالة الخاتمة التي أنزلت على الرسول محمد ^ﷺ ، نرى الوصف بصيغة الوحي : **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** ..

٣ - في الرسالات الأخرى تم الوصف بكلمة (ما) : **﴿ مَا وَصَّيْنا بِهِ نُوحًا ﴾** ، **﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ^ط ﴾** .. بينما في الرسالة التي أنزلت على محمد ^ﷺ ، تم الوصف بكلمة (الذي) : **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** ..

٤ - تم انفراد نوح عليه السلام في وصية لوحيد : **﴿ مَا وَصَّيْنا بِهِ نُوحًا ﴾** ، وتم جمع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في وصية واحدة : **﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ^ط ﴾** .. وتم - في هذه العبارات القرآنية - انفراد الرسول ^ﷺ لوحيد بالوحي ..

٥ - تم ذكر الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام ، ولم يذكر اسم الرسول محمد ^ﷺ بشكل صريح .. فالله تعالى لم يقل : (والذي أوحينا إلى محمد) على شكل العبارات الأخرى في هذا النص .. إنما يقول : **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** ..

٦ - نحن نعلم أن الرسالة الخاتمة التي أنزلت على محمد ^ﷺ ، كزمن تأتي بعد كل الرسالات السماوية ، ولكن في العبارات القرآنية التي بين أيدينا ، تم وضعها في الوسط بين الرسالة المتعلقة بنوح عليه السلام من جهة ، وبين الرسالة المشتركة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من جهة أخرى .. **﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنا بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ^ط ﴾** .. أي تم تقديم العبارة القرآنية المتعلقة بالرسالة الخاتمة على العبارة القرآنية المتعلقة بالرسالة المشتركة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ..

٧ - تم اختيار الرسل نوح ومحمد وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم صلوات الله تعالى ، دون غيرهم من بين باقي الرسل عليهم السلام ..

٨ - العبارة القرآنية : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾ والسابقة للعبارات الثلاث ، تُبيِّن

لنا أنّ ما شرعه الله تعالى بالنسبة لهذه المسألة هو من الدين ﴿ مِنَ الدِّينِ ﴾ وليس كلّ الدين .. فالذي شرعه الله تعالى من الدين ووصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأوحاه إلى محمد ﷺ هو : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ..

.. ماذا نقرأ من كلّ ذلك ؟ .. من السياق السابق واللاحق للعبارة القرآنية :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ، نرى أنّ الخطاب - في هذا السياق - موجّه للبشرية جمعاء ..

﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٥٧﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ * شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿ [الشورى : ١١ - ١٣٤]

.. ونرى أنّ ما شرعه الله تعالى من الدين للبشرية جمعاء هو : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .. فإقامة الدين وعدم التفرّق فيه ، هو شرع من الدين ، أوصاه الله تعالى لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وأوحاه إلى محمد ﷺ في منهج الرسالة الخاتمة ، وذلك تبياناً للسلوك والآلية التي يتعامل بها البشر مع منهج الله تعالى ..

.. ونحن نعلم أنّ كلّ رسالة سماوية تشتمل على أمرين اثنين .. تشتمل على منهج يحملهُ الرسل عليهم السلام من الله تعالى إلى البشر ، يُبين الأحكام التي يريدُ الله تعالى أن يتبعها البشر ، وتشتمل - أيضاً - على معجزات مؤيدة لأولئك الرسل حتى يُصدّقهم البشر بأنهم رسلُ الله تعالى .. فلا تخلو رسالة سماوية من منهج ومعجزة مؤيدة لذلك المنهج

..

.. وفي الرسالات السابقة نرى استقلالية بين المنهج وبين المعجزة المؤيدة لهذا المنهج ، فالمعجزة - في تلك المناهج - شيء ، والمنهج شيء آخر ، ونرى - أيضاً - أنّ المنهج - في الرسالات السابقة - كان لأقوام محددين في فترات زمنية محددة .. ولذلك كانت مناهج الرسل عليهم السلام في تفاعل مستمر مع السماء ..

.. ففي سيرة نوح عليه السلام كما نقرأها من القرآن الكريم ، نرى أنّه كان في تفاعل مستمر بين وحي السماء وبين تفاعل قومه مع المنهج الذي أرسل معه .. ففي كلّ حركات تفاعله عليه السلام مع قومه ، كان في اتصال مباشر مع السماء .. فعلى سبيل المثال - لا الحصر - نرى أنّ مسألة السفينة التي حُمِلَ بها المؤمنون أثناء الطوفان ، نرى أنّ صناعتها وحمل المؤمنين بها .. كلّ ذلك .. كان من خلال تواصل مباشر مع السماء .. فصناعة الفلّك كانت عبر وحي مباشر من السماء .. يقول تعالى ..

﴿ وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَنِّطِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾

[هود : ٣٧]

.. وحتى الدخول في السفينة كان أيضاً عبر وحي مباشر من السماء ..

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلِي فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

]

[هود : ٤٠]

.. وإبراهيم عليه السلام كان - أيضاً - في تفاعلٍ مستمرٍّ بين وحي السماء وبين تفاعلٍ قومه مع المنهج الذي أرسل معه ، وفي المحاجة بينه وبين من زعم أنه يجيئ ويميت لأكبر دليلٍ على ذلك .. يقولُ تعالى ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

.. ومما يُثبتُ أن التفاعل كان عبر وحيٍ مُباشرٍ من السماء ، أن هذه المحاجة كانت دافعاً لكي يطلب إبراهيم عليه السلام أن يُريه الله تعالى كيف يجيئ الموتى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۗ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لَّيُطَمِّئِنَّ قَلْبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠]

.. وموسى عليه السلام كان - أيضاً - في تفاعلٍ مستمرٍّ بين وحي السماء من جهةٍ ، وبين تفاعلٍ قومه مع المنهج الذي أرسل معه ، وفي قصة البقرة التي طلب منهم أن يذبحوها ، وما حدث فيها من أسئلة من قومه وإجابة منه عن الله سبحانه وتعالى ، لأكبر دليلٍ على هذا التفاعل .. فهذه القصة واضحةٌ جليّةٌ في كتاب الله تعالى ، وتبيّن لنا أن الاتصال المباشر بين موسى عليه السلام وتعاليم السماء كان بشكلٍ مستمرٍّ وبخصوصيةٍ يظهر فيها الدور الشخصي لرسُل تلك المرحلة .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۗ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۗ قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ۗ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ

إِنهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْنَهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ ۚ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْكَيْفَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَخُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١]

.. وعيسى عليه السلام كان - أيضاً - في تفاعلٍ مستمرٍّ ما بين السماء (عبر الروح الذي يملأ نفسه) من جهة ، وبين تفاعل قومه مع المنهج الذي أرسل معه من جهةٍ أخرى .. وفي قصّة المائدة التي طلبها الحواريون وتزليل الله تعالى لتلك المائدة عليهم لأكثر دليلٍ على ذلك .. يقول تعالى ..

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۚ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْبِئِنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۗ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥]

.. إذا .. في الرسالات السابقة عندما يُشرِّعُ اللهُ تعالى سلوكيةً محدَّدةً في التعامل مع منهجه ، كعدم التفرُّق فيه ، فإنَّ هذا التشريع لا يكون من خلال نصوصٍ في المناهج التي تحملها رسلُهُ عليهم السلام ، إنّما يكون من خلال توصيةِ الرسل المتفاعلين مع أقوامهم ، بأن يُبلغوا أقوامهم الحلولَ المناسبةَ للمسائل الطارئة .. أي يكون من خلال الدور الشخصيِّ للرسول عليهم السلام .. ولذلك نرى أن ما شرعه الله تعالى للبشرية بعد التفرُّق

في الدين ، من خلال المرسلين ، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، نراه يردُ بصيغة التوصية ..

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ..

.. فما شرعه الله تعالى من إقامة الدين وعدم التفرّق فيه للأقوام السابقين ، كان من

خلال توصية الله تعالى المباشرة لرسله السابقين بأن يبلغوا ذلك لأقوامهم بشكل مباشر ..

.. ومن خلال الصياغة اللغوية للعبارة القرآنية ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ، نستلهم أنّ

الوصية التي وصّاها الله تعالى لنوح عليه السلام ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

كانت ممّا أوحى إليه من الله تعالى مباشرة دون رسولٍ وسيط .. فكلمة ﴿ وَصَّى ﴾ نراها

بصيغة المفرد ، وتتعلّق بالذات الإلهية ، فالعبارة القرآنية : ﴿ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ، بمعنى

: مَا وَصَّى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَام .. أي أنّ التوصية لنوح عليه السلام هي بوحىٍ

مباشرٍ من الله تعالى ويألهام منه جلّ وعلا دون رسلٍ وسطاء ..

.. ولما كانت الوصية والمنهج الذي أنزل على نوح عليه السلام غائبين بالنسبة لنا ،

ولا يُوجدُ الآن متّبعون لذلك المنهج ، فإننا نرى صيغة الغائب في العبارة القرآنية .. ﴿ مَا

وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ .. فورود الوصية بصيغة الغائب يُشيرُ - ممّا يُشيرُ إليه - إلى أنّ المنهج

الذي أنزل على نوح غائبٌ عنّا الآن ، بسبب عدم وجودٍ متّبعين لهذا المنهج ..

.. ولما كانت الوصية المتعلّقة بالرسالة المتكاملة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى

عليهم السلام ، من خلال رسله الملائكة إليهم ، لذلك أتت الوصية بصيغة الجمع ..

فكلمة ﴿ وَصَّيْنَا ﴾ في العبارة القرآنية : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾

تتعلّق بالذات الإلهية ، ولكن ليس بصيغة المفرد كما هو الحال بالنسبة لفترة نوح عليه

السلام ، إنما هي بصيغة الجمع ، فهذه الوصية تلقاها إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من خلال رسل الله تعالى إليهم ..

.. ولما كانت هذه الرسالة - الآن - موجودة من خلال أتباعها ، نراها تأتي بصيغة

المتكلم وليس بصيغة الغائب : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ..

.. ولما كانت الرسالة المتكاملة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قد طالها

شيء من التحريف ، نرى أنّ الوصية الخاصة بهم تأتي بصيغة أقرب إلى العمومية والإبهام ،

وهي كلمة ﴿ وَمَا ﴾ .. وكذلك الأمر بالنسبة للرسالة التي أنزلت على نوح عليه السلام ،

فعدم الوضوح الكامل في تلك الرسالات نتيجة عدم وجود نص محفوظ ... عدم الوضوح

هذا تُناسبه كلمة ﴿ مَا ﴾ : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ..

.. واختيار الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله تعالى

أجمعين ، دون غيرهم ، هذا الاختيار كان نتيجة كونهم أولي العزم من الرسل ، وهم

الذين أخذ الله تعالى من كل منهم ميثاقاً خاصاً ، إضافة للميثاق الذي أخذه من النبيين

كافة ..

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧]

.. ويبيّن لنا الله تعالى في كتابه الكريم أنّ ذرية النبوة وما أنزل من كتاب ، جعلها الله

تعالى في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام .. يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾

[الحديد : ٢٦]

.. إذا .. في هذه الآية الكريمة بيان إلهي جلي ، يدفعنا لأن نُميّز بين مرحلتين

أساسيتين في رحلة البشرية مع منهج الله تعالى ..

١ - هناك مرحلة مركزها نوح عليه السلام ، وتمتدُّ من بداية البشرية (آدم عليه السلام) ، مروراً بعصر نوح - قبل الطوفان وبعده حيث يُعتبر نوح الأب الثاني للبشرية - وصولاً إلى إبراهيم عليه السلام .. وقد وصل الطغيان أوجهه عند قوم نوح ، يقول تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودًا ﴿٥١﴾ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥٢﴾ وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ

كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ﴿٥٣﴾ [النجم : ٥٠ - ٥٢]

.. ولما كانت رسالة نوح عليه السلام هي الرسالة الهامة - في تلك المرحلة - والتي أخبرنا الله تعالى عنها ، لذلك نرى أن الله تعالى قد خصَّ نوحاً عليه السلام بوصية خاصة به : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ ..

.. ومن الطبيعي أن يكون أول رسول في هذه المرحلة هو آدم عليه السلام ، وما يفصل هذه المرحلة عن المرحلة الثانية هو إبراهيم عليه السلام .. فالنبوة والكتاب جعلت في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام كما يبيِّن الله تعالى لنا في كتابه الكريم .. ولما كان إبراهيم - هو ذاته - من ذرية نوح ، فعلينا - إذاً - أن نُميِّز بين إبراهيم عليه السلام قبل إنجابهِ (إبراهيم التابع لذرية نوح عليه السلام) ، وذلك في المرحلة الأولى ، وبين إبراهيم الذي أنجب ، حيث ذرية أنبياء المرحلة الثانية منه ..

.. ففي الآية الكريمة : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ

وَالْكِتَابَ ﴿٢٦﴾ [الحديد : ٢٦] ، نرى أن الله تعالى يقول : ﴿ فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ ، ولم يقل : (

في ذريتهما) .. فالذرية واحدة متصلة ما بينهما ، وليست ذريتين منفصلتين ، وذلك كون نوح عليه السلام الأب الثاني للبشرية ، وبالتالي كونه أباً لإبراهيم عليه السلام ، يقول تعالى : ﴿

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] ..

.. إذا حياة إبراهيم عليه السلام تُقسم إلى قسمين :

- قسم تابع للمرحلة الأولى التي مركزها نوح عليه السلام ، وهي حياته قبل أن يُنجب ..

- قسم تابع للمرحلة الثانية وهي حياته بعد أن أنجب ..

.. هذه الحقيقة القرآنية تتجلى في كتاب الله تعالى من خلال رسم كلمة إبراهيم في القرآن الكريم .. فلو نظرنا إلى رسم كلمة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم ، لوجدناها تُرسم بشكليين متمايزين : **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** ، **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** ، ففي بداية القرآن الكريم - في سورة البقرة - تُرسم **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** دون حرف ياء ، ومن ثم - بعد سورة البقرة - تُرسم **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** بوجود حرف ياء ..

.. وهذا التمايز في الرسم هو إشارة من الله تعالى إلى مرحلتين حياة إبراهيم عليه السلام .. فكلمة : **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** دون حرف ياء ، تتبع للمرحلة الأولى التي نحن بصدد الحديث عنها ، حيث إبراهيم (قبل إنجابه) هو آخر رسول من رسل المرحلة الأولى .. وكلمة : **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾** بوجود حرف ياء تتبع للمرحلة الثانية التي سنتحدث عنها لاحقاً ، حيث إبراهيم عليه السلام أبو أنبياء المرحلة الثانية ..

.. إذاً حياة إبراهيم عليه السلام مفصل بين مرحلتين الرسالات السماوية ، فحياته عليه السلام قبل أن يُنجب كانت نهاية المرحلة الأولى .. وبعد أن أنجب بدأت المرحلة الثانية حيث انحصرت النبوة والكتاب في ذريته .. هذا ما نقرؤه بشكل جلي من كتاب الله تعالى ..

.. وما يُميز المرحلة الأولى التي بدأت بآدم عليه السلام وانتهت عند إبراهيم عليه السلام قبل أن يُنجب ، هو أن رسلها هم محورٌ منهج الله تعالى للبشر ، دون الكتاب السماوي ، فالقرآن الكريم لا يُخبرنا عن أي كتاب سماوي في تلك المرحلة .. والبشرية لم تصل في تلك المرحلة إلى حالة حضارية تتفاعل فيها مع الكتاب السماوي .. والله تعالى خاطب رسل هذه المرحلة بأسماء ذاتها ، خطاباً مسبقاً بأداة النداء .. يقول تعالى :

﴿ قَالَ يَنْبُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦]

٢ - المرحلة الثانية : بدأت بإبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب ، حيث يشير القرآن

الكريم إلى ذلك بالرسم ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .. والأنبياء في هذه المرحلة هم من ذرية إبراهيم عليه

السلام .. وهذه المرحلة تنقسم إلى حلفتين :

(أ) - الحلقة الأولى منها تمتد من إبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب إلى عيسى عليه

السلام .. والرسالة المتكاملة فيها ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، كانت

لأقوام محددين .. فالتفاعل ما بين المنهج السماوي والبشر كان من خلال رسل تلك

المرحلة ، والكتب السماوية في تلك المرحلة لم تكن للبشرية جمعاء وإنما لأقوام محددين ..

.. والله تعالى خاطب رسل هذه الحلقة من المرحلة الثانية بأسماء ذاتها ، خطاباً مسبقاً

بأداة النداء .. يقول تعالى ..

﴿ وَنُنَادِيْنَهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

[الصافات : ١٠٤ - ١٠٥]

﴿ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَىٰ فَاخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن

مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤]

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥]

.. إذا .. البشرية - في هذه الحلقة من المرحلة الثانية - ارتقت حضارياً إلى درجة

التفاعل مع كتاب سماوي خاص بأقوام محددين ، ولذلك نرى الآن متبعين لرسالات هذه

الحلقة .. ولكنّه ارتقاء لم يصل إلى درجة التفاعل مع كتاب سماوي صالح لكل زمان

ومكان .. فهذه الحلقة الأولى من المرحلة الثانية بدأت بإبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب وانتهت عند عيسى عليه السلام ، وعند تبشيره برسول الرسالة الخاتمة ..

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦]

فالاسم : ﴿ أَحْمَدُ ٥ ﴾ ، هو اسم الرسول ﷺ في الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ..

(ب) - الحلقة الثانية من المرحلة الثانية ، بدأت بالرسالة التي نُزِلت على الرسول محمد ﷺ ، ولن تنتهي حتى قيام الساعة ، وفيها التزول الثاني لعيسى عليه السلام .. والاسم مُحَمَّد هو اسم الرسول ﷺ بعد أن وُلِدَ ، فكلمة مُحَمَّد على وزن : (مُفَعَّل) ، بعد ولادته ﷺ وبعد وجوده في الحياة الدنيا ، أصبح اسمه محمداً .. وبالتالي فمحمد هو اسم الرسول ﷺ في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية ..

.. وعيسى عليه السلام هو الآن متوفى ، وليس ميتاً ، أي هو في حالة شبيهة بحالة النائم .. وكما قلنا سيتزل في هذه الحلقة الثانية ، وسيؤمن به كلُّ أهل الكتاب الموجودين يومئذٍ دون أيِّ استثناء ، وسيموت بعد نزوله الثاني ..

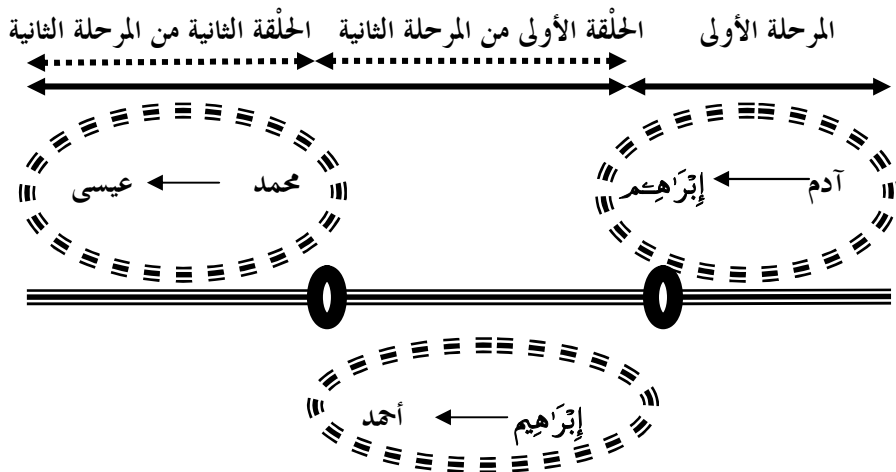
﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩]

.. إذا رسولا الحلقة الثانية في المرحلة الثانية من مرحلتي تدرّج الرسالات السماوية

هما : (محمد ، عيسى) عليهما السلام ..

.. وفي الرسم البياني التالي اختزال لفترات تدرّج الرسالات السماوية ..



.. ولما كان منهج الرسالة الخاتمة صالحاً لكل زمان ومكان ، وملتحمًا بالمعجزة المؤيدة لهذا المنهج .. ولما كان النبي محمد ﷺ لا تتعدى صلاحيته إيصال النص القرآني للناس وتفصيل كلياته من شعائر عبادة يريدها الله تعالى ، ولا يستطيع ﷺ أن يُشرع خارج أحكام القرآن الكريم ، حتى لنفسه مع أزواجه في بيت الزوجية .. يقول تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۚ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقَرَأٰنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۗ فَلَمْ يَكُونُوا لِئَن يُبَدَّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۗ إِنَّا أَتَيْنَا مَا يُوْحٰى إِلَيْنَا ۗ إِنِّي أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۗ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحریم : ١]

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٧]

.. ولما كان القرآن الكريم موجّهاً لكلّ جيلٍ ، بل لكلّ إنسانٍ حتى قيام الساعة - لما كان كلُّ ذلك - فإنّ ما شرعه الله تعالى للبشريّة جمعاء ﴿ أَنْ أَقْبِمُوا أَلْدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ متضمّنٌ في هذا المنهج (القرآن الكريم) ..

.. من هنا ندرك الحكمة الإلهية في تصوير العبارة القرآنية : ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ بصيغة الوحي الذي يعني القرآن الكريم : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِمُوا أَلْدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .. فما شرعه الله تعالى بالنسبة لمنهج الرسالة الخاتمة متضمّنٌ في ذات الوحي القرآني ..

.. والله سبحانه وتعالى تكفّل حفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل ، يقول تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وهذا التكفّل يقتضي أنّ ما شرعه الله تعالى فيه واضحٌ وبيّنٌ ومحفوظٌ حتى قيام الساعة .. من هنا ندرك الحكمة العظيمة من ورود كلمة ﴿ وَالَّذِي ﴾ وليس كلمة (وما) في العبارة القرآنية ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، في حين رأينا ورود كلمة ﴿ مَا ﴾ بالنسبة للرسالات السابقة ..

.. ولما كان القرآن الكريم رسالةً من الله تعالى يُكلّفُ بإيصالها للناس كلّ إنسانٍ مؤمنٍ به ، في كلّ زمانٍ ومكان ، فإنّنا نرى غياب ذكر اسم النبيّ (محمّد) صراحةً ، في حين ترد أسماء المرسلين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .. ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ .. فايصالُ منهج الرسالة الخاتمة للبشريّة جمعاء هي مسؤوليّة كلّ المؤمنين به في كلّ زمانٍ ومكان .. يقول تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤]

.. ولذلك .. فالله تعالى لم يخاطب - في كتابه الكريم - رسوله ﷺ بأداة النداء ولا

مرة ، فلم يقل تعالى : (يا محمد) ، أو : (يا أحمد) ، إنما خاطبه بالصيغ : **﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ ﴾** ، **﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ ﴾** ، **﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ﴾** ، **﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴾** ، وذلك لحكمة إلهية عظيمة تحمل فيها العبارات القرآنية إطلاقاً يشمل كل داعية ومخلص لله تعالى ، حسب درجة دعوته لله تعالى وخلاصه ونبله .. فخطابُ الله تعالى لمحمدٍ الشخص بالصيغة : (يا محمد) يعني خطاباً تاريخياً خاصاً بزمن الجيل الأول ، ولكن منهج الرسالة الخاتمة هو فوق التاريخ وفوق خصوصيات الزمان والمكان ، ويُخاطب فيه كلُّ إنسان حسب درجة دعوته لنشر دين الله تعالى وحسب درجة نقائه وخلاصه من الذنوب .. من هنا ندرك عمق الحكمة الإلهية بعدم وجود نصٍّ واحدٍ في كتاب الله تعالى يُخاطبُ الله تعالى فيه محمداً ﷺ بأداة النداء كما خاطبَ رُسُلُه السابقين ..

.. ولأهمية المنهج المُتزل في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية ، والذي أرادَه الله تعالى للبشرية جمعاء كآخر رسالة للبشر ، نرى أن الله تعالى يُقدِّم الحلقة الثانية على الحلقة الأولى في إطار المرحلة الثانية من مرحلتي تدرّج الرسالات السماوية .. **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾** .. فالعبارة القرآنية **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** تسبقُ العبارة القرآنية **﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾** ، على الرغم من أن زمن بعث الرسالة الخاتمة متأخرٌ عن زمن بعث الرسالة المتكاملة ما بين إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ..

إذاً .. في الحلقة الثانية من المرحلة الثانية والتي بدأت ببعث الرسول محمد ﷺ ، ارتقى وعي الإنسان الاجتماعي وارتقت حضارته ، إلى درجةٍ يستطيع فيها التفاعل مع كتاب سماويٍّ صالح لكلِّ زمان ومكان ، ويكون هذا الكتابُ محورَ رسالة الله تعالى للبشر وهكذا نرى أن المرحلة الأولى بدأت بآدم عليه السلام وانتهت عند إبراهيم عليه السلام قبل أن يُنجب ، ومركزها نوح عليه السلام .. ونرى أيضاً أن هذه المرحلة كانت

تمهيداً للحلقة الأولى من المرحلة الثانية .. ونرى أيضاً أنّ الحلقة الأولى من المرحلة الثانية (من إبراهيم بعد أن أنجب إلى عيسى عليهما السلام) كانت تمهيداً للحلقة الثانية من هذه المرحلة ، والتي بدأت بمحمد ﷺ ولا تنتهي إلى قيام الساعة وفيها النزول الثاني لعيسى عليه السلام ..

.. ففي الحلقة الثانية من المرحلة الثانية حيث خُتِمت الرسالات السماوية ، سُمي المنهجُ وسمت المعجزةُ ، ليحتويا تطورَ البشريّة فكريّاً ، وليحتويا كلّ مستجداتها الحضارية حتى قيام الساعة .. من هنا كان القرآن الكريمُ روحاً من أمرِ الله تعالى ، ونصّاً ينتمي لعالم الأمر ، أي فوقَ عالم الخلق ، أي فوق التاريخ والزمان والمكان .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢]

.. وصفة الروح هذه لم تُعطَ إلا للقرآن الكريم من بين الكتب السماوية .. واتّصافُ القرآن الكريم بهذه الصفة يعني أنّه فوقَ عالم الخلق ، أي أنّه ينتمي لعالم الأمر ، فالقرآن الكريمُ روحٌ ، والروح ينتمي لعالم الأمر ..

﴿ وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ط قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥]

.. فقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ هو إجابةٌ للسؤال : ﴿ وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ط ﴾ ، وهذه الإجابة تعني أنّ الروح ينتمي لعالم الأمر ، وبالتالي لا ينتمي لعالم الخلق ، فالله تعالى يُبينُ لنا أنّ هناك عالَمين هما عالمُ الأمر وعالم الخلق ..

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤]

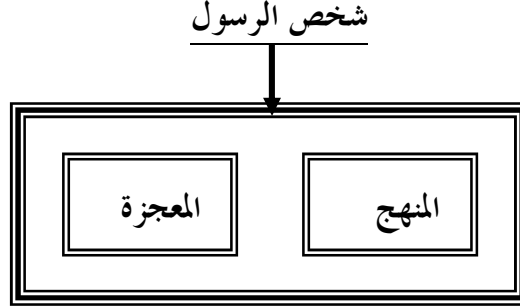
.. إذا .. في طفولة البشريّة حيث المرحلة الأولى من مراحل تدرّج الرسالات السماوية ، لم يكن وعيُ الإنسان الاجتماعي وإدراكه الحضاري .. لم يكن ناضجاً

بالشكل الذي يهيئه للتفاعل مع كتاب سماويٍّ مسطورٍ بلغةٍ يتفاعل معها البشرُ بشكلٍ سليمٍ .. ولذلك لم تنزل كتبٌ سماويةٌ في تلك المرحلة ، فالمرجعيةُ لم تخرج في تلك المرحلة عن شخصِ الرسول ، وهذا ممّا تحمله كلمةُ ﴿ وَصَّى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ ..

.. والمعجزةُ المؤيدةُ لمناهج تلك المرحلة لم تخرج - هي الأخرى - عن شخصِ الرسولِ .. فمُعْجِزَةُ نُوحٍ عليه السلام هي عُمُرُهُ ، يقولُ تعالى .. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] ..

.. ولذلك نرى أن عدد الحروف المرسومة في سورة نوح وفق معيار عدد الحرف المرسوم المستنبط من القرآن الكريم ذاته ، والذي يَبْتَنِيهِ في كَتْبِي .. نرى أن عدد الحروف المرسومة في سورة نوح هو (٩٥٠) حرفاً مرسوماً .. كلُّ حرفٍ يُقَابَلُ سنةً من السنين المذكورة في العبارة القرآنية : ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ..

.. إذاً في المرحلة الأولى ، حيث البشرية كحضارة وتفاعل اجتماعيٍّ ما زالت في طفولتها .. في هذه المرحلة التصق المنهجُ بشخصِ الرسولِ الحاملِ للرسالة ، والتصقت المعجزةُ - أيضاً - بشخصِ الرسولِ الحاملِ للرسالة ..

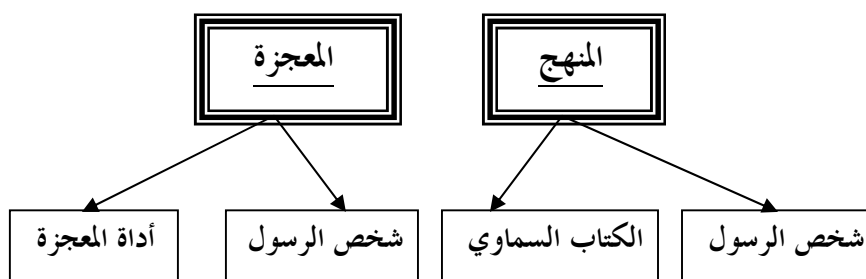


.. وفي الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، والممتدة من إبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب إلى عيسى عليه السلام ، انتقلت البشرية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة أكثر نضجاً ، وبالتالي تمّ الارتقاء باستقلالية المناهج والمعجزات في تلك المرحلة إلى مرحلة أعلى ممّا كانت عليه في المرحلة الأولى .. لذلك نرى أنّه أنزلت كتبٌ سماويةً في تلك المرحلة ، ولكنها صالحةٌ لأزمنة وأمكنة مُحدّدة ، ولم تُلغِ صلاحية رسل تلك المرحلة في التشريع ، فإبلاغ المنهج ومرجعياته توزّعت بين الرسل في تلك الحلقة ، وبين الكتب السماوية .. بمعنى أنّه حدث استقلالٌ جزئيٌّ للمنهج عن شخص الرسل في تلك الحلقة ، فبينما لم تنزل كتب سماوية في المرحلة الأولى ، نزلت في الحلقة الأولى من المرحلة الثانية كتبٌ سماوية دون أن تُلغى دور الجانب الشخصي للرسل آنذاك ..

.. والمعجزة المؤيدة لمناهج تلك المرحلة هي الأخرى استقلّت جزئياً عن شخص الرسول في تلك المرحلة .. ففي حين كانت المعجزة متعلّقةً تعلقاً كاملاً بشخص الرسول في المرحلة الأولى ، أصبحت مستقلةً استقلالاً جزئياً عن شخصه ، مع بقائها كمعجزة في يده .. فلا تتجلى إلا بين يديه ..

.. فعصا موسى عليه السلام ، كمعجزة أُيدَ بها موسى عليه السلام ، نراها مستقلةً عنه كشخص ، ولكنها لا تُستخدمُ - كمعجزة - إلا من قبله .. وإحياء الموتى بإذن الله تعالى على يد عيسى عليه السلام ، كمعجزة أُيدَ بها عليه السلام ، ليست متعلّقةً بذاته ، ولكنها لم تحدث إلا على يديه بأمر من الله تعالى ..

.. إذا .. في الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، توزّع المنهج بين شخص الرسول في تلك الحلقة وبين الكتاب السماوي ، وتوزّعت المعجزة بين شخصه وبين الأداة الإعجازية التي أُيدَ بها ، في فقرة تمهيدية للحلقة الثانية من المرحلة الثانية ، وذلك باتجاه التجريد والابتعاد عن التعلّق بالجانب الشخصي والتاريخي للمرسلين عليهم السلام ، سواءً في المنهج أم في المعجزة ..



.. من هنا ندرك الحكمة الإلهية في الصياغة القرآنية ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ، وذلك بورود ما شرعه الله تعالى في تلك المرحلة بصيغة الوصية .. ولكن .. ليس بصيغة الغائب والمفرد - كما هو الحال في المرحلة الأولى - إنما بصيغة المتكلم والجمع .. ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ...

.. فمنهج رسالات الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، والممتدة من إبراهيم عليه السلام بعد أن أنجب إلى عيسى عليه السلام ، لها متبوعون الآن ، وبالتالي تُناسبها صيغة المتكلم .. بينما مناهج المرحلة الأولى لا يوجد لها الآن متبوعون ، وبالتالي تُناسبها صيغة الغائب ..

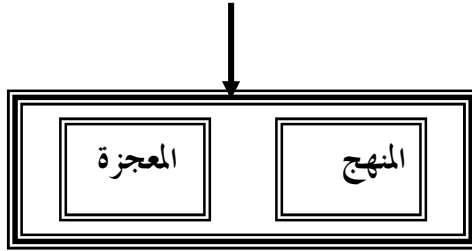
.. وفي الحلقة الثانية من المرحلة الثانية ارتقت حضارة البشرية ووعيها ، ونضجت حتى وصلت درجة التفاعل مع نص مكتوب يحتزل كليات كل الأشياء في هذا الكون ، وصالح لكل زمان ومكان .. ولذلك في الرسالة الخاتمة ، استقلت المعجزة والمنهج استقلالاً

كاملاً عن شخص النبي ﷺ ، وتركزت المعجزة والمنهج في نصّ لَعُوِيٍّ تَمَّتْ صِيَاغَتُهُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وهذا النصُّ هو القرآن الكريم .. وحكمةُ الله تعالى تحيطُ بذلك .. فوعي البشر وحضاراتهم تتطوّرُ من جيلٍ إلى جيلٍ ، وحلُّ مشاكلهم المستجدة يتطلّبُ استنباطاً مُستمرّاً للأحكام ، وبالتالي يتطلّبُ استقلالاً للنصِّ عن إطارِ التاريخ .. سواءً كان ذلك في جانب المنهج ، أم في جانب المعجزة ..

.. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ .. فمنهجٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ لا بُدَّ أن يكون مستقلاً عن التاريخ وعن الجانب الشخصي للنبي ﷺ ، ولا بدَّ أن تكون المعجزة المصدّقة لهذا المنهج مستقلةً عن التاريخ وعن الجانب الشخصي للنبي ﷺ .. فما الفائدة من تأييدِ معجزةٍ تاريخيةٍ لم يشهدها إلا أفرادُ الجيل الأوّل ، وذلك لمنهجٍ صالحٍ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ .. فمنهجٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ، يحتاجُ لمعجزةٍ صالحةٍ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ..

.. من هنا كان كلُّ من المنهج والمعجزة مستقلاً عن التاريخ وعن شخص النبي .. كأحداثٍ تاريخيةٍ .. بمعنى آخر .. كان كلُّ من المنهج والمعجزة محتويّاً في الكتاب السماويّ (القرآن الكريم) .. فالمنهجُ كلُّ المنهج ، والمعجزةُ كلُّ المعجزة ، كانا ضمنَ نصِّ صاغه الله تعالى ، هو القرآن الكريم ..

الكتاب السماوي (القرآن الكريم)



.. والقول بأنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه ﷺ وَحْيَيْنِ اثْنَيْنِ هُمَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ الشَّرِيفَةُ ، هو قولٌ ينقضه القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً ، فالوحي - في الرسالة الخاتمة - هو وحي القرآن الكريم ... فحتى وَحْيِي الْقُرْآنِ نَرَاهُ عِبْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ..

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ

كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣]

.. وهذا ما يتأكد معنا في سورة يوسف ذاتها ، فبعد وصف الأحداث في قصة

يوسف نرى أن الله تعالى يصف ذلك بقوله ..

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف : ١٠٢]

وهذا ما نراه أيضاً في النصّ التالي ..

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ

الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ

أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران : ٤٢ - ٤٤]

وهذا ما نراه أيضاً في النصّ التالي ..

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ

سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا

كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود :

[٤٨ - ٤٩]

وحتى وحي الله تعالى لرسوله ﷺ بمسألة الجن إنما كان عبر القرآن الكريم حصراً ..

﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي

إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن : ١ - ٢]

.. وفي النصّ التالي المصوّر للسبيل التي يُكَلِّمُ اللهُ تعالى بها البشر ، نرى أن النبي ﷺ

أوحى الله تعالى إليه روحاً من أمره ، هو القرآن الكريم ..

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ [الشورى : ٥١ - ٥٢]

عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥١﴾

.. فالروح الذي أوحى إلى النبي ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ هو

القرآن الكريم وليس أي أمر آخر .. يقول تعالى ..

﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

﴿ وَإِن شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٥٧]

﴿ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٥٨]

﴿ وَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٨٥ - ٨٩]

فقوله تعالى ﴿ وَإِن شِئْنَا لَنذَهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يعني الوحي الذي أوحاه

الله تعالى لنبيه ﷺ ، وهذا الوحي هو الموصوف بالآيات التالية لهذه العبارة القرآنية ، والتي تتمحور - كما نرى - حول القرآن الكريم حصراً دون أي أمر آخر .. وفي هذا بيان أن الوحي الذي تلقاه النبي ﷺ هو القرآن الكريم .. هذا ما نراه ويراه كلُّ باحث عن الحقيقة في كتاب الله تعالى ..

ووحي الله تعالى بالقرآن الكريم نراه جلياً في قوله تعالى ..

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ

الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى : ٧]

.. وما كان يتلوه ﷺ على المؤمنين هو آيات الله تعالى (القرآن الكريم) وليس أي

أمرٍ آخر ..

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ [الجمعة : ٢]

.. وهذه الآيات الكريمة (القرآن الكريم) التي كان ﷺ يتلوها ، هي الوحي الذي

أوحاه الله تعالى إليه ، وهي هدف الرسالة التي تم إرساله ﷺ بها ..

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ ﴾ [الرعد : ٣٠]

ووحي القرآن الكريم بهدف إنذار البشرية به ، نراه جلياً في قوله تعالى ..

﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩]

.. ولو فرضنا - جدلاً - وجود وحي آخر كما يزجر عابدو أصنام التاريخ ،

فكيف بنا أن نفهم قوله تعالى ..

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ

دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ

غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥]

فكما يفترون على منهج الله تعالى بأن هناك ما أتت به أحاديثهم بما لا وجود له في

كتاب الله تعالى من تحريم لبعض المسائل ، عبر وحي آخر هو وحي السنة المستقل عن

وحي القرآن الكريم ... إن كان افتراؤهم صحيحاً ، كيف بنا أن نفهم قوله تعالى ﴿ قُلْ

لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ ؟!!!!!! .. أليست العبارة ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ

مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا ﴿﴾ تحصر وحي التحريم الذي أوحاه الله تعالى لرسوله ﷺ
بالأمور **﴿ أن يكون ميةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾** !!!؟ ..

.. وبالتالي كيف يفترى على الله تعالى وكتابه الكريم وسنته الشريفة بأن السنة وحي مستقل أتى بتحريم ما لم يحرمه كتاب الله تعالى !!!؟ .. وسنرى إن شاء الله تعالى في محطة قادمة كيف أن كل ما يزعم أن تحريمه لم يذكر في كتاب الله تعالى وذكر في أحاديثهم ، سنرى فساد هذا الزعم بشكل جلي ..
.. وإن كان هناك وحي آخر مع وحي كتاب الله تعالى ، كما يزجر عابده وأصنام التاريخ ، فكيف بنا أن نفهم قوله تعالى ..

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ

دُونِهِ مُلتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

فما يؤمر ﷺ بتلاوته من الوحي هو ما أوحى إليه من القرآن الكريم ، وليس هو أمراً آخر كالأحاديث التي بين أيدينا ، بدليل أنه لا مرجع للنبي ﷺ إلا وحي القرآن الكريم .. فالله تعالى يقول لنبيه ﷺ عن وحي القرآن الكريم **﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحَدًا ﴾** .. إن حصر مرجعية النبي ﷺ بوحي القرآن الكريم دون أي وحي آخر ، ينفي وجود وحي آخر مستقل عن كتاب الله تعالى ، كما يفترى المتاجرون بالسنة الشريفة ..

وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى .. **﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [**

العنكبوت : ٤٥] .. فمن المؤكد أن كلمة **﴿ الْكِتَابِ ﴾** تعني القرآن الكريم ، وأنها لا تعني البخاري أو الكافي أو مسلم أو

ومن المؤكد أن الوحي الذي أمر النبي ﷺ بأن يستمسك به هو القرآن الكريم ..

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ

وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الشورى : ٤٣ - ٤٤]

فالوحي الذي يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يستمسك به ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ هو ذاته الوحي الذي يصفه الله تعالى بقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ، وهو ذاته وحي القرآن الكريم وليس أيّ وحي آخر دونه ..
وهذه آية كريمة تُبيّن لنا أنّ الوحي الذي يتبعه ﷺ هو القرآن الكريم ، وأنّ أيّ مخالفة للقرآن الكريم هي عصيان نتيجتها العذاب العظيم ..

﴿ وَإِذَا تُمْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۚ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ ۗ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي ۗ إِنِّي أَخَافُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

.. فالأمر الإلهي لرسوله ﷺ بأن يقول ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ هو أمر يتعلّق بوحي القرآن الكريم دون أيّ وحي آخر دونه ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ ۗ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي ﴾ ، وبالتالي فإنّ أتباع النبي ﷺ لأيّ وحي آخر دون وحي القرآن الكريم هو معصية يترتب عليها عذاب عظيم ، وبالتالي يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .. فكيف إذا يزعمون وجود وحي آخر دون وحي كتاب الله تعالى !!!؟ ..

وهذا نصّ قرآنيّ يبيّن لنا أنّ الوحي الذي تلقاه ﷺ هو القرآن الكريم ..
﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مَّعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنزَلَهُ ۗ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِمْ مُفْتَرِينَ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِن دُونِ

اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٤﴾ [هود: ١٢٣ - ١٢٤]

فالعبرة القرآنية ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾

تبين أمر الله تعالى بالنهي عن ترك بعض ما يوحى إلى الرسول ﷺ ، بسبب قولهم : ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ وبسبب قولهم : ﴿ أَفَرَأَيْتَهُ ﴾ .. فبعض الوحي الذي ينهى الله تعالى عن تركه والذي يتهمون الرسول ﷺ بأنه افتراه ، لا يخرج عن إطار كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَبَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

.. من هنا نرى أن الوحي الذي تلقاه ﷺ لا يخرج عن إطار القرآن الكريم .. ونرى أن الزعم بوجود وحي آخر مستقل عن القرآن الكريم ، هو خروج فاضح على دلالات كتاب الله تعالى ، وهو افتراء هدفه الانتصار للعصبيات المذهبية والطائفية على حساب كتاب الله تعالى ودلالاته الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ..

.. ولذلك نرى - في كتاب الله تعالى - أنه حتى في طلب الفتوى الموجهة لشخص النبي ﷺ من قبل الناس ، حتى في ذلك ، يأخذ ﷺ الإجابة من النص القرآني .. فكلمة : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ ترد مرتين في كتاب الله تعالى ، في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ ﴾ [

النساء : ١٢٧] ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ ﴾ [

النساء : ١٧٦] .. وفي هذين النصين نرى أن مرجعية الفتوى هي النص القرآني حتى لفتوى النبي ﷺ في تفاعله مع الناس فحلف العبارتين : [﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي

النِّسَاءِ ^ط ، ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ [] ، نرى العبارة القرآنية ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾
 فهذه العبارة : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ في سياقها القرآني التالي لاستفتاء الناس وطلبهم
 الفتوى من النبي ﷺ ، تؤكد أن النصّ القرآني هو المرجعية الوحيدة للإفتاء ، حتى وإن كان
 المفتي هو النبي ﷺ .. وكل ذلك يتعلّق بحكمة الله تعالى في تدرّج رسالاته السماوية وصولاً
 إلى منهج فوق التاريخ ومعجزة فوق التاريخ ، ليكون المنهج وتكون المعجزة صالحين لكل
 زمان ومكان ..

.. وفي كتاب الله تعالى نرى أنه في إجابة النبي ﷺ للأسئلة المطروحة عليه ، لا يخرج
 عن النصّ القرآني .. فكلمة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، وكذلك العبارة : ﴿
 يَسْأَلُكَ النَّاسُ ﴾ ، نرى خلفهما عبارات قرآنية لا تُعطي النبي ﷺ صلاحية الإجابة خارج
 النصّ القرآني .. فكلمة ﴿ قُل ﴾ خلف كلمة ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ ، وخلف العبارة ﴿ يَسْأَلُكَ
 النَّاسُ ﴾ ، تؤكد أنه ﷺ في إجابته على أسئلة الناس التي تُطرح عليه ، لا يتجاوز النصّ
 القرآني ..

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٦٣]

﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ^ط قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ^ط ﴾ [البقرة : ١٨٩]

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^ط ﴾ [البقرة : ٢١٥]

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ^ط قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ^ط ﴾ [البقرة : ٢١٧]

﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ^ط قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ

وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ^ط وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ ^ط ﴾ [البقرة : ٢١٩]

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ^ط قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ^ط ﴾ [البقرة : ٢٢٠]

- ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى ﴾ [البقرة : ٢٢٢]
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ ﴾ [المائدة : ٤]
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْفِيهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا نَأْتِيكُم بِإِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧]
- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١]
- ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥]
- ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣]
- ﴿ وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ [طه : ١٠٥]

وكتنا قد وقفنا عند الآية الكريمة التالية التي تبين لمن يريد فهم الحقيقة أن كتاب الله تعالى هو الملجأ والمرجع الوحيد ، الذي لا يوجد ملجأ ومرجع دونه ، حتى للنبي ﷺ ، وبالتالي تؤكد لنا أنه في منهج الرسالة الخاتمة ليس هناك ملجأ ومرجع آخر دون القرآن الكريم ..

- ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

.. أليس الضمير المتصل في كلمة ﴿ دُونِهِ ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ يعود على كتاب الله تعالى دون غيره ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ ؟ ... ألا يعني ذلك أنه لا يوجد ملجأ ولا مرجع إلا القرآن الكريم حتى للنبي ﷺ ذاته ؟ فإذا كان النبي ﷺ هو ذاته ليس له ملجأ ولا مرجع دون القرآن الكريم ، فكيف - إذا - يكون لنا ملجأ ومرجع آخر دون القرآن الكريم ؟ !!! ..

.. وهذا العرض السريع لحكمة تدرّج الرسالات السماوية ، لا يسمح لنا بالشرح المفصّل لحكمة احتواء النصّ القرآنيّ على المنهج والمعجزة بأن واحد ، وبأنّه لا منهج خارج النصّ القرآني ، ولا معجزة مؤيِّدة لهذا المنهج خارج النصّ القرآني .. وقد بيّنت في كتيبي بشكلٍ جليّ هذه الحقيقة القرآنيّة التي تمّ تغييرها أربعة عشر قرناً ..

.. فعندما يقول تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا

الْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء : ٥٩] ، فهذا يعني أنّ الله تعالى لم يُؤيِّد منهج الرسالة الخاتمة بأيّ معجزة كونية مُصدّقة لهذا المنهج .. فالمعجزة المُصدّقة لهذا المنهج هي القرآن الكريم ذاته ، يقول تعالى : ﴿ أُولَئِكَ فَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] .. وهذا يعني أنّ القرآن الكريم يكفي عن أيّ معجزة يطلبها الإنسان - في كلّ زمانٍ ومكان - لتصديق منهج الرسالة الخاتمة (القرآن الكريم) ..

.. وعندما يقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَنُذُرًا لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] .. فهذا يعني أنّ المنهج كلّ المنهج مُحتوى في النصّ القرآني .. هكذا يُدركُ كلّ من يُدركُ الحدّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة ، ومن يملك ولو الحدّ الأدنى من تصديق الله تعالى حينما يقول : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ..

.. إذاً تركّز المنهج وتركّزت المعجزة في الرسالة الخاتمة بنصّ تولى الله تعالى حفظه ،

يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .. ولذلك نرى

كلمة ﴿ وَالَّذِي ﴾ وليس كلمة (وما) ، في العبارة القرآنيّة المصوّرة للحلقة الثانية من

المرحلة الثانية .. **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** ، فالقرآن الكريم لا يُمكن تحريفه ، وهو موجودٌ بين أيدي البشرية إلى قيام الساعة كما هو تماماً دون زيادة أو نقصان ..
 .. ولما كان كلُّ من المنهج والمعجزة مستقلاً عن التاريخ ، وما شرعه الله تعالى مُتضمناً في ذاتِ النصِّ القرآنيِّ بشكلٍ مجردٍ عن السيرة التاريخية ، وموجوداً بين أيدي البشرية بذاتِ الحيثية التي كان فيها موجوداً بين أيدي رجال الجيل الأول .. لذلك نرى صيغة الوحي وليس صيغة الوصية .. **﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾** ..

.. ولما كان كلُّ من المنهج والمعجزة مستقلاً عن التاريخ ، ويخاطبُ شخصَ النبي ﷺ ، كما يُخاطبُ أيَّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكان ، ولما كان كلُّ مؤمنٍ به مُطالبٌ بإبصالِ نوره إلى البشرية جمعاء .. لما كان ذلك .. نرى الإشارةَ إلى النبي ﷺ من خلالِ كلمةِ **﴿ إِلَيْكَ ﴾** ، ولا نرى ذكراً اسمه الصريح كما ذُكرت أسماء الرسلِ صراحةً في المرحلة الأولى ، وفي الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ..

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

.. من هنا نرى حقيقةً ماهية الرسالة الخاتمة ، كونها رسالةً للبشرية جمعاء ، وكونها صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكان ، وكونَ معجزتها ملتحمةً بمنهجها في ذاتِ النصِّ القرآنيِّ .. بمعنى آخر كونها فوقَ التاريخ والجغرافيا .. وإلا كيف بنا أن نفهم قولَ الله تعالى ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧]

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان : ١]

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨]

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ص : ٨٧]

﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [القلم : ٥٢]

.. جوهرٌ منهج الرسالة الخاتمة ، وجوهرٌ معجزتها ، وأهمُّ ما يُميّزها عن غيرها من الرسالات السماوية السابقة .. كلُّ ذلك .. يتركز في كون كتابها (القرآن الكريم) يحتزل بأعماقه تبياناً لكلِّ شيءٍ في هذا الكون .. ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ..

.. فالتاريخ محتوي في أعماق النصِّ القرآني .. أي .. لا يوجد أيُّ حكمٍ في منهج الله تعالى إلا ويحمل القرآن الكريم له تبياناً .. وقوانين الكون تُختزل في أعماق النصِّ القرآني ، وبالتالي يحمل القرآن الكريم في أعماقه معجزة لكلِّ باحثٍ عن حقيقة إعجازه في كلِّ زمانٍ ومكان ، مهما ارتقت الحضارة الإنسانية ، يقول تعالى ..

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .. ويقول تعالى .. ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَاهُ

بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨]

.. إذاً حكمة الله تعالى في تدرّج رسالته للبشرية ، اقتضت أن تكون الرسالة الخاتمة ، منهجاً ومعجزة ، ضمن نصٍّ مكتوبٍ يُعطي كلَّ جيلٍ ما يُريده كمنهجٍ وكمعجزة في الوقت ذاته .. وكلُّ ذلك يقتضي أن تكون الرسالة الخاتمة مستقلة تماماً عن التاريخ وأحداثه ، بما في ذلك أحداث الجليل الأوّل ، وحتى عن شخص النبي ﷺ ..

.. عندما نقول تركّز المنهج وتركّزت المعجزة في ذات النصِّ القرآني ، واستقلَّ المنهج واستقلّت المعجزة عن شخص النبي ﷺ ، حيث تتجلّى حكمة الله تعالى في تدرّج رسالاته للبشرية للوصول إلى نصٍّ لغويٍّ صالحٍ لكلِّ زمانٍ ومكان .. عندما تُبين هذه الحقائق القرآنية الواضحة الجلية المستنبطة من كتاب الله تعالى .. حين ذلك نصطدم مع الكثير ممّا نقلته لنا كتب التاريخ باسم الدين .. فهذا القول الحقُّ يصطدم مع المفهوم التاريخي الذي

تحملهُ الروايات ، ولا يصطدمُ مع مفهوم السنّة الحقّ للرسول ﷺ ، لأنّه ﷺ لا تخالفُ أعماله وأقواله القرآن الكريم عندما نقولُ تركّز المنهجُ وتركّزت المعجزةُ في ذاتِ النصّ القرآني ، نصطدمُ مع أهواءِ الذين لا يعينهم المنهجُ بمقدار ما تعينهم روايات التاريخ ورجالاته ..

.. إنّ تبيانَ الله تعالى لحكمةِ تدرّج الرسالات السماوية في كتابه الكريم ، ليس مُجرّدَ سردٍ تاريخيٍّ لتاريخِ الرسالات السماوية ، إنّهُ حكمةٌ لا تنفكُ - أبداً - عن ماهيةِ منهجِ الله تعالى ذاته .. والنظرُ إلى منهجِ الرسالةِ الخاتمةِ ومعجزتها ، من غيرِ منظارِ هذه الحكمة ، هو خروجٌ على المنهجِ ذاته ..

.. كلُّ ذلك يقودنا إلى تعريفِ السنّةِ الحقّ ، وإلى رسمِ حدودِ صلاحيةِ الرسول ﷺ في تشريعِ الأحكام ، وإلى تفسيرِ الآياتِ الكريمةِ التي يأمرنا الله تعالى بها بطاعةِ الرسول ﷺ ، وإلى الانتهاءِ عمّا نهى عنه .. فما بيناه من حكمةِ تدرّجِ الرسالات السماوية ، قد يؤدّي إلى اختلاطِ الأمور عند الكثيرين ، فيتصوِّرون أنّنا بذلك نُلغي سنّةَ الرسول ﷺ ، وأنّنا بذلك نقفزُ فوقِ دلالاتِ الآياتِ الكريمةِ التي يأمرنا الله تعالى بها أن نطيعَ الرسولَ ﷺ ، حيث يضعُ اللهُ تعالى طاعةً مستقلةً للرسول إنّ شاء اللهُ تعالى ، سنبيّنُ حقيقةَ السنّةِ الشريفةِ في المحطّةِ القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثانية

((مفهوم السنة الشريفة))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. كنا قد بينا في المحطة السابقة أن المنهج - كل المنهج - والمعجزة - كل المعجزة - تركزا في النص القرآني ، واستقلا استقلالاً تاماً عن الجانب الشخصي للنبي ﷺ .. وبيننا أن حكمة الله تعالى في تدرج رسالته للبشرية ، اقتضت أن تكون الرسالة الخاتمة ، منهجاً ومعجزة ، محتواة في نص مكتوب هو النص القرآني .. وبالتالي فمفهوم الحكمة الذي يُسمى تاريخياً بالسنة ، لا ينفك - أبداً - عن دلالات كتاب الله تعالى .. كيف - إذاً - نُوفِّق بين هذه الحقيقة القرآنية من جهة ، وبين موروثاتنا التاريخية عن السنة من جهة أخرى ، تلك الموروثات التي تُصوِّرُ السنة نصاً مُستقلاً بأحكامه عن أحكام كتاب الله تعالى ؟ .. للإجابة على هذا السؤال ، لا بد لنا من شرح الفارق بين دلالات كلمتي الرسول والنبي في كتاب الله تعالى ، ولا بُدَّ من تبيان حدود كل منهما في شخص النبي ﷺ ، وفي أعماله وأقواله ..

.. كلمة النبي تعني النقاء والطهارة والخلاص لله تعالى ، ولا تقتضي حتمية حمل رسالة جديدة .. لذلك ليس كل نبي رسولاً .. بينما كلمة الرسول تعني حاملاً لرسالة

يُطالَبُ ذلك الرسول بإيصالها من مُرسِلٍ إلى مُرسَلٍ إليهم .. وفي جانب الرسالة السماوية فإنَّ كلَّ رسولٍ نبيٌّ .. فالرسول هو نبيٌّ يحملُ منهجَ الله تعالى للبشريَّةِ .. إذاً كلمةُ النبيِّ تُصوِّرُ جانبَ النقاءِ والطهارةِ والخلاصِ في شخصِ الموصوفِ بها .. وكلمةُ الرسولِ تُصوِّرُ جانبَ حملِ منهجِ الله تعالى وإيصاله إلى المُرسَلِ إليهم .. لذلك فكلمةُ النبيِّ تتعلَّقُ بأمورٍ شخصيَّةِ كالزواجِ وغير ذلك .. لننظر في النصوص القرآنيَّةِ التالية

﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ۗ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ۗ قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [التحريم : ٣]

.. ولو نظرنا في العبارة القرآنيَّةِ : ﴿ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ

النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ، لرأينا الفارقَ

جلياً بين النبي كصفة تتعلق بالطهارة والخلاص لله تعالى وبين محمد كشخص حامل لهذه الصفة .. ففي قوله تعالى : ﴿ **إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا** ﴾ ، نرى صياغة قرآنية تتعلق بصفة النبوة ، وليس بالجانب الشخصي ، ونراها بصيغة الغائب .. فالله تعالى لم يقل : (**إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَنْكِحَهَا**) ..

.. بينما في العبارة القرآنية : ﴿ **خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ نرى صياغة قرآنية تتعلق بالجانب الشخصي ، ونراها بصيغة المخاطب .. فالله تعالى لم يقل : (**خَالِصَةً لِلنَّبِيِّ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) ، ولم يقل : (**خَالِصَةً لَهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) ، وذلك بصياغة مشابهة لصياغة العبارات القرآنية السابقة لها ﴿ **إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا** ﴾ .. إنما يقول : ﴿ **خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ..

.. فلو كان الخطاب موجهاً لجانب النبوة ومقامها فقط دون التعلق بالجانب الشخصي ، لكان على الشكل : (**إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) .. ولو كان الخطاب موجهاً للجانب الشخصي لمحمد ﷺ فقط دون التعلق بمقام النبوة لكان على الشكل : (**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) ..

.. نقرأ من ذلك .. أن العبارات القرآنية : ﴿ **وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا** ﴾ ، تصفُ أيَّ امرأةٍ تهبُ نفسها لمقام النبوة ، بمعنى أيِّ امرأةٍ تُريدُ الارتقاءَ إلى شرفِ الدخولِ في ساحةِ أزواجِ النبي ، عبرَ ابتعادها عن زينةِ الحياةِ الدنيا وشهواتها ، وعبرَ تطبيقها للأحكامِ الخاصةِ بدخولِ هذه الساحةِ ، من عدمِ زواجِ من الآخرين بعد موتِ النبي ﷺ وغير ذلك من الأحكامِ الخاصةِ بأزواجِ النبي .. ولا يتعلقُ الأمرُ بشخصِ النبي ﷺ كرجلٍ يرتبطُ مع تلك المرأةِ بعقدِ نكاحٍ مجردٍ أنها أنثى ..

.. وهذه المرأة بعد أن تنصاعَ للأحكامِ الخاصةِ بهذا المقام ، مختارةً الله تعالى ورسوله والدارَ الآخرة ، مبتعدةً عن زينةِ الحياةِ الدنيا من شهوةٍ للرجال وغير ذلك ، داخلةً هذا

المقام عبر حصولها على شرفِ الزوجية مع النبي .. بعد ذلك .. تكون كأنثى خالصةً لشخصه ﷺ كرجل : ﴿ خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .. بمعنى أنها تكون كعلاقة زوجية بين ذكرٍ وأنثى مُرتبطةً مع محمدٍ الشخص ، حيثُ محمدُ الشخص الذكور هو المقابل لها كأنثى في هذه العلاقة الزوجية .. هكذا نقرأ من صياغة هذه العبارات القرآنية ..

.. إذا علينا أن نُميِّز في شخصه ﷺ ، بين الجانب الشخصي ، وبين جانب النبوة ، وبين جانب الرسالة .. وإن لم نُميِّز بين هذه الجوانب بشكلٍ سليم لا نستطيع أن نُدرك دلالات الكثير من آيات كتاب الله تعالى ... الرسول ﷺ آمن بما أنزل إليه من ربه ، يقول تعالى :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

.. فهذه العبارات القرآنية تصفُ صفةَ الرسالة في ذاته ﷺ .. ولكن لننظر إلى النصِّ التالي في كتاب الله تعالى :

﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [يونس : ٩٤ - ٩٥]

.. ولننظر إلى النصِّ التالي في كتاب الله تعالى :

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْخًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾

[الإسراء : ٧٣ - ٧٥]

.. هل هذه الآيات الكريمة تخاطبه ﷺ كرسول !!! ، بالتأكيد لا تخاطبه كرسول ..
 إنما تخاطبه كشخص ، تخاطبه كبشر ، له هواجسه النفسية كأبي إنسان .. إذا .. هناك
 فارق بين خطاب الله تعالى له ﷺ كشخص ، وبين خطابه له كني ، وبين خطابه له
 كرسول .. فالشخص هو فرد بشر له طبيعته البشرية كغيره من البشر ، والني هو النقي
 الطاهر الخالص لله تعالى ، والرسول هو ذلك النبي الحامل لمنهج الله تعالى ، والذي يطلب
 الله تعالى منه إيصال المنهج للناس .. ولذلك فصفة التشريع تتعلق بصفة الرسول حصراً ،
 ولا تتعلق بصفة النبي .. والآية الكريمة التالية تبين هذه الحقيقة ..

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التحریم : ١]

.. هذه الآية الكريمة تؤكد صحة ما نذهب إليه .. فالله تعالى هنا يخاطب نبيه ﷺ
 كني وليس كرسول : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ ﴾ ، ويطلب منه كني ألا يحرم ما أحله الله تعالى له
 ، بمعنى أن الله تعالى يطلب من النبي محمد أن يلتزم بالأحكام التي يحملها الرسول محمد ..
 وهذا أمر طبيعي فصفة الرسالة تتعلق بمنهج الله تعالى وإيصاله إلى الناس ، والني هو أول
 المطالبين باتباع منهج الرسالة ..

.. وصفة النبوة دون الرسالة في شخصه ﷺ ، نقرؤها أيضاً في قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَذَيْنَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. فالذي أذن للمعنيين بهذه الآية الكريمة هو النبي محمد ، وليس الرسول محمد ،
 فالإذن المعني هنا فعله ﷺ باجتهاد منه ، وليس كتفسير للنص القرآني الموحى من السماء
 .. فليس من المعقول أن يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأذن لأولئك ، ثم بعد ذلك يلومه
 على التزامه بما أمره به ؟ ..

.. والمخاطب في قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥]

.. المخاطب هنا هو الرسول ، وليس النبيّ أو مُحمّداً كبشرٍ مُجرّدٍ عن صفة الرسالة .. كيف يكون المخاطب هو الشخص أو النبيّ ، وقد رأينا كيف أنّ النبيّ محمّداً ﷺ هو ذاته مُطالبٌ باتّباع الرسول محمّد ، وأنّه لم يستطع أن يُشرّع حتى لنفسه ومع أزواجه ... إذاً .. في أقواله ﷺ وأفعاله وحركات حياته كلّها ، علينا أن نُميّز بين ما قام به كنبىّ أي دون تعلق بالرسالة ، وبين ما قام به كرسول ، أي كتفصيل وتفسيرٍ لكليات النصّ القرآني ..

.. من هنا ندرك عمق التصوير القرآنيّ بتعلّق أمر الطاعة بصفة الرسالة حصراً .. فأمر الطاعة في كتاب الله تعالى ، لاتباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على محمّد ﷺ ، يأتي دائماً وأبداً متعلّقاً بصفة الرسالة .. وهذه هي النصوص القرآنيّة المصوّرة لذلك :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢]

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [المائدة : ٩٢]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال : ١]

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال : ٢٠]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٤]

﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٦]

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ١٣]

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [التغابن : ١٢]

.. فالله تعالى لم يقل : (أطيعوا النبي) ، أو : (أطيعوا محمداً) ، أو : (وما آتاكم النبي فخذوه) ، أو (وما آتاكم محمداً فخذوه) ، أو : (من يطع النبي فقد أطاع الله) ، أو (من يطع محمداً فقد أطاع الله) .. وفي ذلك بيان إلهي عظيم إلى أن ساحة الأقوال والأفعال لرسوله ﷺ ، والتي يُطالبُ بها المؤمنون ، ليست ساحةً تشملُ كلَّ حركةٍ من حركات حياته ﷺ ، فلو كانت تشملُ كلَّ حركةٍ من حركات حياته ، لما أتى أمرُ الطاعة محصوراً بصفة الرسالة ..

.. لو كان كلُّ ما قاله وفعله وأقره ﷺ بعد إتيانه النبوة ، لو كان ذلك سنّةً يُطالبُ المؤمنون باتباعها ، لكان أمرُ الطاعة متعلّقاً بساحةٍ أوسع هي صفة النبوة ، أي لكان الأمرُ الإلهيُّ على الشكل : (وما آتاكم النبي فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .. ولو كان كلُّ ما قاله وفعله وأقره ﷺ منذ بداية حياته سنّةً يُطالبُ المؤمنون باتباعها ، لكان أمرُ الطاعة متعلّقاً بساحةٍ أوسع هي صفة الجانب الشخصي الذي يشملُ كلَّ حياته منذ ولادته ، أي لكان الأمرُ الإلهيُّ على الشكل : (وما آتاكم محمداً فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ..

.. بينما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[الحشر : ٧] ، حيثُ صفة الرسالة كما نرى ... وفي حصرِ أمرِ الطاعة بصفة الرسالة .. في كلِّ ذلك ، دليلٌ على أن المُشرِّع هو الرسولُ وليس النبيُّ وليس محمداً ، وأنَّ الأقوال والأفعال التي قامَ بها ﷺ كتفسيرٍ وتبيانٍ لدلالات كتابِ الله تعالى هي السنّةُ الحق ، والتي سمّاها الله تعالى في كتابه الكريم بالحكمة ..

.. ونرى أيضاً أن الله تعالى يقول : **﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾** [آل عمران : ٣٢] ، وأن الله تعالى يقول : **﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾** [النور : ٥٤] ، وفي هذا بيان أن صفة الرسالة لها استقلاليتها عن صفة النبوة وعن الجانب الشخصي .. فالله تعالى حينما يخاطب النبي ﷺ بكلمة **﴿ قُلْ ﴾** ، ويأمره بأن يدعو إلى طاعة الرسول : **﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾** ، دون الصياغة : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي) ، إنما يعني ذلك أن محمداً ذاته كني ، يتحرك ضمن ساحة لها حدودها المختلفة عن الساحة التي يتحرك بها كرسول ، فهو ذاته كني وكشخصٍ مُطالبٍ باتباع الرسول ، أي باتباع الرسالة التي يحملها من الله سبحانه وتعالى ... وبالتالي لا تُفهم حقيقة السنة الشريفة ، إلا بإدراك حقيقة الحدود الفاصلة بين صفتي الرسالة والنبوة في شخصه ﷺ ..

.. وقد رأينا في المحطة السابقة كيف أن النبي ﷺ في إفتائه للناس ، يأمره الله تعالى بالعودة إلى القرآن الكريم .. ففي قوله تعالى : **﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّىٰ النِّسَاءِ ﴾** [النساء : ١٢٧] ، وفي قوله تعالى : **﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ ﴾** [النساء : ١٧٦] .. رأينا أن خلف العبارتين : **﴿ وَاسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾** ، **﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾** ، رأينا ورود العبارة القرآنية : **﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾** فهذه العبارة : **﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾** في سياقها القرآني هذا ، تؤكد أن النبي ﷺ لا يملك صلاحية الإفتاء خارج كتاب الله تعالى ، وتؤكد أن كتاب الله تعالى هو المرجع الأول والأخير في كل الأحكام حتى لشخص النبي ﷺ ..

.. ورأينا - في المحطة السابقة - أن كلمة **﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾** في كتاب الله تعالى ، وكذلك العبارة **﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ ﴾** ، رأينا خلفهما عبارات قرآنية لا تُعطي النبي ﷺ

صلاحية الإجابة خارج النصّ القرآني ... فكلّمة ﴿ قُل ﴾ التي ترد في كتاب الله تعالى ، خلف كلمة ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ ، وخلف العبارة ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ ﴾ ، تؤكدُ أنه ﷺ في إجابته على أسئلة الناس التي تُطرح عليه ، لا يتجاوز النصّ القرآني .. فكلّمة ﴿ قُل ﴾ هي أمرٌ إلهيٌّ لنبيه ﷺ بالإجابة من النصّ القرآني التالي لهذه الكلمة ..

.. وقد رأينا كيف أنه ﷺ لا يملك صلاحية التشريع خارج النصّ القرآني حتى لنفسه مع أزواجه : ﴿ يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحریم : ١] ..

.. وفي هذا السياق لا بدّ أن نقفَ عند تفسيرِ قوله تعالى ..

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَيْهِمْ شَدِيدُ الْقَوَىٰ ﴾ [النجم : ١ - ٥]

.. قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ يخصُّ نطقَ القرآن الكريم ، وما يتعلّق به من تفسيرٍ وتفصيلٍ لكليّاته .. ولا يعني كلّ ما نطق به ﷺ في حياته .. وبإمكاننا أن نقفَ على هذه الحقيقة من خلال تدبّر الصياغة اللغويّة لهذه الآيات الأولى من سورة النجم ..

.. نرى أنّ الآية الكريمة ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ تردُّ أفعالها بصيغة الماضي ، ونرى أنّ الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ترد بصيغة المضارع .. فالنبيُّ ﷺ منذ أن أتاه الله تعالى النبوة اهتدى إلى الطريق ، وهذا ما نقرؤه في العبارة : ﴿ مَا ضَلَّ ﴾ ، ومنذ ذلك الحين سار راشداً على هذا الطريق ، وهذا ما نقرؤه في العبارة : ﴿ وَمَا غَوَىٰ ﴾ .. وهذا الرشد على طريق الهداية كان ملازماً له طيلة فترة النبوة ، أي (٢٣) عاماً ، وذلك بشكلٍ مُجرّدٍ عن تفاعله مع الأحداث التي كانت تقع معه .. ولذلك نرى صيغة

الماضي التي تُشيرُ إلى صفةٍ مُجرّدةٍ عن التفاعل مع الأحداث ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ..

.. بينما نُطقُهُ ﷺ بالقرآن الكريم وبما يتعلّقُ به من تفسيرٍ وتفصيلٍ لكليّاته ومن نقل ذلك للناس ، كان يحدثُ في أوقاتٍ محدّدةٍ خلال فترة النبوة ، وليس مسألةً تتعلّقُ به على كامل مساحة فترة النبوة ، ولذلك لم يقل تعالى (وما نطق عن الهوى) ، إنّما يقولُ جلّ وعلا : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ .. أي حينما كان يتفاعلُ مع كتابِ الله تعالى بإيصاله للناس وبشرح كليّاته ، إنّما كان ذلك دون أيّ هوى ..

.. ومّا يؤكّدُ صحّةَ ما نذهبُ إليه ، هو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .. فكلمة ﴿ وَحْيٌ ﴾ ، هي بالصيغة الاسميّة سواءً كانت مصدرًا أو اسمًا ، بينما كلمة : ﴿ يُوحَى ﴾ ، نراها بالصيغة الفعلية ، وهما كلمتان متجاورتان - في كتاب الله تعالى - تعودان إلى جذرٍ لغويٍّ واحد .. فبال تأكيد أنّ ذلك ليس عبثًا ، وأنّ ذلك يحملُ حكمةً عظيمةً في تبيان حقيقة هذا الأمر ..

.. فالوحي الموجود أزلًا في اللوح المحفوظ قبل تنزيله على الرسول ﷺ : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ ﴾ .. هذا الوحي (الذي هو القرآن الكريم) ، يُنزّل بمعنى : ﴿ يُوحَى ﴾ على الرسول ﷺ ، قرآنًا في أزمنة من فترة الرسالة .. وفي هذا دليلٌ آخر أنّ الأمر يتعلّقُ بالقرآن الكريم حصراً ..

.. ولو تمّ سحبُ الصورة القرآنيّة : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، على كلّ ما نطق به محمد ﷺ ، لشمل ذلك حياته قبل الرسالة ، لأنّه لا يوجد في هذه الصورة القرآنيّة ما يُشير إلى أنّ هذا النطق محصورٌ بعد مجيء الرسالة ، وبالتالي لوصلنا إلى نتائجٍ غير سليمة .. فنحن نعلم أنّ الوحي أتى النبي ﷺ بعد أن أصبح عمره أربعين سنة ، وليس من أوّل يومٍ في حياته ..

.. كيف يقولون إن قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، شامل لكل ما نطق

به ﷺ ، في الوقت الذي يؤمنون فيه بصحة الحديث التالي ، الذي يُفتري فيه على النبي ﷺ بأنه نطق أمراً بحرق بعض الناس بالنار ، ثم تراجع عن نطقه هذا بعد أن اكتشف - حسب منطق هذه الرواية الموضوعية - أن النَّارَ لا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ ، فنطق أمراً بقتلهم بدل حرقهم بالنار !!!؟ ..

البخاري (٢٧٩٣) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ بُكَيْرٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْثٍ فَقَالَ إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا

.. لما كانت النار لا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ تعالى ، فلماذا أمرهم ﷺ بأن يحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار .. فهل نسي ﷺ هذه الحقيقة حينما بعث أبا هريرة في هذا البعث ، ثم تذكرها حينما أراد أبو هريرة الخروج لهذا البعث !!!؟ .. أم أن الله تعالى كان يسمح للناس أن يُعَذَّبُوا بعضهم في النار حينما بعث النبي ﷺ أبا هريرة بهذا البعث ، ثم عدل عن ذلك حينما أراد أبو هريرة الخروج لهذا البعث !!!؟ .. أم أن النبي ﷺ كان لا يعلم أنه لا يُعَذَّبُ في النار إِلَّا اللَّهُ تعالى حينما بعث أبا هريرة في هذا البعث ، ثم علم ذلك حينما أراد أبو هريرة الخروج لهذا البعث !!!؟ ..

.. ولو فرضنا جدلاً أن حرق الناس لبعضهم بالنار لا يتناقض مع القول بأنه لا يُعَذَّبُ في النار إِلَّا اللَّهُ تعالى ، فأَيُّ معنى سيبقى لهذه المقولة ، بأنه لا يُعَذَّبُ في النار إِلَّا اللَّهُ سبحانه وتعالى !!!؟ ..

.. وكيف يكون ما نطق به ﷺ أمراً بحرق فلان وفلان بالنار ، والمنافض لنطقه الذي يأمر به بالعدول عن ذلك إلى قتلها ، كيف يكون هذان النطقان المتناقضان في مسألة الحرق في النار ، كيف يكونان في الوقت ذاته وحيماً يُوحى من الله تعالى ؟!!! ..

.. طبعاً الرواية موضوعة من أساسها ، شأنها بذلك شأن الكثير من الروايات الموضوعة في الصحاح وغير الصحاح ، كما سنرى لاحقاً .. ولكن شاهدنا منها هو القول لمن يؤمن بها : كيف تؤمن بها وتقول في الوقت ذاته إنَّ كلَّ ما نطق به ﷺ هو وحي يُوحى ؟!!! ..

.. ثمَّ كيف يكون قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، شاملاً لكلِّ ما نطق به ﷺ ، والله تعالى يقول : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣] ؟!!! ..

.. إنَّ هذه الآية الكريمة صريحة بأنَّ النبيَّ ﷺ كنيّ وليس كرسول ، ليس كلُّ ما ينطقُ به وحيماً يُوحى من السماء ، فإذا نُذِيَ النبيَّ ﷺ لبعضِ رجالِ قومه هو قولٌ نطق به ، ونرى أنَّ الله تعالى يُعاتبه على ذلك ، وبأنَّه عليه قبل إعطاءِ مثلِ هذا الإذن أن يتبيَّن الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ... فكيف يُعاتب الله تعالى نبيّه ﷺ على وحي يُوحى إليه ؟!!! ..

.. القرآن الكريم يبيِّن لنا أنَّ النبيَّ ﷺ لا يملك صلاحية التشريع خارج النصِّ القرآني ، ولا حتى لنفسه مع أزواجه ..

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

.. والآية الكريمة التالية تُوكِّدُ أنَّه ﷺ إنما يتبع ما يُوحى إليه ، ولا يستطيع التشريع

خارج دلائل كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۗ فَلَمْ يَكُونُوا لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۗ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنَِّّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

.. موضوع هذه الآية الكريمة هو القرآن الكريم .. وبالتالي فالعبارة القرآنية : ﴿ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ ﴾ ، صريحة في أن الوحي المعني وما يتبعه ﷺ ولا يتبع غيره ، هو

القرآن الكريم وليس أي أمر آخر ..

.. من هنا نرى أن التعريف الموروث للسنة ، بأنها كل ما فعل ﷺ أو قال أو أقر ، هو تعريف ليس صحيحاً على الإطلاق ، ولو فرضنا جدلاً أنه صحيح لكانت العبارة القرآنية : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .. لكانت : (وما آتاكم النبي فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .. ولو فرضنا جدلاً أن التعريف الموروث للسنة صحيح لكانت العبارة القرآنية : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ ﴾ [النساء : ٨٠] ، لكانت : (مَنْ يُطِيعِ النَّبِيَّ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) ..

.. إذا .. حصر أمر الطاعة بصفة الرسالة ، يؤكد صحة ما نذهب إليه بأن السنة الشريفة لا تتجاوز استنباط الرسول ﷺ للدلالات الكامنة في أعماق النص القرآني ، مثل جزئيات شعائر العبادة .. ومما يؤكد ذلك أن الله تعالى حينما أمر محمداً ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه ، إنما أمره كونه رسولاً ، أي كونه حاملاً للقرآن الكريم ، وبالتالي يخاطبه - في هذا الأمر - بصيغة الرسالة حصراً ..

﴿ • يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]

[

.. ولو نظرنا في كتاب الله تعالى لرأينا أن عبارة: (سنّة النبي) أو: (سنّة الرسول) ، لا ترد ولا مرّة في كتاب الله تعالى .. وما ورد هو كلمة: ﴿ الْحِكْمَةُ ﴾ .. وكلمة الحكمة نراها مُجرّدةً عن الجانب الشخصي للنبي ﷺ ، بمعنى لم ترد بصيغة: (حكمة النبي) ، أو بصيغة: (حكمة الرسول) ...

.. الحكمة مسألةٌ مُتحرّكةٌ يُؤتيها الله تعالى لمن يشاء في كلِّ زمانٍ ومكان ..

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا

يَذْكُرُونَ إِلَّا أَتَوْا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩]

.. والحكمة هي منهجٌ تدبّريٌّ ووسيلةٌ للدعوة ، وهذا ما نراه جلياً في قوله تعالى ..

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥]

.. ولذلك فمجيء عيسى عليه السلام بالحكمة ، هو مجيئه بمنهجٍ تدبّريٍّ يُبين فيه

بعض ما اختلف فيه ..

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي

تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴾ [الزخرف : ٦٣]

.. والحكمة كما يُصوِّرها كتابُ الله تعالى ، يُعلِّمها ﷺ للأمة كما يُعلِّمهم القرآن

الكريم .. بمعنى أنه يُعلِّمهم الحكمة كرسولٍ حاملٍ لمنهجِ الله تعالى القرآن الكريم .. فليس

من العبث أن يتعلّق تعليمُ الحكمة بصفةِ الرسالةِ وذلك اقتراناً بالكتاب ..

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩]

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١]

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
[آل عمران : ١٦٤]

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢]

.. إننا نرى أن تعليم الحكمة متعلق بصفة الرسالة حصراً .. ونرى أن تعليم الحكمة لا يأتي إلا متعلقاً بتعليم الكتاب .. فتعليم الحكمة للمؤمنين من قبله ﷺ ، هو تعليمها لهم كرسول ، وبشكل لا ينفك - أبداً - عن الكتاب الذي هو القرآن الكريم ..
.. فليس من العبث ورود الحكمة في هذه النصوص متعلقة بالكتاب في ذات التعليم ، فهذه العبارات لم ترد على الشكل (يعلمهم الكتاب ويعلمهم الحكمة) ، إنما نراها : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ، فتعليم الحكمة ليس منفكاً عن تعليم الكتاب ، وكل ذلك ليس منفكاً عن صفة الرسالة كما نرى ..
.. وحتى إنزال الحكمة على النبي ﷺ وعلى المؤمنين ، لم ينفك هذا الإنزال عن الكتاب الذي هو القرآن الكريم ..

﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٣]

.. وهنا أيضاً نرى أن إنزال الحكمة ليس منفكاً وليس مستقلاً عن إنزال الكتاب ، فالحكمة والكتاب نراهما يتعلقان بإنزال واحد ، فالكلمتان [﴿ أَنزَلَ ﴾] ، ، ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ [] تردان في كل نص مرة واحدة للكتاب والحكمة معاً ..

.. وفي النصّ التالي نرى أيضاً أنّ الحكمة لا تنفكّ عن آيات الله تعالى في مسألة

التلاوة ..

﴿ **وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ**

لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٤]

فالله تعالى لم يكرر كلمة (من) بين آيات الله والحكمة : (واذكرن ما يُتلى في

بيوتكن من آيات الله ومن الحكمة) .. إنما يقول جلّ وعلا ﴿ **وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي**

بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ ، فالحكمة لا تنفكّ عن آيات الله تعالى في

مسألة التلاوة المذكورة كما نرى ..

.. وحرف العطف بين الكتاب (القرآن الكريم) والحكمة ، وبين آيات الله تعالى

والحكمة ، لا يعني أبداً عطفاً لَوْحِينَ مُسْتَقْلِلِينَ أو نَصِّينَ مُسْتَقْلِلِينَ لكلّ منهما حدوده

المميّزة عن الوحي الآخر أو عن النصّ الآخر ، كما يريد أن يلبّس بعض عابدي أصنام

التاريخ .. أبداً .. وشأن حرف العطف هذا هو شأن حرف العطف بين كلمة الكتاب

والقرآن في الآيتين التاليتين ..

﴿ **الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الحجر : ١]

﴿ **طسّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [النمل : ١]

فهل هذا الحرف يفيد أنّ القرآن نصٌّ مختلفٌ عن الكتاب ؟!!! .. أبداً .. إنّ الكتاب

هي صفة من صفات القرآن ، والعطف لا يفيد الاستقلال والتمايز ..

.. وحرف العطف هذا بين آيات الله والحكمة وبين الكتاب والحكمة ، شبيهٌ بحرف

العطف بين العبارة ﴿ **سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي** ﴾ وبين العبارة ﴿ **وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ في قوله

تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ [الحجر : ٨٧] .. وسنبيّن

— إن شاء الله تعالى — هذه المسألة في المحطّة القادمة ..

.. إنّ الحكمة محتواة في كتاب الله تعالى ، وعطفها على الكتاب وعلى آيات الله تعالى هو نتيجة كون الكتاب (وكون آيات الله تعالى) ساحة الاستنباط والتدبر بالنسبة للحكمة ، فالحكمة (السنّة) ليس وحيّاً مستقلاً عن وحي الكتاب (القرآن) ، وليست نصّاً مستقلاً عن نصوص الكتاب (القرآن) .. وهذا ما نراه جليّاً في قوله تعالى ..

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءٰآخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ۝ أَفَأَصْفَكَمُ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ ﴾ [الإسراء : ٣١ - ٤١]

.. إنّ كلمة ﴿ ذَلِكَ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ تتعلق بالأحكام القرآنيّة في الآيات السابقة مباشرة لهذه الكلمة (من الآية - ٣١ - حتى هذه الكلمة) ... إذا الحكمة الموحاة (السنّة) ليست نصّاً خارج دفتي كتاب

الله تعالى ، وليست وحياً مستقلاً عن وحي كتاب الله تعالى ، كما يزجر عابدو أصنام التاريخ ..

.. وهكذا .. فالحكمة التي أنزلها الله تعالى على النبي ﷺ ، لم تنفك عن الكتاب كما بينا ، وهي محتواة في النص القرآني ، وليست نصاً مستقلاً عنه ... نستنتج من كل ما سبق ، أن الحكمة التي سُميت تاريخياً بالسنة ، هي تبيانه ﷺ لكليات النص القرآني من تفصيل وتفسير ، وأنها ليست مُستقلة عن تدبر كتاب الله تعالى ، كما يُفترى على منهج الله تعالى ..

وكتنا قد رأينا في المحطة السابقة كيف أن وحي الله تعالى لنبيه ﷺ إنما كان عبر القرآن الكريم وما يتعلّق به ، وأن القول بوحي آخر خاص بالسنة الشريفة مستقل عن وحي القرآن الكريم ، هو قولٌ فاسد ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

.. وحكمة الله تعالى تكمن خلف كل ذلك .. فقد رأينا كيف تدرّجت الرسالات السماوية وارتقت إلى الرسالة الخاتمة حيث تركّز المنهج وتركّزت المعجزة في النص القرآني .. فمهمته ﷺ هي تبليغ ما نزله الله تعالى للناس ، وتبيين بعض كليات النص القرآني كشعائر العبادات .. وهذا ما نقرؤه بشكلٍ جليّ في قوله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[النحل : ٤٤]

.. فالسنة الشريفة ، التي هي الحكمة ، لا تعدى تبيين بعض كليات النص القرآني ، ولا تُكمل النص القرآني كما يقول بعض التائهيين .. فالنص القرآني ليس ناقصاً حتى تُكمّله السنة الشريفة .. فنحن نُصدّقُ الله تعالى حينما يقول : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تَبَيِّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]

.. إذا أقواله ﷺ وأفعاله وما كان يقرّه ويعمله ، كل ذلك ينقسم إلى قسمين :

.. هناك ما قام به ﷺ كتفسير وتفصيل لكليات النص القرآني بعد نزول ذلك النص ، وهذا هو السنة الحق .. وهذا ما تُطالبُ الأمةُ باتباعه إلى قيام الساعة .. وهذا ما سماه الله تعالى بالحكمة التي أمرَ رسوله ﷺ بأن يُعلّمها للمؤمنين ..

.. وهناك ما قام به ﷺ كاجتهاد بشريٍّ أو مجارةٍ لأعراف اجتماعية كانت سائدة أو كموافقة لما كان يعملهُ أهلُ الكتاب .. وذلك ريثما يتزلُّ النصُّ القرآنيُّ الخاصُّ بتلك الأعمال .. وفي روايات الأحاديث ذاتها ما يؤكد ذلك ..

البخاري (٥٤٦٢) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسُدُّونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ فَسَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ

مسلم (٤٣٠٧) :

حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاهِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ مَنْصُورٌ حَدَّثَنَا وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسُدُّونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَّقَ بَعْدُ وَحَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

مسند أحمد (٢٧٩٠) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسُدُّ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ فَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ

.. فتفاعله ﷺ فيما تعرّض له من أمورٍ وأحداثٍ قبل نزول النصّ القرآني المناسب ، كان إما موافقة أهل الكتاب ، أو مجارة الأحكام السائدة ، أو الاجتهاد كبشر بعيداً عن منهج الرسالة ، وذلك حتى يتزلّ الحكم القرآني الخاص بتلك الأعمال ..
ونحن نعلم أنّ النبي ﷺ أتجه في صلاته نحو بيت المقدس شهوراً قبل نزول النصّ القرآني الذي يأمره بالتوجه نحو المسجد الحرام ..

﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ

﴾ [البقرة : ١٤٤]

.. وبناءً على تعريفهم للسنة بأنها كلّ ما فعله ﷺ أو قاله أو قرّده .. هل يكون توجيهه ﷺ في الصلاة نحو بيت المقدس سنةً على الأمة أتباعها إلى قيام الساعة ؟!!! .. أم أنّ هذه التعاريف لا علاقة لها بدلالات الجمل التي صيغت بها ؟!!! .. أليس توجيهه ﷺ في الصلاة نحو بيت المقدس ، هو عمل فعله ﷺ ؟!!! ..

.. ومما يؤكّد صحّة ما نذهب إليه - في هذه المسألة - هو قوله تعالى : ﴿ وَمَا

جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبِيهِ ۗ

... فالله تعالى لم يقل : (وما جعلنا لك القبلة التي كنت عليها) ، أو : (وما جعلنا القبلة التي أمرناك بها) ، حتى يُقال بأنّ الاتجاه إلى بيت المقدس كان بأمرٍ من الله تعالى .. هذا بالإضافة إلى أنّه يوجد نصٌّ قرآنيٌّ يأمر بالاتّجاه إلى بيت المقدس ..

ولو كان الاتجاه إلى بيت المقدس بأمرٍ من الله تعالى لرضي به الرسول ﷺ ، فالرسول

ﷺ لم يكن راضياً عن توجيهه نحو بيت المقدس ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا ۗ ﴾ ، فلو كان أمرُ التوجه إلى بيت المقدس من الله تعالى لرضيه ﷺ .. وكلّ ذلك

يؤكّد أنّه علينا أن نُميّز في أفعاله ﷺ وأقواله ، بين ما قام به كرسولٍ تفصيلاً لكلّيات النصّ القرآني ، وبين ما قام به كنبى ريثما يتزلّ النصّ القرآني الخاص بالعمل الذي تمّ القيام به ..

.. ومما يؤكد صحّة ما نذهب إليه هو الصياغة اللغويّة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا

الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾ ،

فالضمير في كلمة ﴿ كُنْتَ ﴾ في العبارة ﴿ الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ لا يعود إلى محمّد الرسول إنّما يعود إلى محمّد النبي ، فالله تعالى لم يقل (وما جعلنا القبلة التي كان الرسول عليها) ، وهذا يؤكد أنّ أتباع القبلة الأولى كان اجتهاداً منه ﷺ كمواقفة لأهل الكتاب ، ريثما يتزل الأمر الإلهي بذلك ..

بينما في العبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ نرى كلمة ﴿ الرَّسُولَ ﴾ ،

فالله تعالى لم يقل (إلا لنعلم من يتبعك) ، إنّما يقول ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ ،

فكلمة ﴿ الرَّسُولَ ﴾ تدلُّ على الأمر الإلهي النازل من السماء بنصٍّ صريحٍ في كتاب الله تعالى وهو الاتّجاه نحو المسجد الحرام ..

إذاً .. الاتّجاه نحو القبلة الأولى هو عملٌ فعله ﷺ كنيي وليس كرسول ، أي كاجتهادٍ

منه وليس بوحى من السماء ، ولذلك رأينا الصياغة القرآنيّة تتعلّق به ﷺ كشخص وليس

كرسول : ﴿ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ .. بينما الاتّجاه نحو المسجد الحرام هو عملٌ فعله ﷺ

كرسول ، ولذلك رأينا الصياغة القرآنيّة تتعلّق به ﷺ كرسول : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ

الرَّسُولَ ﴾ ..

وإن قال قائل : ما دام الاتّجاه نحو المسجد الأقصى ليس وحياً من السماء ، والسنيُّ

ﷺ يريد الاتّجاه نحو المسجد الحرام ، فلماذا لم يتّجه ﷺ نحو المسجد الحرام منذ البداية

بدلاً من اتّجاهه نحو المسجد الأقصى ؟ .. نقول : النبيُّ ﷺ يُرَجِّح ما عليه أهل الكتاب

على ما يريده هو في المسائل التي لم يتزل بها نصُّ قرآنيّ ، وذلك ريثما يتزل النصُّ القرآني

المناسب والحامل لأحكام تلك المسائل ، وذلك كون ما عليه أهل الكتاب في هذه المسائل

التي رجّحها ﷺ على مراده ، هو في النهاية أمرٌ من السماء .. وإلّا كيف بنا أن نفهم

العبارات التي رأيناها : **[[قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ]]** ، **[[وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيْهِ]]** ، فهذه العبارات تبين مبدأ سار عليه النبي ﷺ كمنهج ألزم نفسه به ، وليست محصورة - كما يريد بعضهم - على إسدال الشعر وفرق الرأس ..

.. ولنسأل أنفسنا السؤال التالي : هل حالات الجمع بين الأختين بوجود النبي ﷺ وبعلمه بين بعض أفراد الجيل الأول ، وذلك قبل نزول النص القرآني الذي يحرم ذلك .. هل هو سنة يجب اتباعها ؟!!! .. أم أنه حكم لا علاقة له بالدين ، وأن إقراره ﷺ لذلك كان نتيجة عدم نزول النص القرآني الذي يحرم ذلك ؟!!! ..

.. وهل جمع بعض أفراد الجيل أكثر من أربع نساء في وقت واحد ، قبل نزول قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَىٰ وَتُكَلِّمْتُمْ وَأَبْغَضْتُمْ ﴾** [النساء : ٣] ، بوجود النبي ﷺ وبعلمه ، هل هو سنة يجب اتباعها ؟!!! .. أم أنه حكم لا علاقة له بالدين ، وأن إقراره ﷺ لذلك كان نتيجة عدم نزول النص القرآني الذي يحرم ذلك ؟!!! ..

.. وهل نكح امرأة الأب قبل نزول قوله تعالى **﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾** [النساء : ٢٢] ، بوجود النبي ﷺ وبعلمه ، هل هو سنة يجب اتباعها ؟ .. أم أنه حكم لا علاقة له بالدين ، وأن إقراره ﷺ كان نتيجة عدم نزول النص القرآني الذي يحرم ذلك ؟ ..

.. فهذه الأعمال - وغيرها الكثير - حصلت بعلم النبي ﷺ وبوجوده ، ولكن ذلك لم يكن متعلقاً بمنح الرسالة (القرآن الكريم) ، فهي أعمال لا علاقة لها بالسنة الشريفة

ولربما في الحديث التالي ما يبين ذلك ..

مسلم (٤٣٥٦) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَدْرِيُّ وَتَقَارِبًا فِي اللَّفْظِ وَهَذَا حَدِيثٌ قُتَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سِمَاكِ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ
الذَّكْرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَظُنُّ يُعْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ
فَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكَوهُ فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ
فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا
فَخَذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

.. فالعبارة : ((إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا
فَخَذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) تُبَيِّنُ لِمَنْ يَرِيدُ فَهَمَّ الْحَقِيقَةَ ، أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ
مَا عَمَلَهُ وَقَالَه وَأَقْرَهُ ﷺ سَنَةً مِنَ الْمَنْهَجِ ..

.. وفي الأحاديث التالية بيان لمن يُرِيدُ مَعْرِفَةَ الْحَقِيقَةِ ..

البخاري (٦٤٥٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ
سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ
أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ
أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ

مسلم (٤٣٥٨) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ كِلَاهُمَا عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ
حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ
ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ قَالَ
فَخَرَجَ شَيْبًا فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَخْلِكُمْ قَالُوا قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ

سنن ابن ماجه (٢٤٦٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَفَانُ حَدَّثَنَا حَمَادُ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَهِيئًا
بُنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ أَصْوَاتًا فَقَالَ مَا هَذَا الصَّوْتُ
قَالُوا النَّخْلُ يُؤَبَّرُوهَا فَقَالَ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا لَصَلَحَ فَلَمْ يُؤَبَّرُوا عَامِيذٍ فَصَارَ شَيْبًا فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ

أحمد (١٢٠٨٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَوَاتًا فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يُلْقِحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ لَوْ تَرَكَوهُ فَلَمْ يُلْقِحُوهُ لَصَلَحَ فَتَرَكَوهُ فَلَمْ يُلْقِحُوهُ فَخَرَجَ شَيْصًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ قَالُوا تَرَكَوهُ لِمَا قُلْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِ فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ

.. إذا .. النبي ﷺ كان يقوم بالكثير من الأعمال ليس بوحى من السماء ، وأعماله هذه تحتل الصواب وغير الصواب ، وكنا قد رأينا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] ، رأينا أن الوحي الذي يوحى ولا ينطق به ﷺ عن الهوى ، هو النص القرآني فقط ، وما يتعلّق به من تفسير وتفصيل لكلياته .. ولذلك .. فما يُدر من الرماد في الأعين بأنّ قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، يشمل كلّ ما نطق ﷺ به ، هو قول يردّه كتاب الله تعالى والكثير من الروايات ذاتها .. فالنبي ﷺ بجانبه البشري كان يسهو وينسى شأنه بذلك شأن غيره من البشر .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣٨٦) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأُدرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ وَمَا ذَاكَ قَالُوا صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا فَتَنَّى رَجُلِيهِ وَأَسْتَقْبَلِ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ قَالَ إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَأْتُكُمْ بِهِ

وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيَتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ

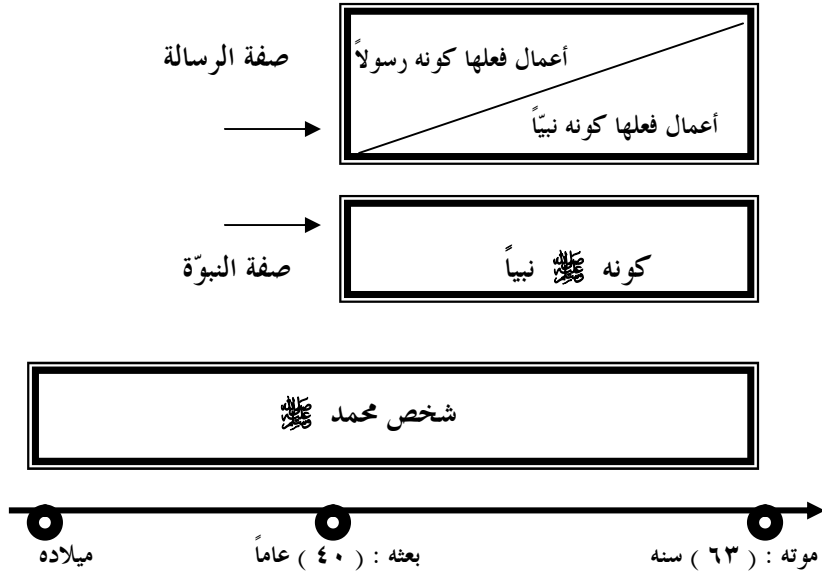
.. ونحن عندما نورد هذه الروايات التي توافق ما نذهب إليه إنما نقوم بذلك ليس لأننا نعتبرها مقدمات يقينية ، فكلُّ الروايات ودون أيِّ استثناء هي ظنيّة الثبوت ولا ترتقي إلى مستوى اليقين ، إنما نوردها لأنها تتوافق مع الأدلة القرآنية التي نقدّمها ، فالقرآن الكريم واضحٌ وجليٌّ في ذلك ..

.. إذا .. حياته ﷺ والتي امتدت (٦٣) عاماً ، فيها ثلاثُ صفات ، لكلِّ منها حدودها التي تُميّزها عن غيرها ..

.. فكلمةُ محمدٍ تصفُ حياته ﷺ من ميلاده إلى موته ، فاسمه هذا لم يتغيّر ، وطبيعته البشرية والشخصية لازمته على كامل محور حياته ، أي (٦٣) عاماً ..

.. وكلمةُ النبي تصفه ﷺ كفردي خالصٍ لله تعالى منذ أن أتته الرسالة أي لازمته (٢٣) عاماً ، منذ بعثه ﷺ حتى وفاته ، أي منذ أن أصبح عُمرُهُ (٤٠) عاماً ، إلى وفاته ..

.. وكلمةُ الرسول تصفُ في ذاته وأفعاله وأقواله كُلِّ ما تعلقَ بمنهج الرسالة (القرآن الكريم) من تبيانٍ وتفصيلٍ لكلياته ، أي تصفُ جزءاً من أعماله ، منذ أصبح عُمرُهُ (٤٠) عاماً إلى وفاته ، لتكون الأعمال الأخرى - في هذه الفترة - التي عملها قبل نزول النصّ القرآني الخاص بها ، متعلّقةً بكونه نبياً ، وليس بكونه رسولاً ..



.. من هنا ندرك عمق الحكمة الإلهية في تعلق أمر الطاعة بصفة الرسالة حصراً ،
وندرك فساد التعريف الموروث للسنّة الشريفة بأنها كل ما قال ﷺ أو فعل أو أقر ..
وندرك - أيضاً - عظمة الحكمة في كون الرسالة الخاتمة متركرة في ذات النص القرآني
كمنهج وكمعجزة في الوقت ذاته ..

.. لذلك فصفة الرسالة مجردة عن التاريخ ، ومستمرة في كل زمان ومكان ، لأنها
تتعلق بالنص القرآني الصالح لكل زمان ومكان ، والذي تُستنبط منه الأحكام في كل زمان
ومكان .. فرسول الله تعالى كاستنباط لدلالات النص القرآني وتفسير لكلياته وإعطاء كل
جيل ما يناسب حل مشكلاته الحضارية ، لم يمت ، ويبقى فينا إلى قيام الساعة .. هذه
الحقيقة يُدركها من يملك حداً أدنى من الإدراك ، وذلك في قوله تعالى ..

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ

بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١]

.. إننا نرى في هذه الآية الكريمة أنّ العبارة القرآنية : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ ، تُخاطبُ

المعنيين بها في كل زمان ومكان ، وليست محصورةً بأفراد الجيل الأوّل .. وكذلك الأمر

بالنسبة لدلالات العبارة القرآنية ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ ، آياتُ الله تعالى تُتلى على المؤمنين في كلِّ زمانٍ ومكان ، وليست محصورةً بأفراد الجيل الأوّل .. وكذلك الأمرُ بالنسبة لدلالات العبارة القرآنية : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ... وكذلك الأمرُ - أيضاً - بالنسبة لدلالات العبارة : ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ .. فصفة الرسالة المعنوية موجودة في كلِّ زمانٍ ومكان ، ومن الجحود بمنهج الله تعالى حصرها بزمن الجيل الأوّل ، وبأفراد الجيل الأوّل .. فكلُّ جيلٍ إلى قيام الساعة فيه رسولُ الله تعالى ، بمعنى فيه منهجُ الله تعالى (القرآن الكريم) وما يتعلّق به من تفصيل وتبيين لكليّاته ، ولم تنته هذه الصفة بموت شخصٍ محدّدٍ ﷺ ..

.. وهذا المعنى المجرّد لصفة الرسالة ، نستطيع قراءته - أيضاً - من الآية الكريمة :

﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾

﴿ [الزخرف : ٤٥] ..

.. لا شك أنّ خطابَ الله تعالى : ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ موجّه

لكلِّ إنسانٍ في كلِّ زمانٍ ومكان وحتى لو فرضنا - جدلاً - منهجية التفسير الموروثة ، بأنّ هذا الخطاب موجّه فقط لشخصٍ محدّدٍ ﷺ في إطار الزمن الذي عاشه ، وأنّ دلالاتها لا تخرج عن هذا الإطار .. لو فرضنا هذه المنهجية جدلاً .. كيف بنا - وفق هذا الفهم المغلوط - أن نفهم العبارة القرآنية : ﴿ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ !!!؟ .. فهل سيخرج الرسل السابقون من قبورهم ليسألهم ﷺ !!!؟ ... ألا نرى أنّ المسألة مسألة رسالاتٍ موجودة من خلال أحكامها ونصوصها التي يستطيع الإنسان - في كلِّ زمانٍ ومكان - النظر إليها ، والتعرّف على حقيقتها ؟ ..

.. أمّا ما ذهبت إليه بعضُ تفاسيرنا الموروثة ، بأنّ هذه الآية الكريمة تتعلّق بحادثة

الإسراء والمعراج ، وبمقابلة الرسول ﷺ للرسل السابقين في تلك الحادثة .. فهذا القول لا

يُوجدُ عليه أيُّ دليلٍ في سياقِ هذا النصِّ ، وهو محاولةٌ - غيرُ مُوفِّقةٍ - للهروب من رؤيةِ الدلالاتِ المُجرّدة عن التاريخِ التي تحملُها هذه الآيةُ الكريمةُ ..

.. إذاً صفةُ الرسالةِ مُجرّدةٌ عن التاريخِ ، وَحَصْرُها في إطارِ تاريخيٍّ وصلَّ إلينا بأدواتِ تاريخيَّةٍ - كما سنرى إن شاء الله تعالى - هو خروجٌ على جوهرِ المنهجِ ، واستبدالٌ لهذا المنهجِ بتاريخٍ لا يمكنه أن يرتقي إلى مستوى المنهجِ الصالح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ..

.. ولذلك نرى في كتابِ الله تعالى أنَّ صفةَ الرسالةِ كونُها تعني الاستنباطَ من كتابِ الله تعالى ، وتبيينَ أحكامِهِ خلالِ التاريخِ ، نراها تختلفُ عن صفةِ النبوةِ ، فمحمَّدٌ كشخصٍ نبيٍّ هو خاتمُ النبيينَ ، وهو كشخصٍ سيموتُ ، وهذا يختلفُ عن صفةِ الرسالةِ .. وهذا ما نقرأه في قوله تعالى ..

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠]

.. ففي هذه الآية الكريمة نرى الصفات الثلاث لشخصه ﷺ ، فمحمَّدُ الشخص ليس أباً لأحدٍ من رجالنا ، ومحمَّدُ النبيِّ هو خاتمُ النبيينَ ، فلن يُخلَقَ بعده نبيٌّ نقيٌّ طاهرٌ مائةً بالمائة مثله ، فصفةُ النبوةِ حُتِمت عنده .. بينما صفةُ الرسالةِ بما تعنيه من حملٍ لمنهجِ الله تعالى وإبلاغِهِ واستنباطِ أحكامِهِ ودلالاتِهِ ، فهي صفةٌ لا تنتهي ما دام كتابُ الله تعالى (القرآن الكريم) بين أيدي البشر .. صحيحٌ أنَّه لن يُوجدَ رسولٌ بقيمةِ الرسولِ محمدٍ ﷺ ، إلاَّ أنَّ هذه الصفةَ لا تنتهي إلى قيامِ الساعةِ ، ولذلك نرى هذه الصفةَ في هذه الآية الكريمة لا تُحْتَمُّ كما حُتِمت صفةُ النبوةِ .. ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ..

.. ولو عدنا إلى رواياتِ الأحاديثِ ذاتها لوجدنا فيها من يبحث في مسألةِ الرسالةِ ، وذلك من خلالِ البحثِ عن تاريخيَّةِ أفعالِ النبيِّ وأقوالِهِ ليعرف هل هي من السنّةِ التي قام بها ﷺ بعد نزولِ النصِّ القرآنيِّ المناسبِ ، أم هي من الأعرافِ الاجتماعيَّةِ التي قام بها كاجتهادٍ بشريٍّ أو كموافقةٍ لأهلِ الكتابِ ريثما يتزلُّ النصُّ القرآنيُّ المناسبِ .. والحديثُ التالي يُبينُ هذه الحقيقةَ بشكلٍ جليٍّ ..

صحيح البخاري (٦٣٣٥) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى عَنِ الرَّجْمِ فَقَالَ رَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَقْبَلَ النُّورَ أَمْ بَعْدَهُ قَالَ لَا أَدْرِي تَابَعَهُ عَلِيُّ بْنُ مُسْهَرٍ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْمَحَارِبِيُّ وَعَبِيدَةُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ وَقَالَ بَعْضُهُم الْمَائِدَةَ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ

صحيح مسلم (٣٢١٤) :

و حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى ح وَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهَرٍ عَنِ أَبِي إِسْحَقَ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ قَالَ قُلْتُ بَعْدَ مَا أَنْزَلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا قَالَ لَا أَدْرِي

.. السؤال في هذا الحديث ، هل كان الرجم قبل نزول سورة النور أم بعدها ، وهي

السورة التي فيها قول الله تعالى .. ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَدَ

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] .. هذا السؤال يدلُّ على استقصاءٍ لفعل الرجم ، ولتاريخه مقارنةً مع نزول هذه الآية الكريمة .. وفي هذا دليلٌ تاريخي على أن بعض أفراد الجيل الأول كان يرى السنة على أنها فقط ما تعلق بتفصيل كليات نصِّ قرآني ، وبالعامل في أحكام ذلك النص .. وفي هذا بيانٌ يتعلَّق بقول الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ

وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [آل عمران : ١٠١]

.. فالرسول ما زال فينا ، بينما النبي كشخصٍ توفى .. وهذا ما قرأناه بختم صفة

النبوة دون صفة الرسالة في قوله تعالى ..

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾

[الأحزاب : ٤٠]

.. لو كان منهج الرسالة الخاتمة لا يتعدى الأحكام التي وصلتنا عبر الروايات التاريخية ، والتي وقعت خلال الجيل الأوّل ، وأنّ الفكر الإسلاميّ قد أنجز سابقاً ولم يبق لنا إلا أن نحفظ عن ظهر قلب ما قيل ، وأنّه لا تُوجد أحكام يمكن استنباطها للأجيال اللاحقة .. لو كان الأمر كذلك لكان منهج الرسالة الخاتمة محتوي في التاريخ ، ولما كان صالحاً لكل زمان ومكان ، ولما كان معني للكثير من آياته الكريمة التي تأمر بتدبره وتعقل آياته .. لو كان الأمر كذلك .. فكيف بنا أن نفهم قول الله تعالى : ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴾ [ص : ٨٨] .. لو كان الأمر كذلك .. فكيف بنا أن نفهم قول الله تعالى ﴿ **سُئِرَ بِهِمْ** ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

.. القرآن الكريم لم يُترَل على الرسول ﷺ دفعة واحدة ، حتى يكون كلُّ عمل أو قول أو إقرار منه ﷺ سنّة يجب اتّباعها كما يقولون .. يقول تعالى : ﴿ **وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ﴾ [الإسراء : ١٠٦]

.. إذا لا بد لنا من أن نضع الرواية في ميزان القرآن الكريم لنعرف هل هي من السنّة أم من الأعمال التي وقعت قبل نزول النصّ القرآني المناسب .. هذا فضلاً عن معرفة مصداقية ثبوت نقلها ، هل بالفعل وقعت أم أنّها لفقت على الرسول ﷺ كما سنرى إن شاء الله تعالى لاحقاً .. ولا بدّ من التدبّر المستمرّ لكتاب الله تعالى في كلِّ زمان ومكان ، لاستنباط الأدلّة التي يحملها كتاب الله تعالى لكلِّ جيل ..

.. الكثيرون ممّن يحسبون أنفسهم أوصياء على دين الله تعالى ، وناطقين باسمه جلّ وعلا ، مُكَلِّفين أنفسهم بذلك ، يُقدّمون التاريخ برواياته ورجالاته صنماً يحول بين الأمة وبين تدبرها السليم لكتاب الله تعالى .. فالزعم بأنّ السنّة هي كلُّ ما قاله ﷺ أو فعله أو أقرّه ، هو جهلٌ بحقيقة السنّة الشريفة ، ووضعٌ سقف للتطور الفكري للبشريّة عند عتبة لا تتجاوز السقف الفكريّ للأجيال الأولى ، وهذا الزعم ليس أكثر من عصبية وعواطف يتمُّ فيها تأطير الفكر تأطيراً لا يجوز تجاوزه ..

.. يرفعون روايات التاريخ إلى مستوى النصّ القرآنيّ ، مُعرضين عن حقيقة الدلالات الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ، والتي يحملها قولُ الله تعالى ..

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ

﴾ [الجاثية : ٦]

.. فأياتُ الله تعالى (القرآن الكريم) ، لا يُرْفَعُ إلى درجتها من التسليم والإيمان اليقينيّ أيُّ حديثٍ خارجٍ دفتي كتابِ الله تعالى ، هذا ما يقرؤه من هذه الآية الكريمة كلّ عاقلٍ يخافُ الله تعالى .. فكلُّ الشعارات البرّاقة لعابدي أصنامِ التاريخ والتي ليست أكثرَ من ذرٌّ للرماد في العيون ، تسقطُ أمام الدلالات الواضحة لهذه الآية الكريمة ..

.. إن مفهوم السلفيّة التاريخيّة الداعية للعودة إلى عدم تجاوز ما وقع في الجيل الأوّل ، كما يطرحه الكثير من المنظرين ، يُنافي مفهوم السنّة الشريفة من أساسه .. لأنّه مفهومٌ مبنيٌّ على كونِ السنّة الشريفة لا تتجاوز ما حصل في الجيل الأوّل ، فهو مفهومٌ مبنيٌّ على كونِ دلالات كتابِ الله تعالى لا تتجاوز ما أدركه رجال الأجيال الأولى ، وبالتالي نرى أنّ المنظرين لهذا المفهوم يُحاربون كلّ جديدٍ مهما كان هذا الجديد ، دون أن ينظروا مُجردَ نظرٍ في حقيقته وفي حقيقة الأدلّة التي يحملها ، وفي الوقت ذاته يُقرّون بكلِّ ما وصلنا خلال التاريخ مهما حمل من تناقض وتعارض لكتابِ الله تعالى ولثوابت العلم والمنطق .. وسنرى لاحقاً هذه الحقيقة بأمّ أعيننا ..

.. مُشكلةٌ مُعظم أولئك المنظرين ، أنّهم يستشهدون على تنظيرهم بآياتِ كريمة لا

يقفون عند دلالاتها .. فعلى سبيل المثال ، يستشهدون بقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ

الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] ، بأنّه يعني كلّ ما قاله ﷺ أو

فعله أو أقرّه ، وليسوا مستعدين لأن يُعيروا انتباهاً لكون جميع تلك الآيات التي يأمرُ الله تعالى بها طاعةً رسوله تعلقُ بصفة الرسالة حصراً ، بل يقومون بذرّ الرماد في عيون من تُوجدُ عنده بذرةٌ لمعرفة الحقيقة ولتدبّرِ كتابِ الله تعالى يستشهدون بقوله تعالى ..

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا

تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ [النساء : ١١٥] ، على أن هذه الآية الكريمة تدعوا إلى اتباع منهج السابقين دون أي تدبير عقلي لكتاب الله تعالى .. يقومون بذلك معرضين عن كون العبارة القرآنية هي : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وليست : (ويتبع غير سبيل الأولين) ، وليست : (ويتبع غير سبيل السابقين) ، وليست (ويتبع غير سبيل الآباء) .. إن سبيل المؤمنين هو صراط الله تعالى القرآن الكريم .. يقول تعالى ..

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

.. والمؤمنون ليسوا في جيلٍ دون غيره .. فلماذا يتم حصر سبيل المؤمنين بأجيالٍ محدّدة ، بل بما روي عن أفعال وأقوال أجيالٍ محدّدة ؟!!! .. فهل انتهت صفة الإيمان عند تلك الأجيال ؟!!!!!! ..

.. وأي تأويل لهذه العبارات القرآنية على أن سبيل المؤمنين يختلف عن دلالات كتاب الله تعالى ، ويتعلّق بالتاريخ ورجالاته ورواياته ، وبما قيل عن الأجيال الأولى ، إنما هو تأويلٌ غير سليمٍ ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ، ويضع أصحابه فيما حذر الله تعالى منه :

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ - ٢٣] ..

.. هذا الظلام الفكري الذي يحاولون فرضه على الأمة يضعهم في النفق الذي حذر الله تعالى من الدخول فيه ..

﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٣-١١٤﴾ [الأنعام : ١١٣ - ١١٤]

.. يذرون الرماد في الأعين فيقولون : روايات الأحاديث (التي يسمونها بالسنة) ، محفوظة من قبل الله تعالى ، كحفظه جلّ وعلا للنصّ القرآني ، مُستشهادين بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .. فيقولون السنة وُصفت - في هذه الآية الكريمة - بالذكر ، والذكر تكفل الله تعالى بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .. ويستنبطون من ذلك أن رواياتهم محفوظة كالقرآن الكريم ..

.. قبل كل شيء .. نحن لا ننكر حفظ الله تعالى للسنة الشريفة الحق كأحكام مُستنبطة من النصّ القرآني .. ولكن روايات التاريخ التي يسمونها بالسنة ، هي روايات جُمعت من أفواه الرجال بعد موت النبي ﷺ بقرون كما سنرى لاحقاً ، ولا يمكن الجزم بأنها عين السنة ، فالسنة لا تُناقض القرآن الكريم ، وكثير من روايات التاريخ التي يُرغم أنّها عين السنة ، متناقضة فيما بينها ، ومناقضة لكتاب الله تعالى ، كما سنرى بأمّ أعيننا إن شاء الله تعالى ..

.. ونردُّ على استشهادهم هذا فنقول : نعم .. لقد وُصفت السنة الحق في كتاب الله تعالى بالذكر كما يقولون .. ولكنها وُصفت متعلّقة بصيغة الإنزال وليس بصيغة التنزيل : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ ، والقرآن الكريم في الآية التي يستشهدون بها وُصفت متعلّقة بصيغة التنزيل وليس بصيغة الإنزال : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .. وحاش لله تعالى أن يكون ذلك مصادفةً ، أو أن يكون دون حكمة مرادة من الله سبحانه وتعالى ..

.. وقد بيّنت في النظرية السادسة (سلّم الخلاص) ، وفي كتاب المعجزة الكبرى ، بيّنت بشكل مُفصّل كيف أنّ النصّ القرآني هو الوحيد الذي نزّله الله تعالى من عنده ، في حين يشترك مع باقي الكتب السماوية بصفة الإنزال ، ولا مجال في هذا السياق لشرح ذلك بشكل مُفصّل ، فهذه حقيقة قرآنية واضحة وجليّة ..

.. وبالتالي فحيثما نرى نصّاً قرآنياً يصف تنزيلاً لنصّ سماويٍّ من عند الله تعالى ، فهذا يعني النصّ القرآنيّ حصراً ، ولا يعني أيّ نصّ آخر .. أمّا صيغة الإنزال فتعني كلّ الكتب السماويّة بما فيها القرآن الكريم ، وتعني - أيضاً - السنّة الشريفة المُستنبطة - أصلاً - من النصّ القرآني ، كما سنرى في المحطّة القادمة ..

.. إذا .. قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ،

يُبيّن لنا حفظَ الله تعالى للقرآن الكريم حصراً ، دون أيّ نصّ آخر .. فكلمة الذكر هنا تعني القرآن الكريم حصراً ، بدليل تعلّقها بصيغة التنزيل من عند الله تعالى ، وليس بصيغة الإنزال .. ويكون حفظُ الله تعالى للسنّة الشريفة هو من باب كونهما محتواةً في النصّ القرآني الذي تكفّل الله تعالى بحفظه .. فالسنّة الشريفة المحفوظة هي المحتواة في النصّ القرآني المتزل من عند الله تعالى ، والذي تكفّل الله تعالى بحفظه .. وليست السنّة الحقّ المحفوظة من قبل الله تعالى نصّاً مستقلاً هي روايات الأحاديث كما يُفترى على منهج الله تعالى ..

.. ونحن لا نخطئ من يذهب إلى القول بأنّ الذكر المعني بقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

الذِّكْرَ ﴾ هو النصّ القرآني وليس السنّة الشريفة ، فالعبارة التالية لها مباشرة ﴿ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ نراها بصيغة المبني للمجهول ، بمعنى أنّ الله تعالى لم يقل (لتبيّن

للناس ما نزلنا إليهم) ، إنّما يقول جلّ وعلا ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، فكلمة ﴿

نُزِّلَ ﴾ واضحة وجليّة أنّها بصيغة المبني للمجهول ، وهذا يحتمل أن تكون العبارة ﴿ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ متعلّقة بالكتب السماويّة الأخرى ، وبالتالي فالعبارة القرآنيّة

السابقة لها مباشرة ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ تعني - وفق هذا التصوّر - النصّ القرآني

... وكنا قد بيّنا أنّ النصّ القرآني هو النصّ السماوي الوحيد الذي نزّله الله تعالى من عنده

جلّ وعلا ، بينما وردت التوراة بصيغة التنزيل المتعلّقة بصيغة المبني للمجهول ، وليس

بصيغة يتعلّق فيها الترتيل بالذات الإلهية ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّبِيَّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ﴾ [الحجر : ٩] ..

.. إذا .. سواء حُمِلت العبارة القرآنية ﴿ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ على السنة الشريفة ، أم على القرآن الكريم ، والأمران محتملان ، فهذا لا يعني أبداً استقلالية لها عن كتاب الله تعالى ، ولا يعني أنّها تحمل ما لا يحمله كتاب الله تعالى ... السنة الشريفة هي مفصّلة ومفسّرة لكليات كتاب الله تعالى ، وهذا عين ما ينطق به قول الله تعالى ﴿ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ..

.. ألم نر في المحطّة السابقة كيف أنّ القرآن الكريم هو الملجأ والمرجع الوحيد الذي لا يُوجد ملجأ ومرجعٌ دونه حتى للنبي ﷺ ؟ ..

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِداً ﴾ [الكهف : ٢٧]

.. حينما يقول تعالى ﴿ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِداً ﴾ فهذا يعني أنّه ﷺ [ومن بعده كلّ من يحمل منهج الله تعالى] لن يجد دون كتاب الله تعالى مُلتَحِداً .. فكيف إذا تكون هناك نصوصٌ دون كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) يمكننا أن نعتبرها ملجأً ومرجعاً (ملتَحِداً) لنا دون كتاب الله تعالى !!! ..

.. وهنا سؤالٌ يطرحُ نفسه في هذا السياق .. ما العلاقة بين السنة الشريفة الحق للرسول ﷺ والتي قام بها كتفسير وتفصيل لكليات النصّ القرآني بعد نزوله .. ما العلاقة بين ذلك ، وبين النصّ القرآني ذاته .. بمعنى آخر .. هل السنة لها حدودٌ مُستقلّة عن القرآن الكريم ، كما يقولون ، أم أنّها محتواةٌ في أعماق النصّ القرآني ، وما فعله ﷺ هو أنّه استخرجها من هذه الأعماق .. هذه النقطة ستكون إن شاء الله تعالى موضوعنا في المحطّة القادمة ..

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثالثة

((السنة محتواة في النص القرآني))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. لمعرفة علاقة السنة الحق بالقرآن الكريم ، هل هي وحي إضافي مُستقل عن كتاب الله تعالى ، أم أنها استنباط للأدلة والأحكام من باطن النص القرآني .. لمعرفة ذلك .. لا بُدَّ من إدراك حقيقة القرآن الكريم كونه منهجاً خاتماً للرسالات السماوية ، ولا بُدَّ من إعطائه حقه من التدبير ككتاب تدرجت رسالات الله تعالى للبشرية وصولاً إليه منهجاً ومعجزة ، ولا بُدَّ من معرفة عمق دلالات آياته الكريمة ما بين الظاهر والباطن .. لمعرفة هذه الحقائق لا بُدَّ أن نقف عند الآية التالية ..

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧]

.. ذهب معظم التفاسير الموروثة ، في تفسير هذه الآية الكريمة ، إلى أن آيات كتاب الله تعالى تنقسم إلى قسمين .. قسم مُحكم ، وقسم متشابه .. واختلفوا في تحديد ماهية المُحكّم وماهية المتشابه ، وفي تحديد الآيات المُحكّمة والآيات المُتشابهة .. واجترعت الأمة هذا التفسير الموروث قروناً كثيرةً من الزمن .. كلُّ ذلك حصل ويحصل مع أن الله تعالى يُبَيِّنُ لنا أن كلَّ آيات الله تعالى - دون أيِّ استثناء - هي مُحكمة .. يقول تعالى : ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .. وكلُّ ذلك حصل ويحصل مع أن الله تعالى يُبَيِّنُ لنا أن كلَّ كتاب الله تعالى متشابه .. يقول تعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق .. كيف نُوفِّقُ بين هذه الآيات الكريمة !!!؟ ... القرآن الكريم منه آياتٌ محكمات وأخر متشابهات ، وكلُّ آياته أُحكمت ، وهو كلُّه متشابهٌ مثاني .. كيف يكون ذلك في الوقت ذاته !!!؟ ..

.. جوهر القضية يتمحور في معنى كلمة ﴿ آيَات ﴾ ... فكلمة ﴿ آيَات ﴾ في كتاب الله تعالى تعني دلالات ومعجزات وأحكاماً ، وليست مقصورةً على مجموعة كلمات قرآنية كما يتخيّل الكثيرون .. إنّ العبارة القرآنية تحمل الآيات في ظاهرها وباطنها ، وليست مجرد مجموعة كلمات مصفوفة في الجملة القرآنية ... الآيات تُحمَلُ في العبارة القرآنية ، ولا يستطيع مخلوق أن يُحيط بالآيات التي تحملها العبارة القرآنية .. والآية الكريمة التالية تؤكد هذا المفهوم ..

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور :

.. فالله تعالى لم يقل (وَأَنْزَلْنَاهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ، إنما يقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ، بمعنى أنها تحمل أحكاماً ومعاني ودلالات بيّنة لعلّ البشر يتذكرون بها .. إذاً العبارات القرآنية هي قول الله تعالى الذي يحمل الآيات بظاهر صياغته اللغوية وباطنيتها ..

.. من هنا نرى أن قوله تعالى .. ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ وَأُخْرٌ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ ، يعني أن أي عبارة قرآنية مكوّنة من مجموعة كلمات ، نستنبط منها أحكاماً ودلالات واضحة بيّنة من ظاهر صياغتها اللغوية ، وهذه الأحكام الظاهرة البيّنة هي الأصل والمرجع في الأحكام .. هذا ما نفهمه من قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ ..

.. وهذه العبارة القرآنية ذاتها تحمل بأعماقها دلالات باطنة يحتاج استنباطها إلى الغوص في أعماق النص القرآني ، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى ﴿ وَأُخْرٌ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ ... فالعبارتان : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ ﴾ ، ﴿ وَأُخْرٌ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾ ، تصف كل منهما كتاب الله تعالى كاملاً دون أي تجزئة لنصوصه ..

.. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فلو كانت دلالات كتاب الله تعالى لا تتجاوز المعاني الظاهرة في ظاهر صياغته اللغوية ، لَمَا كان تبياناً لكل شيء ، كما يقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩]

.. ولو كانت دلالات كتاب الله تعالى دون معاني باطنة في أعماقه ، لَمَا كان هناك معنى لقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يوسف : ١١١] .. ولَمَا كُنَّا لِنُدْرِكَ قَوْلَهُ تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] ..

إذا .. نصوصُ كتابِ الله تعالى تحملُ دلالاتٍ ظاهرةً في ظاهرِ صياغتها اللغويّة ، وهذه الدلالات واضحةٌ بيّنةٌ تُعدُّ المرجعَ في الأحكام ، وهذا ما نقرأه في العبارة القرآنيّة : **﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾** .. وهذه النصوصُ ذاتها تحملُ دلالاتٍ باطنةً يحتاجُ استنباطها إلى الغوصِ في أعماقها ، وهذا ما نقرأه في العبارة القرآنيّة **﴿ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾** ..

.. وفي ورودِ كلمةٍ **﴿ وَأُخْرُ ﴾** بصيغةِ النكرة ، دليلٌ على أنّ المسألةَ تتعلّقُ بدلالاتٍ مخفيةً عنّا ، وأنّ المسألةَ لا تتعلّقُ بنصوصٍ من كتابِ الله تعالى مُحدّدةٍ دون غيرها .. فلو كان الأمرُ كما ذهبَ تفاسيرُنا التاريخيّة ، من أنّ نصوصَ القرآن الكريم تنقسمُ إلى قسمين ، قسمٌ مُحكم ، وقسمٌ مُتشابه .. لو كان الأمرُ كذلك .. لكانت العبارة القرآنيّة **﴿ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ ﴾** ، لكانت صياغتها بصيغةِ المعرفة : (والأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ) ، حيثُ النصوصُ المتشابهةُ معلومة ، ولتناقضَ ذلك - أيضاً - مع حيثياتِ صياغةِ النصّ القرآني : **﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾** .. فالعبارةُ القرآنيّةُ **﴿ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾** تُبيّنُ لنا أنّ العمقَ المتشابهَ ليس خاصّاً بجزءٍ مُحدّدٍ من نصوصِ القرآن الكريم دون غيرها .. فوجودُ قسمٍ معلومٍ من آياتِ كتابِ الله تعالى دون غيرها تُتّصفُ بصفةِ المتشابهات ، هذا الوجودُ المفترضُ تُناسبهُ الصياغةُ : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنْهُ) .. ولكن ما نراه أنّ كلمة (المتشابهات) لا وجودَ لها ، وما هو موجودٌ هو العبارةُ القرآنيّةُ **﴿ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾** .. هذا بالإضافةِ إلى وجودِ نصّين قرآنيين يُؤكدان أنّ القرآنَ الكريمَ كلّهُ مُحكم ، وأنّه في الوقتِ ذاته كلّهُ مُتشابه ..

﴿ الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَةٌ آيَاتُهُ ﴾ [هود : ١]

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. وكلُّ ذلك يُؤكِّدُ صحَّةَ ما نذهبُ إليه في تفسيرنا لهذه المسألة ..
 .. إذا .. الأعماقُ الباطنةُ للنصِّ القرآنيِّ ليست ظاهرةً أمامَ أعيننا ، كالأعماقِ
 الظاهرةِ المُحكِّمةِ .. ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ كلَّ نصوصِ القرآنِ الكريمِ ودونِ أيِّ استثناءٍ
 تحملُ هذا العمقَ الباطنَ .. لذلك فإننا نرى صيغةَ النكرة في قوله تعالى ﴿ وَأُخْرُ
 مُتَشَبِهَةٌ ﴾ ، ونرى الصياغةَ القرآنيَّةَ ﴿ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ﴾ .. هذا ما تحمله صياغةُ هذه
 العباراتِ القرآنيَّةِ ، وهذا ما يُدرِّكُه كلُّ باحثٍ عن الحقيقة ، ينظرُ إلى دلالاتِ كتابِ الله
 تعالى بتجرّدٍ عقليٍّ بعيداً عن برزخِ التاريخ ..
 .. وهذا العمقُ الباطنُ المتشابهُ لدلالاتِ النصِّ القرآنيِّ ، نهايتهُ عمقُ التأويلِ الذي لا
 يعلمه إلا اللهُ تعالى ، ولا يأتي إلا في الآخرة .. يقولُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ
 رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٢ - ٥٣]

.. إذا تأويلُ القرآنِ الكريمِ ، بمعنى نهاية ما يحمل من معاني باطنة متشابهة .. هذا
 التأويل .. لا يأتي إلا في الآخرة ، فلا يمكن لمخلوقٍ أن يُحيطَ بالدلالاتِ التي يحملها كتابُ
 الله تعالى ..

.. وفي العبارة القرآنيَّة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
 ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ نرى أن حرفَ الواو في كلمة ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ ليس
 حرفَ عطف ، ولا يُمكنُ أن يكونَ حرفَ عطفٍ ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال .. فلو
 كان حرفَ عطفٍ بمعنى لو كان الراسخون في العلم يعلمون تأويلَ القرآنِ الكريمِ ، لو كان
 ذلك ، لكانت العبارة القرآنيَّة ﴿ يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ تتعلقُ بالذاتِ

الإلهية كتعلّقها بالراسخين في العلم ، وهذا مُحال .. إذاً العبارة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ هي عبارة مُستقلة تماماً عن العبارة : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ .. وحرف الواو في كلمة ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ هو استئناف لجملة جديدة ، تحمل دلالات جديدة مُستقلة تماماً عن دلالات العبارات القرآنية السابقة لهذه الكلمة ﴿ وَالرَّاسِخُونَ ﴾ ..

.. والتأويل المعني في كتاب الله تعالى ، ليس التفسير وليس التبيان ، إنّما هو نهاية ما تووّل إليه الأعماق الباطنة ... وفي رحلة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، نرى أنّ موسى عليه السلام تفاعل مع ظاهر أحداثها ، وأنّ العبد الصالح تفاعل مع باطن أحداثها .. بعد ذلك ونتيجة لاستغراب موسى عليه السلام لتفاعل العبد الصالح مع باطن الأحداث ، بعد ذلك قال العبد الصالح لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] ، بمعنى سأنبئك بحقيقة نهاية المعنى الباطن للأحداث التي رأيتها ..

.. والعمق المتشابه الذي تتصف به كل عبارة من عبارات كتاب الله تعالى ، عبارة عن مثاني .. فالله تعالى يقول .. ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي ﴾ [الزمر : ٢٣] .. إذاً .. المتشابه والمثاني صفتان متلازمتان للعمق الباطن لكتاب الله تعالى .. فماذا تعني كلمة مثاني !!!؟ ..

.. كلمة مثاني ترد مرتين في كتاب الله تعالى .. في هذه الآية الكريمة : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] .. فماذا تعني كلمة مثاني ؟ ..

.. المثاني بمعنى الباطن المخفي المطوي .. يقول تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعِشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [هود : ٥] .. إذا .. العمق المُشابه الباطن للقرآن الكريم ، هو محتوى المثاني ، بمعنى أنه دلالات مخفية في باطن النص القرآني ، ولا بُدَّ من رفع الأغطية التي تكمن تحتها هذه الدلالات ، لمعرفة تلك الدلالات .. فالمثني هو غطاء تحت عمق من هذه الدلالات الباطنة الكامنة في أعماق النص القرآني ..

.. وَلِفَهْمِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ .. لِنَتَصَوَّرَ أَنَّا نَرِيدُ الْغَوْصَ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ دَرَجٍ يَتَّجُهُ نَحْوَ قَاعِهِ .. فَتَجَاوَزُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى مِنْهُ بِاتِّجَاهِ قَاعِهِ ، وَمَا يُرَافِقُهُ مِنْ اكْتِشَافِ الْحَقِيقَةِ الْكَامِنَةِ عِنْدَ تِلْكَ الدَّرَجَةِ ، يُقَابِلُ رَفْعَ الْغَطَاءِ الْأَوَّلِ مِنْ أَعْطِيَةِ الْأَعْمَاقِ الْبَاطِنَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، أَيْ يُقَابِلُ تَجَاوُزَ الْمَثْنِيِّ الْأَوَّلِ .. وَتَجَاوُزَ الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ مِنْهُ بِاتِّجَاهِ قَاعِهِ ، وَمَا يُرَافِقُهُ مِنْ اكْتِشَافِ الْحَقِيقَةِ الْكَامِنَةِ عِنْدَ تِلْكَ الدَّرَجَةِ ، يُقَابِلُ رَفْعَ الْغَطَاءِ الثَّانِيِّ مِنْ أَعْطِيَةِ الْأَعْمَاقِ الْبَاطِنَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، أَيْ يُقَابِلُ تَجَاوُزَ الْمَثْنِيِّ الثَّانِيِّ .. وَهَكَذَا .. وَصُولًا إِلَى الدَّرَجَةِ السَّابِعَةِ فِي أَعْمَاقِ ذَلِكَ الْبَحْرِ ، حَيْثُ يُقَابِلُ ذَلِكَ الْغَوْصَ فِي أَعْمَاقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَصُولًا إِلَى الْمَثْنِيِّ السَّابِعِ ..

.. إِذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر

: ٨٧] ، يُصَوِّرُ لَنَا مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ ، وَلِلْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ - بِشَكْلِ عَامٍ - مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْغَوْصِ فِي أَعْمَاقِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ سَبْعَ دَرَجَاتٍ لِاسْتِنْبَاطِ الدَّلَالَاتِ وَالْأَحْكَامِ فِي تِلْكَ الْأَعْمَاقِ الْبَاطِنَةِ ..

.. أَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ السَّبْعَ الْمَثَانِيَّ هِيَ سُورَةُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ ، بِنَاءً عَلَى الْقَوْلِ الْمُنْسُوبِ إِلَى

الرَّسُولِ ﷺ فِي الرِّوَايَاتِ :

.. الْبُخَارِيُّ (٤١١٤) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي حُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّيْ كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ثُمَّ قَالَ لِي لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ

البخاري (٤٣٣٥) :

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُنْبٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْمَقْبُرِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

.. هذا القول لا يمكن أن يخرج عن الرسول ﷺ ، لأنه ﷺ ، لا يخالف النص القرآني .. والنص القرآني يقول غير ذلك .. ففاتحة الكتاب سورة معروفة .. بمعنى أنها ليست نكرة ، وفي الوقت ذاته فاتحة الكتاب جزء من القرآن العظيم .. والله تعالى يصف ما آتاه في هذه المسألة بصيغة النكرة ، وبصياغة نرى فيها عطفاً على القرآن العظيم .. يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل : (ولقد آتيناك السبع المثاني في القرآن العظيم) ، كي يتم الجزم بأن قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ، يعني فاتحة الكتاب ، أو بعضاً من سورته ..

.. ففاتحة الكتاب جزء من القرآن الكريم ، وليست خارج نصوصه ، وهي معلومة وليست نكرة ، والقرآن الكريم كله مثاني ، وليس فقط سورة الفاتحة ، وإلا كيف بنا أن نفهم قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. كلُّ ذلك يُؤكِّدُ صحَّةَ ما نذهبُ إليه ، وينفي أن تكونَ فاتحةُ الكتابِ هي المعنيَّةُ بهذه الآيةِ الكريمةِ ..

.. وحتى في صياغةِ هذه الروايات ، نرى أن واضعها يصفُ فاتحةَ الكتابِ بصيغةِ المعرفةِ وليس بصيغةِ النكرةِ ، ففي الحديثِ الأوَّلِ نرى العبارةَ : **[[قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ]]** ، وفي الحديثِ الثاني نرى العبارةَ : **[[قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ]]** .. فهل يُعقلُ أن تُوصَفَ أشهرُ سورةٍ في كتابِ الله تعالى بأنَّ آياتِها نكرةٌ وأنَّها تُعطفُ على كتابِ الله تعالى ونحنُ نعلمُ أنَّها جزءٌ منه ؟!!! .. وبالتالي هل واضعُ هذه الروايةِ أكبرُ قدرةً على الصياغةِ اللغويَّةِ من الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ؟!!! ..

.. ومن جهةٍ أخرى نرى أيضاً أن واضعَ هذه الروايات يصفُ فاتحةَ الكتابِ بأنَّها هي القرآنُ العظيمُ ، في الوقتِ الذي يصفُها بأنَّها هي السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وكلُّ ذلك يُؤكِّدُ عدمَ صحَّةِ مثلِ هذه الروايات ... الله تعالى يقول : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾** ، وحرفِ العطفِ في قوله تعالى : **﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾** يفيدُ تمييزَ القرآنِ العظيمِ عن المسألةِ المحمولةِ بقوله تعالى : **﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾** .. وكلُّ ذلك يُؤكِّدُ عدمَ صحَّةِ مثلِ هذه الروايات .. فلماذا تُجَعَلُ مثلِ هذه الروايات معياراً لفهمِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى ، في الوقتِ الذي نرى فيه مخالفتها لكتابِ الله تعالى ؟!!! ..

.. إذاً .. العبارةُ القرآنيَّةُ : **﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾** تصفُ مسألةً لها خصوصيَّتها عما تصفه العبارةُ القرآنيَّةُ **﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾** ، ولا تصفُ نصوصاً مُعيَّنةً دون غيرها من نصوصِ القرآنِ العظيمِ .. هذا ما نُدرِّكُه حينما نحترِّمُ قواعدَ اللغةِ العربيَّةِ ، وحينما نجعلُ كتابَ الله تعالى معياراً للروايات لا العكس ..

.. وهكذا نرى أن الله تعالى أعطى رسوله ﷺ والعقل البشري القدرة على الغوص في أعماق النص القرآني سبع درجات ، لاستنباط السنة من أعماق القرآن الكريم .. هذا ما نقرؤه بشكل جلي في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ .. إذا .. جزئيات الكليات التي يحملها القرآن الكريم ، تكمن في العمق المتشابه الباطن للقرآن الكريم كشعائر العبادات وغيرها ، حيث مهمة السنة استخراجها من أعماق النص القرآني .. فالله تعالى أعطى رسوله ﷺ القدرة على الغوص في الأعماق الباطنة للقرآن الكريم سبع درجات ، يرفع بها سبعة أعطية من أعطية الأعماق الباطنة فيه ، ليرى الأحكام الكامنة في تلك الأعماق ويستخرجها سنة للناس ..

.. السنة الشريفة محتواة في أعماق كتاب الله تعالى ، وليست نصاً إضافياً مستقلاً يكمل النص القرآني ، ولا يمكن للسنة الشريفة أن تناقض كتاب الله تعالى ، ولا يمكن للسنة أن تضيف إليه حكماً لا وجود لكليته له في كتاب الله تعالى .. فنحن نصدق الله تعالى حينما يقول لنا ﴿ **مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [يوسف : ١١١] ، ونصدق الله تعالى حينما يقول لنا ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [النحل : ٨٩] ..

.. السنة الشريفة مفصلة ومبينة لكليات النص القرآني ، لأنها مستنبطة من أعماقه ، ولا تضيف إلى كتاب الله تعالى أحكاماً كما يتوهم الكثيرون ، لأن كتاب الله تعالى ليس ناقصاً ، فساحتها لا تتجاوز تبيان ما نزله الله تعالى في كتابه الكريم ، يقول تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤] ... فالذكر هنا يعني السنة الشريفة ، ووظيفتها كما نرى هي : ﴿ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ ، وليس لتكمل للناس ما نزل إليهم ..

.. ثم كيف يملك ﷻ القدرة على إضافة أحكام إلى كتاب الله تعالى ، والله تعالى يُخاطبُه بقوله : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١] .. فهذه الآية الكريمة تؤكد لنا أنه ﷻ لم يكن ليتجاوز أحكام كتاب الله تعالى حتى لنفسه مع أزواجه .. فكيف إذاً يستطيع أن يُصدر أحكاماً تنسخ أحكام القرآن الكريم ، أو تقيدها ، أو تُطلقها ، كما يتخيل الكثيرون !!؟ ..

.. والذين يحسبون أنفسهم أوصياء على دين الله تعالى ، يعرضون بعض المسائل على أنها ذُكرت في روايات الأحاديث ولم تُذكر في القرآن الكريم ، ويسعون جاهدين ليشيخوا للعالم أن القرآن الكريم ناقص لا يحمل تلك الأحكام التي تحملها الروايات ، حاسبين أنفسهم بذلك مدافعين عن السنة الشريفة .. فعلى سبيل المثال يقولون : إنَّ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وكذلك بين المرأة وخالتها ، هو حكم لا وجود له في كتاب الله تعالى ، وأنه لولا الروايات ما عرفنا هذا الحكم ، وبالتالي حسب زعمهم ، يكون القرآن الكريم ناقصاً تلك الأحكام ..

..... في كتاب الله تعالى نرى أن النكاح مسألة مُتبادلة بين الزوجين ، فعقد النكاح يعني نكح الزوج لزوجته ، وفي الوقت ذاته يعني نكح الزوجة لزوجها ، وبالتالي يعني اجتماعهما في عقد نكاح واحد ، وبمعاشرة واحدة .. يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٣٠]

.. ولو نظرنا في كتاب الله تعالى لرأينا أن حكم تحريم جمع المرأة مع عمتها تحت رجل واحد ، وحكم تحريم جمع المرأة مع خالتها تحت رجل واحد .. لرأينا أن هذا الحكم موجود في كتاب الله تعالى ، ويُمكننا استنباطه من دلالات كتاب الله تعالى .. لننظر في الآيتين : (٢٣) و (٢٤) من سورة النساء :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ

وَأَمَّهتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيْبِكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿٢٤﴾ [النساء : ٢٣ - ٢٤]

.. قوله الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ، يعني أن الرجل يحرم عليه أن ينكح أمه ، ويعني أيضاً أنه يحرم على الأم أن تنكح ابنها ، أي يحرم اجتماع الرجل وأمه في عقد نكاح ، فالاجتماع في عقد نكاح واحد يحرم على الأم وابنها .. ولذلك لا نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ ابْنَهَا) لأنَّ العبارة ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ ، يعني أنه يحرم على الرجل أن ينكح ابنته ، ويعني أيضاً أنه يحرم على البنت أن تنكح أباه ، فالمحرّم هو اجتماع الأب وابنته في عقد نكاح ، فالاجتماع في عقد نكاح واحد يحرم على البنت وأبيها .. ولذلك لا نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ أَبَاهَا) لأنَّ العبارة ﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَأَخَوَاتُكُمْ ﴾ يعني أنه يحرم على الرجل أن ينكح أخته ، ويعني أيضاً أنه يحرم على الأخت أن تنكح أخاها ، فالمحرّم هو اجتماع الأخ وأخته في عقد نكاح ، فالاجتماع في عقد نكاح واحد يحرم على الأخ وأخته .. ولذلك لا نرى - في

هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ أَخَاهَا) لأنَّ العبارة ﴿ وَأَخَوَاتِكُمْ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ ، يعني أنَّه يحرمُ على الرجل أن ينكحَ عمته ، ويعني أيضاً أنَّه يحرم على المرأة أن تنكحَ ابنَ أخيها ، فالمُحرَّمُ هو اجتماعُ الرجل وعمته في عقدِ نكاح ، فالاجتماعُ في عقدِ نكاحٍ واحدٍ يحرم على الرجل وعمته .. ولذلك لا نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ ابْنَ أُخِيهَا) لأنَّ العبارة ﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ ، يعني أنَّه يحرمُ على الرجل أن ينكحَ خالته ، ويعني أيضاً أنَّه يحرم على المرأة أن تنكحَ ابنَ أُختِها ، فالمُحرَّمُ هو اجتماعُ الرجل وخالته في عقدِ نكاح ، فالاجتماعُ في عقدِ نكاحٍ واحدٍ يحرم على الرجل وخالته .. ولذلك لا نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ ابْنَ أُخْتِهَا) لأنَّ العبارة ﴿ وَخَالَاتُكُمْ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ ﴾ ، يعني أنَّه يحرمُ على الرجل أن ينكحَ ابنةَ أخيه ، ويعني أيضاً أنَّه يحرم على المرأة أن تنكحَ عمَّها ، فالمُحرَّمُ هو اجتماعُ الرجل وابنةَ أخيه في عقدِ نكاح ، فالاجتماعُ في عقدِ نكاحٍ واحدٍ يحرم على الرجل وابنةَ أخيه .. ولذلك لا نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ عَمَّهَا) لأنَّ العبارة ﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ ﴾ تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ ، يعني أنَّه يحرمُ على الرجل أن ينكحَ ابنةَ أخته ، ويعني أيضاً أنَّه يحرم على المرأة أن تنكحَ خالها ، فالمُحرَّمُ هو اجتماعُ الرجل وابنةَ أخته في عقدِ نكاح ، فالاجتماعُ في عقدِ نكاحٍ واحدٍ يحرم على الرجل وابنةَ أخته .. ولذلك لا

نرى - في هذه الآية الكريمة - عبارة تقول : (حُرِّمَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَنْكَحَ خَالَهَا) لأنَّ العبارة **﴿ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾** تشمل ضمناً هذا الحكم ..

.. ففي كتاب الله تعالى نرى أنَّ العبارة القرآنية **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾** تُخاطبُ الرجال والنساء بآنٍ واحدٍ ، وليست مقتصرةً على الرجال دون النساء إذاً .. اجتماعُ المرأةِ وعمَّتِها تحتَ رجلٍ واحدٍ ، هو اشتراكُهُما في عقدِ نكاحٍ واحدٍ ، لأنَّهُما تشتركان بذلك مع رجلٍ واحدٍ .. وكذلك اجتماعُ المرأةِ وخالتِها تحتَ رجلٍ واحدٍ ، هو اشتراكُهُما في عقدِ نكاحٍ واحدٍ ، لأنَّهُما تشتركان بذلك مع رجلٍ واحدٍ .. وكلُّ ذلك تحمله العباراتُ القرآنيةُ : **﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾** ..

.. وهكذا .. نرى أنَّ اجتماعَ الرجلِ معَ عمَّتِها في عقدِ نكاحٍ واحدٍ ، يُشابهه من حيثِ الحرمةِ اجتماعُ المرأةِ وعمَّتِها تحتهِ .. فالإنسانُ ذكراً كان أو أنثى لا يجوزُ له الاشتراكُ معَ عمَّتِها بعقدِ نكاحٍ ، وبالتالي لا يجوزُ له اشتراكُ معها بمعاشرةٍ زوجيةٍ ، وهذا محمولٌ للرجلِ والمرأةِ على حدٍّ سواءٍ بقوله تعالى **﴿ وَعَمَّاتُكُمْ ﴾** .. وكذلك الأمرُ بالنسبةِ للمرأةِ وخالتِها **﴿ وَخَالَاتُكُمْ ﴾** ، والمرأةِ وابنةِ أخيها **﴿ وَبَنَاتُ الْأَخِ ﴾** ، والمرأةِ وابنةِ أخيها **﴿ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾** ..

.. إذاً .. هذا الحكمُ موجودٌ في كتابِ الله تعالى ، وكتابُ الله تعالى ليس ناقصاً لتكملةِ الروايات .. أمّا من لا يُريدُ تصديقَ الله تعالى حينما يقول : **﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾** [النحل : ٨٩] ، ومن يخلقُ مسائلَ يتوهّمُ أنّها ليست موجودةً في كتابِ الله تعالى ، ويريدُ فرضَ ذلك على الناسِ بغيةً إيهامهم أنّ كتابَ الله تعالى ناقصٌ ، فهو يجحدُ بكتابِ الله تعالى مُقدِّماً التاريخَ منهجاً بديلاً عن منهجِ الله تعالى

، وإن حسب نفسه عالماً وناطقاً باسم الله تعالى ، وإن زعم أنه بذلك يُدافع عن السنة الشريفة ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. يقولون : أحلت الروايات الكبد والطحال وميتة البحر ، وحرمت شحم الخنزير ، ويزعمون أن كتاب الله تعالى لا يحمل هذه الأحكام وبالتالي هو ناقص نُكمله الروايات .. وهذه بعض الروايات التي يحتاجون بها ..

أحمد (٥٤٦٥) :

حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ

مسلم (٣٥٧٤) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذِ الْعَنْبَرِيِّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْحَكَمِ عَنِ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

البخاري (٢٠٨٢) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْحَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ وَيُدَهَّنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ فَقَالَ لَا هُوَ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهَا ثُمَّ بَاعُوه فَأَكَلُوا تَمَنَّهُ قَالَ أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ حَدَّثَنَا يَزِيدُ كَتَبَ إِلَيَّ عَطَاءٌ سَمِعْتُ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. حينما ننظر نظرة تدبّر في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، فسرى أن الحرام هو الدم المسفوح ، فالعبارة القرآنية : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ واضحة جلية ، وكلمة ﴿ مَسْفُوحًا ﴾ فيها ليست حشواً لا فائدة منه كما يتخيّل عابدهو أصنام التاريخ .. ولو نظرنا في حقيقة الكبد والطحال لوجدنا أنّهما ليسا دماً مسفوحاً ، وبالتالي فهما ليسا محرّمين .. إذاً تحليلهما موجود في كتاب الله تعالى ، لأنّ كتاب الله تعالى ليس ناقصاً .. وإيهام الناس بأنّ تحليل الكبد والطحال ليس في كتاب الله تعالى ، وأنّه لولا الروايات لمّا كانا محلّلين ، هذا الإيهام هو جهلٌ بدلالات كتاب الله تعالى من جهة ، وهو جحودٌ بقوله تعالى : ﴿ وَتَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] من جهة أخرى .. فعدم تدبّرهم لكتاب الله تعالى بإعراضهم عن حقيقة دلالات العبارة القرآنية : ﴿ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ ، هو ذنبهم هم ، ولا يُعدُّ ذلك نقصاً في كتاب الله تعالى ..

.. وحينما ننظر نظرة تدبّر في هذه الآية الكريمة : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، فسرى أنّ الميتة محرّمة ، وأنّ الدم المسفوح محرّم .. وبالتالي فإنّ كلّ ما يتغذى على الميتة والدم المسفوح لحمه محرّم ، لأنّه ينبت من المحرّم .. وبالتالي فكلّ ذي ناب من السباع وكلّ ذي مخلب من الطير لحمه محرّم ، لأنّه يتغذى على الميتة والدم المسفوح المحرّمين في كتاب الله تعالى .. إذاً كتاب الله تعالى ليس ناقصاً كما يزعمون .. وهذه الروايات لم تُضف حقيقةً إلى كتاب الله تعالى ، إنّما تُفسّر ما هو موجود أصلاً في كتاب الله تعالى ..

.. وحينما ننظر نظرة تدبرٍ إلى قوله تعالى : ﴿ أَجِلٌّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ [المائدة : ٩٦] ، فسنرى أن الله تعالى يُحلُّ لنا طعامَ البحر ، وأنَّ هذا الطعام يُعطَفُ على صيدِ البحر .. إذاً .. طعامُ البحر هو غير ما نصطادُه منه ، بدليلِ عطفِه عليه ، وطعامُ البحرِ يشملُ فيما يشملُ ما يقذفه البحرُ من مَيْتَةٍ ، شريطةَ أن لا تكون متفسخةً أو فاسدةً ، أي شريطةَ أن تكون لحمًا طريًا .. يقولُ تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [النحل : ١٤] .. فاللحمُ الذي يحلُّ لنا أن نأكله من البحر هو اللحمُ الطريُّ .. وفي كتابِ الله تعالى لم ترد كلمة ﴿ طَرِيًّا ﴾ إلا في هذه العبارة القرآنية ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [فاطر : ١٢] .. وكلمة طريًا تفهمُ دلالاتها من كتابِ الله تعالى بحيث يكونُ كتابُ الله تعالى حُجَّةً على قواميس اللغة ، لا العكس .. إذاً .. من العبارة القرآنية ﴿ أَجِلٌّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ ﴾ [المائدة : ٩٦] ، ومن العبارة القرآنية : ﴿ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [النحل : ١٤] ، من هاتين العبارتين نستنتجُ أن مَيْتَةَ البحرِ غيرَ المتفسخة ، مُحلَّلةٌ وليست مُحَرَّمةً .. بل إنَّ ما نصطاده من البحر يموتُ فورَ خروجِه من الماء ، ولا يموت ذبحاً كما هو حال الأنعام التي حلَّلتها الله تعالى ونأكلها بعدَ ذبحها .. وحتى ما نصطادُه من البحر ، إن بقي فترةً من الزمن يتفسخُ فيها ويفسدُ ، فإنَّه حين ذلك لا يكونُ مُحلَّلاً .. إذاً كتابُ الله تعالى ليس ناقصاً كما يزعمون .. وفهمُ دلالاته لا يكون تبعاً للتاريخ برواياته ورجالاته وفي كتابِ الله تعالى نرى أن كلمة اللحم عامةٌ تشملُ الشحمَ وغيره .. وفي الآية التالية دليلٌ على ذلك .. يقولُ تعالى :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : ٣٧] .. فهل كلمة

﴿ **لُحُومَهَا** ﴾ في هذه الآية الكريمة لا تشمل الدهن وغيره !!!؟ ، بالتأكيد تشمل كل ما يُؤكل ويُتفَعُ به .. وهل حمارٌ الذي مرَّ على القرية الخاوية على عروشها ، هل لحمه لا يوجد فيه شحمٌ أو غير ذلك مما كساه الله تعالى فوق عظامه ..

﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩]**

.. إنَّ العبارة القرآنية : ﴿ **وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا** ﴾ ، والتي تُصوِّرُ لنا إكساءَ عظامِ الحمارِ لحمًا ، تُبيِّنُ لنا أنَّ ما علا العظام يُسمَّى لحمًا ، وهذا يشملُ الشحم ..

.. وهل اللحم الذي يكسوه الله تعالى فوق عظام الجنين لا يوجد فيه شحم أو جلد أو غير ذلك ..

﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُمِضَةً فَخَلَقْنَا أَلْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [المؤمنون : ١٤]

.. إنَّ لحمَ الخنزيرِ مُحَرَّمٌ بنصِّ قرآني ، وكلمة لحم كما رأينا تشملُ الشحم ، إذاً كتابُ الله تعالى يُحرِّمُ شحمَ الخنزير ، ويحرِّمُ جلدَ الخنزير ، ويحرِّمُ مَخَّ الخنزير ، ويحرِّمُ عَيْنَ الخنزير ، ويحرِّمُ - من الخنزير - كُلَّ ما تعنيه كلمة لحم .. فكيف إذاً يخدعون الناس فيقولون : كتابُ الله تعالى لم يُحرِّمِ شحمَ الخنزير ، وأنَّه لولا الروايات لَمَا علمنا أنَّ شحمَ

الختير حرام .. وكيف يسعون جاهدين ليثبتوا أن كتاب الله تعالى ناقصٌ تُكمله الروايات ، ويُسمون جهدهم هذا خدمةً للسنة الشريفة ، مُتهمين بالكفرِ كُلِّ من يُؤمن إيماناً حقيقياً بأن كتاب الله تعالى فيه تبيانٌ لكلِّ شيء ، وليس بحاجة لأن تُكمله الروايات ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. يحاولون أن يُثبتوا للناس أن القرآن الكريم ناقص وتكمله الروايات ، فيقولون : إن ركن الإيمان بالقدر لم يُذكر في القرآن الكريم ، ويُذكر في روايات الأحاديث فقط ، محتجين ببعض الروايات .. لننظر في الروايات التالية ..

البخاري (٤٨) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ قَالَ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَسَأخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَّةُ رَبَّهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي حُمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الْآيَةَ ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ

البخاري (٤٤٠٤) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ

اللَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأَحْدِثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَ الْحَفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ثُمَّ انصَرَفَ الرَّجُلُ فَقَالَ رُدُّوْا عَلَيَّ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ

مسلم (١٠) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْبَةَ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ عَنْ أَبِي حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأَحْدِثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتْ الْعُرَاةُ الْحَفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُدُّوْا عَلَيَّ الرَّجُلَ فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّمِيمِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنْ فِي رِوَايَتِهِ إِذَا وَلَدَتْ الْأُمَّةُ بَعْلَهَا يَعْنِي السَّرَارِيَّ

.. قبل كل شيء .. نرى - في هذه الروايات - أن ركن الإيمان بالقدر لا يُذكر

فيها أصلاً .. وهذا الركن يُذكر في بعض الروايات وليس فيها جميعاً ، فالروايات مُختلفة

أصلاً في هذه المسألة ، واعتبارها معياراً لمعرفة أركان الإيمان دون كتاب الله تعالى هو خروج على دلالات كتاب الله تعالى .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى هم لم يتفقوا أصلاً على تعريف القضاء والقدر ، وخلطوا بينهما خلطاً لا يقبله القرآن الكريم ولا العقل ولا المنطق ، وفي تعريفهم لمسائل القضاء والقدر والإرادة والمشية غُيبَ القرآن الكريم تغييباً تاماً ، ولا مجال في هذا السياق للوقوف عند هذه المسألة ، وقد بينت ذلك بشكل جلي في كتاب القدر (النظرية الثانية) .. مع كل ذلك نقول : إن الإيمان بالقدر مسألة نستطيع استنباطها من كتاب الله تعالى .. يقول تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۗ وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ

تَمَرُّونَ ﴾ [الأنعام : ٢]

﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۗ

[آل عمران : ١٥٤]

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١]

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ

نُزِّلَهَا ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا

ءَاتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : ٢٢ - ٢٣]

.. أليست هذه الآيات الكريمة وغيرها الكثير تُعدُّ أساساً لاستنباط معنى القدر من

كتاب الله تعالى !!!؟ .. أليس الإيمان الحقيقي هو الإيمان بكل ما جاء به القرآن الكريم

!!!؟ .. لماذا لا يقولون إن الحديث ناقص ، وما هو كامل في هذه المسألة وغيرها هو

القرآن الكريم !!!؟ .. لماذا لا يقولون : إن القرآن الكريم يُخبرنا عن الكثير من المسائل

الغيبية - غير المذكورة في روايات الأحاديث - والتي يجب علينا أن نُؤمنَ بها !!!؟ .. لماذا لا يقولون : عالم الجنّ هو عالمٌ غيبيٌّ بالنسبة لإدراكنا الحسيّ ، ويذكره القرآن الكريم في الكثير من آياته ، وبالتالي فالإيمانُ بوجوده هو ركنٌ من أركان الإيمان !!!؟ .. فلماذا يكون الإيمان بوجود عالم الملائكة ركناً من أركان الإيمان ، ولا يكون الإيمان بوجود عالم الجن ركناً من أركان الإيمان !!!؟ ..

.. لماذا يجعلون من رواياتهم معياراً لكتاب الله تعالى ، ولا يجعلون القرآن الكريم معياراً لتلك الروايات !!!؟ .. وهل نخدمُ منهجَ الله تعالى حينما نُعرضُ عن تدبيره ، ونُصوره للناس ناقصاً تُكمله الروايات !!!؟ .. نتركُ الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ ..

.. يقولون : القرآن الكريم لا يحتوي عدد ركعات كلِّ فريضة بفريضتها ، وأنه لولا الروايات لما عرفنا عدد ركعات كلِّ فريضة من فرائض الصلاة .. ويعرضون عن حقيقة جلية هي أن فرائض الصلاة وعدد ركعات فرائضها أتتنا حياةً تعبديةً أباً عن جد ، وليس من روايات الأحاديث ، وأكبر دليلٍ على ذلك هو إجماع الأمة عليها من أقصى السنة إلى أقصى الشيعة ، مع اختلافهم في الروايات .. فلو كانت الروايات سبباً لمعرفة عدد ركعات كلِّ فريضة بفريضتها ، لاختلقت الأمة في ذلك ، كاختلافها في عدد ركعات السنن ..

.. ودليلٌ آخر أن فرائض الصلاة وعدد ركعات فرائضها أتتنا حياةً تعبديةً أباً عن جد ، وليس من روايات الأحاديث ، هو أن الروايات جمعت بعد قرون من وفاة النبي ﷺ ، وهي في معظمها رواياتُ آحاد ، والأمة كانت تقوم بتلك الشعائر قبل جمعها ، فهل يتصورون الأمة تائهة قروناً من الزمن لا تعرف عدد ركعات كلِّ فريضة باستثناء بعض الرجال الذين رووا ذلك ، حتى أتى البخاري ومسلم والكافي وغيرهم فعلموا الأمة جزئيات تلك الشعائر .. إذاً هذه الشعائر أتتنا حياةً تعبديةً أباً عن جد ، وليس من روايات الأحاديث ، وتوارثناها كالقرآن الكريم وهي محفوظة إلى قيام الساعة ، والزعم بأنها أتتنا من خلال روايات الأحاديث هو زعمٌ باطل يُوظف لأغراضٍ لا تخدم المنهج لا من قريب ولا من بعيد ..

.. مع كل ذلك ، فإن عدد تلك الركعات والسجودات موجود في كتاب الله تعالى ، واستنبطه ﷺ من كتاب الله تعالى من خلال الدلالات الباطنة فيه .. فإتيان الله تعالى لرسوله سبعا من المثاني يجعله ﷺ قادراً على استنباط جزئيات شعائر العبادات من كتاب الله تعالى ..

ولو تدبرنا كتاب الله تعالى لرأينا أنه بإمكاننا أن نرى إشارات في ذلك .. فكلمة (صلوات) بصيغة الجمع ، بالصيغتين : (صلوات ، صلواتهم) .. ترد خمس مرات ، على عدد الصلوات اليومية المفروضة ، وهذا يشير إلى عدد الصلوات المفروضة في اليوم وفي كتاب الله تعالى ، نرى أن فعل الأمر « **أَقِمِ** » ومشتقاته ، مقترناً بالصلاة ،

يرد بالصيغ : « **أَقِمِ الصَّلَاةَ** » ، « **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ** » ، « **وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ** » ولكن العبارة القرآنية « **وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ** » ، ترد مرة واحدة في كتاب الله تعالى ، في سياق قرآني خاص بنساء النبي ﷺ ، حيث يُخاطبهن الله تعالى في هذا السياق بقوله .. « **يَلْبَسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ** » [الأحزاب : ٣٢] ..

.. إذا .. العبارتان : « **أَقِمِ الصَّلَاةَ** » ، « **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ** » ، ليستا خاصتين ، وتتعلقان بإقامة الصلاة ، ولو قمنا بجمع عدد مرات ورودهما في كتاب الله تعالى ، لحصلنا على العدد (١٧) ، وهو ذاته عدد الركعات المفروضة في اليوم الواحد ..

.. ونحن نعلم أننا نسجد سجدتين في كل ركعة ، وبالتالي فإن عدد السجودات المفروضة في اليوم هو (٣٤) .. لو قمنا بجمع عدد مرات ورود الفعل (سجد) للعاقلين ، ومشتقاته التي تُعبر عن أزمنة هذا الفعل ، ما عدا الفعل (يسجدان) في قوله تعالى : « **وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ** » [الرحمن : ٦] .. والذي يتعلّق — كما نرى — بسجود غير العاقلين .. لو قمنا بهذا الجمع لحصلنا على العدد (٣٤) ، وهو ذاته العدد الذي يُشير إلى عدد السجودات المفروضة في اليوم ..

.. أما بالنسبة لتحديد عدد ركعات كل فريضة بفريضتها .. فقد هداي الله تعالى إلى اكتشاف أجدية قرآنية من كتاب الله تعالى ، تكون فيها القيمة العددية للحرف متعلقة بترتيب مجموع ورود هذا الحرف في كتاب الله تعالى ، واستنبطت من خلالها عدد ركعات كل فريضة بفريضتها من كتاب الله تعالى ، ولا مجال في هذا السياق أن أقف عند تفصيل ذلك ، فذلك يتطلب شرحاً لتلك النظرية العددية .. وقد قمت بشرح ذلك ونشره في كتاب : المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) ..

.. إذا السنة محتواة في أعماق النص القرآني .. وما فعله ﷺ هو أنه استنبطها من تلك الأعماق .. والسنة ليست نصاً يُضيف أحكاماً إلى كتاب الله تعالى ، لأن كتاب الله تعالى ليس ناقصاً .. فالرسول ﷺ بعثه الله تعالى ليعلم الناس الكتاب والحكمة ، بمعنى ليعلمهم القرآن ويستنبط لهم جزئيات شعائر العبادات من كتاب الله تعالى ، ويعلمهم الاستنباط السليم من القرآن الكريم .. فصفة الرسول بمعنى المنهج وما يُستنبط منه ، هي صفة ما زالت موجودة بين الناس وستبقى إلى قيام الساعة .. يقول تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ

بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠١] .. فالعبارة القرآنية ﴿

وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ ﴾ واضحة جلية في كون صفة الرسالة تتعلق بالمنهج الموجود بين أيدي

البشر إلى قيام الساعة ..

.. إن الاستنباط من كتاب الله تعالى أمرٌ يأمر الله تعالى به ..

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ

أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣]

.. نرى في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ

أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾ .. وأولوا الأمر هم أولوا النهي والعقل والتدبر والاستنباط السليم المبرهن من كتاب الله تعالى .. فصفة الرسول متعلقة مع أولي الأمر في رد الأمر لأجل الاستنباط .. وفي قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۗ ﴾ [النساء : ٥٩] ، نرى - أيضاً - أن صفة الرسول تتعلق مع أولي الأمر في طاعة واحدة ، ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ ﴾ ، وفي هذا بيان أن استنباط الحق يكون برد الأمر إلى الرسول وأولي الأمر ، أي برد الأمر إلى منهج التفكير والتدبر المنهجي السليم في نص الرسالة ..

.. إذا .. الزعم بأن السنة الشريفة هي كل ما قاله ﷺ وما فعله وأقره ، وأنه لا سنة خارج روايات التاريخ .. هذا الزعم ، يخالف مفهوم السنة الشريفة من أساسها ، فكون السنة تعني استنباط الأحكام من أعماق النص القرآني ، وكون القرآن الكريم يحمل بأعماقه تبياناً لكل شيء ، وكون الله تعالى قد أعطى العقل البشري القدرة على الغوص في أعماقه سبع درجات يرفع فيها سبع مثاني .. كل ذلك يؤكد أن المفهوم التاريخي للسنة الشريفة يخالف مفهومها في كتاب الله تعالى .. فالسنة الشريفة محتواة في كتاب الله تعالى ، وكل زعم بأن السنة تُضيف أحكاماً إلى كتاب الله تعالى هو زعم باطل ، وخروج على حقيقة منهج الله تعالى ..

.. السنة الحق تُوصف في كتاب الله تعالى بالحكمة ، والحكمة هي استنباط الدلالات الكامنة في أعماق النص القرآني ، وبالتالي فكل ما وصلنا بأدوات تاريخية ، لم يتكفل الله تعالى بحفظه ، وبالتالي لا يخلو من مادة التاريخ المشوبة بالأخطاء والأهواء ، وبالتالي لا

يُسمى بالسنة ، إنما هو يحوي من السنة بمقدار ما يتطابق مع حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ..

.. فما أضيف لاحقاً من روايات وتفسيرات وتأويلات لا تخرج عن كونها محمولةً بعربات التاريخ ، فحتى لو كانت صحيحةً مائة بالمائة ، وحتى لو نُقلت إلينا تصويراً تلفزيونياً ، فإنها لا تتعدى تفاعل الأجيال السابقة مع النص القرآني ، ولا تتعدى ما حمّله القرآن الكريم لتلك الأجيال .. واعتبارها معياراً لإدراك دلالات كتاب الله تعالى هو تحجيم دلالات النص القرآني عند سقف لا يتجاوز العتبة الفكرية لتلك الأجيال .. وإذا كانت هذه الروايات والتفسيرات والتأويلات ليست سليمةً مائة بالمائة ، وهي بالتأكيد ليست سليمةً مائة بالمائة ، فإن تقديمها على أنها جزء من المنهج ، هو خروجٌ فاضحٌ على أحكام المنهج ..

.. من يبحث عن الحقيقة ، ويحترم عقله ، ويخاف من الله تعالى ، ويؤمن بكتابه الكريم ، تكفيه الآية الكريمة التالية ليعلم أنه لا ملجأ له ولا مرجع إلا إلى القرآن الكريم ..

﴿ **وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٧]

وبالتالي فالسنة الشريفة لا تخرج عن كونها تفسيراً وتفصيلاً لكليات النص القرآني ، وهذا عين ما ندركه من قوله تعالى ﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤] ..

.. من يخاف من الله تعالى مؤمناً بكتابه الكريم حق الإيمان ، محترماً عقله ، تكفيه أي من العبارات القرآنية التالية ليعلم أنه لا يجوز له أن يؤمن بأي نص خارج دفتي كتاب الله تعالى ، إيماناً كاملاً موازياً للإيمان بكتاب الله تعالى ، مهما طبل المطبلون ، ومهما زمّ المزمرون ، ومهما ذرّوا من الرماد في العيون ..

﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٨٥]

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ [الجاثية : ٦] ﴾

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات : ٥٠]

.. وكل ذلك لا ينتقص - أبداً - من السنة الشريفة ، لأن السنة الشريفة محتواة في النص القرآني كما بينا ، وما تطيب لهم وتزيرهم وذرهم للرماد في الأعين إلا لإضافة أحكام أو حذف أحكام أو تعديل أحكام بأحكام في كتاب الله تعالى ..

.. لذلك نراهم يهرعون إلى الرواية التالية مستغيثين بها ، محاولين إلحاق النقائص في كتاب الله تعالى ، بأن هناك أحكاماً وردت في أحاديثهم ولم ترد في كتاب الله تعالى ، وأن النبي ﷺ حرم ما لم يحرمه الله تعالى في كتابه الكريم .. لننظر في الحديث التالي الذي يستشهدون به في ذلك ..

أحمد (١٦٥٤٦) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ أَخْبَرَنَا حَرِيزٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْجَرَشِيِّ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْتَنِي شَبَعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاحْلُوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ أَلَا وَلَا لُقْطَةٌ مِنْ مَالٍ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِي عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعَقِّبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ

سنن الدارمي (٥٨٥) :

أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ جَابِرٍ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ الْحِمَارِ وَغَيْرَهُ ثُمَّ قَالَ لِيُوشِكُ بِالرَّجُلِ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ مَا

وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ
اللَّهِ هُوَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ

سنن أبي داود (٣٩٨٨) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ كَثِيرٍ بْنُ دِينَارٍ عَنْ حَرِيْزِ بْنِ عُثْمَانَ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرِيكَتِهِ يَقُولُ
عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاحْلُوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِي
عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاةِ

ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخص

هذا الحديث :

[] قال الخطابي : في الحديث دليل على أن لا حاجة بالحديث أن يعرض على

الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء كان حجة بنفسه ، فأما
ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه ،
فإنه حديث باطل لا أصل له . [] ..

.. إذا .. القول بعرض الحديث على كتاب الله تعالى لمعرفة ثبوت الرواية هل هي

صحيحة أم لا ، انتصاراً للسنة الشريفة ولمعرفة الموضوع من الصحيح ، اعتقاداً أن النبي ﷺ
لا يمكن أن يصدر أحكاماً مخالفة لكتاب الله تعالى ، هذا العرض عند عابدي أصنام التاريخ
هو حديث باطل لا أصل له ..

.. من الطبيعي أن ينكروا ذلك لأنهم يعلمون أن أحاديثهم فيها الكثير مما يتعارض مع

كتاب الله تعالى ، من الطبيعي أن ينكروا ذلك لأن من يعتقد أن الحديث ينسخ القرآن لا
بدل له من إنكار عرض الرواية على كتاب الله تعالى ..

.. ولكن .. نقول لهؤلاء .. أحاديثكم هذه التي تستشهدون بها للدعوة إلى عدم معايرة رواياتكم على كتاب الله تعالى ، فيها العبارات التالية التي تحرم لحم الحمار الأهلي :
[[أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمَ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ]] ، **[[حَرَّمَ أَشْيَاءَ يَوْمَ خَيْبَرَ الْحِمَارَ وَغَيْرَهُ]]**
 ، **[[أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمَ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ]]** ، وهناك الكثير من رواياتكم تحرم لحم الحمار الأهلي تحريماً هائياً ، وستعرض لذلك - إن شاء الله تعالى - في محطة قادمة .. ومصادقية الرواية كل لا يتجزأ .. فماذا تقولون في الرواية التالية في سنن أبي داود ذاته ، والتي نرى فيها عدم تحريم لحوم الحمر الأهلية ..

سنن أبي داود (٣٣١٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عُبَيْدِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَالِبِ بْنِ أَبَجَرَ قَالَ أَصَابَتْنا سَنَةٌ فَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِي شَيْءٌ أُطْعِمُ أَهْلِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ حُمُرٍ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ لُحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَتْنا السَّنَةُ وَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِي مَا أُطْعِمُ أَهْلِي إِلَّا سِمَانَ الْحُمُرِ وَإِنَّكَ حَرَّمْتَ لُحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ أُطْعِمْ أَهْلَكَ مِنْ سَمِينِ حُمُرِكَ فَإِنَّمَا حَرَّمْتُهَا مِنْ أَجْلِ جَوَالِ الْقَرْيَةِ يَعْنِي الْجَلَالَةَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا هُوَ ابْنُ مَعْقِلٍ قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى شُعْبَةُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عُبَيْدِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْقِلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشْرِ عَنْ نَاسٍ مِنْ مُزَيْنَةَ أَنَّ سَيِّدَ مُزَيْنَةَ أَبَجَرَ أَوْ ابْنَ أَبَجَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ مَعْقِلٍ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَحَدُهُمَا عَنْ الْأَخْرِ أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُوَيْمٍ وَالْأَخَرُ غَالِبُ بْنُ الْأَبَجَرَ قَالَ مِسْعَرٌ أَرَى غَالِبًا الَّذِي أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إن مصادقية استشهادكم بأن النبي ﷺ قال بأنه حرم ما ليس في كتاب الله تعالى وأن ما حرمه هو كما حرمه الله تعالى ، لا تختلف عن مصادقية رواياتكم في مسألة تحريم لحوم الحمر الأهلية ، التي تروونها بمتناقضات لا يقبلها عاقل ..

.. ولو فرضنا جدلاً أن النبي ﷺ يستطيع أن يحرم - أو يحلل - خارج ما حرمه - أو

حلَّه - كتاب الله تعالى ، فلماذا يعاتب الله تعالى نبيه ﷺ ويأمره بأن لا يجرم على نفسه ما أحله الله تعالى له ؟!!! ..

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التحریم : ١]

.. وإن كان ﷺ يملك صلاحية التحريم خارج كتاب الله تعالى ، كيف تُفسرون

الرواية التالية ..

مسند أحمد (٢٧٩٠) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمرٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ فَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ

أليس حبه ﷺ لموافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه بعد من نصوص كتاب الله تعالى دليلاً على أن التشريع محصور في الأحكام التي ينزل بها كتاب الله تعالى ؟ .. ولماذا كان ﷺ يوافق أهل الكتاب في المسائل التي لم ينزل فيها بعد نص قرآني إن كان يملك صلاحية التشريع خارج نصوص كتاب الله تعالى ؟!!! .. وكيف تفسرون لنا الحديث التالي ..

أحمد (٦٦٨٦) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُودِعِ فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ثَلَاثًا وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيَتْ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ وَعَلِمْتُ كَمْ حَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَتَجَوُّزُ بِي وَعَوْفِيَتْ وَعَوْفِيَتْ أُمَّتِي فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا دُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَجِلُوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ

.. ألم يقل ﷺ **[[فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ]]** ، فلو كان هناك تحريم آخر غير ما يحرمه كتاب الله تعالى لقال ﷺ : **[[فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَحِلُّوا حَلَالَهُمَا وَحَرِّمُوا حَرَامَهُمَا]]** .. فقله ﷺ : **[[فَاعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ]]** ينفي ما تذهبون إليه ..
وما أريد قوله : إن استشهدنا بهذه الروايات على نقض ما تذهبون إليه هو استشهاد بمكانه ، وذلك لسببين :

١ - نحن لا ننكر كل الروايات كما تفترون علينا ، نحن نقول ما وافق منها كتاب الله تعالى فهو صحيح ، اعتقاداً منا بأن النبي ﷺ لا يشرع ما هو مخالف لكتاب الله تعالى .. ولم نقل في يوم من الأيام بأننا ننكر السنة الشريفة ، فما ننكره هو ثبوت بعض الروايات عند كل طوائف الأمة ومذاهبها دون استثناء ، كونها تتعارض مع صريح دلالات كتاب الله تعالى ..

٢ - أنتم من يذهب إلى صحتها جميعها ، ولا تريدون معايرتها على دلالات كتاب الله تعالى ، وبالتالي لا يحقّ لكم الاعتراض على استشهدنا ببعضها ، فنحن نأتيكم بأدلة مما تعتقدون بصحتها ، بهدف تفنيد ما تمّ تلفيقه على السنة الشريفة ..

.. إذا .. كل هذه الروايات التي يستشهدون بها على وجود وحي آخر - في منهج الرسالة الخاتمة - مختلف عن وحي كتاب الله تعالى وما يتعلق به من تفسير وتفصيل ، هي روايات باطلة موضوعة مُفصَّلة حسب أهواء عابدي أصنام التاريخ .. وقد رأينا في محطة سابقة كيف أن آيات كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) تؤكّد أنّ وحي الله تعالى لنبيه ﷺ هو القرآن الكريم ، وليس أيّ أمر غيره ..

.. إنّ من لا يضع الحقيقة أمامه هدفاً يسعى إليها بمركب التجرد العقلي ، لا يصل إليها .. ومن لا يملك إرادة صادقة حرّة لمعرفة الحقيقة فلن يعرفها أبداً .. ومن أشرب في قلبه أصنام التاريخ ، لا يستطيع وعي الحقيقة حتى لو وضعت بين يديه ..

.. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : هل أمر الرسول ﷺ بكتابة الروايات عنه ؟ .. ومتى كتبت الروايات ؟ .. وما علاقة السنة بالقرآن الكريم في حياة النبي ﷺ .. هذا ما سنحاول الإجابة عليه في المخطّة القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الرابعة

((القرآن والسنة في حياة النبي))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. لا يمكننا أن ندرك حقيقة السنة الشريفة دون إدراك سيرة حياة النبي ﷺ ، في تفاعله ما بين نصوص القرآن الكريم كنص مرسوم نازل من السماء وما يحمل من أحكام من جهة ، وما بين تفاعله مع الأعراف الاجتماعية والخصوصيات التاريخية من جهة أخرى .. وإدراكنا هذا لا بُدَّ أن يكون مستنداً إلى حقائق قرآنية أولاً ، نراها بعين التجرد والبحث عن الحقيقة .. وبعد ذلك يكون بالنظر إلى حقائق تاريخية غير متناقضة فيما بينها ، وغير متناقضة مع القرآن الكريم ..

.. أما أن نضع أهواءنا وأهواء بعض السابقين نتيجةً نبحت لها عن مقدمات من جزئيات التاريخ ، تلك الجزئيات التي تُؤوّل حسب الأهواء المسبقة الصنع والغارقة في العصبية المذهبية والطائفية ، فهذا يعني عدم معرفة الحقيقة ، ويعني طمسها عن أعيننا وعن أعين الآخرين ..

.. في كتاب الله تعالى نقرأ حقيقةً جليةً هي أن القرآن الكريم كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ ، وبأمرٍ منه ، وأنه كان يعلم حروفه ، ويُمليه برسمه التوقيفي على كتبة الوحي كما

هو تماماً في اللوح المحفوظ .. فالآية الأولى التي نزلت من السماء : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] ، تؤكدُ أنَّ ما كان يتلقاه ﷺ هو نصٌّ مكتوبٌ تُطلبُ منه قراءته ، فدلالاتُ كلمة ﴿ أَقْرَأْ ﴾ تختلف عن دلالات كلمة : (ائْتِ) ، وكلا الكلمتين تردان في كتابِ الله تعالى ، وبالتالي كُلُّ منهما تحملُ دلالةً لها حدودها التي تُميّزها عن حدودِ دلالةِ الكلمة الأخرى ..

.. إنَّ القراءةَ تكونُ من نصٍّ مكتوبٍ ، وليست مجردَ تلاوةٍ دونَ نصٍّ مكتوبٍ .. يقولُ تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧١] .. ويقولُ تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ [الحاقة : ١٩] .. إذاً .. قراءةُ الكتاب هي تلاوةُ النصوصِ المُسطَّرةِ فيه .. هكذا يُدركُ كُلُّ متدبِّرٍ لكتابِ الله تعالى ، بعيداً عن الموروثات التاريخية التي يُصوِّرُ بعضها نقيضَ ذلك ، فالعبارةُ القرآنيةُ : ﴿ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴾ تعني كتاباً مُسطَّراً تُطلبُ قراءته من خلال تلك السطور .. والعبارةُ القرآنيةُ : ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ ، تعني يقرؤون نصّاً مكتوباً قد أُوتِيَ في يمينِ كُلِّ منهم ..

.. إذاً الرسول ﷺ كان يقرأُ القرآنَ الكريمَ كنصٍّ مكتوبٍ ، وإلاَّ كيفَ بنا أن نفهمَ قولَ الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] .. وكيف بنا أن نفهمَ قولَ الله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .. إننا نرى في هذه الآياتِ الكريمةِ كلمات من الجذر (ق ، ر ، أ) وليس من الجذر اللغوي : (ت ، ل ، و) ، فالقراءةُ هي تلاوةٌ من صحفٍ مرسومة ، بمعنى استقراء المعاني الكائنة بين سطور تلك الصحف المرسومة .. بينما التلاوة لا تُشترطُ بها الصحفُ المرسومة إلا إذا

تعلقت بكتابٍ أو بصحيفة .. يقول تعالى : ﴿ **آتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فهنا خُصَّتْ التلاوة بأنها تلاوة من كتاب ..

.. هذه الحقيقة نستطيع استنباطها - أيضاً - من قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ**

بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] .. فاكتمال وحي القرآن

الكريم هو رسم حروفه إضافة إلى تلاوة تلك الحروف المرسومة .. والله تعالى في هذه الآية

الكريمة : ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ** ﴾ ، يأمر رسوله ﷺ

بأن لا ينطق بتلاوة الحروف المرسومة التي كان يتزل بها جبريل عليه السلام عليه ﴿ **وَلَا**

تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ ، قبل أن يتم وحيه بأن يتلوها له جبريل : ﴿ **مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ**

إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ..

.. إذا القرآن الكريم كان يتزل رسماً وقراءةً على النبي ﷺ ، والله تعالى تعهد بحفظه

رسماً وقراءةً .. يقول تعالى : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة : ١٧] ، فالجمع :

﴿ **جَمْعُهُ** ﴾ يتعلق بالقرآن الكريم كحروف مرسومة ، وقراءته : ﴿ **وَقُرْآنَهُ** ﴾ تتعلق

بتلاوة تلك الحروف المرسومة ..

.. وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا**

لَارْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، يؤكد هذه الحقيقة .. فقبل نزول القرآن

الكريم لم يكن ﷺ يتلوا أي كتاب ولم يكن يخط أي كتاب بيمينه .. ولكن .. هل استمر

هذا بعد نزول النص القرآني عليه .. بالتأكيد لا .. فالكلمتان ﴿ **مِنْ قَبْلِهِ** ﴾ لم تُوضعا

عبثاً في هذه الآية الكريمة ، ولا يمكن أن تكونا حشواً لا فائدة منه .. فلو كان الأمر قبل

نزول النص القرآني كبعده بالنسبة لهذه المسألة ، لَمَا وردت هاتان الكلمتان ، أي لكانت

الآية الكريمة على الشكل : (**وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ**

الْمُبْطُلُونَ) ..

.. إذا بعد نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ أصبحت المسألة مختلفة عما كانت عليه قبل نزوله ، ولذلك نرى كلمتي : ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ في قلب هذه الآية الكريمة .. والقرآن الكريم يذكر لنا أن النبي ﷺ بعد نزول النص القرآني عليه كان يتلوا آيات الله تعالى : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق : ١٠ - ١١] ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴾ [البينة : ٢ - ٣] وهكذا نرى أنه بعد نزول النص القرآني أصبح ﷺ يقرأ القرآن كنص مكتوب ، ويتلو آياته ، ويأمر كتبة الوحي بأن يرسموا حروفه كما نزل بها جبريل عليه السلام من السماء ..

.. إذا .. الآية الكريمة ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكُمْ ﴾ إذا لَأَرْتَابَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، تُبين لنا أن الرسول ﷺ أصبح بالنسبة لهذه المسألة عكس ما كان عليه قبل نزول النص القرآني ..

.. واحتجاج بعضهم بهذه الآية الكريمة على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم تلاوة كتاب الله تعالى كحروف مرسومة بعد نزول النص القرآني ، هو جهلٌ بحقيقة صياغة هذه الآية الكريمة ، بحيث لا يستقيم تفسيرهم الخاطئ لها إلا بحذف الكلمتين : ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ .. واستشهادهم بهذه الآية الكريمة على عدم علم النبي ﷺ بحروف القرآن الكريم ، هو دليل واضح على أن الموروثات التفسيرية المؤطرة بأصنام التاريخ ، لم تكن في يومٍ من الأيام نتاجاً علمياً مستنبطاً من كتاب الله تعالى ..

وفي روايات الأحاديث ذاتها ما يُثبت أن القرآن الكريم كُتب بين يدي الرسول ﷺ ، وبأمره وإشرافه ، حيث كان ﷺ يأمر كتبة الوحي بكتابته .. لننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٤٦٠٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ بِاللُّوحِ وَالذَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالذَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ

.. أليست العبارة : [] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ

بِاللُّوحِ وَالذَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالذَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ [] ..

أليست دليلاً على أن القرآن الكريم كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ بأمرٍ منه وبإشرافه ؟!!! ..

فكيف - إذا - يزعم بعضهم أنه جُمِعَ بعد وفاة النبي ﷺ من صدور الرجال ؟!!! ..

.. وبإمكاننا أن نُدرك حقيقةَ علمِ الرسول ﷺ بالحروف المرسومة في كتابِ الله تعالى

، من سبيلٍ آخر هو رَسْمُ الكلمةِ في القرآنِ الكريمِ .. فَرَسْمُ الكلمةِ في القرآنِ الكريمِ سرٌّ

يحملُ من الحكمة ما لا يحيطُ به مخلوق ، وهو فوقَ كلِّ قواعدِ الإملاء التي وضعها البشر

.. وكنا قد رأينا في المحطّة الأولى كيف أن كلمة إبراهيم تُرسم في كتابِ الله تعالى برسمين

متمايزين ، ففي سورة البقرة تُرسم دون حرف ياء لتشير إلى اسمه عليه السلام قبل أن

يُنجب ، أي إلى الفترة من عمره التابعة للمرحلة الأولى في تدرّج الرسائل السماوية ،

وفي باقي القرآن الكريم بعد سورة البقرة تُرسم بحرف ياء لتشير إلى اسمه بعد أن أُنجب ،

أي إلى الفترة من عمره التابعة للحلقة الأولى من المرحلة الثانية في تدرّج الرسائل

السماوية ..

.. وهنا نسألُ من يُنكرُ كونَ رسمِ القرآنِ الكريمِ من عندِ الله تعالى ، ومن يُنكرُ علمَ

الرسول ﷺ بالحروف المرسومة في كتابِ الله تعالى ، وبأنها تمّت بأمره وإشرافه ، وأنها

رُسمت كما رآها ﷺ في اللوح المحفوظ .. من يُنكرُ كلَّ ذلك .. نسألُه السؤالَ التالي :

من الذي أمرَ كتابةَ الوحي أن يرسموا كلمة إبراهيم في سورة البقرة دون حرف ياء ، وفي

باقي القرآن الكريم بحرف ياء !!!؟ .. أليس الرسول ﷺ ؟ .. ألم نرَ أن هذا التمايز في الرسم هو لحكمة إلهية ، تتعلّق تعلقاً تامّاً بحكمة الله تعالى في تدرّج الرسالات السماوية وصولاً إلى الرسالة الخاتمة ؟ ..

.. ولنأخذ مثلاً آخر .. لو نظرنا إلى كلمة ضعفاء في كتاب الله تعالى لرأيناها ترد أربع مرّات ، وذلك برسمين متمايزين .. ترد مرتين كما نكتبها في رسمنا الإملائي : ﴿ **ضُعَفَاءُ** ﴾ ، لتصور لنا ضعفاء الدنيا .. يقول تعالى :

﴿ **أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٦٦]

.. ويقولُ تعالى :

﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٩١]

.. في هاتين الآيتين تُرسمُ كَلِمَةُ ﴿ **ضُعَفَاءُ** ﴾ كما هي في رسمنا الإملائي .. وهي كما نرى تصِفُ ضُعَفَاءَ الدنيا ، وكُلُّ إنسانٍ يتكلّمُ العربيّة يُدركُ أن هذين النصّين يصفان ضعفاء الدنيا ..

.. ولكن .. لو نظرنا في الآيتين التاليتين لرأينا فيهما كلمة ضعفاء تُرسمُ على الشكل ﴿ **الضُّعَفَاءُ** ﴾ ، أي على واو مهموزة .. ولو نظرنا في هذين النصّين لرأينا أنّها تصِفُ ضُعَفَاءَ الآخرة ، لا ضُعَفَاءَ الدنيا .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَبَرُّوْا لِلّٰهِ جَمِيْعًا فَقَالَ الضُّعْفَتُوْا لِلَّذِيْنَ اَسْتَكْبَرُوْا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قَالُوْا لَوْ هَدٰنَا اللّٰهُ هَدٰيْنٰكُمْ ۗ سَوَآءٌ عَلَيْنَا اَجْرَعْنَا اَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١]

.. ويقولُ تعالى ..

﴿ وَاِذْ يَتَحٰجُّوْنَ فِي النَّارِ فَيَقُوْلُ الضُّعْفَتُوْا لِلَّذِيْنَ اَسْتَكْبَرُوْا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنَّا نَصِيْبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ [غافر : ٤٧]

.. إذا التمايزُ في رسم الكلمة القرآنيّة ذاتها ما بين موضع وآخر ، ليس عبثاً ، وليس مصادفةً إنّما هو لحكمة إلهية مرادة تتعلق بالدلالات المحمولة في تلك الكلمات .. وهنا نسأل من يُنكرُ كونَ رسم القرآن الكريم من عند الله تعالى ، نسأله السؤال التالي : من الذي أمرَ كتبة الوحي أن يكتبوا كلمة ضعفاء في هاتين الآيتين بهذين الرسمين المتمايزين ، أليس الرسول ﷺ !!!؟ .. وهل من الممكن أن نتصوّرَ أن ذلك مُصادفة !!!؟ .. والقضيّة ذاتها نراها في رسم كلمة (دعاء) .. لقد وردت كلمة (دعاء) في كتاب الله تعالى (١٤) مرّة ، منها مرّة واحدة تُكتَبُ فيها على واو مهموزة ﴿ دُعُوْا ﴾ ، بما يختلف عن رسمنا الإملائي .. وهي كما نرى تُصوّرُ لنا دعاء الآخرة ..

﴿ وَقَالَ الَّذِيْنَ فِي النَّارِ لِحٰزِنَةٍ جَهَنَّمَ اَدْعُوْا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۗ قَالُوْا اَوْلَمْ تَاْتِيْكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ ۗ قَالُوْا بَلٰٓءِ ۗ قَالُوْا فَاَدْعُوْا ۗ وَمَا دُعُوْا الْكٰفِرِيْنَ اِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴾ [غافر : ٤٩ - ٥٠]

.. وفي كلّ المواضع الأخرى تُرسمُ كما هي في رسمنا الإملائي (دعاء) ، لتصوّر لنا دعاء الدنيا .. وبإمكان أيّ إنسان أن يعودَ إلى رسم كتاب الله تعالى ليرى هذه الحقيقة .. وهنا نسأل من يُنكرُ كونَ رسم القرآن الكريم من عند الله تعالى ، نسأله السؤال التالي : من الذي أمرَ كتبة الوحي أن يكتبوا كلمة دعاء في هذه الآية الكريمة بهذا الرسم المتمايز ، أليس الرسول ﷺ !!!؟ .. وهل من الممكن أن نتصوّرَ أن ذلك من المصادفة !!!؟ ..

.. والأمثلة في ذلك كثيرة ، فبعض الكلمات القرآنية تُرسمُ بشكلين مُتمايزين ، بحيث يصفُ كُلُّ شكلٍ من هذين الشكلين دلالاتٍ لها خصوصيتها التي تُميزها عن الدلالات التي تصفها ذاتُ الكلمة بالشكل الآخر .. وقد بينتُ في كتيبي الكثير من الأمثلة التي تُثبت لمن يملك ذرةً من عقلٍ أو منطقٍ أنّ رسمَ القرآن الكريم توقيفيٌّ بأمرٍ من الله تعالى ، وأنه رُسم بين يدي الرسول ﷺ وبأمرٍ وتوجيهٍ مباشرٍ منه كما هو تماماً في اللوح المحفوظ ،

..

.. وكنا قد بينا في النظرية العددية المُستنبطة من كتاب الله تعالى ، عبر أجدية قرآنية مُستنبطة من كتاب الله تعالى ، كنا قد بينا أنه يستحيلُ تبديلُ حرفٍ قرآنيٍّ مرسومٍ بحرفٍ آخر ، فضلاً عن أنه يستحيلُ حذفه أو زيادته ، وذلك دون أن تختل الموازين المطلقة المتعلقة بالحرف المرسوم في كتاب الله تعالى ..

.. وهذه الحقائق لا تتعارضُ أبداً مع مفهوم الأمية كما يصفها القرآن الكريم ، لا كما تُعرفها موروثاتنا التاريخية .. ففي كتاب الله تعالى وحينما نُجرّد المعنى عن سياقه القرآنيّ المحيط ، فإنّ الأميّ في مسألة ما يُعرفُ بأنه : من لم يقتبس من المجتمع المحيط أيّ علمٍ أو ثقافةٍ في تلك المسألة ، ويبقى بعيداً عن تأثير المجتمع المحيط فيما يخص تلك المسألة ..

.. ففي مسألة العلم بالكتاب السماوي ، يُعرفُ الأميُّ بأنه من لم يقتبس هذا العلم ، أي هو من يوضعُ في مقابل من أوتي الكتاب السماوي .. يقول تعالى ..

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَاسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠]

.. فالأميون هنا هم من لم يؤتوا علمَ الكتاب السماوي .. وليس من المعقول في شيء أن تكون رسالة الله تعالى موجهةً للذين أُوتوا الكتاب والذين لا يقرؤون ولا يكتبون دون باقي البشرية ، وهي ذاتها الرسالة التي أرادها الله تعالى للبشرية جمعاء .. إذاً .. كلمة ﴿

وَالْأُمِّيِّينَ ﴿ في هذه الآية الكريمة ، تعني من لم يُتوا عَلِمَ الكتاب السماوي ، ولا تعني - بأي شكلٍ من الأشكال - الذي لا يقرؤون ولا يكتبون ..
.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٨ - ٧٩]

.. فهؤلاء الذين يقول الله تعالى عنهم : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴾ لا يمكن الجزم بأنه لا يوجد بينهم من لا يستطيع الكتابة ، ولا يمكن الجزم بأنهم ليسوا من المعنيين بقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ .. إذا المعنيون بهذه الآية الكريمة وُصِفُوا بِالْأُمِّيِّينَ نتيجة عدم علمهم الحقيقي بالكتاب السماوي مع أنهم أنزل إليهم الكتاب السماوي .. وبالتالي فمسألة الأمية - كما نرى - مُجرّدة عن مسألة القراءة والكتابة ..

.. والرسول ﷺ كان بفطرته نقياً ، ولم يتأثر بثقافة المجتمع المحيط فيما يتعلق بعبادة الأصنام ، وبالتالي كان أمياً .. وأيضاً كان أمياً بالنسبة لمسألة القراءة والكتابة .. فلم يتعلم من المجتمع المحيط علم القراءة والكتابة .. ولكن .. بعدما أتته الرسالة تعلم لغة السماء وإملاء السماء ، بوحى من السماء بعيداً عن البشر وقواعد إملائيهم .. وبالتالي بقي أمياً بما تحمل الكلمة من معنى ، لأنه ﷺ لم يقتبس هذه العلوم من المجتمع المحيط ..
.. فعندما نزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ حاملاً قول الله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥]

.. حين ذلك تعلم ﷺ لغة السماء بإلهام مباشر من الله سبحانه وتعالى ، بعيداً عن قواعد لغة البشر وآليات تعلمهم .. وبالتالي لم يفقد ﷺ أميته ..

.. والذين يحتجون بأن أمية الرسول ﷺ هي بمعنى عدم علمه للقراءة والكتابة مدى حياته ، تُفيد عدم إعطاء مبرر لاتهم النبي ﷺ بأنه كتب القرآن الكريم دون وحى من السماء .. هؤلاء بكلامهم هذا يتهمون القرآن الكريم بأنه لا يحمل من الإعجاز إلا ما يتناسب مع السوية العلمية عند الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ، وكأن الذين يقرؤون ويكتبون يستطيعون الإتيان بمثله .. وهذا استخفاف بالعقول ، وتجييش للعوام بهدف محاربة الحقائق الجليلة التي يحملها كتاب الله تعالى ..

.. إذاً .. القرآن الكريم كتب بين يدي الرسول ﷺ وبأمر منه وبإشرافه وبالصورة

ذاتها التي في اللوح المحفوظ ، وهذا ما نستشفه أيضاً من قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ

مُجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ [البروج : ٢١ - ٢٢] .. ففي كتاب الله تعالى تُستخدم

كلمة لوح للكتابة كحروف مسطرة .. يقول تعالى في وصف سيرة موسى عليه السلام

مع قومه : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ

فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف :

١٤٥] .. ويقول تعالى في ذات السيرة : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ

الْأَلْوَابَ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ..

وهكذا نرى أن قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مُجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ [البروج :

٢١ - ٢٢] ، يؤكد أن القرآن الكريم موجوداً رسماً في لوح محفوظ ، وبالتالي فرسمه جزء

من منظومته الإعجازية ..

إذاً .. كان الوحي يتزل على النبي ﷺ بالقرآن الكريم رسماً وقراءة ، وكان النبي ﷺ

يأمرُ كتبة الوحي بأن يكتبوه رسماً كما رآه ﷺ ، وكان يتلو حروفه كما سمعها من الوحي

.. أما ما كان ينطق به ﷺ خارج النص القرآني وما كان يفعله ويقره ، فلم يُكتب أبداً

بين يديه ﷺ .. فالذي كان يُكْتَبُ هو النصُّ القرآنيُّ فقط .. وهذه الحقيقة واضحةٌ جليّةٌ في روايات الحديث التي بين أيدينا .. وهناك الكثير من الروايات التي تُؤكِّدُ هذه الحقيقة بشكلٍ لا لبس فيه ، نختارُ منها - على سبيل المثال لا الحصر - الروايات التالية ..

مسلم (٥٣٢٦) :

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

مسند أحمد (١٠٦٦٣) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

أحمد (١٠٦٧٠) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكْتُابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ أَكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتُابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ قُلْنَا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُوا عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ

الدارمي (٤٥١) :

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي
شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُحْهُ

الدارمي (٤٥٢) :

أَخْبَرَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ
أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ يَكْتُبُوا عَنْهُ فَلَمْ يَأْذَنْ
لَهُمْ

إذا .. كان أمرُ النبي ﷺ هو عدمُ كتابةِ أيِّ شيءٍ عنه سوى القرآن الكريم ، ولم يُردِّ
ﷺ أن يُكتبَ عنه سوى القرآن الكريم ، وأمر أن يُحرَقَ ما كتبه بعضهم ممَّا سمعه من النبي
ﷺ من غير القرآن الكريم .. فالروايات التي تؤكدُ هذه الحقيقة واضحة جلية في ذلك ..

.. وما يُلبَسُ على الحقيقة وما يُدرُّ من رمادٍ في الأعين لكي لا تُبصرَ الحقيقة ، هو
زعمُ بعضهم أن هذه الروايات التي تأمرُ بعدمِ كتابةِ الحديث عن الرسول ﷺ إنما كانت في
بداية الدعوة كي لا يختلطَ الحديث بالقرآن الكريم ، وأن النبي ﷺ عاد فأباح الكتابة ،
مُستشهدين ببعض الروايات التي لا تحمل ما يذهبون إليه لا من قريب ولا من بعيد ، إلا
بعد تأويلها تأويلاً يتناقضُ مع مجمل الروايات التي تؤكدُ أن الحديث لم يُكتب أبداً بين
يديه ﷺ .. لننظر في الروايتين التاليتين ..

البخاري (٢٢٥٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ
أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ
لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ
قَبْلِي وَإِنَّهَا أَحَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي فَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا يُخْتَلَى
شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا
أَنْ يُقَيَّدَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبِيوتِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ إِلَّا الْإِدْخِرَ فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا
رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسلم (٢٤١٤) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ
بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ
فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنِ مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ
لِأَحَدٍ بَعْدِي فَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا يُحْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ وَمَنْ قُتِلَ لَهُ
قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلَّا الْإِدْخِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَأَبَا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْإِدْخِرَ فَقَامَ أَبُو شَاهٍ
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
اَكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ
الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. إننا نرى بوضوح أن الاستشهاد بمثل هذه الروايات على أنه ﷺ أباح كتابة

الحديث عنه ، هو استشهاد ليس بمكانه على الإطلاق .. فما أبيض في هذه الروايات - إن
صحّت - هو خصوصية لرجل في كتابة خطبة خاصة ، ما كانت لتكتب لولا أن ذلك
الرجل طلب هذه الكتابة ، كما نرى بوضوح من خلال هذه الروايات ..

.. الكتابة الواردة في هذه الرواية هي لأبي شاه خاصة ، وذلك بعد أن طلب هو ذلك

، وبعد أن أباح الرسول ﷺ أن يكتبوا له ، وهذا لا يعني أبداً أنه كان يكتب ما ينطق به
النبي ﷺ .. فلو كانت الكتابة عن النبي ﷺ شائعة ، وأن هذه الخطبة ستكتب بطبيعة الحال
دون أن يُبيح الرسول ﷺ كتابتها ، لو كان الأمر كذلك ، لما طلب أبو شاه خصوصية في

ذلك ، ولما قال الرسول ﷺ **[[اكتبوا لأبي شاه]]** .. وبالتالي فهذه الرواية لا تُسَعْفُ – أبداً – ما يذهبون إليه من أن الحديث كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ .. بل على العكس .. هذه الرواية تُؤكِّدُ أنه حتى خطبة الجمعة لم تكن تُكتب ، وهذا ما دفع أبا شاة لأن يطلب من النبي ﷺ خصوصية خاصة له هي كتابة خطبة تلك الجمعة ..

.. واستشهدهم بالرواية التالية على أنه ﷺ أباح كتابة الحديث عنه ، ليس سليماً ولا بأي شكلٍ من الأشكال ..

سنن الدارمي (٤٨٤) :

أَخْبَرَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَخْنَسِ قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرِّ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ وَقَالَ أَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ

.. هذه الرواية التي يستدلون بها على إباحة كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ ، ليست صحيحة على الإطلاق ، لأنها تناقضُ مجمل الروايات الأخرى التي تُؤكِّدُ – بشكلٍ لا لبس فيه – أن النبي ﷺ هُمى عن كتابة الحديث بين يديه ، وتناقضُ مجمل الروايات التي تُؤكِّدُ أن الحديث لم يُكتب أبداً بين يدي الرسول ﷺ ، وأنه خرج من الدنيا دون أن يُكتب الحديث عنه .. والأهم من كل ذلك أنها تُناقضُ حقيقة السنة الشريفة كونها متعلقة بتفصيل كليات كتاب الله تعالى التي نزلت على مدار (٢٣) عاماً ، وليس دفعة واحدة من السماء ..

.. لقد بينا كيف أنه ليس كل ما نطق به الرسول ﷺ سنة مفصلة لكليات كتاب الله تعالى ، فهناك ما نطق به وما فعله ﷺ كنبى وليس كرسول .. وبالتالي فكتابة كل ما نطق به النبي ﷺ – كما يُزعمُ في هذه الرواية – هي فعلٌ يسيءُ إلى السنة الشريفة ويخلطها بما لا يمت إليها بشيء ، فكم نطق ﷺ في مواقف لم ينزل النص القرآني المناسب لها لحظة ذلك

النطق ، أي كم نطقُ بأمورٍ ليست من الشريعة ، وذلك بسبب عدم نزول النصِّ القرآني المناسب لحظة ذلك النطق ..

.. كيف يستشهدون بمثل هذه الرواية التي تناقضُ مجمل الروايات التي تُؤكِّدُ أنه ﷺ أمرَ بعدمِ كتابةِ الحديثِ عنه وتوَكَّدُ أنه حُرِّقَ ما كتبه بعضهم .. ومع كلِّ ذلك .. كيف يكون كلُّ ما نطقَ به ﷺ من الله تعالى وسنَّةٍ يجبُ اتِّباعُها ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. أليس إذنه ﷺ للمعنيين بهذه الآيةِ الكريمة نُطقاً حَرَجَ مِنْ فِيهِ ؟ .. فكيف إذاً يكون هذا النطقُ سنَّةً مُرادَةً من الله تعالى ، في الوقتِ ذاته الذي يُعاتبُ الله تعالى نبيَّه على ذلك .. أيُّ عقلٍ سليمٍ يستطيعُ تصوّرَ ذلك ؟ !!! ..

ألم يُقرَّ ﷺ بأن يتزوَّج الرجل من امرأة أبيه بعد موت أبيه ، وذلك قبل أن ينزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء :

٢٢] ، فما هي الخدمة التي سيقدمها عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو للسنة الشريفة في كتابته المزعومة في هذه الرواية الموضوعية ، إن كتب هذا الإقرار للنبي ﷺ !!! .. وما هي الخدمة التي سيقدمها عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو للسنة الشريفة في كتابته المزعومة في هذه الرواية الموضوعية وذلك حينما يكتب إقرار النبي ﷺ بأن يجمع الرجل بين الأختين قبل تحريم ذلك في كتاب الله تعالى !!!؟ أليست كتابة ذلك هي مخالفة للسنة الشريفة التي هي تفصيل لكليات

النصِّ القرآني ؟ .. ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤

[؟ .. وما الفائدة من كتابة كلِّ ما نطقَ به ﷺ ؟ .. ولماذا لا تُوجد الآن نسخة واحدة ممَّا كتب عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أو رواية واحدة فيها مجردُ إشارة إلى أنَّها منقولة عن صحيفة كتبها عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو !!!؟ .. المسألة من أوَّها إلى آخرها مُلفَّقة في رواية موضوعية يُدركُ حقيقةَ وضعها كُلُّ من يدركُ حقيقةَ دلالات كتاب الله تعالى وحقيقة السنة الشريفة مطَّلعاً على مجمل الروايات التي بين أيدينا ..

وحتى لو سلمنا - جدلاً - بصحة هذه الرواية ، أليست الكلمتان **[[فَتَهْتَنِي قُرَيْشٌ]]** في عبارات هذا الحديث **[[عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ]]** ، أليست تعنيان أن قريشاً لم تكن تكتب الحديث عن النبي ﷺ ، وإلا لما نهته ؟!!! .. فكيف إذا يمكن الاستشهاد بهذه الرواية على كتابة الحديث في عصر النبي ﷺ كمبدأ يُخطب به على المنابر لذر الرماد في الأعين ، في الوقت الذي رأينا فيه الكثير من الروايات التي تنهى عن كتابة الحديث عن النبي ﷺ ، دون أن نرى أي عبارة - في هذه الروايات - تشير ولو مجرد إشارة إلى أن هذا النهي كان في بداية الدعوة من أجل ألا يختلط الحديث بالقرآن ، وأن هذا النهي انتهت صلاحيته في نهاية الدعوة ؟!!! ..

.. ومع كل ذلك .. أين هو الحديث الموجود بين أيدينا والذي تُشيرُ صياغته اللغوية (ولو مجرد إشارة) إلى أنه كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ ، أو في عصره ، أو حتى في عصر غيره ، وذلك من أي صحيفة من الصحف التي يُزعم أنها كُتبت في العصر الأول أو حتى في العقود اللاحقة ؟!!! ..

.. نعود فنقول : هل هناك رواية واحدة بين أيدينا يُشار فيها مجرد إشارة إلى أنها نُقلت من الخطبة التي يُقال بأنها كُتبت لأبي شاة أو مما كان يكتبه عبدُ اللهِ بنِ عمرو أو من غيرهما ؟!!!! ..

.. إذا العبارة المنسوبة إلى الرسول ﷺ في الرواية التي رأيناها **[[أَكْتُبُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ]]** ، مُلفقة على الرسول ﷺ ، بمعنى أنه ﷺ لم يسمع بها ، ووضعت لتمرير ما نهى الرسول ﷺ عنه ... فالحديث من أوله إلى آخره موضوع نبية إعطاء عابدي أصنام التاريخ ما يتكئون عليه لاحقاً (بعد وضعه) للإساءة لمنهج الله تعالى ، ولوضع برزخ بين أبناء الأمة وبين حقيقة كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. مع كل ذلك .. لو طلقنا عقولنا ، ورمينا خلف ظهورنا ، كل الروايات التي تُؤكِّدُ أنَّ الحديث لم يُكتب بين يدي النبي ﷺ .. لو طلقنا عقولنا وصدقنا أنَّ الأحاديث كتبت بين يدي النبي ﷺ ، وجمعت في صحفٍ معروفة .. ما الضمان أنَّها لم تُحرَّف ولم تبدل ولم تتمَّ الزيادة فيها والنقصان ، عندما جمعت الروايات ووضعت في الصحاح بعد قرون من وفاة النبي ﷺ !!!؟ .. أليست المسافةُ الكبيرةُ بين وفاة النبي ﷺ وبين عصر التدوين ، بما حملت من حروبٍ وصراعاتٍ وتعصُّبٍ واستحواذٍ للسلطة ، وقَطْعٍ لأعناق رجال الجليل الأوَّل وما تبعه على أيدي إخوانهم ، أليست هذه المسافةُ الكبيرةُ بما حملت من فتنٍ وحروبٍ تكفي لأن يحدثَ تدليسٌ وافتراءٌ يُنسبُ إلى النبي ﷺ ، من أجل الانتصار لتلك العصبِيَّات ؟ ..

.. إنَّ المقولةَ بأنَّ النبي ﷺ إنَّما نهي عن كتابة الحديث عنه في بداية الدعوة حتى لا يختلطَ بالقرآنِ الكريم ، ثمَّ عاد فسمحَ بكتابة الحديث عنه لاحقاً .. هذه المقولةُ وُضعتُ من أجل ذرِّ الرماد في الأعين ، وهي استخفافٌ بالعقول ، وتلبيسٌ على الحقيقة ... فهذه المقولةُ التي يدندن بها عابِدو أصنام التاريخ ، تنقضُّها أيُّ من الحقائق التالية ..

١ - لم ينقطعَ نزولُ القرآنِ الكريمِ حتى وفاة النبي ﷺ .. وبناءً على حجَّتهم الباطلة لا بدَّ أن يستمرَّ النهي عن كتابة الحديث ما دام النبي ﷺ حيًّا ، لأنَّه حسب الحجَّة الواهية التي يُقدِّمونها لذرِّ الرماد في الأعين ، من الممكن أن يختلطَ الحديث بالقرآن في أيِّ وقتٍ من حياة النبي ﷺ حتى وفاته .. فكيف من الممكن أن يختلطَ الحديث بالقرآن في بداية الدعوة ، ولا يختلط في نهايتها .. وهل صياغةُ القرآنِ الكريمِ الذي نزلَ في نهاية الدعوة تختلفُ عن صياغةِ القرآنِ الكريمِ الذي نزلَ في بدايتها !!!؟ .. أيُّ عقلٍ يُمكنه أن يقبلَ حجَّتهم هذه ، وخصوصاً بعد أن يطَّلِعَ على الروايات التي ينهى فيها الرسول ﷺ عن كتابة أيِّ شيءٍ عنه سوى القرآنِ الكريمِ !!!؟ ..

٢ - نحنُ نعلمُ أنَّ صياغةَ القرآنِ الكريمِ مُعجزةٌ من الله سبحانه وتعالى يتحدَّى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثلها ، ولا يستطيعُ بشرٌ الإتيانَ بمثله ، سواءً شخص النبي ﷺ أم غيره .. وهناك آياتٌ عديدةٌ تصفُ النصَّ القرآنيَّ معجزةً مستحيلَةً على المخلوقات .. مع هذه

الحقيقة .. أليس زعمهم باختلاط الحديث بالقرآن الكريم هو إساءة لصياغة النصّ القرآني ، واتّهام لها بأنّها لا تختلف عن صياغة البشر بحيث يتمّ الخوف من اختلاطها بصياغة كلام البشر حتى عند كتابة الوحي ذاتهم ؟ ..

فكيف نقولُ للآخرين انظروا في صياغة النصّ القرآني كم هو مُعجز ، وكيف أنّه يستحيلُ على البشر أن يصوغوا نصاً من مثله ، ثمّ بعد ذلك نقولُ لهم هُم النبيُّ ﷺ عن كتابة الحديث عنه حتى لا يختلط مع القرآن عند كتابة الوحي ذاتهم ، بمعنى أنّ كتابة الوحي ذاتهم لا يستطيعون التمييز بين النصّ القرآني وبين نصّ الحديث ؟!!! ..

٣ - لو سُمحَ للصحابة في نهاية الدعوة بكتابة الحديث عن النبي ﷺ كما يُزعم ، لَمَا امتنع الصحابة عن كتابته بعد وفاة النبي ﷺ قروناً من الزمن ، ولَمَا أحرقوا ما كتبه بعضهم .. فليس من المعقول أن يمنعوا ما أقرّه الرسول ﷺ ..

.. لننظر في الرواية التالية والتي ترد في جامع بيان العلم وفضله ، ونحوه في تقييد العلم ، و

طبقات ابن سعد :

[[أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله تعالى فيها شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله تعالى له ، فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً ..]]

.. المقولة المنسوبة لعمر بن الخطاب في هذه الرواية [[أن عمر بن الخطاب أراد أن

يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها]] تبين بما لا يقبل الشك أن السنن لم تكن مكتوبة آنذاك ..

أليست هذه الرواية دليلاً على أن السنة لم تكن مكتوبة في عصر عمر بن الخطاب ؟ .. وكل ذلك تؤكده الرواية التالية التي ترد في جامع بيان العلم وفضله (لأبي عمر يوسف

بن عبد الله النمري القرطبي) :

[[أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أراد أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن

لا يكتبها ، ثم كتب في الأمصار : من كان عنده شيء فليمححه]] ..

.. ما نراه في هذه الرواية أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة **[[أن عمر بن**

الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أراد أن يكتب السنة]] ، وليس أراد أن يدون السنة ،

أو أن يجمع الأوراق المكتوبة ، فالسنة (كما تقول هذه الروايات) لم تكن مكتوبة أصلاً

..... ولننظر إلى الرواية التالية في تقييد العلم للخطيب البغدادي :

[[أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ،

حدثنا عبد الله بن روح المدايني ، حدثنا شبابة ، حدثنا أبو زبر ، حدثنا القاسم بن محمد أن عمر بن

الخطاب بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب ، فاستنكرها ، وكرهها ، وقال : ((أيها الناس ،

إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ؛ فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين

أحد عنده كتاب ، إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي ، قال فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ،

ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ؛ فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : أمانة

كأمانة أهل الكتاب .

أخبرنا عبد الملك بن محمد ، أخبرنا عمر بن محمد الجمحي ، حدثنا علي بن عبد العزيز ،

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القرشي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن يحيى بن جعدة

((أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ؛ ثم كتب في

الأمصار : من كان عنده منها شيء فليمححه . واللفظ لحديث سعيد .)) ..

.. العبارة التي نطق بها عمر بن الخطاب : **[[إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم**

كتب]] لا شك أنها تشمل كتب في السنة الشريفة ، فالعبارة **[[أن عمر بن الخطاب**

أراد أن يكتب السنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها]] ، في السياق التالي ، مع باقي الروايات

، تؤكد أن المعني هو كتابة السنة ..

وكون هذه الروايات منقطعة ، حيث الراوي لم يسمع مباشرة من عمر ، لا يجعلنا

نُعرض عن مضمونها ، فعدم كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ ، وفي الأجيال الأولى ، هي

حقيقة جلية تتكامل كل الأدلة في إثباتها ، ونحن في إثباتنا لهذه الحقيقة نملك الكثير من الأدلة ..

.. وسنرى بإذن الله تعالى في محطة قادمة كيف أن الرواية المنقطعة (التي يظهر فيها الانقطاع) ، فيها من الصدق ما هو أكثر من الرواية التي يُوهَمنا فيها الراوي أنه سمع ممن لم يسمع منه ، وذلك حسب تعريفهم هم لأحد وجهي التدليس ، كما ورد تعريفه في كتاب : (مقدّمه ابن الصلاح) : **[[أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه ، موهماً أنه سمعه منه .]]** !!!؟ ..

.. ولو نظرنا في العبارة المنسوبة لعمر بن الخطاب في هذه الرواية **[[ثم كتب في الأمصار : من كان عنده منها شيء فليمححه]]** ، والعبارة المنسوبة إليه **[[ثم كتب في الأمصار : من كان عنده شيء فليمححه]]** .. لرأينا أنّهما تنقضان كل المزاعم التي تقول بوصول الحديث إلينا مكتوباً ؟ .. فهل كان عمر بن الخطاب سيفعل ذلك لو أن الرسول ﷺ أباح كتابة الحديث عنه كما يزعمون !!!؟ ..

ولو كانت هذه الكتب قد كتبت بين يدي النبي ﷺ كما يفترى عابِدو أصنام التاريخ ، فكيف يفسرون لنا قول عمر في هذه الروايات **[[إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب]]** !!!؟ .. ألا يعني ذلك أن هذه الكتب ظهرت له بعد أن لم تكن ظاهرة ؟ .. ألا يعني ذلك نفيًا قاطعاً لكونها كتبت بين يدي النبي ﷺ ؟ .. أم أن عمر بن الخطاب لا يعلم ما يقوله المطبلون والمزمرّون بكتابة الحديث في عصر النبي !!!؟ ..

ثم كيف يتم الافتراء بأن ما حصل بعد قرون هو تدوين الحديث وليس كتابته !!!؟ .. أليست هذه الروايات تنفي نفيًا قاطعاً كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ بأي شكل من أشكال الكتابة ؟ .. أم أنه لا بدّ من تضعيف كل هذه الروايات حتى لا يسقط قولهم بكتابة الحديث في عصر النبي ﷺ ؟ ..

.. إنّ منهجنا في البحث هو ما يأمرنا الله تعالى به ، وهو عدم رفع أي نص خارج دفتي كتاب الله تعالى إلى مستوى اليقين الذي نرى به كتاب الله تعالى ، وذلك عملاً بقوله

تعالى ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] ، وفي الوقت ذاته لا نقول كل ما ورد في الروايات ليس صحيحاً ، فمعيارنا في الصحة هو موافقة متنها لكتاب الله تعالى والعقل والمنطق .. وحتى لو حصلت موافقة الرواية لكتاب الله تعالى وللعقل والمنطق ، تبقى هذه الرواية ظنيّة الثبوت ، ولا ترتقي إلى مستوى العلم اليقيني ..

.. ونحن نستشهد بهذه الروايات لأنّ متنها يتوافق مع ماهية الحديث كونه مجموعاً من أفواه الرجال ، وكون متنها يتوافق مع أحاديث وردت في البخاري وفي سنن أبي داود وفي مسند أحمد وغيرهم ، تؤكد أنّ النبي ﷺ لم يترك إلا ما بين دفتي الكتاب ، كما سنرى إن شاء الله تعالى ..

.. وكنا قد رأينا في المحطة السابقة كيف أنّهم قالوا : [] فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه ، فإنه حديث باطل لا أصل له . [] .. فهذا الحديث الموافق لكتاب الله تعالى وللمنطق والعقل يقولون عنه بأنه باطل لا أصل له ، لأنّه يهدم ما يذهبون إليه .. وفي ذلك نرى كيف أنّ العصبية تغلب على المنهج العقلي العلمي الذي يأمر الله تعالى به في جعل كتاب الله تعالى معياراً لما هو دونه ..

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ

دُونِهِ مُلْتَحِداً ﴾ [الكهف : ٢٧]

.. ونقول : ما هو المعيار الذي يجعل من يُضعف رواية ما (أو يقويها) انتصاراً لعصبية ما ، أكثر صدقاً من روايتها ؟!!! .. فهل سمع من يُضعف هذه الروايات (أو يقويها) ، هل سمع بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] ؟ ..

إذا كان النبي ﷺ ذاته لم يكن يعلم الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة الذين

عاشوا معه في ذات المكان والزمان ، فكيف إذا لرجال أن يُضعفوا (أو يُقوّوا) رجلاً ورواياتٍ بحيث يكون رأيهم في ذلك مطلقاً ينتج عنه إدخال نصوصٍ إلى المقدّس أو إخراج نصوصٍ من المقدّس ؟!!! .. المسألة كلّها مبنية - كما سنرى إن شاء الله تعالى - على تركية رجال لرجال ، وهي مسألة من أولها إلى آخرها ظنيّة الثبوت ، ولا ترتقي أبداً إلى مستوى العلم ..

.. إن معيارنا لمثل هكذا روايات لم ترد في كتب الصحاح كما يصنّفون ، هو موافقتها لدلالات كتاب الله تعالى وللعقل والمنطق ، شأنها شأن ما ورد في الصحاح .. ونحن لا نرفع أيّ رواية مهما كانت وفي أيّ صحيح كانت ، لا نرفعها إلى مستوى اليقين المطلق الذي نرى به كتاب الله تعالى كما يصنعون ، وبالمقابل قد نرى في رواية ضعيفة حسب معاييرهم ، قد نرى فيها الصحة إن كانت موافقة لكتاب الله تعالى وللعقل والمنطق .. فالرواية هي في النهاية رواية ، ولا يمكنها أبداً أن ترتفع إلى مستوى اليقين ..

.. ونحن نأتي بالروايات ليس على أنّها مقدّماتٌ مطلقة ، فبرهاننا هو من كتاب الله تعالى ، ولكننا نأتي بمحمل الروايات لتبيان أنّها تحوي المتناقضات ، وبالتالي كيف أنّهم لا يستطيعون الاعتماد على مجملها في إثبات ما يريدون ، وهذا يؤكّد أنّ تلك الروايات لم تكن مكتوبة بين يديه ﷺ ، فلو كانت مكتوبة بين يديه ﷺ لما رأينا ما نراه من تناقض ..

.. لننظر إلى الروايتين التاليتين :

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ
إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَكْتَبُ

سنن أبي داود : (٣١٦٢) :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ قَالَ دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ
زَيْدُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرْنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئاً مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ

هذه الروايات شأنها شأن غيرها من الروايات الأخرى ، لا بدّ من النظر إليها من منظار كلبية الروايات وبنويّتها .. وإن أراد بعضهم تضعيفها عبر تضعيف بعض رواها ، فإنّ ذلك لا يختلف كثيراً عن تقوية الرواة الآخرين ، وذلك في معيار قوله تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢] ، فالمضعّف والمقوّي ليسا معصومين ، ولربّما يكون المضعّف أضعف ممّن ضعفه ..

فعلى سبيل المثال وفي الحديث الأخير في سنن أبي داود ، إن قال قائل كثير بن زيد ضعيف ، فإنّ هذا القول هو - في النهاية - رأيي بشريّ لا يصل إلى مرتبة العلم .. وتضعيف راوي في رواية لا يقتضي نقض تلك الرواية إن كانت متوافقة مع مجمل الروايات ومع كتاب الله تعالى وثواب العقل والمنطق .. وبالمقابل فإنّ تقوية راوي في رواية لا يجعلها صحيحة إن كانت متناقضة مع كتاب الله تعالى ومع مجمل الروايات وثواب العقل والمنطق ..

.. نحن نقول : تصنيف البشر إلى شياطين لا يعرفون الصدق ولا يمكنهم أن يكونوا صادقين ولا مرّة في حياتهم ، أو إلى ملائكة لا تعرف الكذب والنسيان والتعصّب ، هذا كلّه تنطّع وإعراض عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّوا أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ٤٩ - ٥٠] ، وهذا كلّه تحكّمات بشرية ليست مجردة عن الانتماءات المختلفة .. فهذه كلّها روايات ظنيّة الثبوت ، سواء الضعيف منها - حسب معاييرهم - والقوي ، ولكننا نأتي بها كإشارة تتكامل مع باقي الأدلة الدامغة - كما سنرى - إن شاء الله تعالى ..

.. إذا .. مع النصّ الذي رأيناه في سنن أبي داود : [[دَخَلَ زَيْدٌ بَنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلْنَا يَكْتُبُهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ]] ، كيف يُزعم أنّ النبي ﷺ أباح كتابة الحديث عنه في نهاية الدعوة !!!؟ .. وكيف يفترّون على الناس فيقولون الحديث كُتب بين يدي النبي ﷺ وما تمّ لاحقاً هو تدوينه وجمعه في كُتب !!!؟ .. وكيف يُغمضون أعينهم عن

هذه الروايات الجليلة بامتناع الصحابة بعد وفاة النبي عن كتابة الحديث ؟!!! .. ولماذا وضع أبو داود هذه الرواية في سننه إن كانت كتابة الحديث في عصر النبي أمراً بديهياً لا شك فيه كما يطبلون ويزمجرون ؟!!! .. أم أن زيد بن ثابت وأبا داود لم يعلما بما يطبل به الآن من يذهبون إلى كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ ؟!!! ..

.. بناءً على كل ذلك ، كيف بنا أن نفهم دلالات الحديث الموضوع التالي :

البخاري (١١٠) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ عَنْ أَخِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

.. كيف كان عبد الله بن عمر يكتب الحديث عن الرسول ﷺ ، في الوقت الذي أمر فيه الرسول ﷺ بأن لا يكتب الحديث عنه كما رأينا : [[دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ]] ؟!!! .. كيف كان عبد الله بن عمر يكتب الحديث عن الرسول ﷺ ، وعمر وغيره يحرق - بعد موت النبي ﷺ - ما كتبه بعضهم كما رأينا ؟!!!!!! ..

ثم كيف يكون القول المنسوب لأبي هريرة في البخاري : [[مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ]] ، كيف يكون صحيحاً وأبو هريرة - كما رأينا - في الحديث كان : [[لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتُبُ]] ..

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتُبُ

.. إن كانت كتابة الحديث عن الرسول ﷺ ممكنة كما يُفترى على لسان أبي هريرة حيث كان عبد الله بن عمر يكتب كما يُزعم ، فلماذا لا يُكتب أبو هريرة الحديث عن الرسول ﷺ !!!؟ ..

العبارة **[[لا يُكْتَبُ]]** قد يجدوا لها تخریجاً بأنه كان لا يجيد القراءة والكتابة ، ولكن لماذا كان أبو هريرة **[[وَلَا يُكْتَبُ]]** ، لماذا لا يُكْتَبُ إن كانت كتابة الحديث عن الرسول ﷺ هي بأمر منه !!!؟ .. بل كيف وصلتنا أحاديث أبي هريرة مكتوبةً - كما يزعمون - في الوقت الذي كان فيه أبو هريرة **[[لَا يُكْتَبُ وَلَا يُكْتَبُ]]** !!!؟ ..

ولو فرضنا جدلاً ومجازاةً لأوهام من لا يريدون معرفة الحقيقة ، لو فرضنا جدلاً أن ابن عمر - أو غيره - كان يكتب الحديث عن النبي ﷺ ، فلماذا لا يكون ما كتبه قد حُرق مع الذي حرقه عمر وغيره !!!؟ ..

.. طبعاً الرواية ملفقة من أولها إلى آخرها ، شأنها بذلك شأن القول الملفق على لسان عبد الله بن عمرو بأن النبي ﷺ قال له : **[[اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ]]** .. والاستشهاد بمثل هاتين الروایتين مع العلم بالأحاديث الأخرى التي تبين بشكك لا لبس فيه أن الحديث لم يُكتب بين يدي الرسول ﷺ ، وأن عمر وغيره حرق ما كتبه بعضهم كما يرد في بعض الروايات ، هذا الاستشهاد هو ابتعادٌ عن منهج البحث العلمي ، وذراً للرماد في الأعين ، ودليلٌ على أن أصحاب المنهج التراثي الجمعي لا يسرون على أيّ منهجٍ بحثٍ سليم .. فالروايات التي يحتجون بها هي في معيار المنطق والبحث العلمي السليم ، هي أضعف من الروايات التي يضعفونها ..

٤ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتب في عصر الرسول ﷺ ، لوصلنا - نصوصاً - بالتواتر ، ولما اختلفت الأمة لاحقاً في تلك الروايات ، ولما كان هناك اختلافٌ لدرجة التناقض بين روايات الحدث الواحد ، كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى .. فوصول معظم الحديث إلى عصر التدوين كروايات آحاد يكفي للقول بأنه لم يُكتب في عصر النبي ﷺ ..

.. وهنا نتوجه للذين يزعمون أن الحديث كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ كالقرآن الكريم .. نتوجه إليهم بالسؤال التالي : لماذا وصلت إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى نصوصاً موثقةً رسماً ، دون أن تُسبقَ بالكلمات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ، قال فلان ؟!!! .. وفي الوقت ذاته لماذا لم تصل إلينا روايات الأحاديث إلا مسبوقةً بهذه الكلمات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ؟!!! .. ألا يعني ذلك أن الآلية التي وصلت من خلالها إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى ، وهي الكتابةُ بين يدي الرسول ﷺ وبإشرافه كما هو في اللوح المحفوظ ، تختلف عن الآلية التي وصلت إلينا بها رواياتُ الأحاديث ، وهي جمع تلك الروايات من أفواه الرجال بعد قرون من موته ﷺ ..

.. إن ما نراه في روايات الأحاديث التي بين أيدينا أنها تبدأ بالعبارات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ، قال فلان ، سمع من فلان في الوقت الذي لا نجد فيه روايةً تبدأً بالعبارة : هذا مما نُقلَ من صحيفة كُتبت بين يدي الرسول ﷺ .. وكلُّ ذلك ينفي كتابتها بين يدي الرسول ﷺ ، ويؤكدُ بشكلٍ لا لبس فيه أنها أخذت من الأفواه عن طريق السماع ..

٥ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتِبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لَمَا كان هناك ما يُسمى بعلم الحديث ، ولَمَا كان له أيُّ معنى ، فَعَلِمَ الحديث هو القواعد والطرق التي أُتبعَتْ في جمع الحديث من أفواه الناس وليس من صحفٍ مكتوبةٍ بين أيديهم ، وذلك للتمييز بين الصحيح منها وبين الموضوع أو الضعيف ، وهذا يؤكدُ أن الحديث وصل إلينا من أفواه الناس ، وأنه لم يصل إلينا عبر نصوصٍ كُتبت - كالقرآن الكريم - بين يدي الرسول ﷺ ..

.. ما قيمة ما يُسمى بعلم الجرح والتعديل إن كانت الروايات مكتوبة بين يدي الرسول ﷺ ؟!!! .. ولماذا كان معظمُ اهتمام علوم الحديث بالسند دون المتن إن كان الحديث قد كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ ؟!!! ..

٦ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لتناقضَ ذلك مع حقيقةِ السنةِ الشريفة ، كونها تبيناً لما نزلَه اللهُ تعالى في كتابه الكريم .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [

النحل : ٤٤]

.. فكتابةُ كلِّ ما يقولُهُ ويفعله ﷺ ، يُحدثُ خلطاً بين ما فعله ﷺ كسنة ، وبين ما فعله كنيٍّ وكشخص .. وقد بيَّنا هذه الحقيقةَ بشكلٍ جليٍّ .. وبالتالي فالزعم بأنَّ الحديث كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ ، ناتجٌ عن جهلٍ بحقيقةِ السنةِ الشريفة ، وعن جهلٍ بعدم التمييز بين صفتي الرسول والنبي في شخصه ﷺ ..

٧ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنَّ الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لتعارض ذلك مع كونِ حفظِ الله تعالى مقصوراً على حفظِ النصِّ القرآني ، دون أيِّ نصٍّ آخر ، يقولُ تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ..

.. وكنا قد بيَّنا أنَّ السنةَ الشريفةَ وُصِفَت بالذکر : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وأنها وُصِفَت متعلقةً بصيغةِ الإنزال ، وليس بصيغةِ التثريد .. فالعبارة القرآنية ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ واضحةٌ جليةٌ في وصفِ السنةِ متعلقةً بصيغةِ الإنزال ، والعبارة القرآنية ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ واضحةٌ جليةٌ في وصفِ القرآن الكريم متعلقةً بصيغةِ التثريد ..

.. وقلنا إنَّ النصَّ القرآنيَّ هو الوحيد الذي نزلَه اللهُ تعالى من عنده (بصيغةِ التثريد من الفعل نَزَلَ) ، في حين يشترك مع باقي الكتب السماوية بصفةِ الإنزال (من الفعل أَنْزَلَ) .. وبيَّنا أنَّ قولَ تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، يصفُ لنا حفظَ الله تعالى للقرآن الكريم حصراً ، فكلمةُ الذکر هنا تعني القرآن الكريم حصراً ، بدليل تعلقها بصيغةِ التثريد وليس الإنزال .. وبيَّنا أنَّ حفظَ الله تعالى للسنةِ

الشريفة هو من باب كونها محتواة في النصّ القرآني الذي تكفل الله تعالى بحفظه .. فالسنة الشريفة المحفوظة هي المحتواة في النصّ القرآني المتزل من عند الله تعالى ، والذي تكفل الله تعالى بحفظه ، وليست نصّاً مستقلاً عن النصّ القرآني كما يسوق عابدهو أصنام التاريخ ..

.. والله تعالى يُحذّرنا من رفع أيّ نص غير النصّ القرآني إلى درجة الإيمان الكامل كما إيماننا بالنصّ القرآني : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] .. فالعبارة القرآنية ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ تعني النصّ القرآني دون غيره ، والعبارة القرآنية ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ تُبين لمن يملك إرادة فهم للحقيقة ، أنه لا يجوز لنا أن نُؤمن بأيّ نص غير النصّ القرآني ، إيماناً كاملاً موازياً لإيماننا بالنصّ القرآني ..

.. ومما لا شكّ فيه أن نصوصَ الروايات أتتنا بأدوات تاريخية لا تخلو من الأخطاء والأهواء كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى .. كلُّ ذلك يؤكّد أنّ النصّ الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه هو النصّ القرآني حصراً .. وبالتالي لا يمكن أن يكون نصّ الحديث قد كُتب بأمرٍ من الله تعالى وتحت إشرافه ﷺ ، كما يُلبّسون على الحقيقة ..

٨ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنّ الحديث كُتب في عصر الرسول ﷺ ، وأنّ نهي الرسول ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه إنّما كان في بداية الدعوة ، ثمّ عاد ﷺ ونسخ ذلك بإباحة هذه الكتابة في نهاية الدعوة .. لو كان ذلك صحيحاً لتعارض مع الظروف الصعبة التي مرّ بها ﷺ في بداية الدعوة في مكة ، حيث لم تكن كتابة الأحاديث في تلك الظروف الصعبة موضع تفكيرٍ من أحد .. ولو فرضنا - جديلاً - أنّ هناك نسخاً في هذا الأمر ، لكان النهي نسخاً للإباحة ، وليس العكس ، وذلك بدليل أنّ ما عليه جلّ الصحابة - بعد وفاة النبي ﷺ - هو عدم الكتابة وحرّف ما كتبه بعضهم ..

.. وهنا نريد أن نسأل الذين يُلبّسون على الناس بأنّ أمر النبي ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه إنّما كان في بداية الدعوة ، وأنّه ﷺ عاد وأباح الكتابة بعد أن استقرت الأمور ، نقول

لهم : هل أسلم أبو هريرة في بداية الدعوة أم في نهايتها وبعد أن استقرت الأمور ؟ .. وبناء على ذلك ماذا تقولون في الرواية التالية :

أحمد (١٠٦٧٠) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكْتُابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ أَكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتُابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ قُلْنَا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ فَإِنَّكُمْ لَا تَحَدَّثُوا عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ

وهنا نعود لنقول : حكاية تضعيف بعض الرواة من قبل بشرٍ آخرين ، هو ليس كلاماً مطلقاً ، وذلك مبنيٌّ - كما سنرى إن شاء الله تعالى في محطة قادمة - على مقدمات بشرية ليست خالية من الأهواء والأخطاء .. وقد يحلو لبعضهم تضعيف هكذا روايات عبر تضعيف بعض رواياتهم ، وذلك هروباً من استحقاق الحقائق الجلية التي تحملها هذه الروايات ... نحن نأتي بروايات من ذات المنظومة الفكرية التي يحتج بها الآخرون على مسائل تنقضها هذه الروايات ، ولا نأتي بها من جيوبنا أو من كتب المذاهب الأخرى والطوائف الأخرى ..

.. ونعود فنقول : تضعيف رجلٍ لراوٍ وسط رواة في رواية ما ، لا يعني أبداً نقض هذه الرواية ، إلا إن كان الرواة اللاحقين للراوي جهلة ينقلون عن كاذب دون أن يعلموا ذلك ، وفي هذه الحالة لماذا يأخذ منهم مخرج الرواية !!!؟ .. ولماذا مُخرج الرواية يضع في مسنده رواية إن كان متيقناً من عدم صحتها !!!؟ .. نعود فنقول : الروايات كلها ودون

استثناء هي ظنية الثبوت ، وتؤخذ بالمقاربة ، ولا يمكنها أن ترتقي إلى مستوى العلم واليقين الذي عليه كتاب الله تعالى ..

.. في هذه الرواية ، أبو هريرة يصف موقفاً مع النبي ﷺ ، وبالتالي كان أبو هريرة مسلماً ، ومعلوم أن أبا هريرة أسلم في نهاية الدعوة بعد أن استقرت الأمور وليس في بدايتها ، ويقول في هذه الرواية : إن النبي ﷺ قال محتجاً على كتابة الحديث عنه : **[[أَكْتَابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتَابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ]]** ؟!!!!!! .. فكيف إذا يتم التلبس على الناس بأنهم النبي ﷺ عن كتابة الحديث عنه إنما كان في بداية الدعوة ، وأنه عاد عن هذا النهي بعد أن استقرت الأمور ؟!!!!!! .. ألا يبين هذا الحديث أن النبي ﷺ عن كتابة الحديث عنه استمر إلى ما بعد إسلام أبي هريرة ، وأنه تم حرق ما كتب في نهاية الدعوة بأمر من الرسول ﷺ ذاته ؟!!!!!! .. أم أن أبا هريرة كان يسمع هدي النبي ﷺ ويكتبه قبل إسلامه ؟!!!!!! ..

.. ثم كيف نُوفِّق بين القول المنسوب لأبي هريرة في رواية أخرى يستشهدون بها على كتابة الحديث كما رأينا **[[مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ]]** من جهة ، وبين القول الذي ينسبه أبو هريرة ذاته إلى النبي ﷺ بأنه قال : **[[أَكْتَابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتَابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَّصُوهُ]]** وفي الوقت الذي يقول فيه أبو هريرة **[[فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ]]** من جهة أخرى ؟!!!!!! .. كيف ؟!!!!!! .. أم أن أبا هريرة في هذه الرواية هو رجل آخر غير أبي هريرة في الرواية الأخرى ؟!!!!!! .. أم علينا أن نُطَلِّق عقولنا ونغمض أعيننا عن هذه الحقائق كي لا نُتَّهَم بإنكار السنة الشريفة ؟!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

٩ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتبَ في عصر الرسول ﷺ ، لوصلتنا جميع خطبه ﷺ مسطورةً من صحفٍ كُتبت بين يديه ، أو على الأقل لوصلنا معظمها .. فكتابة خطب الجمعة أولى بالكتابة من تسطير أحداث جزئية محدودة .. لو كان زعمهم صحيحاً ، فأين هي النصوص التي تُسطرُ الكثير من خطب الجمعة التي ألقاها ﷺ في المدينة تسطيراً منقولاً من صحفٍ كُتبت بين يدي الرسول ﷺ !!!؟ ..

١٠ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتبَ في عصر الرسول ﷺ ، لتركزت شروط الصحة على المتن وليس على السند .. فكتابة الحديث عبر نصوص مدونة بين يديه ﷺ ، تجعل من مسألة السند مسألة ليست ذات قيمة .. ولكن ما نراه أن شروط الصحة عندهم تتركز على السند دون المتن ، وهذا يؤكد أن الحديث جُمع من أفواه الرجال ، وليس من نصوص مكتوبة بين يدي الرسول ﷺ ..

.. نعم .. لقد توفي النبي ﷺ ولم يُكتب عنه الحديث أبداً ... والحديث التالي يُبين

هذه الحقيقة بشكلٍ جلي ..

البخاري (٤٦٣١) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ

.. كيف يُعرضون عن الدلالات الواضحة وضوح الشمس في وسط النهار في هذا

الحديث : [[قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ

شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ

قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ]] !!!؟ ..

أم أنهم كانوا موجودين حينما سئل ابن عباس ومحمد بن الحنفية السؤال : [[أَتَرَكَ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ]] ، ويعلمون أكثر منهما عن حقيقة هذه المسألة

!!!؟ .. أم أنهم سيتنكرون لدلالات هذه الرواية التي تُفسد عليهم منهجهم التراثي الصنمي!!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ .. ولننظر في الحديثين التاليين ..

البخاري (٦٣٩٤) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكَ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

البخاري (٦٤٠٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ أَنَّ عَامِرًا حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ ح حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَدِّثُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكَ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

.. ومهما اخترعوا من تحريجاتٍ يأتون بها من جيوبهم ، لا يستطيعون أن يبنوا تأويلاتٍ على العبارة الواردة في هذين الحديثين : **[[وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ]]** ، لأن ما في هذه الصحيفة يُبينه العبارات الواردة في هذين الحديثين : **[[قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكَ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ]]** ..

.. ولا يستطيعون أن يبنوا - أيضاً - تأويلاتٍ على الحديث التالي ، فالعبارة الواردة

فيه : **[[وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ]]** ، يُبينها متن الحديث ذاته :

البخاري (٢٩٣٦) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ عَنِ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَنَا عَلِيٌّ فَقَالَ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَقَالَ فِيهَا الْجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى كَذَا فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى فِيهَا مُحَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ .. كيف يزعمون أن الحديث كتب بين يدي الرسول ﷺ ، في الوقت الذي يقرؤون

فيه الحديثين التاليين ..

أحمد (١٨١٠) :

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اللَّوْحَيْنِ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ وَكَانَ الْمُخْتَارُ يَقُولُ الْوَحْيُ

أحمد (٦٦٨٦) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُودَعِ فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيُّ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيُّ ثَلَاثًا وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيَتْ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ وَعَلِمْتُ كَمْ حَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَتَجُوزُ بِي وَعُوفِيَتْ وَعُوفِيَتْ أُمَّتِي فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ

.. نهاية الحديث - كما نرى - نصُّ يُنسَبُ إلى الرسول ﷺ هو : [[فاسمَعُوا

وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ]] ، وهذا النصُّ ينفي وجودَ نصٍّ آخر مع نصِّ القرآن الكريم ، فالرسول ﷺ لم يقل : [[فاسمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ والحديث الذي بين

أيديكم أحلوا حلالهما وحرّموا حرّامهما]] .. إنّما يقول : **[[فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ]]** ..

.. لننظر في الحديث التالي :

أبو داود (٣١٦٣) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ عَنِ الْحَدَّاءِ عَنِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنِ أَبِي

سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ مَا كُنَّا نَكْتُبُ غَيْرَ التَّشْهَدِ وَالْقُرْآنِ

.. إذا .. مجمل هذه الأحاديث يؤكد أنّ ما كان يكتب في عصر النبي ﷺ هو النصّ القرآني حصراً .. وحتى لو فرضنا جدلاً صحة زعمهم بوجود صحف كتبت فيها الحديث بين يدي الرسول ﷺ ، فإن هذه الصحف المزعومة لا قيمة لها في عملية التدوين بعد قرون ، بدليل عدم وجود رواية منقولة من أيّ من تلك الصحف ... وما هو الضمان أنّها لم تُحرّف ولم تبدّل ولم تتمّ الزيادة فيها والنقصان ، عندما جمعت الروايات بعد قرون من وفاة النبي ﷺ ؟ !!! .. أليست المسافة الكبيرة بين وفاة النبي ﷺ وبين عصر التدوين ، وما حملت من حروب وصراعات وتعصّب واستحواذ للسلطة ، أليست تكفي لأن يحدث تدليس وافتراء يُنسب إلى الرسول ﷺ ، من أجل الانتصار لتلك العصبية من لم يدرك أنّ جعل الروايات المكذوبة على لسان الرسول ﷺ سنة تُفرض على منهج الله تعالى ، من لم يدرك أنّ هذا الجعل هو كفرٌ بجوهر منهج الله تعالى ، ولا يختلف عن تحريف ما حرّف في الرسائل السابقة ، سوى أنّ الله تعالى قد حفظ النصّ القرآني من التحريف ، من لم يدرك ذلك فهو أعمى البصيرة وجاحدٌ بآيات الله تعالى ولقائه ، ومن المعنيين بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥]

.. ونحن حينما نستشهد ببعض الروايات على صحة ما نذهب إليه ، فإنَّ استشهدنا - كما نرى - ليس انتقائياً ، فنحن نتكئ في برهاننا على كتاب الله تعالى ، وهذه الروايات تأخذ مصداقيتها من موافقتها لكتاب الله تعالى .. ما قدمناه من برهان قرآني يكفي لإثبات صحة ما نذهب إليه .. لكنَّ الروايات التي تُوافق دلالات كتاب الله تعالى نستشهد بها لنثبت أنَّها تناقض روايات أخرى يستشهد بها الآخرون ، وهذه الروايات الأخرى ليست صحيحة بسبب أنَّها تناقض كتاب الله تعالى ، وليس بسبب أنَّها لا تخدم ما نذهب إليه كما يتوهم التائهون ، فمعيارُ صدق الرواية عندنا هو موافقتها لكتاب الله تعالى .. وأعتقد أنه لا يوجد مسلمٌ صادقٌ بإسلامه لا يريدُ كتاب الله تعالى معياراً للروايات ..

.. إنَّ الأحاديث التي تُثبت أنَّ الحديث لم يُكتب بين يدي الرسول ﷺ كثيرة ، ولا داعي لذكرها في هذا السياق ، وقد ذكرنا جزءاً منها .. والحقائق القرآنية التي تُثبت أنَّ القرآن الكريم كُتب بين يدي الرسول ﷺ وبأمرٍ مباشرٍ منه وكما هي صورته في اللوح المحفوظ ، هذه الحقائق كثيرة وقد بيَّنا جزءاً منها ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .. ما هو المناخُ الفكري والاجتماعي بعد وفاة النبي ﷺ ؟ .. وما علاقة ذلك بتطبيق المنهج ؟ .. بمعنى آخر .. ما هي حدودُ تفاعلِ أفراد الجيلِ الأوَّل مع المنهج وتبليغِهِ ؟ .. هذا ما سنحاول - إن شاء الله تعالى - الإجابة عليه في المحطة القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الخامسة

((المنهج ورجالات الجيل الأول))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. بعيداً عن العواطف الهوجاء ، وبحثاً عن الحقيقة ، وخدمةً لمنهج الله تعالى ، سننظرُ من منظار العقل المجرد الذي يأمرنا الله تعالى بتفعيله وعدم تطبيقه .. سننظرُ إلى تفاعلِ رجالات الجيل الأول مع منهج الله تعالى ، وإلى حقيقة ما حصل آنذاك .. هادفين من ذلك تحري الحق ومعرفة ما لبسَ ويلبسُ على الحقيقة .. عاملين بأمرِ الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. منذ وفاة النبي ﷺ بدأت الصراعات تظهرُ جليةً بين رجالات الجيل الأول ، وبدأت تبلورُ اتجاهاتٌ مختلفةٌ تماماً حول الكثير من القضايا ، سواءً كان ذلك على صعيد إدراك المنهج ، أم على صعيد البعد الدنيوي .. هذا الكلامُ لا تأتي به من جيوبنا ، إنما هو حقيقةٌ موجودةٌ في روايات الأحاديث ذاتها ، ويستطيعُ قراءتها كلُّ باحثٍ عن الحقيقة .. لننظر في الرواية التالية في صحيح البخاري ومسلم ومسنند أحمد ، لنرى هذه الحقيقة ..

البخاري (٥٢٣٧) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا
عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوهُ بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ
فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوهُ بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ
فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَعَطِهِمْ

مسلم (٣٠٩١) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ
الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا
حَضَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمُّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوهُ بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ
الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا
لَنْ تَضِلُّوهُ بَعْدَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمُوا قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَكَانَ ابْنُ
عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ
يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَعَطِهِمْ

أحمد (١٤١٩٩) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عِنْدَ مَوْتِهِ بِصَحِيفَةٍ لِيَكْتُبَ فِيهَا كِتَابًا لَا يَضِلُّونَ بَعْدَهُ قَالَ فَخَالَفَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى رَفَضَهَا

.. ما بين : **[[قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** وما تصفه العبارة **[[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عِنْدَ مَوْتِهِ بِصَحِيفَةٍ لِيَكْتُبَ فِيهَا كِتَابًا لَا يَضِلُّونَ بَعْدَهُ]]** من جهة ، وما بين : **[[حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ]]** ، بمعنى لا تقرّبوا ، وما تصوّره العبارة **[[فَخَالَفَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى رَفَضَهَا]]** من جهة أخرى .. ما بين هذين الموقفين اختلاف لا يُمكنُ إغماضُ الأعين عنه .. هذا الاختلاف والنبِيُّ ﷺ ما زال على قيد الحياة .. وكيف بنا أن نفهم العبارة الواردة في هذا الحديث : **[[فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمُوا]]** .. إذا كان هناك لغو واختلاف في مسألة تُعدُّ من صلب التشريع ، نعم من صلب التشريع ، وإلا كيف بنا أن نفهم العبارة الواردة في هذا الحديث : **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** ..

.. ثم كيف بنا أن نفهم العبارة الواردة في هذه الرواية على لسان عمر بن الخطاب : **[[إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ]]** ، لماذا هنا حسبنا كتاب الله ، وفي مسائل أخرى تُقدّم الروايات على أن منها ما ينسخ القرآن الكريم ، ومنها ما يُقيّد أحكامه .. ثم كيف يُوفّقون بين تفسيرهم هم لقوله تعالى : **﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾** [النجم : ٣] ، وبين عدم تمييزهم بين صفتي الرسول والنبى في شخصه ﷺ ، وبين قولهم بأن السنّة تشمل كل ما قال ﷺ من جهة ، وبين العبارة الواردة على لسان عمر بن الخطاب : **[[إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ**

الْوَجْعُ]] ؟!!! .. فإذا كان الرسول ﷺ يغلبُ عليه الوجد لدرجة أن قوله : **]] هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ]]** ، يُقابل بالرفض ، فكيف إذا نأخذُ بعدَ قرونٍ من الزمن ومن أفواه الرجال كُلِّ ما يُقال أنه قيل عن الرسول ﷺ ؟!!! .. أم أن الرواية ليست صحيحةً من أساسها ؟ .. لا شك أن مثل هذه الرواية يطرحُ أسئلةً مشروعةً لكل من لم يُطلقَ عقله ..

.. وبعد وفاة النبي ﷺ بدأت هذه الخلافات بين أفراد الجليل الأول تبلور وتظهر فوق

السطح ، وفي الرواية التالية بيان في ذلك ..

مسلم (٣٣٠٤) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ أَخْبَرَنَا حُجَيْنٌ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عَقِيلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا نُورَثُ مَا تَرَكَنا صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَالِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيَّ فَاطِمَةَ شَيْئًا فَوَجَدْتُ فَاطِمَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ قَالَ فَهَجَرْتَهُ فَلَمْ تَكَلِّمُهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَمَّا تُوفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيُّ وَكَانَ لِعَلِيِّ مِنَ النَّاسِ وَجْهَةٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوفِّيَتْ اسْتَنْكَرَ عَلِيُّ وَجْوهَ النَّاسِ فَالْتَمَسَ مُصَالِحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَايَعِ تِلْكَ الْأَشْهُرَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَبِي بَكْرٍ أَنْ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحَدِّكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي إِنِّي وَاللَّهِ لَا تَبِينُهُمْ

فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَمَا
 أَعْطَاكَ اللَّهُ وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَكِنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ وَكُنَّا نَحْنُ
 نَرَى لَنَا حَقًّا لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ
 عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي وَأَمَّا النَّبِيُّ شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ فَإِنِّي لَمْ
 أَلْ فِيهَا عَنْ الْحَقِّ وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا
 صَنَعْتُهُ فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي بَكْرٍ مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ رَقِيَ عَلَيَّ
 الْمُنْبِرِ فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلَّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ وَعُدْرَهُ بِالَّذِي اعْتَدَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ
 عَلِيُّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَيَّ الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ
 وَلَا إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى لَنَا فِي الْأَمْرِ نَصِيبًا فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا بِهِ فَوَجَدْنَا فِي
 أَنْفُسِنَا فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا أَصَبْتَ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ الْأَمْرَ
 الْمَعْرُوفَ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا وَ
 قَالَ الْأَخْرَانِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ أَنَّ فَاطِمَةَ
 وَالْعَبَّاسَ أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاتَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمَا حِينَئِذٍ
 يَطْلُبَانِ أَرْضَهُ مِنْ فَدَكٍ وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرَ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ ثُمَّ قَامَ عَلِيُّ
 فَعَظَّمَ مِنْ حَقِّ أَبِي بَكْرٍ وَذَكَرَ فَضِيلَتَهُ وَسَابِقَتَهُ ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَى
 عَلِيٍّ فَقَالُوا أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ فَكَانَ النَّاسُ قَرِيبًا إِلَى عَلِيٍّ حِينَ قَارَبَ الْأَمْرَ الْمَعْرُوفَ

.. حسب هذه الرواية ، فاطمة بنت النبي ﷺ لم تكلم أبا بكر حتى توفيت ، ولما
 توفيت دفنها زوجها عليُّ بن أبي طالب ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وبعد أن توفيت
 التمس عليُّ مصالحة أبي بكر ومبايعته ، لأنه لم يكن قد فعل ذلك حتى تلك اللحظة ،
 وأرسل عليُّ إلى أبي بكر أن ائتنا ، ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب
 .. هذه مواقف مذكورة في هذه الرواية ، وتبين لنا أن الحالة بين أفراد الجيل الأول لم تكن

بأحسن حال كما يُخَطَّبُ على الكثير من المنابر .. إذا كان الأمر هكذا في روايات تنتمي لذات المنهج الفكري الداعي إلى مكيحة أفراد الجيل الأول ، فكيف إذا يكون الأمر في واقعِهِ ومن مناظير أكثر تجرداً ... ومن المستحيل تأويل هذه العبارات الواردة في هذه الرواية ، وجمعها مع روايات تذهب نقيض هذه المواقف ، إلا بإخراج مثل هذه الرواية وغيرها من الصحاح ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف أن المناخ بين بعض أفراد الجيل الأول لم يكن كما يُصوِّره الكثيرون ، وأن الخلافات كانت تأخذ طابعاً سياسياً يُوظَّفُ فيه الدين - في الكثير من الأحيان - لصالح المصالح السياسيّة ..

البخاري (٤٤٥٣) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ كَانَ مَرْوَانَ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةَ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئاً فَقَالَ خُذُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ عُنْدِي

.. لأنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ شَيْئاً مِمَّا لَا يُرِيدُهُ مُعَاوِيَةَ ، لأجل ذلك قال مروان : **[[خُذُوهُ]]** .. ولا شك أن ما قاله عبد الرحمن بن أبي بكر هو ضد مبايعة يزيد

بالخلافة بعد أبيه معاوية ، ولو كان هناك اعتبار لقول الله تعالى : **﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾** [الشورى : ٣٨] ، ولقوله تعالى : **﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾** [الجن : ١٨] ، لو كان هناك ذرّة اعتبار لأحكام الله تعالى لما حصلت هذه

الحادثة من أساسها ، ولما طُورِدَ عبد الرحمن بن أبي بكر حتى دخل بيت عائشة .. لو كان هناك ذرّة اعتبار لقوله تعالى **﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾** لما بويع - أصلاً - ليزيد بالخلافة

بعد أبيه معاوية ، وكما تحولت الدولة المحسوبة على الإسلام إلى دولة ملكية يُولّد الرجلُ فيها من رحم أمّه أميراً للمؤمنين ..

.. إذاً الخلافُ ليس على عدد الركعات اليومية ، ولا على تفسير آيةٍ من كتاب الله تعالى .. الخلاف كان على السلطة .. أي على أمورٍ دنيويةٍ لا علاقة لها بمنهج الله تعالى ، بل تخالف منهج الله تعالى جملةً وتفصيلاً .. ألا نرى في هذه الرواية أن عائشة تُكذّب مروان في مسألة أسباب نزول القرآن الكريم .. ألا نرى في هذه الرواية أن مروان يتّهم عبد الرحمن بن أبي بكر بالكفر الصريح الذي يذكره القرآن الكريم .. وإلا كيف بنا أن نفهم العبارات التالية من هذه الرواية : **[[فَقَالَ مَرَوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا أَتَعَدَانِنِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ عُدْرِي]]** .. أليس أبطال هذه القصة كلّهم من أفراد الجيل الأول .. !!؟

.. ولو نظرنا في الكامل في التاريخ لابن الأثير ، لرأينا - في موضوع هذا الحديث - نصاً أكثر وضوحاً في الإعراض عن المبدأ القرآني : **﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾** ، وفي تحويل هذا المبدأ - على أرض الواقع - إلى نظامٍ ملكي قسريّ ، لا علاقة له بالإسلام وتعاليمه ، لا من قريب ولا من بعيد ..

[[فقام مروان فيهم وقال : إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه يزيد بعده ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : (كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ، ما الخيار أردتما لأمة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية ، كلما مات هرقل قام هرقل) ، فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا ﴾ فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت : (يا مروان يا مروان) ، فأنصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن أنه

نزل فيه القرآن ! ، كذبت ، والله ما هو ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله [] ..

.. ولننظر إلى الرواية التالية لنرى كيف أنّ أفعال الصحابة وأقوالهم فيها الخطأ ، ولا تُعبر بالضرورة عن تجسيد للسنة الشريفة أو عن تجسيد لأحكام كتاب الله تعالى ..
موطأ مالك (الحدود) :

و حَدَّثَنِي مَالِكٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ أُتِيَ بِامْرَأَةٍ قَدْ وَلَدَتْ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُرْجَمَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْهَا إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا وَقَالَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ فَالْحَمْلُ يَكُونُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ فَلَا رَجْمَ عَلَيْهَا فَبِعَثَّ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي أَثَرِهَا فَوَجَدَهَا قَدْ رُجِمَتْ

.. هل رجم امرأة بريئة هو سنة مجرد أن هذا الفعل قام به صحابي من رجال الجليل الأول ، لماذا لا تكون هذه القصة - وغيرها الكثير - دليلاً على أنّ أفعال الصحابة وأقوالهم لا تُعبر بالضرورة عن السنة الشريفة ، حتى وإن كان أحدهم من الخلفاء الراشدين ؟!!! .. ولننظر في الرواية التالية لنرى أيضاً أنّ أفعال الصحابة ليست بالضرورة تجسيدا لسنة أو قرآن ..

سنن الدارمي (١٤٤) :

أَخْبَرَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيعٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُنْتَشَابِ الْقُرْآنِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيعٌ فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ فَضْرَبَهُ وَقَالَ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي

.. إننا لا نجد في نص هذه الرواية من ذنب لهذا الرجل إلا أنه سأل سؤالاً عن مسألة موجودة في كتاب الله تعالى ، فالعبارة التي تُصوّر فعل هذا الرجل هي أنه كان : [] يسأل

عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ] ، والسؤال عن مسألة موجودة في كتاب الله تعالى ليس أمراً محدثاً ، بل إن تدبر كتاب الله تعالى يقتضي السؤال عن كل أمرٍ يحمله كتاب الله تعالى ..

.. وحتى بوجود روايات تذكر أن صبيغاً العراقي قدم مصر يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين ، وأن عمرو بن العاص بعث به إلى عمر بن الخطاب لمعاقبته على ذلك ، حتى لو كان ذلك صحيحاً ، فإن سؤاله هذا عن مسائل موجودة في كتاب الله تعالى ، ليس جريمة وليس محدثةً عقوبتها أن يُدعى رأسُ السائل ... ولماذا لم نر في الروايات إجابةً على أسئلته تلك ؟!!! .. فلماذا لا تكون الإجابة على أسئلته حلاً بديلاً عن ضربه بعراجين النخل ؟!!! .. واختراع أي ذنبٍ آخر لهذا الرجل كتبريرٍ لضرب رأسه بعراجين النخل حتى إدمائه ، لا تُسعه الصياغة اللغوية لهذه الرواية ..

.. فهل هذه الرواية بهذه الحيثية من الصياغة موضوعية ، أم أنها صحيحة وهي سنةٌ نضربُ غيرها كل من يسأل عن مسألة قرآنية ، أم أنها حادثة لا علاقة لها بالسنة والدين لا من قريب ولا من بعيد ؟ .. إنها أسئلةٌ مشروعةٌ لمن لم يُطلق عقله ..

.. ولننظر في الحديث التالي كيف أن عمر لم يقنع بقول عمار في مسألة من صلب الدين ، وعاش أحداثها عمر وعماراً سوياً ، وتعود أحداثها إلى عصر النبي ﷺ ، وللنبي ﷺ قولٌ بها .. على الرغم من كل ذلك ، يأمر عمر عماراً بعدم الحديث بها ... ولننظر كيف يستجيب عمار لعمر في ذلك ، فيعرض عماراً على عمر عدم الحديث بها ، على الرغم من أنه يحدث بمسألة عاشها هو وعمر سوياً ، وينقل بها عماراً قول الرسول ﷺ ؟!!!! ..

مسلم (٥٥٣) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمِ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدِ الْقَطَانَ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَكَمُ عَنْ دَرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً فَقَالَ لَا تُصَلِّ فَقَالَ عَمَّارٌ أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكْتُ فِي الثَّرَابِ وَصَلَّيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ ثُمَّ

تَمَسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَيْكَ فَقَالَ عُمَرُ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَّارُ قَالَ إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ قَالَ الْحَكَمُ وَحَدَّثَنِيهِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَرزَةَ عَنْ أَبِيهِ مِثْلَ حَدِيثِ ذُرِّ قَالَ وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ عَنْ ذُرِّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ الَّذِي ذَكَرَ الْحَكَمُ فَقَالَ عُمَرُ نُؤَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ سَمِعْتُ ذُرًّا عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَرزَةَ قَالَ قَالَ الْحَكَمُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَرزَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ قَالَ عَمَّارُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شِئْتَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا وَلَمْ يَذْكُرْ حَدَّثَنِي سَلَمَةُ عَنْ ذُرِّ

البخاري (٣٣٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَآبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَّمُّ وَيُصَلِّي فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَّمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ رُحِصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَّمَّمُوا الصَّعِيدَ قُلْتُ وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضْرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهْرَ شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَّارٍ وَزَادَ يَعْلَى عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَآبِي مُوسَى فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَّارٍ لِعُمَرَ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَنِي أَنَا وَأَنْتَ فَأَجْنَبْتُ فَتَمَعَّكْتُ بِالصَّعِيدِ فَآتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّيَهُ وَاحِدَةً

.. ألا تدلُّ هذه الرواية - والكثير غيرها - على أن أفراد الجيل الأول هم ذاهم لم

يقنع بعضهم بحديث بعضهم ، حتى في مسائل عاشوها معاً ، ومن صلب الدين ، وتنسب

إلى الرسول ﷺ ؟!!!!!! .. فكيف يكون الأمر إذاً بعد قرونٍ من موتهم ، وبعد حروبٍ بدأت بينهم وأحرقت الأخضر واليابس ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. وللنظر في الرواية التالية لنرى - أيضاً - الخلاف في مسائل الدين والثقة والنقل

بين أفراد الجيل الأول ..

مسلم (٢٢٠٠) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةَ عَائِشَةَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ الضُّحَى فِي الْمَسْجِدِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فَقَالَ بَدَعَةٌ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرْبَعٌ عُمَرَ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَكَرِهْنَا أَنْ نُكْذِبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ أَلَا تَسْمَعِينَ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعٌ عُمَرَ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ

.. من الواضح وضوح الشمس أن الرواة يتهمون عبد الله بن عمر بالكذب المتعمد

في مسألة يعلمها ، فقولهم في هذه الرواية : **[فَكَرِهْنَا أَنْ نُكْذِبَهُ وَنَرُدَّ عَلَيْهِ]** يؤكد ذلك .. وقول عائشة في نهاية الرواية يؤكد ما يذهب إليه الرواة : **[فَقَالَتْ وَمَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعٌ عُمَرَ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَقَالَتْ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ]** ..

.. إما أن هذه الرواية صحيحة وبالتالي قد ينقل رجال الجيل الأول عن النبي ﷺ أموراً

ليست صحيحة ، وسواءً كان ذلك متعمداً أو نسياناً فالنتيجة واحدة .. أو أن هذه الرواية

ليست صحيحة ، وبالتالي لا يُمكننا الاعتمادُ على مثل هذه الروايات في أخذ الأحكام دون معايرة حقيقيّة على كتاب الله تعالى ..
.. ولننظر إلى قول معاوية ، كيف أنّه يُحدِّثُ من الأحاديث التي في غير عصر عمر بن الخطاب ..

مسلم (١٧١٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ الدَّمَشَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْيَحْصَبِيِّ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يُخِيفُ النَّاسَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ مَنْ يَرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَيُبَارِكْ لَهُ فِيهِ وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ

.. مع قول معاوية في هذا الحديث : **[[إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ**

[[، مع هذا القول ، ماذا نفعل في قول أبي هريرة في تذكرة الحفاظ حينما سأله أبو سلمة السؤال التالي : أكنت تحدث في زمان عمر هكذا ؟ فأجابه أبو هريرة : **[[لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخففته]]** .. ومع قول معاوية في هذا الحديث : **[[إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ إِلَّا حَدِيثًا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ]]** ، ماذا نفعل في قول أبي هريرة في جامع بيان العلم وفضله : **[[لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدرّة]]** !!!؟ ..

.. فهل آلاف الأحاديث التي رُوِيَتْ عن أبي هريرة بعد وفاة عمر بن الخطاب ، وبعد ذهاب الخوف من الضرب بالدرّة وبالمخفقة ، هل هي ليست صحيحة عملاً بنصيحة معاوية !!!؟ .. أم أنّ هذه الرواية موضوعة !!!؟ .. وفي الحالتين .. كيف بنا أن نعدّ مثل هذه الروايات نصوصاً من المقدّس !!!؟ ..

.. كيف بنا أن نُصورَ أفرادَ الجليل الأول بأنهم كانوا يأخذون بكلِّ ما يسمعونَه من بعضهم عن الرسول ﷺ ، في الوقت ذاته الذي نقرأ فيه الحديثَ التالي ..

مسلم : (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا الْمَعْنَى

.. أليس المعنيون بقول أبي هريرة : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]] ، أليسوا من رجال الجليل الأول ، بل ومنهم من أخذ عنه مسلم ؟ .. ألا تحمل هذه الرواية شكاً من بعض رجال الجليل الأول بما كان يُحدِّثه أبو هريرة عن النبي ﷺ ؟ في هذه الرواية نرى صيغة المخاطب دون الغائب : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]]** ، إذا الذين كانوا يتهمون أبا هريرة بالكذب على الرسول ﷺ منهم راوي الحديث وغيره من رجال الجليل الأول الموجودين حينما تحدّث أبو هريرة بحديثه هذا .. فأبو هريرة لم يقل : **[[أَلَا إِنَّهُمْ يَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]]** ، إنما يقول : **[[أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَهْتَدُوا وَأُضِلَّ]]** ..

.. وبناءً على هذه الرواية في الصحاح ذاتها ، كيف يُمكننا أن نُنكرَ ما روي في

البداية والنهاية عن السائب بن يزيد إذ قال : **[[سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لست ركن الحديث عن رسول الله أو لألقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحمار : لست ركن الحديث عن الأول أو لألقنك بأرض القردة]]** ..

.. وبناءً على هذه الرواية في الصحاح ذاتها ، كيف يُمكننا أن نُنكر ما رُوِيَ في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي عن السائب بن يزيد إذ قال : [[أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة قال : قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ لقد أكثرت لتتهين أو لألحقنك بجبال دوس ...]] ..

.. أليس من الممكن أن يفهم من الرواية التالية أن الزبير يغمز من بعض من كان يُحدث عن الرسول ﷺ ..

البخاري (١٠٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ إِنِّي لَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يُحَدِّثُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

.. فالزبير في هذه الرواية يؤكد أنه لم يفارق الرسول ﷺ .. وعلى الرغم من ذلك لم يُحدث مثل فلان وفلان لأنه سمع الرسول ﷺ يقول : [[مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ]] .. ربّ قائل يقول لماذا نقرأ من هذه الرواية ما تذهب إليه من أن الزبير كان يغمز من الذين كانوا يروون في عصره عن النبي ﷺ .. نقول : لو قرأنا الروايات التالية لما كنّا سنستغرب الأمر ..

مسلم (كتاب المقدمة) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ سَعِيدٌ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ جَاءَ هَذَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي بُشَيْرَ بْنَ كَعْبٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ ثُمَّ حَدَّثَهُ فَقَالَ لَهُ عُدْ لِحَدِيثِ كَذَا وَكَذَا فَعَادَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا أَدْرِي أَعْرِفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَنْكَرْتَ هَذَا أَمْ أَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَعَرَفْتَ هَذَا فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكَذِّبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ تَرَكَنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ وَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا إِذَا رَكِبْتُمْ كُلَّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فَهَيِّهَاتَ وَحَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغِيلَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ يَعْنِي الْعَقَدِيَّ حَدَّثَنَا رَبَاحٌ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ جَاءَ بُشَيْرُ الْعَدَوِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْتُنِي لِحَدِيثِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ مَا لِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَسْمَعُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَدَرْتَهُ أَبْصَارُنَا وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِأَذَانِنَا فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذُّلُولَ لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ

سنن ابن ماجه (٢٧) :

حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا إِذَا رَكِبْتُمْ الصَّعْبَ وَالذُّلُولَ فَهَيِّهَاتَ

الدارمي (٤٢٧) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ حُجَيْرٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ جَاءَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَعِدْ عَلَيَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ قَالَ لَهُ بُشَيْرٌ مَا أَدْرِي عَرَفْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ وَأَنْكَرْتَ هَذَا أَوْ عَرَفْتَ هَذَا وَأَنْكَرْتَ حَدِيثِي كُلَّهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّا كُنَّا نَحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذِبُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذُّلُولَ تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ

الدارمي (٤٢٨) :

أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُنَانَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنَّا نَحْفَظُ الْحَدِيثَ وَالْحَدِيثُ يُحْفَظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَكِبْتُمُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ

مسلم (كتاب المقدمة) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَتَّابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَفَّانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمْ تَرَ الصَّالِحِينَ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَالَ ابْنُ أَبِي عَتَّابٍ فَلَقِيتُ أَنَا مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَقَالَ عَنْ أَبِيهِ لَمْ تَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَالَ مُسْلِمٌ يَقُولُ يَجْرِي الْكُذْبُ عَلَى لِسَانِهِمْ وَلَا يَتَعَمَّدُونَ الْكُذْبَ

.. إذا كان الناسُ قد ركبوا الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ وكذبوا على الرسول ﷺ منذ عصر ابن

عبَّاس ، وإذا كان أهل الخير تصفهم العبارة : **[[لَمْ تَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ فِي الْحَدِيثِ قَالَ مُسْلِمٌ يَقُولُ يَجْرِي الْكُذْبُ عَلَى لِسَانِهِمْ وَلَا يَتَعَمَّدُونَ الْكُذْبَ]]** ، فكيف إذا يكون الأمرُ في عصرِ تدوين الحديث ، وبعد انقضاء الفتن التي أحرقت الأضرار واليابس ؟!!! .. تترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الحديث التالي ..

أحمد (١٩٠٤٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَيُّ مُطَرِّفٍ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنِّي لَوْ شِئْتُ حَدَّثْتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ لَا أُعِيدُ حَدِيثًا ثُمَّ لَقَدْ زَادَنِي بَطْنًا عَنْ ذَلِكَ وَكَرَاهِيَةً لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَتْ كَمَا شَهِدُوا وَسَمِعَتْ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَا يَأْلُونَ عَنِ الْخَيْرِ فَأَخَافُ أَنْ يُشَبَّهَ لِي كَمَا شَبَّهَ لَهُمْ فَكَانَ أَحْيَانًا يَقُولُ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ صَدَقْتُ وَأَحْيَانًا يَعْرُضُ فَيَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِئُ الْأَعْوَرُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ
عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي
رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ زَادَ فِيهِ رَجُلًا

.. أليست العبارات [] أن رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو من بعض
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا يحدثون
أحاديث ما هي كما يقولون [] دليلاً جلياً على أن الخلط والنسيان والوضع بدأ منذ الجيل الأول
.. ؟

.. ولننظر إلى الرواية التالية كيف تُصوّرُ بداية الوضع على الرسول ﷺ منذ الجيل
الأول ، وكيف أن الاعتصام بالقرآن الكريم هو المخرج الوحيد للوصول إلى الحق ..

الدارمي (٣١٩٧) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّفَاعِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجَعْفِيُّ عَنْ حَمْرَةَ الزِّيَاتِ عَنْ أَبِي
الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ عَنْ الْحَارِثِ قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَسُ
يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَيَّ فَقُلْتُ أَلَا تَرَى أَنَّ أَنَسًا يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ
فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَقُولُ سَتَكُونُ فِتْنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبْرٌ
مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ
ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ
عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعْتَهُ أَنْ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ

الدارمي (٤٦٩) :

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ بَلَغَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ عِنْدَ نَاسٍ كِتَابًا يُعْجَبُونَ بِهِ فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَتَوْهُ بِهِ فَمَحَاهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا هَلَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى كُتُبِ عُلَمَائِهِمْ وَتَرَكُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ

.. لَمَّا كَانَ الْمَخْرَجُ مِنَ الْفِتَنِ النَّاتِجَةِ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْأَحَادِيثِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى :
 [[قَالَ أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ سَتَكُونُ فِتْنٌ قُلْتُ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ]] ، وهذه الحقيقة موجودة في كتب الحديث ذاتها .. فلماذا تُرْفَعُ هذه الروايات إلى درجة المقدس الذي تُعتبر فيه جزءاً من المنهج ، بل وتملك صلاحية نسخ بعض أحكام كتاب الله تعالى كما يزعم بعضهم ، وتملك صلاحية تخصيص مطلق أحكام كتاب الله تعالى وإطلاق مخصصه ، كما يزعمون ؟!!! .. لماذا لا يكون معيارُ صحتها مُجرّداً عن السند ومستنداً إلى موافقتها لدلالات كتاب الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف ينظر معاوية إلى آية من كتاب الله تعالى :

البخاري (٤٢٩٣) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ مَرَرْتُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ بِالرَّبْدَةِ فَقُلْتُ مَا أَنْزَلَكَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ قَالَ كُنَّا بِالشَّامِ فَقَرَأْتُ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا هَذِهِ فِينَا مَا هَذِهِ إِلَّا فِي أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ إِنَّهَا لَفِينَا وَفِيهِمْ

.. أبو ذرٌّ أنزلَ بالرَبْدَةِ ، وكلُّ ما فعله أنه لا يُخصِّصُ كتابَ الله تعالى إرضاءً لمن يكتزون الذهب والفضة ، هذا ما تقوله الرواية ، وهذا ما يدركه منها كلُّ من يملك حداً أدنى من إدراك قواعد اللغة العربيّة ..

وهذا الشَّعْبِيُّ قد جالسَ ابنَ عُمرَ سنةً ، ولم يسمعه يذكر حديثاً عن الرسول ﷺ ..

الدارمي (٢٧٥) :

أَخْبَرَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ
جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ابن ماجه (٢٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
السَّفَرِ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ جَالَسْتُ ابْنَ عُمَرَ سَنَةً فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا

.. فمن أين أتتنا - إذا - الأحاديث المروية عن عبد الله بن عمر ؟!!! .. أم أن هذه
الرواية ليست صحيحة ، أم أن ابن عمر كان أبكماً في السنة التي جالسه فيها الشَّعْبِيُّ ؟ ..
أم أننا نحتاج لتخريج ذلك تأويلاً نأتي به من جيوبنا ؟ .. الشَّعْبِيُّ في هذه الرواية لم يكن
مُجَرَّدَ رَاوٍ لحادثة تاريخية ، الشَّعْبِيُّ في هذه الرواية يُبَيِّنُ مبدأً هو عدم كتابة أي حديث مما
كان يُروى عن النبي ﷺ .. وفي الحديث التالي تبيان لمن يُريد فهم الحقيقة ..

الدارمي (٤٨٢) :

أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ ابْنِ شُرَيْمَةَ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ
يَقُولُ مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ وَلَا اسْتَعَدْتُ حَدِيثًا مِنْ إِنْسَانٍ

.. إذا .. المناخ السائد بعد وفاة النبي ﷺ كان محملاً بغيوم العصبية التي تفاقمت إلى
درجة نشوب المعارك التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من أعناقهم على أيدي بعضهم
بعضاً ، وكتب التاريخ على مختلف مشاربها تؤكد أن قَطَعَ عَنْقِ الصَّحَابِيِّ مسألة سهلة
جداً عند صحابي آخر ، وأن الأجيال التالية لجيل الصحابة لم تكن أفضل حالاً .. لننظر في
الرواية التالية من صحيح البخاري ومسلم ، لنرى صورة ما كان يحدث على أرض
الواقع ..

البخاري (٦٧٦١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي
مَالِكُ بْنُ أَوْسِ النَّصْرِيِّ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ فَدَخَلْتُ عَلَى

مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ انْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيَّ عُمَرَ أَتَاهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ يَسْتَأْذِنُونَ قَالَ نَعَمْ فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَأَذِنَ لَهُمَا قَالَ الْعَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ اسْتَبَا فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانَ وَأَصْحَابَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرْحِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ

مسلم (٣٣٠٢) :

و حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مَالِكََ بْنَ أَوْسٍ حَدَّثَهُ قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَجِئْتُهُ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ قَالَ فَوَجَدْتُهُ فِي بَيْتِهِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرٍ مُفْضِيًّا إِلَى رُمَالِهِ مُتَّكِنًا عَلَيَّ وَسَادَةَ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ لِي يَا مَالُ إِنَّهُ قَدْ دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ قَوْمِكَ وَقَدْ أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ فَخُذْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ قَالَ قُلْتُ لَوْ أَمَرْتُ بِهِذَا غَيْرِي قَالَ خُذْهُ يَا مَالُ قَالَ فَجَاءَ يَرْفَا فَقَالَ هَلْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ فَقَالَ عُمَرُ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ قَالَ نَعَمْ فَأَذِنَ لَهُمَا فَقَالَ عَبَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الْآتِمِ الْعَادِرِ الْخَائِنِ فَقَالَ الْقَوْمُ أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرْحِهِمْ

.. إذا كان العباس يصفُ عليًّا أمامَ عُمَرَ وبحضور عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ ، إذا كان يصفُهُ بأنه كاذبٌ وآثمٌ وغادرٌ وخائنٌ ، وإذا كان العباسُ وعليٌّ قد استبَا في هذا المجلس ، فكيف إذا يمكننا أن نأخذ عن رجالات الجيل الأول رواياتٍ نُدخلها ساحةَ المُقدَّسِ ، بمجرد ما وصلنا بعد قرونٍ من موتِهِم أَنَّهُمْ قد قالوا ذلك ؟ .. أم أن هذه الروايات ليست صحيحة ؟ !!! .. أم ماذا ؟ !!! ..

.. أليس عليٌّ وعمر وعثمان من رجالات الدرجة الأولى في تصنيف الصحابة كما يُصنّف الذين يعينهم الرجال أكثر مما يعينهم كتاب الله تعالى ؟ .. أليس العباسُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ من كبار الصحابة الذين نُحفظُ أسماءهم لأطفالنا ؟ .. ألم يُشارك بعض هؤلاء الصحابة في فتنٍ داخليةٍ راحَ بِمَا عَشْرَاتُ الْأَلْفِ مِنْ أَعْنَاقِ الصَّحَابَةِ

على أيدي الصحابة ذاتهم ؟!!! .. فهل هؤلاء الصحابة هم ذاتهم يُوافقون على تصنيف المُصنِّفين لبعضهم في الدرجة الأولى من درجات الصحابة للنبي ﷺ ؟!!! .. وإن كان ذلك .. كيف بنا أن نفهم أن علياً والعبّاس قد استبّا بحضور عمّ وعُثمّان وعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ ، وأن العبّاس اتهم علياً بأنه ظالم وكاذب وآثم وغادر ؟!!! .. كيف بنا أن نفهم قول عليٍّ لأبي بكر : **[[اثبتنا ولا يأتينا معك أحد كراهية محضر عمر بن الخطاب]]** كما رأينا في هذه المحطة ؟!!! .. وكيف بنا أن نفهم أن فاطمة بنت محمد ﷺ هجرت أبا بكر ولم تُكلمه حتى تُوفيت ؟!!! .. ألم نر في هذه المحطة كيف أن عثمان رجم امرأة لا رجم عليها ؟!!! .. أليست هذه الأعمال قام بها أفراد الدرجة الأولى من تصنيف المُصنِّفين للصحابة ، ووصلتنا عبر روايات يُقدّسها من يحسون أنفسهم حاملِي لواء السنّة الشريفة ؟!!! .. أم أن هذه الروايات ليست صحيحة ؟!!! .. إذاً كيف يطلع علينا بعد قرون من موت هؤلاء الرجال رجال واضعين أنفسهم مكان الله تعالى فيصنّفون رجال الجليل الأول إلى درجات يضعون كلاً منهم في درجة حسب ما يُوافق العصبية التي تمّ التصنيف من أجلها ؟!!! .. وماذا تُفيدُ الدرجة الأولى من درجات تقسيم الصحابة بعد الأعمال والأفعال التي رأينا جزءاً يسيراً منها في رواياتنا لأصحاب هذه الدرجة وغيرها من الدرجات ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ

.. ولننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٦٥٧١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ حَدَّثَنَا أَبُو مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ وَحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَدِمَا عَلَيْنَا الْكُوفَةَ فَصَعِدَا الْمُنْبَرِ فَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ الْمُنْبَرِ فِي أَعْلَاهُ وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الْحَسَنِ فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يَقُولُ إِنَّ عَائِشَةَ قَدِ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ وَاللَّهُ إِنَّهَا لَزَوْجَةٌ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ

البخاري (٦٥٧٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي غَنْبِيَةَ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَامَ عَمَّارٌ عَلَى مِنْبَرِ
الْكُوفَةِ فَذَكَرَ عَائِشَةَ وَذَكَرَ مَسِيرَهَا وَقَالَ إِنَّهَا زَوْجَةٌ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيَتْمْ

.. إذا كان عمار يقول وعلى منبر الكوفة عن عائشة : [[وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتُلِيَتْمْ]] ،
ويقول عنها : [[وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ]] ، فكيف
إذا نستطيع أن نأخذ من أفراد الجليل الأول نصوصاً ندخلها ساحة المقدس بمجرد ما قيل
بعد قرون ومن أفواه الرجال ، إن هؤلاء الأفراد قد قالوا هذه النصوص قبل قرون !!!؟ ..
أم أن هذه الروايات ليست صحيحة !!!؟ .. أم ماذا !!!؟ ...
.. إذا .. تصنيفُ اللاحقين للسابقين ووضَعُ كلِّ من السابقين في درجةٍ من درجات
هذا التصنيف ، هو صناعةٌ بشريةٌ مبنيةٌ من مادةِ التاريخ المليء بالأهواء والعصبيات ،
ظهرت بعد قرونٍ من موت الصحابة .. وجعلُ هذا التصنيفِ علماً وفرضه على الناس
باسم الدين ، لا يقاربُ العلم بشيءٍ ، ويناقضُ ما أتى المنهج الحقُّ من أجله ، ولا يهدفُ
إلا إلى تقديم التاريخ برجالته ورواياته كبديلٍ عن منهج التدبر الحقيقي لدلالات كتاب
الله تعالى ..

.. ولننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٦٥٧٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو شَيْهَابٍ عَنْ عَوْفٍ عَنْ أَبِي الْمُنْهَالِ قَالَ لَمَّا كَانَ ابْنُ
زِيَادٍ وَمَرْوَانُ بِالشَّامِ وَوَتِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ وَوَتِبَ الْقُرَاءُ بِالْبَصْرَةِ فَانْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَبِي
بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ عُلْيَةٍ لَهُ مِنْ قَصَبٍ فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ
فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطْعِمُهُ الْحَدِيثَ فَقَالَ يَا أَبَا بَرْزَةَ أَلَا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ
تَكَلَّمَ بِهِ إِلَيَّ احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاحِطًا عَلَى أَحْيَاءٍ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ
كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الدَّلَّةِ وَالْقَلَّةِ وَالضَّلَالَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّامِ
وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلْ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا
وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلْ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا

.. أليس المعنيون بالعبارات الواردة في هذه الرواية : [إِنْ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّامِ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلْ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهُ إِنْ يُقَاتِلْ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا] ، أليسوا من الأجيال السابقة لجيل تدوين الحديث ، تلك الأجيال التي مرَّ الحديثُ عبرها لِيُدَوَّنَ بعد قرونٍ من وفاة النبي ﷺ !!!؟ ولننظر إلى الرواية التالية لنرى ماذا يقول عمرو بن العاص عن نفسه وهو في سِيَاقَةِ المَوْتِ ..

مسلم (١٧٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي عَاصِمٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ يَعْنِي أَبَا عَاصِمٍ قَالَ أَخْبَرَنَا حَيَّوَةُ بْنُ شَرِيحٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ المَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا أَمَا بَشَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا قَالَ فَاقْبَلْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأْبَايَعُكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبِضْتُ يَدِي قَالَ مَا لَكَ يَا عَمْرُو قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ قَالَ تَشْتَرِطُ بِمَاذَا قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبَنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشْنُوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرًا مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أَرَا جَعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي

.. أليس قوله : **[[وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا**

أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا]] ، أليس هذا القول صريحاً بأن لا نجعل رجالات الجيل الأول أصناماً نرفعها فوق النقد وفوق الجرح ؟ .. أليس هذا القول صريحاً بأن بعض رجالات الجيل الأول قد وليوا أشياء خافوا هم من عاقبتها ؟ : **[[ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا]]** .. أليس وضع بعض رجالات الجيل الأول فوق الجرح هو عمل لا يؤمن به حتى أولئك الرجال ذاتهم ؟!!! .. فكيف يخافون هم من عاقبة أشياء فعلوها ، ونأتي نحن لنضع أعمالهم التي خافوا منها ، فوق الجرح وفوق النقد ، مبررين لما لم يقوموا هم ذاتهم بتبريره ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر إلى الروايات التالية ، نظرة الباحث عن الحقيقة ، نظرة المؤمن بقول الله تعالى : **﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾** [النجم : ٣٢] ..

البخاري (٣٧٢٠) :

وَعَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرَ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُمَانَ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةَ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَّةِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الثَّلَاثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاحٌ

البخاري (٤١٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةٍ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَزَادَ عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي فُلَانٌ وَحَيُّوَةٌ بْنُ شُرَيْحٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو الْمَعَاوِرِيِّ أَنَّ بَكِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَهُ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى ابْنَ عُمَرَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ أَنْ تَحُجَّ عَامًا وَتَعْتَمِرَ عَامًا وَتَتْرَكَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدْ عَلِمْتَ مَا رَغِبَ اللَّهُ فِيهِ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي بُيِّئَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ قَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَلَا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً قَالَ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا قَتَلُوهُ وَإِمَّا يُعَذِّبُونَهُ حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةً قَالَ فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ قَالَ أَمَّا عُثْمَانُ فَكَانَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَكَرِهْتُمْ أَنْ تَعْفُوا عَنْهُ وَأَمَّا عَلِيٌّ فَأَبْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَتَّتَهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَقَالَ هَذَا بَيْتُهُ حَيْثُ تَرَوْنَ

البخاري (٤٢٨٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا بَيَانٌ أَنَّ وَبَرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ

البخاري (٦٥٨٠) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلِ الْأَحْدَبِ عَنْ أَبِي وَاثِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْإِيْمَانَ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ

البخاري (٦٥٨١) :

حَدَّثَنَا خَلَادٌ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيْمَانَ

.. إذا كان سعيد بن المسيب يقول في عصره : **[[وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُمَانَ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَّةِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الثَّلَاثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ]]** .. وإذا كان ابن عمر يقول في فتنة ابن الزبير : **[[وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُفَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِعَبْرِ اللَّهِ]]** .. وإذا كان ابن عمر يقول في عصره أيضاً : **[[كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ]]** .. وإذا كان حُدَيْفَةُ بْنُ الْإِيْمَانَ يقول في عصره : **[[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ]]** ، وإذا كان يقول : **[[إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيْمَانَ]]** .. وكلُّ ذلك في كُتُبِ الصَّحَاحِ الَّتِي يَرْفَعُونَهَا إِلَى مَسْتَوَى الْمُقَدَّسِ .. فماذا يُمكنُ أَنْ يُقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقُرُونٍ !!!؟ .. وماذا يُمكنُ أَنْ يُقَالَ عَن حَقِيقَةِ الْوَاقِعِ فِيمَا لَوْ تَمَّ نَقْلُ هَذَا الْوَاقِعِ عِبْرَ رَوَايَاتٍ لَا تَنْتَمِي لِمَدْرَسَةِ مَكِّيَّةِ أَفْرَادِ الْأَجْيَالِ الْأُولَى !!!؟ .. وماذا يُمكنُ أَنْ يُقَالَ عَن تَصْنِيفِ الرِّجَالِ الْوَالِدِينَ لِلرِّجَالِ السَّابِقِينَ لَهُمْ بِقُرُونٍ ، وَعَن وَضْعِهِمْ فِي دَرَجَاتٍ ، بَحِثْ يُقَدِّمُ هَذَا التَّصْنِيفُ عَلَى أَنَّهُ عِلْمٌ مُقَدَّسٌ يُفْرَضُ عَلَى الْأُمَّةِ ، لِدَرَجَةِ يُكْفَرُ فِيهَا مَنْ لَا

يؤمن به كإيمانه بالقرآن الكريم ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ولننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٢٦٠١) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ وَلِعَلِّي بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ فَأَتَيْنَاهُ وَهُوَ وَأَخُوهُ فِي حَائِطٍ لَهُمَا يَسْقِيَانِهِ فَلَمَّا رَأَانَا جَاءَ فَاحْتَبَى وَجَلَسَ فَقَالَ كُنَّا نَنْقُلُ لِبَنِ الْمَسْجِدِ لَبْنَةً لَبْنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لِبَنَتَيْنِ لِبَنَتَيْنِ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْعُغْبَارَ وَقَالَ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ

.. كيف نُبرِّرُ العبارة الواردة في هذه الرواية والمنسوبة إلى الرسول ﷺ : **[[وَيْحَ**

عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ]] ، وإن برَّر بعضهم

عبارة : **[[الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ]]** تبريراً لا تُسَعِّفه دلالات الجذر اللغوي (ب ، غ ، ي) ،

فكيف سيبررون العبارة : **[[عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى النَّارِ]]** ، ألا تعني

هذه العبارة أنَّ هذه الفئة الباغية تدعوا إلى النار ؟ .. أليس أفراد هذه الفئة الباغية الداعية

إلى النار ، أليسوا من رجالات الجيل الأول الذين يُطلبُ منا أن نرفعهم فوق الجرح ، وأن

نقبلَ منهم أيَّ رواية عن الرسول ﷺ تُنسبُ إليهم بعد قرونٍ من موتهم ؟!!! .. أم أنَّ هذه

الرواية ليست صحيحة ؟!!! .. أم نُطلِّقُ عقولنا ونقبل بالمتناقضات في الوقت ذاته ؟ ..

.. كيف لمن يُؤمن بصدق هذه الروايات مجرد وجودها في الصحاح .. كيف له أن

يُقدِّمَ كلَّ رجالات الجيل الأول على أنَّهم كلُّهم عدول ، وأنَّهم فوق الجرح والتعديل ؟!!

.. كيف بنا أن ندرك حقيقة المنهج عندما نُكفِّرُ من ينكُرُ بعضَ هذه الروايات في الصحاح

في الوقت الذي نُعرضُ فيه عن دلالاتها ونخافُ من عرضها للناس ؟!!! .. كيف يكون من

المقدَّس ما نخاف من عرضه وإطلاع الناس عليه ؟!!! ، كيف يكون من المقدَّس ؟!!! ..

هل الحقيقة بحاجة إلى تلبسٍ عليها وإلى إغماض العينين عن بعض ما أُعتبر مقدَّساً ، أم أنَّ

الحقيقة بحاجة إلى تدبُّر ما بين أيدينا من روايات ، مهما قيل عن هذه الروايات ؟ ..

.. هل الروايات التي عرضناها في هذه المحطة وفي غيرها ، هل جئنا بها من جيوبنا أم أنها موجودة في كتب الصحاح التي نحفظها لأبنائنا .. لماذا يخاف بعضهم من عرض هذه الروايات ، ولا يخافون من إعراضهم عن قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ خُنُّوا تَعْلَمُهُمْ ۗ سَنَعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. أليس هؤلاء الذين مردو على النفاق ، أليسوا من أهل المدينة ؟ ، أليسوا قد صحبوا النبي ﷺ وعاشوا معه ورأوه ، وعلى الرغم من كل ذلك لم يعلم ﷺ أنهم قد مردوا على النفاق ؟ أليس الذين كانوا ينفضون من الصلاة خلف النبي ﷺ ويتركونه قائماً من أجل اللهو والتجارة ، أليسوا من أفراد الجيل الأول ، ومن الذين تنطبق عليهم تعاريف الصحابة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى ؟!!! .. هذا موجود في كتاب الله تعالى ، ولم نأت به من عند أنفسنا .. يقول تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا ۗ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة : ٩ - ١١]

.. أليس الذين انقلبوا على أعقابهم من أفراد الجيل الأول .. أليسوا من الصحابة الذين لم يكونوا منقلبين قبل وفاته ﷺ ؟ .. وإلا كيف بنا أن نفهم قول الله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۗ أَفَلَا يَنفَعُ قَوْلَ اللَّهِ أَنقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

.. إننا نرى أن حَرْفَ الفاء قد دخلَ على جُملةِ الشرط : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ،
وليس على جُملةِ الجزاء ﴿ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ .. فاللهُ تعالى لم يقل : (أفنتقلبون
على أعقابكم إن مات أو قُتل) ، إنما يقول : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ
أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، وفي هذا إشارةٌ إلى أن المسألةَ تحملُ - فيما تحملُ - تقريراً بانقلابٍ على
الأعقاب بعد خروج محمد ﷺ من الدنيا سواءً كان ذلك بالموت أو كان بالقتل ..
.. ومن جهةٍ أخرى لماذا يقولُ اللهُ تعالى ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ مع أن الله تعالى
يُبين لنا أن محمداً ﷺ سيموت ولا يُقتل ؟!!! .. يقولُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
﴾ [الزمر : ٣٠] .. فقولهُ تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ يستثني القتل نقول : ورودُ
الاحتمالين الموت والقتل ، مع العلم أن الموت هو الذي سيحصل ، هذا الورد يُؤكدُ أن
المسألةَ لا يُرادُ منها مُجرّدُ سردٍ تاريخيٍّ لأحداثٍ تاريخيةٍ .. المسألةُ يُرادُ منها تبيانُ مبدأ
عقائديٍّ بأنَّ المنهجَ لا يتعلّقُ بشخصِ محمدٍ ﷺ ، وأنَّ المنهجَ مُستقلٌّ حتى عن تاريخ
الأحداثِ في الجيلِ الأوّل ، فخرجُ محمدٍ ﷺ من الدنيا سواءً بالموت أم بالقتل لا يُغيّرُ
شيئاً من المنهجِ المُحتوى في النصِّ القرآني المحفوظ من قِبَلِ اللهُ تعالى .. وكنا قد بيّنا في
شرحِ حكمةِ تدرّجِ الرسالات السماوية ، كيف أنَّ المنهجَ كُلَّ المنهجِ وأنَّ المعجزةَ كُلَّ
المعجزة تركزتا في النصِّ القرآني ..
.. ومن جهةٍ أخرى .. اللهُ تعالى لم يقل : (انقلبوا على أعقابهم) بصيغةِ الغائب ،
إنّما يقول : ﴿ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ بصيغةِ المُخاطب ، واللهُ تعالى لم يقل : (انقلب
بعضُكم على أعقابهم) ، إنّما يقول : ﴿ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ ، بل إنَّ كلمة
﴿ أَنْقَلَبْتُمْ ﴾ تعني رجوعاً عن أمرٍ كان المنقلبُ متمسكاً به قبل خروجِ محمدٍ ﷺ من الدنيا
.. إذاً المسألةُ ليست كما يُصوّرُها بعضُهم على أنّها تعني بعضَ المرتدّين .. المسألةُ تعني
تحذيراً لنا من الله سبحانه وتعالى ألاّ نجعلَ الرجالَ مهما كانوا وألاًّ نجعلَ رواياتِ التاريخ

مهما كانت ، ألا نجعل كل ذلك في درجة المقدّس التي نرى بها كتاب الله تعالى .. وكل ذلك تحتزله الآية الكريمة :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الجاثية : ٦]

.. من يُطلِّق عقله لا يمكن أن يكون على حق ولو أصاب الحقيقة .. ومن يعمل بأمر الله تعالى فلا يقف ما ليس له به علم ، مُتدبراً آيات كتاب الله تعالى بتجرّد ، يكون قد دخل ساحة مرضاة الله تعالى حتى وإن لم يصل إلى كامل الحقيقة .. نحن لا نريد من عرض الروايات في هذه المحطة وغيرها إلا التمهيد لإدراك الحقيقة .. فمفهوم الصحابة عند السنة ومفهوم آل البيت عند الشيعة لُبس فيه الكثير على الحقيقة ، ورُفِعَ فيهما رجالات التاريخ ورواياته إلى درجة المقدّس الذي أصبح مع الزمن صنماً يحول بين الأمة وبين رؤية الحق في كتاب الله تعالى ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : ما قيمة فرضية عدالة الصحابة واعتبارهم فوق الجرح بمجرّد ما ثبتت صحبتهم للنبي ﷺ ؟ .. وهل هذه الفرضية حقيقة يسندّها القرآن الكريم والروايات ، أم أنّها وهمٌ تمّت صناعته في قوالب العصبية المسبقة الصنع ؟ .. هذه المسألة ستعرض لها - إن شاء الله تعالى - في المحطة القادمة ..

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة السادسة

((فرضية عدالة الصحابة بين الوهم والحقيقة))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. ما يجب أن نعلمه أن الغاية من الدين هو عبادة الله تعالى ، وأن الرجال مهما كانوا ليسوا غاية في ذلك ، إنما هم وسيلة لحمل المنهج عبر التاريخ .. فعندما يُغيب العقل يظهر الهوى ، وعندما يُغيب النور يبدو الظلام ، وعندما يُغيب التدبر الحقيقي لكتاب الله تعالى ، يُحوّل التاريخ برجالته ورواياته إلى أصنام ، وعندما تكون سلطة العاطفة الهوجاء فوق سلطة المنطق والبرهان ، تضع الحقيقة ..

.. كنا قد بينا حكمة الله تعالى في تدرج رسالاته إلى البشر ، وكيف أنها ختمت برسالة يتركز فيها المنهج والمعجزة في ذات النص القرآني ، المحفوظ رسماً وقراءةً ، ليأخذ كل جيل منه ما يحلّ به مشاكله المستجدة ، وبيننا كيف أن منهج الرسالة الخاتمة ومعجزته مُجرّد عن التاريخ برجالته ورواياته ، وأنه محتوى في ذات النص القرآني ..

.. إن دراسة فرضية عدالة الصحابة ليست انتقاصاً من قدر أفراد الجيل الأول ، إلا إذا اعتبروا أصناماً أهم من المنهج ذاته .. فالمنهج ذاته يأمرنا الله تعالى بتدبره في الكثير من آياته ، والتدبر لا يكون إلا بإعمال العقل إعمالاً مُجرّداً عن أي هوى وعن أي عصبية مُسبقة الصنع .. وأهمية هذه الدراسة في فرضية عدالة الصحابة تأخذ قيمتها من كون علوم

الحديث بالنسبة للكثيرين ، اتكأت على مقدّمة تتمحور في اعتبار الصحابة فوق الجرح ، وأنهم عدولٌ بمجرد ثبوت صحبتهم للنبي ﷺ ، ولذلك فالهدف من هذه الدراسة هو خدمة المنهج ، وليس الهدف التعرّض للأفراد كأفرادٍ بقيمتهم الشخصية المجردة عن تفاعلهم مع منهج الله تعالى ..

.. الملفت في هذه المسألة أنه لا يوجد إجماعٌ حتى على تعريف الصحابي .. وكلّ التعاريف التي وضعت في ذلك ليست أكثر من تصوّراتٍ مُسبقة الصنع ، مادّتها قداسة التاريخ على حساب المنهج ، وقالبها أفكارٌ تهدف لتمرير الروايات المنسوبة إلى رجال الجليل الأوّل .. فتلك التعاريف بما فيها من خلافات ، تنقض فرضية العدالة من أساسها ..

.. بعض التعاريف للصحابي تقول : بأنّ كلّ من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، سواء طالت مجالسته له أو قصرت .. وبعض التعاريف تقول : الصحابي هو كلّ من أدرك سنّ الحلم وأسلم وعقل الدين ورضيه ممن صحب النبي ﷺ .. وبعض التعاريف تقول : الصحابي هو من أقام مع النبي ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين ..

.. وفق التعريف الثاني بأنّ الصحابي هو من أدرك سنّ الحلم وأسلم وعقل الدين ورضيه .. وفق هذا التعريف يخرج - على سبيل المثال لا الحصر - عبد الله بن عباس من صفة الصحبة ، لأنّ عمره كان عشر سنين حين وفاة النبي ﷺ ، ومن المعلوم أنه في هذا العمر لا يتم بلوغ الحلم .. والحديث التالي يبيّن ذلك ..

البخاري (٤٦٤٧) :

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ الْمُفْصَلُ هُوَ الْمُحْكَمُ قَالَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تُوْفِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ

.. وكيف يكون الصحابي عدلاً وفوق الجرح بمجرد ثبوت رؤيته للنبي ﷺ ، ونحن نعلم أن بعض من صاحب النبي ﷺ وعاش معه في ذات الزمان والمكان ، مردوا على النفاق ، دون أن يعلم ﷺ نفاقهم هذا .. يقول تعالى :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ^ط وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ^ط مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ^ط حَتَّىٰ نَعْلَمُهُمْ ^ع ﴾ [التوبة : ١٠١] ..

.. أليس هؤلاء تنطبق عليهم صفة الصحابي وفق بعض التعاريف !!!؟ ..
 .. إذا كان النبي ﷺ ذاته لا يستطيع الجزم بعدالة جميع أبناء جيله ممن صاحبهم ولا يعلم بعض الذين مردوا على النفاق كما يبين الله تعالى في كتابه الكريم .. فكيف إذا يستطيع بعض الرجال من الأجيال اللاحقة الجزم بتزكية كل من صاحب النبي وبأنه فوق الجرح ، وأن ما يروى عنه صحيح فقط لكونه عاصر النبي ، وكيف يصنفون كلاً من الصحابة في درجة من القربى تصنيفاً لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى !!!؟ ..
 .. أليست هذه الآية الكريمة صريحة في نقض تعريف الصحابي العدل بأنه كل من رأى الرسول ﷺ ، أو أنه كل من عاش معه سنة أو سنتين ، أو أنه كل من بلغ الحلم حين وفاة النبي ﷺ !!!؟ .. أليس هؤلاء الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ولا يعلم النبي ﷺ نفاقهم ، أليسوا تنطبق عليهم تلك التعاريف !!!؟ .. أليست هذه الآية الكريمة صريحة في نقض درجاتهم التي يصنفون الصحابة على سلمها تصنيفاً مادته العصبية المسبقة الصنع ..

.. أليست تعاريف الصحابة التي وضعوها تنطبق على المعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ^ع ﴾ [الجمعة : ١١] !!!؟ ..

.. أليس المعنيون بالآيات التالية كانوا من أفراد الجيل الأول ، وتنطبق عليهم بعض تعاريف الصحابي ، كونهم رأوا النبي ﷺ وأقاموا معه ..

﴿ لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ

لِنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ^ع ﴾ [الأحزاب : ٦٠]

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ^ع وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٦١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ^ع

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ ۗ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ [المنافقون : ١ - ٥]

.. ووفق التعريف الأول [كل من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمین فهو من أصحابه ، سواء طالت مجالسته له أو قصرت] ، وفق صياغة هذا التعريف ، ألا ينطبق هذا التعريف على المعنيين بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۗ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۗ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٤﴾ [الفرقان : ٤١ - ٤٤]

.. هذا التعريف يقول : من رأى النبي ﷺ هو من أصحابه ، و هؤلاء رأوا النبي ﷺ ﴿١١﴾

وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴿١٢﴾ ؟!!!!!! ..

.. فكيف إذا يكون الصحابيُّ عدلاً وفوق الجرح وما يُروى عنه فوق الشبهة لمجرد

أنه رأى النبي ﷺ أو أنه أقام معه فترة من الزمن ، دون أي اعتبار للنص المروي عنه ،

ودون أي معايرة لذلك النص على كتاب الله تعالى ؟!!!! ..

.. وإن كان الصحابيُّ هو فقط العدلُ الصادق من رجالات الجيل الأول ، فالمشكلة

في تعريفهم للصحابي لا تتغير أبداً ، لأن الجزم بعدالة بعض البشر وبتزكيتهم في ذلك ،

يتناقى مع عدم علم النبي ﷺ ذاته بنفاق بعضهم ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فتزكية الرجال ، مسألة لا يعلمها إلا الله تعالى .. يقول تعالى ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝١١﴾

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿ [النساء : ٤٩ - ٥٠]

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا

تُزَكُّوْا أَنفُسَكُمْ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿ [النجم : ٣٢]

.. أليس الجزم بتزكية الرجال للتقوى ، أليست افتراءً بالكذب على الله سبحانه وتعالى وإثماً مبيناً ؟ .. وإلا كيف بنا أن نفهم دلالات هذه الآيات الكريمة ؟!!! .. أم علينا أن نُطلق عقلنا ونعتقد أن أفراد الجيل الأول مستثنون من أحكام هذه الآية الكريمة ؟!!! .. أليس الحديث التالي الذي يدندنون به صباح مساء ، ينسف - من الجذور - كل التعاريف التي وضعوها لتحديد مفهوم الصحابي ..

البخاري (٣٣٩٧) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ ذُكْوَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ تَابِعَهُ جَرِيرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ وَمُحَاضِرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ

.. لقد ورد النص التالي في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخص هذا

الحديث :

[[..... كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد " ،

فذكر الحديث]]. .. إذاً الحديث جاء بناءً على حادثة تاريخية سب فيها خالد بن الوليد عبد الرحمن بن عوف .. ولكن أليس هذا الحديث المنسوب للنبي موجهاً لرجالات الجيل الأول الذين كانوا حاضرين قول النبي هذا وسامعين له ، بدليل صياغة الحديث ذاته

: **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ]]** !!!؟ .. فالعبارتان : **[[لَا تَسُبُّوا]]** ، **[[فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ]]** موجهتان لبشرٍ يسمعون هذه العبارات ، وبناءً على تعاريف الصحابي التي وضعوها فهؤلاء البشر من الصحابة ، بدليل أنهم كانوا حاضرين وسامعين للمقولة المنسوبة للنبي ﷺ في هذه الرواية .. فكيف إذاً يكون الصحابيُّ الحاضر والسامع لقول النبي ﷺ هذا ليس صحابياً ، وأنه لا يبلغ مُدًّا أحدٍ الصحابة ولو أنه أنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا !!!؟ .. كيف يكون ذلك وهو في الوقت ذاته تنطبقُ عليه تعاريف الصحابي !!!؟ ..

.. ولذلك نرى في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري تخريباً لذلك :

[[..... وغفل من قال إن ا غغا غ بذلك لغير الصحابة ، وإنما المراد من سيوجد

من المسلمين المفروضين في العقل ، تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه ، ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بأن المخاطب بذلك خالد بن الوليد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق]] ..

.. كيف يمكن لعاقل أن يفهم تأويلهم : من سيوجد من المسلمين المفروضين في العقل ، تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه !!!؟ .. أليست هذه الرواية جاءت خلفَ حادثةٍ سبَّ فيها خالدُ بن الوليد عبدَ الرحمن بن عوف ؟ .. ألا تنطبقُ صفةُ الصحابيِّ على خالد بن الوليد !!!؟ .. أم أن خالد بن الوليد من الذين سيوجدون من المسلمين المفروضين في العقل !!!؟ .. أم أن الرواية ليست صحيحة !!!؟ .. أم أنها صحيحة وتعريفُ الصحابي ليس صحيحاً !!!؟ .. وخصوصاً أن هذه الرواية ذُكرت أيضاً في كُتُبٍ أخرى غير البخاري ..

مسلم (٤٦١٠) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْأَخْرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

أبو داود (٤٠٣٩) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ
أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

أحمد (١١١٨٠) :

حَدَّثَنَا هَاشِمٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ ذُكْوَانَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا
نَصِيفَهُ

ابن ماجه (١٥٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ح وَ
حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ
أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ

.. وهذا الحديث عند ابن ماجه ، نجد له شرحاً آخر .. ولننظر في النص التالي المُقتطع

من شرح هذا الحديث : **[]** قوله (لا تسبوا أصحابي) قيل الخطاب لمن بعد الصحابة
تنزيلاً لهم منزلة الموجودين الحاضرين ، وقيل للموجودين من العوام في ذلك الزمان
الذين لم يصاحبوه صلى الله تعالى عليه وسلم ويفهم خطاب من بعدهم بدلالة النص ،
وقيل الخطاب بذلك لبعض الصحابة لما ورد أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد
وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد ، والمراد بأصحابي المخصوصين وهم السابقون
على المخاطبين في الإسلام ، وقيل ينزل الثاني لتعاطيه بما لا يليق من السب منزلة

غيرهم فخطوب خطاب غير الصحابة وقال الشيخ تقي الدين السبكي الظاهر أن المراد بقوله أصحابي من أسلم قبل الفتح وأنه خطاب لمن أسلم بعد الفتح []

.. إذا شَرَحَ هذا الحديث بأقوال متناقضة لا تحملها صياغته اللغوية لا من قريب ولا من بعيد .. وكلُّ هذه التفسيرات والتأويلات المتناقضة ، هي بهدف الجمع بين أمرين لا يمكنُ الجمعُ بينهما .. يريدون أن يجمعوا بين صحَّة الحديث وبين تعريفهم للصحابي ، وهذا أمرٌ مستحيلٌ وفق حيثيات صياغة عبارات هذا الحديث ..

.. كم أستثمر هذا الحديث وأمثاله لذرِّ الرماد في الأعين ، ولتقديم أفراد الجيل الأوَّل على أنهم أصنامٌ لا يجوزُ نقدُها ، ولا يجوزُ التشكيكُ بما يُنسبُ إليهم ، وكلُّ ذلك في الوقت الذي لم تُقرأ فيه صياغةُ هذا الحديث قراءةً بحث وتدبُّر هادف لمعرفة الحقيقة !!!؟ .. كم من المتاجرة بالتاريخ ورواياته ورجالاته تمَّت بناءً على هذه الرواية !!!!!! ..

.. ألم نَرَ في المحطَّة السابقة ، وفي صحيحي البخاري ومسلم ، كيف أن العباس وعلي في مجلس عمر بن الخطاب وبحضور عثمان وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ ، ألم نَرَ أنَّهما استتبا ، واتَّهما بعضهما بالكذب والإثم والغدر والخيانة !!!؟ .. فهل المذكورون في هذه الحادثة ليسوا من الصحابة الأوائل !!!؟ .. أم أن هذه الروايات ليست صحيحة ، أم أن تعاريفنا للصحابة ليست صحيحة ، أم يُطلبُ منا أن نُطلقَ عقولنا ولا ننظر إلى مثل هذه الروايات بعين التدبُّر والبحث عن الحقيقة .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. لا يختلفُ مسلمان باحثان عن الحقيقة على أن سبَّ الصحابة وغير الصحابة أمرٌ لا يخدمُ الحقيقة ، فالله تعالى ينهانا أن نسبَّ الذين يدعون من دون الله تعالى ، فكيف إذا بسبَّ الصحابة .. يقولُ تعالى :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :

.. لا أسوأ من سب الصحابة إلا أن يُعطوا قدسيّة تجعل ما يُنسب إليهم وما يُنقل عنهم بعد قرونٍ منهجاً مُقدّساً يُطلب منّا التسليم له كتسليمنا لكتاب الله تعالى .. فسب الصحابة وغير الصحابة أمرٌ يتعلّق بعدم الأخلاق وعدم نزاهة البحث عن الحقيقة ، ولا يُؤثّر إلا على صاحبه .. بينما رَفَعَهُم إلى مستوى العدول فوق الجرح لدرجة أخذ كل ما يُسمَع عنهم بعد قرونٍ بأنهم قد قالوه ، هو أمرٌ يتعلّق بصلب المنهج وعلى مستوى الأمة ، وبالتالي هو أمرٌ أخطرٌ من مسألة عدم التمتع بالأخلاق ..

.. والقول بأنَّ علم الجرح والتعديل يحلُّ مشكلة تزكية الرجال ، ومعرفة العدل الصادق منهم ، ومعرفة الكاذب ، من خلال تقصي أخبار الرجال .. هذا القول لا يرتقي إلى مستوى العلم الذي يعني الوقوف على حقائق الأمور والأشياء ، ويخلق مشكلة أكبر منها في الحالتين السابقتين .. فتقييم اللاحقين لبعض السابقين بهدف معرفة الصادق العدل منهم ، والحزمُ بنتيجة هذا التقييم ، واعتبار ذلك علماً يُدخِل بعض النصوص من خلاله إلى ساحة المُقدّس .. هذا التقييم هو - في النهاية - وضع أولئك الرجال في مرتبة أعلى من مرتبة النبي ﷺ .. وهو مُخالف للنص القرآني ذاته ..

.. فكيف يَسْمَحُ بعض اللاحقين لأنفسهم أن يجزوا بعد قرونٍ من الزمن ، بما لم يستطع النبي ﷺ ذاته أن يجزم به في عصره ؟!!! .. كل ذلك فضلاً عن الروايات التي تُؤكّد أنّ رجال الجيل الأوّل كان الكثير منهم لا يثقون هم ببعضهم ، وآته وقع بينهم الكثير من أعمال القتل ، والتكذيب ، والاتهام بالخروج على الحق ، وذلك بين الكثيرين ممن ننظر إليهم بعين الثقة والاحترام ..

.. وهكذا .. فما يُسمى بعلم الجرح والتعديل ، ليس علماً مبنياً على براهين وأدلة مستنبطة من النص المطلق (القرآن الكريم) ، إنّما هو مقارباتٌ تاريخية ، لا تخلوا من الأهواء والأخطاء والعصبيات المسبقة الصنع ، بل هي مقارباتٌ تاريخية مبنية من لبنات العصبيات المذهبية المسبقة الصنع التي أوجدت لخدمة منهج تراثي جمعي يضع التاريخ في درجة موازية لكتاب الله تعالى ، ومن الجريمة الكبرى وضع هذه المقاربات التاريخية معياراً لمنهج تكفل الله تعالى بحفظه ..

.. كيف يُوصَفُ صحابيان بأنهم ثقة ومن العدول ، في الوقت الذي تقاتلا فيه
واتهما بعضهما بالكذب والخروج على الحق ؟!!!!!! .. كيف يُوصَفُ صحابيان بأنهم ثقة
ومن العدول ، في الوقت الذي لا يعترف فيه كلُّ منهما بأن الآخر ثقة وأهل لتبليغ المنهج
!!! .. ألم نَرَ الحديثَ التالي ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ
الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ
تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ
لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْسُ فِي الْأُخْرَى
حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ
أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا الْمَعْنَى

.. فإن كان الراوي الأول صادقاً كما زكاه مسلم ، فإن أبا هريرة يكذب على

الرسول ﷺ ، فالرواية تقول : [[خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا
إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ]] ،
والرواية ليست على الشكل : [[خَرَجَ إِلَيْهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا
إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَهْتَدُوا وَأَضِلَّ]] .. إذا
.. الراوي أحد الذين يتهمون أبا هريرة بالكذب على الرسول ﷺ ..

.. وإن كان الراوي الأول كاذباً فالمشكلة لا تتغير ، كون هذا الراوي ممن اعتبره

مسلم عدلاً يُؤخذ عنه !!! .. وإن كان الرواة الأخر بعد الأول كاذبين أو حتى صادقين ،
فنحن أمام حقيقة تُؤكِّد أن إمكانية الكذب على الرسول ﷺ موجودة حتى بين أفراد الجيل
الأول ذاتهم ، وموجودة فيمن حدّث عنهم ، وموجودة فيمن حدّث عن حدّث عمّن
حدّث عنهم ..

.. ألم نَرَ الحديثَ التالي ..

أحمد (١٩٠٤٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنَا أَبُو هَارُونَ الْغَنَوِيُّ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ أَيُّ مُطَرِّفٍ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى أَنِّي لَوْ شِئْتُ حَدَّثْتُ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ مُتَّابِعِينَ لَا أُعِيدُ حَدِيثًا ثُمَّ لَقَدْ زَادَنِي بَطْنًا عَنْ ذَلِكَ وَكَرَاهِيَةً لَهُ أَنَّ رَجَالًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَتْ كَمَا شَهِدُوا وَسَمِعَتْ كَمَا سَمِعُوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمْ لَا يَأْلُونَ عَنِ الْخَيْرِ فَأَخَافُ أَنْ يُشَبَّهَ لِي كَمَا شَبَّهَ لَهُمْ فَكَانَ أَحْيَانًا يَقُولُ لَوْ حَدَّثْتُمْكُمُ أَنِّي سَمِعْتُ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ صَدَقْتُ وَأَحْيَانًا يَعْزِمُ فَيَقُولُ سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْغَنَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي هَانِئُ الْأَعْوَرُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ هُوَ ابْنُ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ زَادَ فِيهِ رَجُلًا

.. ألا تحمل العبارات : [[أن رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو من بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ مَا هِيَ كَمَا يَقُولُونَ]] ، ألا تحمل دليلاً على أن الوضع بدأ في الجيل الأول وعلى لسان بعض أصحاب النبي ﷺ حسب تعريفهم هم للصحابة ، وذلك بشهادة صحابي منهم .. ؟

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .. ألم يقل النبي :

البخاري (٣٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ وَبُيُوتُسُ عَنْ الْحَسَنِ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ ابْنَ تَرْيِدُ قُلْتُ

أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا التَّقَى
الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَأْسُ
الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ
ألم يقل النبي ﷺ :

البخاري (٤٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرَعَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ زُبَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنِ الْمُرْجِنَةِ
فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَيَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ
ألم يلتق في معركة الجمل وصفين وغيرهما معظم الصحابة بسيوفهم ؟!!! .. ألم تُقَطَّعْ
أعناقُ الكثيرين منهم على أيدي بعضهم ؟!!! .. ألم يذهب إلى الاقتتال بسيوفهما في سبيل
تلك الفتن عليّ وطلحة والزبير ؟!!! .. ألم يُقْتَلُ في سبيل تلك المعارك وبسببها وفي مناخها
طلحة والزبير ؟!!! ..

.. ألم نرَ في المحطّة السابقة أنّ ابنَ عمرَ يقولُ في الصحاح ذاتها في فتنة ابن الزبير :
[[وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لغيرِ اللَّهِ]] ، ويقولُ أيضاً في
عصره : [[كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً
وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ]] .. ألم نرَ أنّ حذيفةَ بنَ اليمانِ يقولُ في الصحاح ذاتها عن
بعضِ رجالِ عصره : [[إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مَنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَأَنْوَاعِ يَوْمَئِذٍ يُسْرُونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ]] ، ويقولُ أيضاً : [[إِنَّمَا كَانَ النَّفَاقُ عَلَى
عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ]]
.. بعد كل هذه الحقائق .. كيف يكونُ من التقوا بسيوفهم فقتلوا أو قتلوا كيف

يكونون جميعاً وفي الوقت ذاته شهداء بناءً على الحديث التالي :

مسلم : (٤٤٣٨) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ

وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ

.. وكيف يكون من التقوا بسيفهم فقتلوا أو قتلوا ، كيف يكونون جميعاً وفي الوقت ذاته في الجنة بناءً على الحديث التالي :

أحمد (١٥٨٥) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَّاورِدِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ

.. هل هذه الروايات غير صحيحة ؟ .. أم أن التاريخ مُلْفَق ؟ .. أم علينا أن نُغَيِّرَ قواعد اللغة العربية وقواميس مفرداتها لنستطيع التوفيق بين هذه المتناقضات ؟!!! .. أم أن الصحابة ذهبوا بسيفهم وخيولهم إلى موقعتي الجمل وصفين وغيرهما ليتدارسوا كتاب الله تعالى ؟!!! .. أم علينا أن نُطَلِّقَ عقولنا ونقرأ هذه الروايات دون إدراك دلالات صياغتها اللغوية .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. إنَّ أفضلَ تعريفٍ للصحة هو التعريفُ الذي نستنبطه من كتابِ الله تعالى .. ولو نظرنا في كتاب الله تعالى في مشتقات الجذر اللغوي (ص ، ح ، ب) ، لرأيناها ليست مُقتصرةً على جانب الخير أو على جانب الشر .. فهي تُصوِّرُ لنا أوجه الخير والشر على حدٍّ سواء بين الصالحين .. فالصاحبُ لا يقتضي مماثلةً صاحبه عقيدةً وفكراً وأخلاقاً ، ولا يعني هذا أنه يناقضه في ذلك .. ففي قوله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ

تَرَوَهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿التَّوْبَةُ : ٤٠﴾ [

.. في هذه الآية الكريمة نرى الوجهَ الإيجابي للصحبة .. فرسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ، كانا صاحبين كما يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ ، والعبارة القرآنية : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، شهادةٌ على هذا الوجهِ الإيجابي للصحبة .. وفي المقابل للنظر في النصّ القرآني التالي لنرى الوجهَ السلبي للصحبة :

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٨﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٩﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٠﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٤١﴾ لَّيْكَنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٣٤ – ٣٨] ..

.. إننا نرى بوضوح أنّ الصحبة بين هذين الرجلين : ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ كانت موحودة مع أنّهما على طرفي نقيض في العقيدة والفكر إذاً علينا ألا نطلقَ عقولنا ونحن نقرأ آياتِ كتابِ الله تعالى .. أي علينا ألا ننظر إلى آياتِ كتابِ الله تعالى من مناظير الرواياتِ التاريخيةِ وأوهام عابدي أصنام التاريخ فالآية الكريمة :

﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

.. هذه الآية الكريمة لا تعني كلّ من صاحبَ النبي ﷺ كما يذهبُ الكثيرون ، ولا بأيّ وجهٍ من الأوجه التي يمكننا أن نتصورها .. ففي حالِ حملِ دلالاتِ هذه الآية الكريمة

على المحمل التاريخي الذي لا يتجاوزُ الجيلَ الأوَّلَ ، نرى أن كلمة ﴿ مِنْ ﴾ في العبارة القرآنيَّة : ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تعني جزءاً من المهاجرين والأنصار ، ولا تعني كلَّ المهاجرين والأنصار ، فكلمة ﴿ مِنْ ﴾ - وفق هذا المحمل التاريخي - تفيد التبعض ولا تُفيد التبيين .. وكيف تفيد التبيين لتشمل كلَّ الصحابة وهناك من مرد على النفاق من أفراد الجيل الأوَّلِ ممَّن عاش مع النبي ﷺ في المدينة ، دون أن يعلم النبي نفاقهم الذي مردوا عليه ، كما يؤكِّدُ اللهُ تعالى في الآية التالية مباشرةً لهذه الآية الكريمة ..

﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴿١٠١﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴿١٠٢﴾ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٠ - ١٠١]

.. ألا تنطبق تعاريف الصحابة التي وضعوها على المعنيين بقوله تعالى ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ من الآية الثانية ؟!!! .. أليس أهل المدينة هم من المهاجرين والأنصار ؟!!! .. فكيف بنا أن نتصوَّرَ هؤلاء الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة ، كيف نتصوَّرَهم مشمولين مع الذين رضي الله تعالى عنهم ، والمعنيين بالعبارة القرآنيَّة ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ من الآية الأولى ؟!!! .. كيف يتمُّ فصل دلالات الآية الأولى عن الثانية في هاتين الآيتين ، للذهاب بدلالات الآية الأولى مذاهب لا تحملها لا من قريب ولا من بعيد ، لذرِّ الرماد في الأعين ، ولتقديم رجالات الجيل الأوَّلِ أصناماً لا يجوز الاقتراب منها ؟!!! ..

.. وفي العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ ، نرى أن كلمة ﴿ اتَّبَعُوهُمْ ﴾ ترد بصيغة الماضي ، وبذلك تحمل دلالات تتجاوز الجانب التاريخي الذي فسرت به هذه الآية الكريمة .. فلو كانت دلالات هذه الآية الكريمة لا تتجاوز الإطار التاريخي الذي فسرت به ، لكانت على الشكل : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ بِإِحْسَانٍ) ، أي بورود كلمة (يَتَّبِعُونَهُمْ) بصيغة المضارع بدل كلمة ﴿ اتَّبَعُوهُمْ ﴾ بصيغة الماضي .. ففرض الدلالة التاريخية على العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ، بحيث لا تعني إلا الجيل الأول ، يقتضي وصف من يتبعهم لاحقاً بصيغة المضارع وليس الماضي ، فهذه الآية الكريمة نزلت زمن الجيل الأول ، ومُتَّبِعُوا الجيل الأول هم لاحقون لهم وليسوا سابقين ، وبالتالي سيتبعونهم بعد نزول هذه الآية الكريمة ، وكل ذلك تناسبه صيغة المضارع وليس الماضي ..

.. نقرأ من كل ذلك أن العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ﴾ تحمل دلالات

تتجاوز الإطار التاريخي لتشمل صفة مجردة عن التاريخ .. فالسبق المعنى هو سبق إيماني ، وهو سبق خلاص ونقاء وقرب من الله سبحانه وتعالى ، من الممكن أن يدخل ساحتها أي إنسان في كل زمان ومكان حينما يُحقق متطلبات هذا سبق ... وما نراه أن كلمة ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ بهذه الحيثية من الصياغة - وذلك بكونها جمعاً لاسم فاعل - تقوي هذا المذهب من التفسير ، فالسبق المعنى هو عمل يقوم به فاعل له ، من خلاص ونقاء وقرب من الله سبحانه وتعالى .. وكل ذلك مسألة ليست مؤطرة في إطار تاريخي خاص بجيل محدد دون غيره ..

وكلمة ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، وردت بدلالات مجردة عن سبق

التاريخي ، حاملة معنى سبق الإيمان والقرب من الله سبحانه وتعالى .. يقول تعالى ..

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٥﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٦﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] .. فالمعنيون بالصفة التي يحملها قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ، ليسوا ضمن إطار جيلٍ محدّدٍ دون غيره ، وإلاّ كيف بنا أن نفهم قوله تعالى ﴿ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ ؟ ..

.. ونقرأ - أيضاً - أن دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تحمل دلالاتٍ مجردةً عن أحداث التاريخ ، لتبيّن لنا ماهيّة السبق المعنيّ بالعبارة السابقة لها ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ ﴾ ، وذلك من هجرٍ لكلّ ما ينهى الله تعالى عنه ومن نصرٍ لكلّ ما يريدّه الله تعالى .. فعلى هذا التفسيرُ تحملُ كلمة ﴿ مِّن ﴾ في العبارة ﴿ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، معنى التبيين ، وعلى هذا المحمل من التفسير نستطيعُ مقارنةً معنى التبيين في كلمة ﴿ مِّن ﴾ ، من العبارة القرآنيّة ﴿ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، مع معنى التبيين في كلمة ﴿ مِّن ﴾ من العبارة القرآنيّة ﴿ فَأَجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِّنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج : ٣٠] ..

.. إنّ معنى التبيين يتعلّق بإطلاق دلالات العبارة القرآنيّة وعدم حصرها في إطارٍ تاريخيٍّ محدّد ، وبالتالي فالقولُ بأنّ كلمة ﴿ مِّن ﴾ في العبارة ﴿ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ ، تحملُ معنى التبيين دون التبويض ، مع حمل الآية الكريمة على محملٍ تاريخيٍّ لا يتجاوزُ أفرادَ الجيل الأوّل كما يذهب عابِدو أصنام التاريخ ، مقارنةً مع العبارة القرآنيّة ﴿ فَأَجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِّنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج : ٣٠] ، هذا القولُ ليس سليماً ولا بأيّ وجهٍ من الأوجه ، لأنّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَأَجْتَنَبُوا الرَّجْسَ مِّنَ الْأَوْثَانِ ﴾ تحملُ دلالاتٍ فوقَ التاريخ والزمان والمكان ..

إذا .. كلمة ﴿ مِنْ ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ تحملُ معنى التبويض دون التبيين في حالِ حَمَلِ الآيةِ الكريمة على المحمل التاريخي ، وتحملُ معنى التبيين في حالِ حملِ الآيةِ الكريمة على محملِ الإطلاق الذي يتجاوز التاريخ .. وفي كلتا الحالتين نرى أنَّ العبارة القرآنية ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ لا تعني جميع الصحابة كما يريدُ عابِدو أصنام التاريخ .. والأولى في تفسيرِ هذه العبارة القرآنية هو إطلاقها لتشملَ دلالاتِ تتجاوزَ التاريخَ والزمانَ والمكانَ ، وليكونَ لها ساحاتُ اتباعٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، شأنها بذلك شأنُ كلِّ آياتِ كتابِ الله تعالى ..

.. ثمَّ كيف يمكننا أن نتصوَّرَ أنَّ هذه الآيةِ الكريمة تعني جميعَ الصحابة (حسب تعريفهم هم للصحابة) ، في الوقت الذي نقرأ فيه الآية التالية لها مباشرة : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ ؟!!!!!! ..

.. وكيف يمكننا أن نتصوَّرَ أنَّ هذه الآيةِ الكريمة تعني جميعَ الصحابة ، ونحن نقرأ الآية التالية التي تؤكدُ أنَّ الكثيرين من أفرادِ الجيلِ الأوَّل - ممن تنطبقُ عليهم تعاريفهم هم للصحابة - سينقلبون على أعقابهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۗ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

.. نعم هذه الآيةُ الكريمة تعني انقلاباً على الأعقاب بالنسبة للكثيرين من أبناءِ الجيلِ الأوَّل بعد موت النبي ﷺ ، وفي المخططة السابقة وقفنا عند صياغتها اللغوية ، التي تؤكدُ أنَّ الانقلابَ على الأعقاب كان من قِبَلِ الكثيرين من أفرادِ الجيلِ الأوَّل الذين لم يكونوا كذلك أثناء حياة النبي ﷺ .. والأحاديث التالية في الصحاح ذاتها تؤكدُ ذلك ..

البخاري (٦٠٩٨) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيَحْلَثُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارَهُمْ الْقَهْقَرَى وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَجْلُونَ وَقَالَ عَقِيلٌ فَيَحْلَثُونَ وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٦٠٩٠) :

و حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْمُغِيرَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لِيُخْتَلَجَنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ تَابَعَهُ عَاصِمٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ وَقَالَ حُصَيْنٌ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٣١٠٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ النُّعْمَانَ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنْ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي إِلَى قَوْلِهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

البخاري (٣١٩١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ
عُرُلًا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ
يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي فَيَقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا
مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ
يُوسُفَ الْفَرَبَرِيُّ ذَكَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَبِيصَةَ قَالَ هُمْ الْمُرْتَدُونَ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى عَهْدِ
أَبِي بَكْرٍ فَفَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

البخاري (٦١٠٤) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ
أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى
أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقَالُ هَلْ
شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ تَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ عَلَى
العقب

مسلم (٤٢٤٦) :

و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ ابْنِ خُنَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ
بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَهُوَ
بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِي إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيُقْتَلَنَّ دُونِي
رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ أَيُّ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَأَتَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ مَا زَالُوا
يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ

مسلم (٤٢٤٥) :

قَالَ وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَِّّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤَخِّدُ أَنَسُ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بِعَدِكَ يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ قَالَ فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا

مسلم (٤٢٥٩) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ الصَّفَّارُ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ صُهَيْبٍ يُحَدِّثُ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رَجَالٌ مِمَّنْ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَرَفِعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَيُّ رَبِّ أَصِحَابِي أَصِحَابِي فَلْيَقَالَنَّ لِي إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدِكَ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ فَضَيْلٍ جَمِيعًا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنِ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى وَزَادَ آيَاتُهُ عَدَدَ النُّجُومِ

مسلم (٣٦٧) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَفَتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قَالُوا أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٌ دُهُمٌ بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيُذَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمُّ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بِعَدِكَ فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا حَدَّثَنَا فَتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ ح وَ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنُ حَدَّثَنَا مَالِكٌ جَمِيعًا عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ بِمِثْلِ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَ مَالِكٍ فَلْيَدَاذَنَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي

مسند أحمد (١٩٥٩٠) :

حَدَّثَنَا عَفَانٌ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَحِبَنِي وَرَأَيْتِي حَتَّى إِذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ

مسند أحمد (١٩٦٠٢) :

وَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَرِدَنَّ الْحَوْضَ عَلَيَّ رِجَالٌ مِمَّنْ صَحِبَنِي وَرَأَيْتِي فَاذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ

سنن الترمذي (٢٣٤٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا كَمَا خُلِقُوا ثُمَّ قَرَأَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْخَلَائِقِ إِبْرَاهِيمُ وَيُؤْخَذُ مِنْ أَصْحَابِي بِرِجَالِ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

.. إنَّ عرضنا لبعض الأحاديث التي تُبينُ أن بعضَ رجالِ الجيلِ الأوَّلِ سينقلبون ويرتدون على أعقابهم بعد وفاة النبي ﷺ ، وسيبدلون بعد النبي ﷺ .. هذا العرض لا يعني إلاَّ أنَّ الصحابة (بما فيهم أهل البيت) بشرٌ يُصيبون ويُخطئون كغيرهم من البشر ، وأنَّه لا يمكنُ الجزمُ بعدالةِ جميعهم ، ولا يمكنُ لأحدٍ - بعدَ قرونٍ من موتهم - أن يُصنِّفهم بدرجاتٍ لم يكن ﷺ ذاته ليصنِّفهم بها .. ومن يتوهم من عرضنا لهذه الأحاديث أننا نهدف إلى الإساءة لهم ، فتوهمه هذا دليلنا على أنهم عنده أصنامٌ لا يجوز الاقترابُ منها ، وأنَّ منهجَ الله تعالى عنده ليس غايةً ، إنما هو وسيلةٌ غايتها التاريخُ برجاله ورواياته ، وخوفُهُ من عرضنا لهذه الأحاديث دليلٌ على أنها تحملُ مشكلةً لما يعتقدُ به ، وبالتالي لا يُريدُ إيصالَ هذه الروايات إلى الناس ..

.. وكلُّ التبريرات التي يقومُ بها عابِدو أصنامِ التاريخِ لذرِّ الرمادِ في الأعين من أجل إفراغ هذه الروايات من محتواها ، ليست أكثر من مناورات تهدف إلى إلغاء العقل من أساسه .. ففي هذه الروايات نرى أنَّ النبي ﷺ يصف هؤلاء الذين ارتدوا على أعقابهم بعد وفاته ، يصفهم بأنهم أصحابه وبأنهم من أمته .. فالعبارةُ الواردة في هذه الأحاديث : **[[فَأَقُولُ يَا رَبِّ مَنِّي وَمِنْ أُمَّتِي]]** ، والعبارة : **[[فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي]]** ، والعبارة : **[[فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي]]** .. كلُّ ذلك يؤكِّدُ أنَّ هؤلاء ممن لم يتوقع ﷺ منهم التبديلَ والتغيرَ ، أي أنهم ممن كان مخدوعاً بهم .. فقولهُ ﷺ : **[[فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا]]** وقولهُ ﷺ : **[[فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]]** .. هذا القولُ يؤكِّدُ أنَّه ﷺ يتحدَّثُ عن رجالٍ كان مخدوعاً بهم .. ولسنا مُستعدِّين لأن نُطلقَ عقولنا ونقبل بتأويل هذه الأحاديث تأويلات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، ولا وجودَ لها في حيثيات صياغة عبارات هذه الروايات ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، وأنَّ الصحابة

كلَّ الصحابة عدولٌ مجردٌ كونهم صحابة ، لو كان ذلك صحيحاً لمنعت تلك العدالة

وقوع معركة الجمل وصفين وغيرهما مما أدى إلى قطع رؤوس عشرات الآلاف من الصحابة على أيدي إخوانهم من الصحابة ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، لمنعت تلك العدالة تحويل الخلافة إلى نظام حكم قسري على يد معاوية بن أبي سفيان ، ومن ثم استمرار ذلك قروناً من الزمن في الدولتين الأموية والعباسية ، حيث يُعتبر الابن أميراً للمؤمنين فقط لأنه ولدَ ابناً لوالده الذي ورث هذه الصفة من أبيه كما ورث العقارات والأموال ، دون أي اعتبار لقوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ..

.. لو كانت فرضية عدالة الصحابة - كما يعرضونها - صحيحة ، لمنعت تلك العدالة تمزيق الأمة إلى مذاهب وطوائف متناحرة ، حيث الحامل الفكري لتلك الطوائف والمذاهب مبني على الخلافات التي حصلت بين أفراد الجيل الأول وما تبعهم ، كل طائفة أو مذهب يتعلّق فكرياً بما يُنسب لفرد أو مجموعة من السابقين ..

.. إذا .. فرضية عدالة جميع الصحابة ، بمعنى إضفاء صفة الأمانة في النقل على كل من ثبتت صحبته للنبي ﷺ حسب ما تعارفوا عليه في مسألة الصحبة .. وما يُسمى بعلم الجرح والتعديل وما يتضمّن من تقييم الرجال اللاحقين للرجال السابقين .. وما يصنّف المصنّفون من درجات يضعون الصحابة بها ... كل هذه الفرضيات صناعة بشرية أنتجت بعد قرون من موت النبي ﷺ ومن موت رجالات الجيل الأول .. وهي صناعة لا تمت للعلم الحقيقي بشيء ، لأنها مبنية على مقاربات تاريخية مليئة بالأهواء والعصبيات المسبقة الصنع ..

.. لننظر في الحديث التالي لنرى كيف أن ابن عباس يأبي عن قول يُنسب للنبي ﷺ ، محتجاً بكتاب الله تعالى ..

البخاري (٥١٠٣) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرُو قُلْتُ لِحَبِيبِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ حُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو

الْغَفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبِي ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

.. أليست العبارة : **[[وَلَكِنْ أَبِي ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ**

إِلَيَّ مُحَرَّمًا]] تُبَيِّنُ لَنَا عَدَمَ تَصَدِيقِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِرَوَايَةِ مَنْسُوبَةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ ، مَعْنَى لَمْ يُصَدِّقْ الرِّجَالُ الْحَامِلِينَ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ ، مَعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ..

.. لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نُلْغِيَ الْجَانِبَ الْبَشَرِيَّ فِي أَفْرَادِ الْجَيْلِ الْأَوَّلِ بِمَا يَحْمِلُ مِنْ شَكٍّ ، حَتَّى

فِي تَفَاعُلِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، لِنَنْظُرَ إِلَى الْحَدِيثِ التَّالِي :

البخاري (٣٠٣٩) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَبِيبٍ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَاتَيْتُهُ أُرْوُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا

.. هذان الرجلان من الأنصار ، ألا تنطبق عليهما تعاريف الصحابي ؟!!! .. ولماذا

أسرعا عندما رآيا النبي ﷺ ؟!!! .. وهل كانا سيسرعان لو لم تكن صفية مع النبي ؟!!! ..

ولماذا قال لهما النبي : **[[عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ]]** ؟!!! .. ولماذا قال النبي

ﷺ : **[[إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا**

سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا]] ؟!!! .. ولماذا تُذَكِّرُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ إِنْ لَمْ تَصِفْ الْجَانِبَ الْبَشَرِيَّ فِي

تفاعل الصحابة حتى مع النبي ﷺ ؟!!! ..

.. لننظر إلى الأحاديث التالية لنرى شيئا من الجانب البشري في نفوس أفراد الجيل

الأوّل حتى أثناء وجودهم في حضرة النبي ﷺ :

البخاري (٥٧٦٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَرَدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَ الذَّحْرِ خَلْفَهُ عَلَى عَجْزِ رَاحِلَتِهِ وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ وَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ حَتَّعَمَ وَضِيئَةٌ تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ فَأَخَذَ بِذَقَنِ الْفَضْلِ فَعَدَلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحْجَّ عَنْهُ قَالَ نَعَمْ

مسلم (٣٠١٢) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ عَنْ يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ قَالَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرًا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ فَقِيلَ لِسَعِيدٍ فَإِنَّكَ تَحْتَكِرُ قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ مَعْمَرًا الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ كَانَ يَحْتَكِرُ

البخاري (٤٠١٩) :

حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبِدِ بْنِ زُرَّارَةَ قَالَ عُمَرُ بَلْ أَمْرُ الْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي قَالَ عُمَرُ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَتَمَارِيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا حَتَّى انْقَضَتْ

البخاري (٤٤١٤) :

حَدَّثَنَا زَكَرِيَاءُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ هِشَامُ حَدَّثَنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبِنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقُولُ

أَتَهَبُ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ قُلْتُ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ

البخاري (٦٢٥) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى قَالَ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَعْمَرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يَمْرُضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَحُطُّ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ قَالَ عَبِيدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ لِي وَهَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ قُلْتُ لَا قَالَ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

البخاري (٢٣٩٣) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسُودَةُ وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمَّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةً يُرِيدُ أَنْ يَهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْرَجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبَ الْهَدِيَّةِ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمَّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بِيوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمَّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلَتْهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِمِيهِ قَالَتْ فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلَتْهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا كَلِمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ لَهَا لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةُ قَالَتْ فَقَالَتْ أَنْتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمْتُهُ فَقَالَ يَا بَنِيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ قَالَتْ بَلَى فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتَهُنَّ فَقُلْنَ أَرْجِعِي

إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلَنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَنْتَهَا قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ الْبُخَارِيُّ الْكَلَامُ الْأَخِيرُ قِصَّةُ فَاطِمَةَ يُذَكَّرُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَقَالَ أَبُو مَرْوَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ كَانَ النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بِهِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَعَنْ هِشَامِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَرَجُلٍ مِنَ الْمَوَالِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَتْ عَائِشَةُ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنْتُ فَاطِمَةَ

.. هذه الرواية الأخيرة ومن منظار أولي الأبواب تَضَعُ عابدي أصنام التاريخ في موقف لا يُحسدون عليه .. فإن كانت هذه الرواية صحيحة وَيُكْفَرُ مَنْ يَنْكُرُهَا لكونها في الصحاح حسب ما يخطبون على الناس ، فإنَّ فَاطِمَةَ بنت مُحَمَّدٍ ﷺ تقولُ لأبيها بناءً على طلبِ نِسائه : **[[إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ]]** ، وفي هذا اتِّهامٌ للنبي ﷺ من زوجاته أنه ليس عادلاً ، وماذا كانت إجابة النبي حسب هذه الرواية ، كانت الإجابة : **[[يَا بُنَيَّةُ أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ]]** ، وأيضاً زوجته زينب بنت جحش أتته فأغلظت وقالت له : **[[إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدُنَكَ اللَّهُ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ]]** ، وفي هذا تأكيدٌ للاتِّهام ، وبعد ذلك رَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاولَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا ، والأهم من كلِّ ذلك هو موقفُ النبي من هذه الأمور ، وهو أنه كان ينظر إلى أن تردَّ عائشة عليها حتى رَدَّتْ وأسكتتها ..

.. هل هذه القصة تليقُ بمن يصفه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله : **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى**

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] !!!؟ .. هل هذه القصة تتناسبُ مع تقديسهم لأفرادِ الجيلِ

الأوَّل الذي يشمل فيما يشمل أزواج النبي ﷺ !!!؟ .. ولماذا يخافون من قراءة مثل هذه الروايات على الناس إن كانت جزءاً من المقدَّس كما يزعمون !!!؟ .. وإن كانت الرواية

غير صحيحة ، فلماذا تُرْفَعُ هي ومثيلاًتها إلى درجة المقدّس ؟!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. عندما ننظرُ إلى رجال الجليل الأوّل على أنّهم رجال ، وأنّ ما وصلنا عنهم هو جزءٌ من التاريخ لا يمكنُ رُفَعُهُ إلى درجة النصب المقدّس ، وأنّ قيمته هي من موافقته لدلالات كتاب الله تعالى .. حين ذلك فقط لا نكون كالمعنيين بقوله تعالى ..

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿ [الزخرف : ٢٢ - ٢٣]

.. عندما نضع القرآن أمام أعيننا وليس خلف ظهورنا .. عندما نعتقد أنّه ليس ناقصاً تُكمله الروايات .. عندما نعتقد أنّ التاريخ برجالته ورواياته ليس حجّة على كتاب الله تعالى ، وأنّ كتاب الله تعالى هو المعيار للتاريخ وليس العكس .. عندما نرى كتاب الله تعالى بعين العقل والتدبّر المجرّد عن التاريخ برجالته ورواياته .. عندما نُدرِك أنّ كلّ هذه العصبية المذهبية والطائفية ليست نتاجاً علمياً استنباطياً من منهج الله تعالى ، وأنّها ليست إلاّ نتاجاً سياسياً لبعضٍ منعطفات التاريخ .. حين ذلك فقط لا نكون كالمعنيين بقوله تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١]

.. وحين ذلك نُدرِك أنّ قولَ الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يصفُ عابدي أصنام التاريخ من المحسوبين على الرسالة الخاتمة بدرجة لا تقلُّ عن الدرجة التي يصفُ بها أهل الكتاب ..

.. المنهج الحقّ الذي تكفّل الله تعالى بحفظه يحمّلُ التاريخ بأعماقه ، ولا يُحمَلُ بالتاريخ وأدواته ورجالاته .. وفي منهج الرسالة الخاتمة الصالح لكلّ زمان ومكان ، لا يحقّ

لجليل أن ينوبَ عن الأمةِ إلى قيامِ الساعة ، تدبّراً وتأطيراً لأحكام المنهج وفهم دلالاته ..
وإلا كيف بنا أن ندرك دلالات كتاب الله تعالى :

﴿ سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

.. وإلا كيف بنا أن نفهم دلالات قوله تعالى :

﴿ وَتَعَلَّمْنَ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨]

.. بعد كلِّ ما رأيناه من آيات وروايات يتبيّن أمام أعيننا أن فرضية عدالة جميع الصحابة ، بمعنى أنهم فوق الجرح ، وأنه علينا أن نأخذ ما يُروى عن بعضهم عن الرسول ﷺ .. يتبيّن لنا أن هذه الفرضية عبارة عن وهم ، دون أن يعني ذلك أنه لا يوجد عدلٌ بين الصحابة .. ما نعينه أن فرضية عدالة الصحابة كما تُعرَضُ فيما يُسمّى بعلوم الحديث ، هي وهمٌ وليست نظريةً علميةً تستند إلى كتاب الله تعالى والعقل والمنطق ..

.. والسؤال الذي يطرحُ نفسه في هذا السياق هو : هل هذا التعصّبُ الذي رأيناه في مسألة فرضية عدالة الصحابة ، هل هو موجودٌ في مسألة آل البيت عند جناح الأمة الآخر ، وما هو موقعُ فرضية عصمة آل البيت بين الوهم والحقيقة ؟ .. هذا السؤال سنحاول - إن شاء الله تعالى - الإجابة عليه في المحطّة القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة السابعة

((فرضية عصمة آل البيت بين الوهم والحقيقة))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. قبل الدخول في تبيان فرضية عصمة آل البيت ، لا بُدَّ أن نُبيِّن أن نقد هذه الفرضية لا ينتقص أبداً من آل البيت كقيمة يتعلقون بها دماً بالنبي ﷺ .. ولا ينتقص من حقهم التاريخي كونهم تعرّضوا للذبح والاستبداد على أيدي بعض رجالات الجيل الأوّل ، فنقد فرضية عصمة آل البيت ، لا يختلف - أبداً - عن نقد فرضية عدالة الصحابة ... هدفنا من دراسة هذه الفرضية ونقدها هو الوقوف على حقيقة منهج الله تعالى ، الذي هو غايتنا ، وليست غايتنا آل البيت كما أنه ليست غايتنا الصحابة .. فالمنهج أكبر من التاريخ ورجالته ، سواء كانوا أهل بيت أم صحابة ..

.. في كتاب الله تعالى تردُّ كلمة آل : (٢٦) مرّة ، تأتي فيها مرتبطة بإبراهيم ولوط ويعقوب وموسى وهارون وداود وعمران وفرعون ، ولا يوجد في كتاب الله تعالى نصٌّ قرآني واحد فيه العبارة : (آل البيت) أو (آل محمد) ، أو حتى فيه إشارة إلى هذه العبارة .. هذه حقيقة قرآنية ، بإمكان أيِّ إنسان أن يتأكّد من صحتها ما يردُّ في

كتاب الله تعالى هو العبارة ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ ﴾ .. إذا .. دراستنا القرآنية لهذه الفرضية - في هذه المحطة - ستمحور حول دلالات العبارة القرآنية : ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ ﴾ ..

.. كلمة (أهل) في كتاب الله تعالى مُستقلّة عن النسل والدم ، بمعنى أنها لا تقتضي حتمية التعلّق بالنسل والدم .. فلربما يكون من النسل والدم مَنْ هو ليس من الأهل .. لننظر إلى الصورة القرآنية التالية ..

﴿ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ سَعَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۗ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ ﴿٤٧﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْهُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۗ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۗ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۗ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦ - ٤٦]

.. العبارة القرآنية ﴿ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ ﴾ ، تبين لنا بشكلٍ جليٍّ أنّ الذي غرق هو ابنُ نوح .. والعبارة القرآنية ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۗ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، تبين لنا بشكلٍ جليٍّ أنّ هذا الابن ليس من أهل نوح عليه السلام ، والسبب أنّه عمَلٌ غيرُ صالح .. فلاّ أنّه عمَلٌ غيرُ صالح تمَّ إخراجُه من انتسابه أهلاً إلى أبيه ، مع أنّه ابنٌ لأبيه .. إذا .. مسألة الأهل مُجرّدة عن النسبِ الدمويِّ والسلالة ، وتتعلّق بالعمل والعقيدة ..

.. والعبارة القرآنية ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ ﴾ ترد في كتاب الله تعالى مرّتين ، هما في

الصورتين القرآنتين التاليتين ..

﴿ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾
 قَالَتْ يَنْوِيئَتِي ۗ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾
 قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾
 [هود : ٧١ - ٧٣]

﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ
 تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنَّمَا
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا
 يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
 [الأحزاب : ٣٢ - ٣٤]

.. إننا نرى أن العبارة: ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ ﴾ ترد في كتاب الله تعالى ، عبر سياق متعلق
 بامرأة إبراهيم عليه السلام ، وعبر سياق آخر يتعلق بنساء النبي ﷺ .. ودراسنا لفرضية
 عصمة آل البيت ، سنتعلق من العبارة القرآنية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
 الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، كون هذه الفرضية تعتمد على هذه العبارة في
 إثبات العصمة ..

.. في البداية .. نرى أن هذه العبارة موجودة في قلب نص قرآني يُصور أحكاماً
 خاصةً بنساء النبي ﷺ ، وترد بصياغة تختلف عن صياغة النص المحيط بها ، بمعنى أن صيغ
 المخاطبة في النص المحيط بها تأتي بصيغة المؤنث ، بينما صيغة المخاطبة بها تأتي بصيغة المذكر
 : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. فلماذا
 لم ترد هذه العبارة القرآنية بصيغة موافقة لصيغة النص المحيط بها ، وهي صيغة المؤنث ، أي

لماذا لم تأتي هذه العبارة القرآنية على الشكل : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ؟!!! ..

.. إن هذا الاختلاف في صيغة المخاطبة هو لحكمة إلهية مُراد ، فلو أتت هذه العبارة القرآنية بصيغة المؤنث ، أي بالشكل : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ، لاختصرت ساحة أهل البيت بنساء النبي ﷺ فقط .. وورودها بصيغة المذكور لا يعني استثناء نساء النبي ﷺ من أهل البيت ، إنما يعني أن أهل البيت هم نساء النبي ﷺ وغيرهن .. وهذا يُعطي لمسألة أهل البيت إطلاقاً يتجاوز نساء النبي ﷺ ، دون استثناءهن من ذلك ..

.. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى كيف يُحتج بصيغة المذكور دون المؤنث لإخراج نساء النبي ﷺ من أهل البيت ، في الوقت ذاته الذي تُعتبر فيه فاطمة من أهل البيت ؟!!! .. أليست هي الأخرى أنثى ؟!!! .. فلماذا تخرج نساء النبي ﷺ من إطار مسألة أهل البيت كونهن إناثاً ، ولا تخرج فاطمة من مسألة أهل البيت كونها أنثى ؟!!! .. إذا الاستدلال بأن نساء النبي ﷺ لا ينتمين إلى ساحة أهل البيت بسبب كون هذه العبارة القرآنية بصيغة المذكور ، هو استدلال غير سليم ..

.. وفوق ذلك .. ألم تُخاطب نساء النبي ﷺ في كتاب الله تعالى بصيغة المذكور .. يقول تعالى :

﴿ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفٰحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى ٱللّٰهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

﴿ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ ٱلْقَوْلَ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢]

.. أليست الكلمتان : ﴿ يَأْتِ ﴾ ، ﴿ كَأَحَدٍ ﴾ ، هما بصيغة المذكور على الرغم من ورودهما في سياق قرآني خاص بنساء النبي ؟ .. وهنا نتوجه بالسؤال لمن يحتج بأن

نساء النبي لا ينتمين إلى أهل البيت بناءً على ورود العبارة التي هي قيد الدرس بصيغة المذكّر ، فنقول لهم : هل المقصود - في هاتين الصورتين القرآنيّتين - المذكور دون الإناث ، بناءً على هذه الصيغة ، أم أنّ احتجاجكم هذا ليس سليماً ؟!!! ..

.. إذا الاستدلال بصيغة المذكّر دون المؤنث في العبارة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، وذلك لإحراج أزواج النبي ﷺ من ساحة أهل البيت ، هو استدلالٌ ليس سليماً ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال ، وهو عصبيةٌ مسبقةٌ الصنع تبحث لها عن مقدماتٍ بمنهجيةٍ غير موضوعيةٍ وغير علميةٍ ..

.. إذا .. ورود الصورة القرآنيّة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دون الصيغة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، هو لحكمة إلهية مُرادّة ... ومن هذه الحكمة السببان التاليان :
- هذه العبارة بهذه الحيثيّة من الصياغة ، تُدخِلُ نساء النبي ﷺ في مسألة (أهل البيت) ، وفي الوقت ذاته تُدخِلُ غيرهن ، فكما بيّنا لو أتت الصياغة القرآنيّة بصيغة المؤنث ، لانحصر مفهوم أهل البيت بنساء النبي فقط ، ولكنها بهذه الصياغة تشمل ساحةً أوسع ..

- هذه العبارة بهذه الحيثيّة من الصياغة ، تُبيّن لنا أنّ المسألة تتعلق بالعرض والشرف ، وبالتالي هي مسألة همّ الجميع ذكوراً وإناثاً ... ولو نظرنا في السياق القرآني السابق لهذه العبارة القرآنيّة لرأينا أحكاماً تتعلق بذلك : ﴿ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ

فِي طَمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٦٦﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. هذه

الأحكام كسرفٍ وعرض همّ الجميع على حدّ سواء ، سواء كانوا النبي ﷺ ، أو نساءه ، أو أهل بيته ، أو المؤمنين المنتسبين عقيدة لأهل البيت ..

.. ولو كانت مسألة أهل البيت مسألة نسب دموي، لكان أبو لهب منتمياً إليها ، فنحن نعلم أن أبا لهب بعد فاطمة بنت النبي ﷺ هو من أقرب الناس (دمياً) إلى النبي .. فهل قرابة أبي لهب الدموية للنبي تُدخِلُه في ساحة أهل البيت ؟!!! ، وهل تعطيه أيّ درجةٍ للتقرّب إلى بيت الرسالة والنبوة ؟!!! ..

.. إذاً مسألة أهل البيت ليست مُقتصرةً على أفرادٍ مُحدّدين دون غيرهم ، إنّها مسألةٌ تتعلّق باقتراب الإنسان - أيّ إنسان - من منهج الرسالة والنبوة ، اقتراباً يجعلُه أهلاً لأن يحملَ هذا المنهج ويخلصَ به .. هكذا نفهم دلالات كلمة أهل من كتاب الله تعالى .. فالعبارة القرآنية : **﴿ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾** لا تُفيدُ أيّ دلالةٍ للنسب الدموي ، ولا تحصر المسألة بإطارٍ تاريخي .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : **﴿ أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ ﴾** ، فهذه العبارة - أيضاً - لا تتعلّقُ بها أية دلالةٍ لنسبٍ دموي أو تاريخي .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : **﴿ أَهْلُ الذِّكْرِ ﴾** .. وكذلك الأمر بالنسبة للعبارة القرآنية : **﴿ أَهْلُ النَّارِ ﴾** ... والآية الكريمة التالية تضعُ التّقاط على الحروف في رسم دلالات كلمة أهل : **﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴾** [المدثر : ٥٦] .. والاحتجاج ببعض الروايات التي تُبينُ أن أهل البيت هم فقط عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، كالروايات التالية ..

مسلم (٤٤٥٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ عَنْ زَكَرِيَاءَ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيُّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

الترمذي (٣٨٠٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَأَبِي الْحَمْرَاءِ وَمَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ وَعَائِشَةَ

أحمد (٢٥٣٨٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَحَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ قَالَ إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ

.. الاحتجاج بهذه الروايات على مسألة مبيّنة في كتاب الله تعالى ، بحيث تُعدُّ مثل هذه الأحاديث معياراً لفهم دلالات كتاب الله تعالى ، هو احتجاج ليس سليماً على الإطلاق .. فهذه الروايات شأنها شأن غيرها من الروايات ، تأخذ مصداقيتها من موافقتها لكتاب الله تعالى ، وبالتالي فالاحتجاج بها على أنها مائة بالمائة صحيحة ، في الوقت الذي يُعتبرُ غيرها من الروايات ليست صحيحة على الرغم من ورودها في ذات كتب الأحاديث ، هذا الاحتجاج لا يستند إلى أي منهجية علمية في البحث ، وهو ناتج عن عصبية مسبقة الصنع ، مادتها هوى النفس الأمارة بالسوء ونزوعها نحو الأصنام ، وقالها العصبية المذهبية والطائفية التي تتولد من ردود الأفعال تجاه الآخرين ..

.. وفي هذه النقطة بالذات نرى كيف أنّ المنهجية العلمية في تناول روايات الأحاديث بعيداً عن العصبية المسبقة الصنع ، نرى أنّ هذه المنهجية العلمية - للأسف - ليست موجودة عند السنة والشيعنة على حدّ سواء .. فالشيعنة يأخذون بهذه الأحاديث دليلاً على حصر أهل البيت بالأشخاص الواردين في هذه الأحاديث ، في الوقت الذي لا

يعترفون فيه بمصداقية معظم الأحاديث الواردة في ذات الكتب .. فلماذا هذه الأحاديث صحيحة ، وغيرها ليس صحيحاً على الرغم من أنها جميعها ترد في ذات الكتب !!! ..
 .. وأهل السنة يقولون إن مفهوم أهل البيت يشمل نساء النبي ﷺ ، في الوقت الذي يُفرون به بصحة هذه الأحاديث ، فهم يُفرون حقيقةً صحيحةً ولكنهم - في الوقت ذاته - يُفرون روايات تُناقض هذه الحقيقة الصحيحة ..

.. وفي تناول السنة والشيعه لمثل هذه الروايات ، نرى أننا أمام عصبية وأهواء مُسبقة الصنع لا تعتمد على أي منهجية علمية في البحث .. فكلا الطرفين لم يذهب إلى وضع هذه الروايات وغيرها في ميزان القرآن الكريم ، بحيث يكون القرآن الكريم فيصلاً في تحديد صدق الرواية بناءً على مَنها ، وفيصلاً في تحديد دلالاتها ..

.. من هنا نرى كيف أن المذاهب والطوائف كمنظومات فكرية ، ليست نتاجاً علمياً مُستنبطاً من كتاب الله تعالى بمنهجية سليمة ، إنما هي نتاج سياسي مدفوع بعصبية وهوى وتقديس لأصنام التاريخ ، وبالتالي فهي صناعة بشرية محضة ، لا تُنتج إلا مزيداً من تشرذم الأمة وإغراق أبنائها - مع الزمن - في مستنقعات التاريخ ..

.. ولنأت إلى فرضية عصمة آل البيت ، التي هي جوهر دراستنا في هذه المحطة .. لقد تم الاعتماد على العبارة القرآنية ذاتها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، لإثبات فرضية عصمة آل البيت .. ولو نظرنا في هذه العبارة القرآنية لرأينا إرادة الله تعالى فيها إرادةً شرعيةً وليست إرادةً كونيةً .. ففي كتاب الله تعالى تُقسَمُ الإرادةُ إلى قسمين :

١ - هناك إرادة كونية تتعلق في إيجاد الله تعالى للأشياء المادية ، وهي حتمية الوقوع ، فإرادة الله تعالى الكونية في إيجاد الأشياء لا بُدَّ وأن تتحقق .. لننظر إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .. إننا نرى - في هذه الآية الكريمة - أن الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا ﴾ ، وأنه لم يقل : (إذا أراد أمراً) ، وهذا دليل على أن الإرادة المعنية هنا هي الإرادة الكونية وليست الإرادة الشرعية

.. فكلمة (شيء) تحمل دلالات تتعلّق بعالم الخلق ، وكلمة (أمر) تحمل دلالات تتعلّق بعالم الأمر .. وعالم الخلق وعالم الأمر عالمان متمايزان .. يقول تعالى : ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٥٤]

٢ - هناك إرادة شرعية لله تعالى ، تتعلّق بتبيان منهج الله تعالى وأوامره وما يحمل من تكليف للكائنات المكلفة ، وهذه الإرادة ليست حتمية الوقوع كالإرادة الكونية .. فلو كانت الإرادة الشرعية حتمية الوقوع لرفع التكليف ، ولما كان هناك معنى لفلسفة الثواب والعقاب ..

.. في كتاب الله تعالى .. إرادة الله تعالى الشرعية تتعلّق بعدم حصول الظلم للعالمين ، وبأن يتجه الإنسان بقصده وعمله إلى الآخرة ، وأن لا يتجه إلى عرض الدنيا الزائل ..

﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٠٨]

﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [

الأنفال : ٦٧]

﴿ **وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ** ﴾ [غافر : ٣١]

.. وهنا نسأل السؤال التالي : هل جميع البشر عملوا بهذه الإرادة الشرعية التي يريدونها الله تعالى لهم جميعاً ؟ .. بالتأكيد لم يعمل جميع البشر بمقتضى هذه الإرادة الشرعية لله تعالى ، فنحن نرى الظلم بين العالمين ، ونرى أن الذين يريدون الآخرة ولا يريدون عرض الدنيا الزائل ، هم الأقلية من البشر ، مع أن إرادة الله تعالى الشرعية المعنية في هذه الآيات الكريمة هي لكل البشر دون استثناء ..

.. لننظر إلى النص القرآني التالي ، الذي يُصوّر لنا إرادة الله تعالى الشرعية المتعلقة

بتبيين الحق لكل الناس ، وبهدايتهم ، وبقبول توبتهم ..

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٧]

.. فهل جميع البشر عملوا بهذه الإرادة الشرعية لله تعالى ، فاهتدوا ونالوا توبة الله تعالى وغفرانه ، مجرد أن الله تعالى يريد لهم ذلك ؟ !!! .. أبداً ... تحقق هذه الإرادة الشرعية يكون بالعمل وفق أحكام الله تعالى التي بينها لعباده ، وهداهم إليها .. هذا ما ندركه من دلالات هذه الآية الكريمة ..

.. وإرادة الله تعالى في العبارة القرآنية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ هي بالتأكيد إرادة شرعية وليست كونية ، فإذ هاب الرجس والتطهير مسألتان ليستا كونيتين ، وتحققان بالعمل الذي يؤدي إليهما .. فالله تعالى يريد لأهل البيت إذهاب الرجس والطهارة .. أما وقوع هذه الإرادة فهو مسألة متوقفة على عمل أهل البيت وفق مقتضيات تحقيق هذه الإرادة الشرعية على أرض الواقع ..

.. وهذه الإرادة الشرعية - كما نرى - ترد بصيغة المضارع : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ، وهذا يؤكد أن إرادة التطهير وإذهاب الرجس هي مسألة تفاعل مستمر ، ومسألة حياة تتعلق بالعمل الذي يقوم به أهل البيت في حياتهم الدنيا لتحقيق وقوع هذه الإرادة التي تؤدي إلى الطهارة وإذهاب الرجس .. فالله تعالى لم يقل : (إِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ آلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) .. ولم يقل : (إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ آلَ الْبَيْتِ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً) ، ولم يقل : (إِنَّ اللَّهَ عَصَمَكُمْ آلَ الْبَيْتِ) .. إنما يقول جلّ وعلا : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا .. فالمسألة إذاً مسألة إرادةٍ شرعيةٍ يحتاجُ تحقيقُها إلى عملٍ مُستمرٍ من قِبَلِ أهلِ البيتِ المعنيين بهذه العبارة القرآنية ..

.. ولو فرضنا - جدلاً - أن الإرادة المعنوية في العبارة القرآنية : **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**

لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا ، لو فرضنا - جدلاً - أنها إرادةٌ كونيةٌ ، لَمَا كان هناك من قيمةٍ إيمانيةٍ للمعنيين بهذه العبارة القرآنية .. فحينما يكونُ إذهابُ الرجسِ والتطهيرُ مسألةً كونيةً ليست شرعيةً ، ولا علاقةً لها بعملِ الإنسانِ وفقَ منهجِ الله تعالى بما يقتضي إذهابَ الرجسِ والتطهيرِ ، حين ذلك يكونُ المعنى خارجَ التكليفِ بالنسبةِ لهذه المسألة ، وهذا يتناقضُ مع كَلِيَّةِ ما يحمله القرآنُ الكريمُ من دلالاتٍ تُؤكِّدُ أنَّ الرجسَ - بالنسبةِ للإنسانِ - مسألةٌ ليست كونيةً ، إنما هي مسألةٌ شرعيةٌ ، يجعلها اللهُ تعالى على الإنسانِ نتيجةَ عدمِ إيمانه وعدمِ تعقله .. يقولُ تعالى ..

﴿ كَذَلِكَ سَجَعُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

﴿ وَجَعَلَ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠]

.. وبالتالي فإنَّ وَصْفَ الإرادةِ المعنويةِ في قَوْلِهِ تعالى : **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ**

عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيرًا بأنها إرادةٌ كونيةٌ وليست إرادةً شرعيةً - هو في النهاية - إساءةٌ لأهلِ البيتِ ، فذلك يحملُ افتراضاً أنَّهم أُذْهِبَ عنهم الرجسُ وطُهِرُوا تطهيراً ، دون إيمانٍ وتعقلٍ اقتضى إذهابَ الرجسِ واقتضى التطهيرِ ، وبالتالي - حسبَ هذا الفرضِ غيرِ السليمِ - لا يحملون أيَّ قيمةٍ إيمانيةٍ يتميِّزونَ بها ، وهذا يتنافى مع دلالاتِ العبارةِ القرآنيةِ : **﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾** ..

.. إذاً .. نساءُ النبي ﷺ - أزواجه وبناته - واللاتي يُخاطبُهُنَّ اللهُ تعالى بقوله :

﴿ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ ، حينما يتمثلن أحكامَ الله تعالى ويعملن

بها : **﴿ إِن أَنْفَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**

﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ

الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ .. حين ذلك .. تتحقق إرادة الله تعالى الشرعية في أهل

البيت (ذكوراً وإناثاً) بصون عرضهم وشرفهم وبتمثلهم لأحكام الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. بمعنى .. أن

عمل نساء أهل البيت والتزامهن بأحكام العبارات القرآنية السابقة لعبارة التطهير في الآية
ذاهما ، يُحَقِّقُ إرادة الله تعالى الشرعية في إذهاب الرجس والتطهير بالنسبة لأهل البيت ..

.. وبعيداً عن الأهواء والعصبيات والموروثات التي ينقضها كتاب الله تعالى .. بعيداً

عن ذلك ، وفي دلالات كتاب الله تعالى نرى أن نساء النبي ﷺ لا يمكن القول بأنهن

معصومات عن الخطأ ، شأنهن بذلك هو شأن أي إنسان .. ولا يمكن الجزم بأن كل ما

يَعْمَلُنَّهُ سُنَّةٌ مَّقْتَبَسَةٌ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. ولا يمكن الجزم بأنهن أفضل الموجود في

عصرهن من النساء .. فالعبارة القرآنية ﴿ خَيْرًا مِّنْكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُدَّ

إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُدَّ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ مِّسَامَتٍ مُّؤْمِنَتٍ قَنِينَتٍ تَتَّبِعَتِ عَدِيَاتٍ

سَتَبِحَتْ ثِيَابَهُنَّ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] ... هذه العبارة : ﴿ خَيْرًا مِّنْكُمْ ﴾ ، تُبَيِّنُ

أنه في حال طلق النبي ﷺ نساءه فإن الله تعالى سيبدلهن أزواجاً خيراً منهن ، وتلك الزوجات

المفترضات لا بد أن يكون لهن وجود في عصر النبي ﷺ ، فالله تعالى لا يمكن أن يعني

أزواجاً لا وجود لهن على أرض الواقع ، أو أزواجاً من عصر آخر ، أو أزواجاً من الآخرة

، لأن التبديل المعني هو في الدنيا وليس في الآخرة ..

.. والعبارة : ﴿ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ ﴾ التي لا تعني اليقين ، وذلك بورود كلمة ﴿ إِنْ ﴾ دون

كلمة (إذا) ، في قوله تعالى : ﴿ يٰٓيَسَّاءُ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۗ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢

[.. هذه العبارة : ﴿ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ ﴾ تُؤَكِّدُ لنا الجانب البشري الذي يعني احتمال الخطأ

وعدم العصمة في ذات نساء النبي ﷺ ، شأنهن في ذلك شأن كل أهل البيت ، وبالتالي فهذه العبارة **« إِنْ أَتَقَيْنَ »** تؤكد صحة ما نذهب إليه من الوسطية والاعتدال في صحة ما نقول ، فلو كانت التقوى حتمية الوقوع لوردت كلمة (إذا) دون كلمة **« إِنْ »** ..

.. وكلامنا هذا لا يحمل أي إساءة لزوجات النبي ﷺ ، أو لأهل البيت ، كما سيتوهم التائهون عابدين أصنام التاريخ الذين لا تعنيهم حقيقة دلالات كتاب الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد .. نحن نقول : أزواج النبي ﷺ بشر يتطهرن بمقدار التزامهن بإرادة الله تعالى الشرعية ، للتطهير وإذهاب الرجس .. شأنهن بذلك شأن سائر أهل البيت .. فأزواج النبي ﷺ يكفيهن شرفاً ومرتبته تميزن بها عن غيرهن من نساء عصرهن ، أن الله تعالى وصفهن بأنهن أزواج للنبي ﷺ وأمّهات للمؤمنين .. يقول تعالى :

« النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » [الأحزاب : ٦]

... وصفة الزوجية مع النبي ﷺ هي صفة تشرف بها أي امرأة ، لأنها تعني دخول ساحة الطهارة والنقاء والخلاص .. وكنا قد بينا كيف أن المرأة التي تمس نفسها لمقام النبوة : **« وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ »** [الأحزاب : ٥٠] ، تكون قد اختارت الخلاص والطهارة والابتعاد عن زينة الحياة الدنيا وشهواتها ، وهذا شرف يميزها عن غيرها من النساء ..

.. أعتقد أننا أصبحنا أكثر إدراكاً لربط عبارة التطهير وإذهاب الرجس مع العبارات المحيطة بها **« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا »** .. وأعتقد أننا أصبحنا أكثر إدراكاً لورود هذه العبارة بصيغة المذكر دون صيغة المؤنث ..

.. إذا .. لا يمكن الاستدلال بالإرادة الواردة في هذه العبارة القرآنية على حتمية وقوع إذهاب الرجس والتطهير ، وهذا الاستدلال ليس سليماً في معيار كتاب الله تعالى ، فهو مبني على عصبيات مسبقة الصنع لا وجود لها إلا في روايات التاريخ المنسوجة أصلاً على منوال تلك العصبيات ..

.. ولننظر مرةً أخرى في ذات العبارة القرآنية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .. إننا نرى أن إرادة الله تعالى لا تتعلق بالعصمة لا من قريب ولا من بعيد ، فلا وجود لكلمة تُشير إلى العصمة في هذه العبارة القرآنية .. وما تتعلقُ به هذه العبارة القرآنية هو إذهابُ الرجس والتطهير ..

.. في كتاب الله تعالى تتعلقُ العصمةُ بإبلاغِ منهجِ الله تعالى ، أي تتعلقُ بصفةِ الرسالةِ حصراً .. يقولُ تعالى مخاطباً رسوله ﷺ بصيغةِ الرسالةِ حصراً دون أيِّ صيغةٍ أخرى: ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .. إذاً .. العصمةُ هي في تبليغِ المنهج ، كَوْنُ المنهجِ محفوظاً من الله تعالى ، وهذا الحفظُ يتطلبُ عصمةَ الرسولِ ﷺ في إبلاغِ ذلك المنهجِ المحفوظ ..

.. بينما إذهابُ الرجسِ والطهارةُ ، فهما مسألتان تتعلقان بالخلاصِ لله تعالى والنقاء ، وبالتالي تتعلقان بصفةِ النبوةِ .. ولذلك نرى أن السياقَ القرآنيَّ المحيطَ بعبارةِ التطهيرِ وإذهابِ الرجسِ ، نرى أن هذا السياقَ يتعلقُ بمسألةِ النبوةِ ، من خلالِ ذِكْرِ نساءِ النبي ﷺ والأحكامِ الخاصةِ المتعلقةِ بهنَّ كونهنَّ نساءَ النبي .. ففي السياقِ القرآنيِّ السابقِ لعبارةِ التطهيرِ نرى العبارةَ القرآنيةَ: ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، وهذا يُؤكِّدُ أنَّ المسألةَ مسألةَ خصوصيةِ نساءِ النبي يتميِّزُ بها عن باقي النساءِ ، أي أنَّ المسألةَ مسألةُ إذهابِ الرجسِ والطهارةِ والعملِ لصورِ الشرفِ والعرضِ من أجلِ تحقُّقِ هذه الإرادةِ الشرعيةِ .. ولا علاقةٌ لذلك بالعصمةِ في إبلاغِ المنهجِ عن الله سبحانه وتعالى .. ولو قرأنا عبارةَ إذهابِ الرجسِ والتطهيرِ ضمن سياقها القرآنيَّ المحيطَ بما قرأناه بحثٍ عن الحقيقةِ ، لرأينا صححةً ما نذهبُ إليه .. يقولُ تعالى ..

﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا

نُوتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٠﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ
النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٣١﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٢﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٣﴾ [الأحزاب : ٣٠ - ٣٤]

.. إنَّ العصبية المسبقة الصنع التي تقف وراء فرضية عصمة آل البيت ، كانت نتيجة ردود أفعال على ما تعرض له أهل البيت من ظلم ومن تقتيل ومن أعمال يندى لها الجبين ، على يد إخوانهم من أبناء جيلهم .. فكانت ردّة الفعل تتجلى في تضخيم أهل البيت وتصويرهم في صور لا يقبلونها هم لو كانوا أحياء ..

.. ومع الزمن يزداد الغرق في مستنقع العصبية المذهبية ، وتزداد وتيرة الأفعال وردود الأفعال على ما يقوله الآخرون الغارقون في مستنقعات العصبية المذهبية الأخرى ، وبالتالي ينمو المنهج المبني على الخوارق المصطنعة ، ليصور رجال المذاهب أصناماً لها صفاتها الخارقة التي لا يقبلها كتاب الله تعالى ولا عقل سليم ولا منطق .. ولرؤية هذه الحقيقة ما علينا إلا أن ننظر في النصّ التالي الوارد في كتاب : (أصول الكافي) :

[[عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن يونس بن يعقوب ، عن الحارث بن المغيرة ، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي ، سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول : إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون ، ثم مكث هنيهة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عزّ وجل ، إنَّ الله عزّ وجل يقول : ((تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ))]] ..

.. يعلمنا كتابُ الله تعالى أنّه حتى الرسول ﷺ لم يكن يعلم الغيب ، يقولُ تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۗ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
[الأنعام : ٥٠] .. ويقولُ تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۗ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
[الأعراف : ١٨٨] .. ويقولُ تعالى :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۗ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩] ..

.. وكنا قد رأينا كيف أنه ﷺ لم يكن يعلم الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة في عصره : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١]

.. فكيف إذاً يمكننا أن نصدّق الكلام الموضوع على لسان أبي عبد الله في هذه الرواية الموضوعه ، بأنه قال : [[إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون]] ؟ !!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. وكيف بنا أن نصدّق الكلام التالي الموضوع - أيضاً - على لسان الرسول ﷺ في النصّ التالي الذي نقله بحرفيته من كتاب (أصول الكافي) :

[[عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن الحسن بن سيف ، عن أبيه ، عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب رسول الله ﷺ وآله الناس ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه ثم قال : أتدرون أيها الناس ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال :

فيها أسماء أهل الجنة وأسماء آباؤهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثم رفع يده الشمال فقال : أيها الناس أتدرون ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : أسماء أهل النار وأسماء آباؤهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثم قال حكم الله وعدل ، حكم الله وعدل ، فريق في الجنة وفريق في السعير] ..

.. هذه العصبية التي هي ردود أفعال على ما تعرض له أهل البيت من ظلم ، والتي ينقضها كتاب الله تعالى جملة وتفصيلاً ، نراها تتجلى في الرواية التالية التي نقلها من كتاب (أصول الكافي) :

[علي بن محمد ومحمد بن الحسن ، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن الحسن بن شمون ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم ، عن عبد الله بن القاسم ، عن صالح بن سهل الهمداني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ)) فاطمة عليها السلام ، ((فِيهَا مِصْبَاحٌ)) الحسن ، ((الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ)) الحسين ، ((الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)) فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ، ((يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)) إبراهيم عليه السلام ، ((زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ)) لا يهودية ولا نصرانية ، ((يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ)) يكاد العلم ينفجر بها ، ((وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ)) إمام منها بعد إمام ، ((يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)) يهدي الله للأئمة من يشاء ،] ..

.. لا نستطيع أن نقبل مثل هذه التأويلات المفتراة على لسان أبي عبد الله إلا بعد أن نطلق عقولنا ، وأن ننسى قواعد اللغة العربية ، وأن نُعرض عن دلالات الكلمات الواضحة وضوح الشمس وسط النهار في قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرِيْبَةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلٰى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُوْرِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَلِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿ [النور : ٣٥]

.. ولو قدّر لأبي عبد الله أن يخرج من قبره ، فهل كان سيرضى عن هذا التأويل الذي يُنسب إليه في تفسير هذه الآية الكريمة ؟!!! .. ولو تمّ اعتماد مثل هذا التأويل منهجاً في تفسير النصّ القرآني ، فليس من الصعب أن يُحمّله الآخرون أيّ قصّة من قصص الرسوم المتحرّكة ..

.. وهذه العصبية تقود إلى نتائج لا يقبلها كتابُ الله تعالى ولا العقل ولا المنطق ..

لننظر إلى النصّ التالي الذي نقله بحرفيته من كتاب : (أصول الكافي) :

[[عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن ثعلبة بن ميمون ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر عن قول الله عزّ وجل (وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا) ما الرسول وما النبي ؟ قال : النبيّ الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك ، قلت : الإمام ما منزلته ؟ قال : يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ، ثمّ تلا هذه الآية ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ)) .. [[

.. هل هذان التعريفان للنبيّ والرسول يوافقان دلالاتِ كلمتي الرسول والنبي في

كتاب الله تعالى ؟!!! .. ومن أين أتت كلمتا [[ولا محدّث]] في تلاوة الآية :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾

فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [الحج :

[٥٢]

.. هل نخدم مثل هذه الروايات حقيقةً منهج الله تعالى ؟!!! .. وكيف لإنسان يتدبّر

كتاب الله تعالى أن يُقرّ بصحّة مثل هذه الروايات ؟!!! ..

.. وهذا نصٌّ آخر من كتاب (أصول الكافي) ، نتج عن عصبيةٍ مسبقة الصنع ،

لِيُصَوِّرَ دَلَالَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ مَكَانِهَا :

[[محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي ولاد قال :

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ

حَقًّا تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ)) قال : هم الأئمة عليهم السلام]]

.. هل دلالات العبارة القرآنية : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ، هل تعني الأئمة

!!!؟ .. فمن أين أتت كلمة الأئمة إلى هذه العبارة القرآنية ، وكيف أقيمت بها !!!؟ ..

ولو اعتبرنا هذا الكلام المغلوط معياراً نفهم به كتاب الله تعالى ، فكيف بنا أن نفهم الكثير

من آياته بناءً على ذلك !!!؟ .. أليس هذا وضعاً ناتجاً عن اعتبار رجالات المذاهب أكبر

من المنهج ذاته !!!؟ ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور في الفلك ذاته .. نقله بحرفيته من ذات المرجع :

[[علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ،

عن موسى بن أكيل النميري ، عن العلاء بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله

تعالى : ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)) قال : يهدي إلى الإمام]]

.. كيف يكون تفسير العبارة القرآنية : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

﴾ ، بأنها تعني : [[يهدي إلى الإمام]]

.. أليس هذا تحريفاً للكلمة عن مواضعه ،

واستخفافاً بكتاب الله تعالى وبعقولنا ، دون أي اعتبار لقواعد اللغة العربية ، ولثوابت

العقل والمنطق !!!؟ ..

.. وهذا نصٌّ آخر يدور - أيضاً - في الفلك ذاته ، نقله بحرفيته من ذات المرجع

أيضاً : [[الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن بن علي الوشاء ، عن

أحمد بن عمر قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)) قال : هم الأئمة من آل محمد (ص) وآله أن يؤدِّي الإمام الأمانة إلى من بعده ولا يخصُّ بها غيره ولا يزويها عنه [[

.. هل تخدّم هذه الروايات إلاّ عصبيةً مُسبقةً الصنع لا تؤدِّي إلاّ إلى الابتعاد عن حقيقة منهج الله تعالى !!!؟ .. ألا نرى في هذه الروايات حاجزاً وُضِعَ عمدًا لمنع الباحثين عن الحقيقة من رؤية دلالات كتاب الله تعالى !!!؟ .. وهذا نصُّ آخر يدور - أيضاً - في الفلك ذاته ، نقله بحرفيته من كتاب (أصول الكافي) ، وهو نصُّ موضوعٌ يسيء إلى عليّ :

[[أحمد بن مهران ، عن محمد بن علي ، عن أبي عبد الله الصامت ، عن يحيى بن مساور ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه ذكر هذه الآية : ((فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)) قال : هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام]] ..

.. كيف تعني كلمة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، كيف تعني علياً بن أبي طالب !!!؟ ، والأهم من كلّ ذلك كيف يُصدّقُ هذا الكلام من يُدركُ دلالات اللغة العربيّة وقواعدها !!!؟ .. أليس هذا تحريفاً متعمّداً للكلمة عن مواضعه !!!؟ ..

.. وهذا نصُّ آخر يدور - أيضاً - في الفلك ذاته ، نقله بحرفيته من كتاب : (

أصول الكافي) :

[[..... أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمًا : ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) وأشهد [أنّ] محمداً ﷺ مات شهيداً والله ليأتيك ، فأيقن إذا جاءك فإنّ الشيطان غير متخيّل به ، فأخذ علي بيد أبي بكر فأراه النبي ﷺ وآله فقال له : يا أبا بكر آمن بعلي وبأحد عشر من ولده ، إنهم مثلي إلاّ النبوة ، وتب إلى الله ممّا في يدك ، فإنّه لا حقّ لك فيه ، قال : ثمّ ذهب فلم يُر

.. [[

.. كيف يُري عليُّ أبا بكرٍ النبيِّ ﷺ ، ليقولَ له : **[[آمن بعلي وبأحد عشر من ولده ، إنهم مثلي إلا النبوة]]** .. كيف يقومُ عليٌّ بعملٍ لا يقدرُ عليه إلا اللهُ سبحانه وتعالى ، ويخالفُ النواميس التي يُبينها اللهُ تعالى في كتابه الكريم ؟!!! .. وإن كانت الخلافة - بعد النبيِّ ﷺ - حقُّ لعليٍّ وأولاده ، أو لأبي بكرٍ ، أو لأيِّ إنسانٍ آخر ، فكيف بنا إذاً أن نفهمَ دلالاتِ قولِ اللهِ تعالى : **﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾** [الشورى : ٣٨] ؟!!! .. ألا يجدر بنا بعد أكثر من أربعة عشر قرناً أن نقفَ عند مثل هذه الروايات لنعايرها على كتابِ اللهِ تعالى ، وأن نعترفَ أنّها موضوعةٌ من أساسها ؟ ، وأنّها سببُ تفرقةِ الأمةِ واقتتالِ أبنائها .. ألا يحجلُ من نفسه كلُّ عاقلٍ حينما يقرأ مثل هذه الرواية ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

والأحاديثُ الموضوعةُ التي تُصوِّرُ أهلَ البيتِ تصويراً لا يقبله اللهُ تعالى ولا رسوله ﷺ ولا أهلُ البيتِ ذاتهم ، موجودةٌ أيضاً في رواياتِ أهلِ السنّةِ .. لننظرَ إلى الحديثِ التالي :

الترمذي (٣٧٢٠) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَالْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

أحمد (١٠٦٨١) :

حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْرَائِيلَ يَعْنِي إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الْمُلَائِيَّ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَنْفَرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

أحمد (١٠٧٧٩) :

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي أَلَا إِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

.. كيف نفهم العبارة التي يُزعم أن الرسول ﷺ قد قالها : [[إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ

أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي]] .. كيف تكون عترة أهل البيت أكبر من كتاب الله تعالى ، والنبي ﷺ ذاته لم يستطع مخالفة أحكامه ، حتى في بيت الزوجية الخاص به :

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم : ١]

.. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِمَّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٧]

.. ألا تعني العبارة الواردة في هذه الأحاديث : [[أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ]] ،

والعبارة : [[أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ]] ، ألا تعني مثل هذه العبارات أن عترة أهل البيت من الممكن أن تكون أكبر وأعظم من كتاب الله تعالى ، في السوية ذاتها التي يمكن أن يكون فيها كتاب الله تعالى أعظم وأكبر من عترة أهل البيت ؟!!! ..

.. مهما كان الرجال عظماء ، حتى لو كانوا من الأنبياء ذاتهم ، فإن رُفَعَهُم إلى

مُستوى كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، هو عمل لا يرضاه الله تعالى ، ولا يرضاه كل من يعرف قيمة كتاب الله تعالى مُدركاً دلالاته ..

.. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم ..

﴿ قُلْ لِيَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .. فكيف إذا تكون عترة أهل البيت أكبر وأعظم أو مساوية لكتاب الله تعالى ، أليس عترة أهل البيت من الإنس المعنيين في هذه الآية الكريمة ؟!!! ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صدقيين ﴾ [الطور : ٣٣ - ٣٤] .. ألا يعني ذلك أن كل من يزعم بأنه يأتي بحديث من مثل كتاب الله تعالى هو من الكاذبين .. فكيف إذا تكون عترة أهل البيت أكبر وأعظم أو مساوية لكتاب الله تعالى ، كما يزعم في هذه الروايات الموضوعية ؟!!! .. إذا كان من يزعم أنه يأتي بمثل كتاب الله تعالى يكون من الكاذبين ، فكيف بمن يزعم أن بشراً هو أعظم من كتاب الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. أليست الروايات عند السنة والشيعة - على حد سواء - ليست يقينية الثبوت مثل كتاب الله تعالى ، وهي ظنية الثبوت ؟ .. ألم يبين الله تعالى أن الظن لا يغني من الحق شيئاً : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس : ٣٦] ؟ ..

.. ألم يبين الله تعالى أن أتباع الظن يؤدي بصاحبه إلى الضلال : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] ؟ .. ألا يعني ذلك أن أتباع الروايات أتباعاً أعمى تُرفع فيه إلى درجة الإيمان الكامل الموازي للإيمان بكتاب الله تعالى ، هو عمل يؤدي إلى الضلال ، ويؤدي بصاحبه إلى الموصوفين بقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ ..

.. ألم نرَ هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] .. ألا تعني العبارة : ﴿ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ ﴾ كلَّ ما هو خارج دفتي كتاب الله تعالى القرآن الكريم ؟ .. أليست العبارة : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ تعني نهيًا إلهيًا عن الإيمان بأيِّ نصٍّ خارج دفتي كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ولذلك نرى أن الله تعالى يُبَيِّنُ لنا أن إدخالَ أيِّ نصٍّ موضوعٍ إلى ساحة المقدَّس ، هو عملٌ يَحمِلُ من الظلم ما هو أكبر حتى من ظلم التَكْذِيبِ بالمنهج ذاته .. يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] ..

.. إنَّ تقديم عبارة افتراء الكذب على الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، على عبارة التَكْذِيبِ بآيات الله تعالى : ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ ﴾ ، وعلى عبارة التَكْذِيبِ بالحق من عند الله تعالى : ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ ﴾ .. هذا التقديم يدلُّ على أن الإقرار بأيِّ رواية مكذوبة على الرسول ﷺ ، واعتبارها من الدين ، وفرضها على الناس ، هو ظلمٌ أكبر من ظلم التَكْذِيبِ بالمنهج ذاته .. فهذا الإقرار هو إساءة للمنهج ذاته ، ومحاولةٌ لتشويهه ، لدرجةٍ يُقَطَّعُ فيها الطريقُ على كلِّ باحثٍ عن الحقيقة يريدُ معرفة أحكام الله تعالى ..

.. وحتى لو أعرضنا عن كلِّ ما يبيِّناه بالأدلة والبراهين القرآنيَّة .. حتى لو أعرضنا عنه .. وسألنا أنفسنا السؤال التالي : هل أهل البيت موجودون أمامنا ونأخذُ منهم الروايات التي سمعوها من الرسول ﷺ ؟ ، أم أن ما نُقَلَّ عنهم قد تمَّ بأدوات تاريخيَّة لا تختلف كثيرًا - من حيث المبدأ - عن الأدوات التاريخيَّة التي نُقَلَّتْ بها أحاديثُ أهل السنَّة ؟ ... ومن

قال إن ما بين أيدينا من روايات عن أهل البيت أم عن الصحابة قد وصلت إلينا محفوظة دون زيادة أو نقصان أو افتراء؟ .. ألا يتطلب ذلك عصمة لناقلي هذه الروايات من عصر الرسول ﷺ إلى عصر تدوينها، بل إلى الآن؟ ..

.. أليس في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]

.. أليس في هذه الآية الكريمة دليل على أن الرسول فقط و فقط لا غير هو من يُعْتَبَرُ أسوة حسنة لمن يريد الله تعالى واليوم الآخر .. إننا نرى أن صفة الرسالة هي ما يرد في هذه الصياغة القرآنية دون غيرها، بدليل العبارة: ﴿ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ .. فكيف إذاً نفّس عن عصمة بعض رجالات التاريخ وعدالتهم، لنجعل منهم قنوات تشريع نأخذها بقدسية كقدسية كتاب الله تعالى؟ .. ولو سلمنا - جدلاً - بفرضية عدالة الصحابة وبفرضية عصمة أهل البيت، ألا يتطلب أخذ ما وصلنا عنهم عصمة وعدالة لكل من أتى بعدهم .. فما الضمان - إذاً - أنه لم يلبس عليهم ممن روى عنهم .. فهل يذكر الله تعالى لنا أنه حفظ رجالات التاريخ وعصمتهم وعصم من نقل عنهم وأنه حفظ كتبهم؟ ..

.. كمنهج نعتبره غاية لنا .. ماذا تفيدنا كل تلك العصبيات، إذا كنا سنضع ما يأتينا عبر التاريخ في ميزان كتاب الله تعالى؟ .. وما الفارق بين كونهم معصومين وعدولاً وتم الخطأ في النقل عنهم من قبل من أتى بعدهم، وبينهم كونهم ليسوا معصومين وليسوا عدولاً وتمت الأمانة في النقل عنهم؟ .. ألسنا في الحاليتين أمام نصوص تاريخية لا بُد لها من نص مقدس هو كتاب الله تعالى، لتعاير عليه؟ ..

.. لماذا الإصرار على السير وفق خطأ المعنيين بقوله تعالى ..

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۗ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]

.. هؤلاء المعنيون بهذه الآية الكريمة لا تشمئز قلوبهم حينما يُذكرُ اللهُ تعالى مع غيره ، أي حينما يُخلطُ التشريعُ ما بين النصِّ الإلهيِّ وروايات التاريخ ، فقلوبهم تشمئز فقط حينما يُذكرُ اللهُ تعالى وحده دون ذكرٍ لغيره ، أي حينما يُعتبرُ النصُّ القرآنيُّ نصًّا وحيداً مُقدَّساً تُعابرُ عليه كُلُّ النصوصِ مهما كانت .. ألا نخشى من الله تعالى أن تنطبق علينا هذه الآية الكريمة ولو بإسقاطٍ نسبيٍّ ، حينما نُصرُّ على وضعِ نصٍّ موازٍ لكتاب الله تعالى ، تحت شعارات برّاقة ، وتحت مفاهيم نصنعها بأيدينا مثل عدالة الصحابة وعصمة آل البيت ، ونجيشُ العوامَّ لحماية ما صنعناه بأنفسنا مُتَّهمين من يُقدِّسُ كتابَ اللهِ تعالى دون روايات التاريخ بأنَّه مُنكرٌ للسنة الشريفة ، سواء كانت سنة أهل السنة أم سنة أهل الشيعة ؟ ..

.. ألا نخشى من الله تعالى حينما ننظر بتجرّدٍ إلى قوله تعالى ..

﴿ **وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ** ﴾ [الأنعام : ٦٦]

.. الله تعالى يقول ﴿ **وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ** ﴾ .. أي أنّ القومَ كذبوا بكتاب الله تعالى ... والله تعالى لم يقل : (وكذبه قومك) ، إنما يقول : ﴿ **وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ** ﴾ ، فالقوم كلُّ القوم كذبوا ببعض ما يحمل القرآن الكريم .. هذا ما تقوله الآية الكريمة دون ذرٍّ للرماد في العيون .. وهذا ما نقرؤه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ** ﴿٣٦﴾ **وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ** ﴾ [الرعد : ٣٦ - ٣٧]

.. الذين يفرحون بما أنزل على الرسول ﷺ هم المسلمون المؤمنون بصدق نزول النصِّ القرآني من عند الله تعالى ، وليس الآخرين الذين لا يؤمنون أصلاً برسالة الرسول محمد ﷺ .. ولكن .. نتيجة الاندفاع وراء العصبيات التاريخية من رجال التاريخ ومن روايات التاريخ ، ونتيجة عدم النظر إلى كتاب الله تعالى إلا من خلال روايات التاريخ

وَفَهْمٍ بَعْضِ رَجَالَاتِهِ .. نَتِيجَةُ ذَلِكَ يَقَعُ مَا تَحْمَلُهُ الْعِبَارَةُ الْقُرْآنِيَّةُ : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ .. فحجودُ بعض أحكام القرآن الكريم ، ناتجٌ عن تقديم نصوص التاريخ نصوصاً موازية للنصّ القرآني .. ولذلك يقول تعالى مخاطباً الرسول ﷺ وَمَنْ بَعْدَهُ كُلِّ إِنْسَانٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام ك ١١٤] .. ألا يعني ذلك أن الكتاب الذي أنزله الله تعالى مفصلاً وهو القرآن الكريم ، هو طريق الله تعالى الذي يبتغيه النبيُّ ذاته حَكَمًا ومرجعاً ، ومن بعده كلُّ المؤمنين الصادقين ؟ ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] .. أليس القرآن الكريم هو ما أنزل إلينا من ربنا ؟ .. ألا تحملُ العبارة : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ ، ألا تحملُ نهيًا إلهيًا عن اتباع ما هو دون كتاب الله تعالى ؟ ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] .. أليست الكلمة : ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، أليست أمراً إلهياً باتباع القرآن الكريم الموصوف بقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ؟ ..

.. إذاً .. مقولة أهل السنّة بعدالة الصحابة ، وأن أفعالهم وأقوالهم مستمدة من سنّة رسول الله ﷺ ، وأن رواياتهم التي جمعت من أفواه الرجال بعد موت النبي ﷺ . عمدة ليست

قليلة ، هي عين السنّة الشريفة .. ومقولة أهل الشيعة بعصمة آل البيت وأنّ ما يقولونه من التشريع ، وأنّ رواياتهم التي جمعت من أفواه الرجال بعد موت النبي ﷺ بمدة ليست قليلة ، هي عين السنّة الشريفة ... كل ذلك لا علاقة له بمنهج الله تعالى ، وكل ذلك تمّ وضعه خلال التاريخ كفعلٍ وردّ فعلٍ ، لتكريس المذهبيّة العصبية التي مرّقت جسد هذه الأمة .. وكل ذلك يؤدّي إلى إبعاد أبناء الأمة عن رؤية حقيقة الأحكام التي يحملها كتاب الله تعالى

..

.. لا سبيل - أبداً - إلى وحدة الأمة فكرياً في منهج واحد ، لا يُكفّر فيه أحدٌ أحداً ، لا سبيل لذلك إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب الله تعالى ، وبوضع جميع الروايات عند السنّة والشيعة على حدّ سواء في ميزان كتاب الله تعالى ، وبعدم تقديس الرجال مهما كانوا ، سواء كانوا أهل بيت أم صحابة ، وبإدراك دلالات كتاب الله تعالى بشكلٍ تصاعديّ يفهمها كلُّ جيلٍ أكثر من الأجيال التي سبقته ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : ما هي بنويّة علوم الحديث والتي من خلالها وصلت إلينا الروايات ؟ .. وما هي المعايير التي وضعت للرجال الذين نقلوا الروايات من الجيل الأوّل إلى جيل تدوين هذه الروايات ؟ .. وما هي درجة الاختلاف في تلك المعايير بين واضعي أسس الحديث .. هذا السؤال سنحاول - إن شاء الله تعالى - الإجابة عليه في المحطّة القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثامنة

((علوم الحديث بين الوهم والظن))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

بيننا في المحطات السابقة - عبر عرض الكثير من الروايات - كيف أن الحديث وما يُسمى بعلومه مبنيٌّ على حوامل تاريخية ، لا تخلوا من الأخطاء ولا من الأهواء ولا من العصبية ، وبالتالي لا يمكن للروايات الناتجة عن هذه الآليات التاريخية أن ترتفع إلى مستوى العلم الذي تتفاعل به مع كتاب الله تعالى ..

... الرواية ليست مقدسة وليست من السنة قبل أن يقوم بتصحيحها فلان أو فلان .. وبعد أن يصححها فلان أو فلان ، تنتقل فوراً من ساحة التاريخ إلى ساحة المقدس ، فقط لأن فلاناً أعطاه هذه القدسية ، فقبل أن يعطيها هذه القدسية لم تكن مقدسة ، وبعد أن أعطاهها هذه القدسية أصبحت نصاً مقدساً يملك صلاحية نسخ أحكام كتاب الله تعالى .. أما الرواية الأخرى التي لم يصححها فلان هذا ، بقيت في ساحة التاريخ ، ولم تنل شرف هذه القدسية ، شأنها بذلك شأن هذه الرواية المقدسة قبل أن يُعطيها هذه القدسية فلان من الناس ..

.. معايير بشرية .. أدوات تاريخية .. رؤى ليست مجردة عن الانتماءات المختلفة .. أهواء وعصبية .. كل ذلك تحكّمت فُرضت بقوة الإلزام الجبري على أنها علوم لا يأتيها الباطل لا من بين يديها ولا من خلفها .. وفُرض على الأمة ما نتج عنها من روايات

، بحيث أصبحت هذه الروايات أطراً مذهبيّة وطائفيّة لا يجوز تجاوزها ، مهما خالفت صريح كتاب اله تعالى وثوابت العقل والمنطق .. هذه هي حقيقة ما يُخطب ليل نهار فوق رؤوس العوام بأنّ هناك علوماً مضبوطة دقيقة اسمها علوم الحديث ، رجالاتها على حق مهما قالوا ، وما يصفونه بالصدق فهو صادق ، وما يصفونه بالكذب فهو كاذب .. ومهما قدّمنا من أدلّة وبراهين نأتي بها من كتاب الله تعالى ، عبر ثوابت العلم والعقل والمنطق ، لا تعني شيئاً بالنسبة لعابدي أصنام التاريخ ، فقط لأنّ ما نأتي به من كتاب الله تعالى لا يتوافق مع رواياتهم ، ولم تنطق به رجالاتهم ..

.. وحتى لا نشئت أفكارنا ولا نعدّد مصادرنا ، وكوننا نتناول في هذه المحطّة بنيويّة ما يُسمّى بعلوم الحديث ، سنحصر استشهادنا في هذه المحطّة في إطار مرجعين اثنين هما : **الكفاية في علم الرواية** ، لمؤلّفه : الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) المتوفّى سنة : ٤٦٣ هجري ، ومقدّمة **ابن الصلاح** لمؤلّفه (تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن) المعروف بابن الصلاح ، وهما كتابان لهما اعتبارهما عند أهل الحديث ..

.. كلُّ من يقرأ (قراءة واعية) المصادر الأولى لما يسمّى بعلوم الحديث ، سيرى أنّه لا يُوجد إجماعٌ ولا على جزئيّة واحدة من المقاربات التاريخيّة التي اعتبروها علماء ، حتى بين المطّبلين والمزّمرين وأتباعهم الذين يسعون لجعل هذه المقاربات التاريخيّة جزءاً منحهج الله تعالى .. فلا تُوجد جزئيّة من مقدّمات ما يعتبرونه علماء إلاّ وفيها اختلاف يدور من النقيض إلى نقيضه ، بحيث لو كانت هذه الجزئيّة المقدّمة الوحيدة التي يعتمدون عليها ، لكان الأمر كافياً للقول بأنّ ما يُسمّى بعلم الحديث لا يتجاوز كونه مقاربات تاريخيّة فُصل الكثير من جوانبها على مقاسات العصبّيّات المذهبيّة والطائفيّة ..

.. وكنا قد بيّنا - في محطّة سابقة - كيف أنّهم اختلفوا في تعريف الصحابي .. لننظر

في النصوص التالية من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

]] أخبرني الحسين بن أبي الحسن الوراق ثنا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن إبراهيم ثنا

محمد بن يزيد عن الحارث عن ابن سعد عن الواقدي محمد بن عمر قال أخبرني طلحة بن محمد بن

سعيد بن المسيب عن أبيه قال كان سعيد بن المسيب يقول : الصحابة لا نعدّهم إلاّ من أقام مع

رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين . قال ابن عمر ورأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك اللحم وأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار]]

]] أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق البزاز وعلي بن محمد بن بشر السكري قالاً أنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق ثنا الحسن بن عبد الوهاب بن أبي العنبر ثنا أبو جعفر محمد بن سلمان المقري البصري قال حدثني عبدوس بن مالك العطار قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أهل بدر ، فقال : ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيه ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه]]

]] أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن أخو الخلال أنا إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني ثنا محمد بن يوسف الفربري قال قال محمد بن إسماعيل البخاري : ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه]]

.. ونقتبس أيضاً النصّ التالي من كتاب : مقدّمة ابن الصلاح ..

]] اختلف أهل العلم في أنّ الصحابي من ؟ ..

فالمعروف من طريقة أهل الحديث : أن كلّ مسلم رأى رسول الله ﷺ فهو من الصحابة .. قال (البخاري) في (صحيحه) : من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين ، فهو من أصحابه .. وبلغنا عن (أبي المبيفر السمعاني المروزي) أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ ، أعطوا كل من رآه حكم الصحبة .. وذكر : أن اسم الصحابي - من حيث اللغة والظاهر - يقع على من طالت صحبته للنبي ﷺ وكثرت مجالسته له على طريق التبّع له والأخذ عنه . قال : وهذا طريق الأصوليين ..

قلت : وقد روينا عن (سعيد بن المسيب) : أنه كان لا يعد الصحابي إلا من أقام مع

رسول الله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين]]

.. إذا .. لا يُوجد إجماع على تعريف الصحابي ، والعبارة **[[اختلف أهل العلم في أن الصحابي من ؟ ..]]** واضحة وجلية .. فما بين كون كل من رأى النبي ﷺ ولو ساعة من نهار هو من أصحابه .. وبين القول بأنه لا يكون صحابياً إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين .. وبين القول بأن الصحابي كل من روى عنه حديثاً أو كلمة .. وبين القول بأن الصحابي لا بد أن يدرك الحلم ويعقل أمر السدين ويرضاه .. بين هذه الاشتراطات اختلافٌ لا يمكن إغماض الأعين عنه .. هذا فضلاً عن كون الآليات التي يتم من خلالها تطبيق هذه الاشتراطات المختلفة على الرجال لمعرفة الصحابي منهم ودرجة صحبته حسب المعايير المختلفة أصلاً في تعريف الصحابي ، هي آليات ليست مطلقة ، ولا تخلوا من الأخطاء والأهواء والعصبيات ، وبالتالي كل ما ينتج عنها لا يعدو كونه مقاربات تاريخية لا ترتفع إلى مستوى العلم واليقين ..

وحتى لو اعتبرنا هذه الاشتراطات مطلقة ، وأنه لا اختلاف بينها ، وأنه تم إجماعٌ عليها ، حتى لو افترضنا ذلك ، فكيف بنا أن ندرك دلالات النصوص التالية التي نسوقها من كتاب : الكفاية في علم الرواية ، وذلك في معيار قولهم عن الصحابي بأنه الذي **[[أدرك الحلم وأسلم وعقل أمر الدين ورضيه]]** ..

[[..... فقد روى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ ومولده سنة اثنتين من الهجرة ، وكذلك عبد الله بن الزبير بن العوام ، والنعمان بن بشير ، وأبو الطفيل الكنانى ، والسائب بن يزيد ، والمسور بن مخرمة .
وروى مسلمة بن مخلد عن رسول الله ﷺ وكان له حين قبض عشر سنين ، وقيل أربع عشرة سنة .

وتزوج رسول الله ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين ، وابتنى بها وهي بنت تسع ، وروت عنه ما حفظته في ذلك الوقت .

وروى عمر بن أبي سلمة أن النبي ﷺ قال له : ادن يا غلام وسم الله وكل بيمينك

مما يليك .

وروى معاوية بن قررة الزماني عن أبيه قال : كنت غلاماً صغيراً فمسح رسول الله ﷺ رأسي ودعا لي .

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : كنت غلاماً ألعب ، فجاء رسول الله ﷺ من سفر فاستقبلته فحملني بين يديه .

وقال يوسف بن عبد الله بن سلام : سماني رسول الله ﷺ يوسف وأقعدني في حجره ، ومسح على رأسي .

وممن كثرت الرواية عنه من الصحابة وكان سماعه في الصغر أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، وكان محمود بن الربيع يذكر أنه عقل مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهه من دلو كان معلقاً في دارهم ، وتوفى رسول الله ﷺ وله خمس سنين]]

] أخبرنا أحمد بن أبي جعفر حدثنا عبد الرحمن بن عمر بن أبي نصر الدمشقي ثنا أبو علي بن حبيب قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي رحمه الله وقد سئل عن عبد الله بن الزبير هل سمع من النبي ﷺ شيئاً قال : نعم وحفظ عنه ، ومات النبي ﷺ وهو ابن تسع سنين]]

] أخبرنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي أنا القاسم بن غانم بن حمويه المهلبى أنا محمد بن إبراهيم البوشنجي قال سمعت ابن بكير يقول : توفى النبي ﷺ وابن الزبير ابن ثمان سنين ، والمسور بن مخرمة كذلك]]

] أخبرنا محمد بن أبي الفتح الحربي ثنا علي بن عمر الحافظ ثنا محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي ثنا عباد بن يعقوب ثنا ثابت بن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبيه عن أبي الطفيل قال : ولدت عام أحد ، وأدركت من حياة رسول الله ﷺ ثمان سنين]]

[[أخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق أنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا أبو عمرو يوسف بن يعقوب النيسابوري أنا أبو بكر بن أبي شيبه ثنا وكيع عن موسى بن علي عن أبيه قال سمعت مسلمة بن مخلد يقول ولدت حين قدم النبي ﷺ المدينة وقبض وأنا ابن عشر سنين - خالف عبد الرحمن بن مهدي وكيعاً فيه .]] ..

[[أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق أنا إسماعيل بن علي الخطيبي وأبو علي بن الصواف وأحمد بن جعفر بن حمدان قالوا ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا موسى عن أبيه عن مسلمة بن مخلد قال قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن أربع سنين وتوفى وأنا ابن أربع عشرة]] ..

[[وحدثنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل أنا الحسن بن صفوان البرذعي ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ثنا محمد بن سعد ، قال عمر بن أبي سلمة يكنى أبا حفص ، توفى رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين وقد حفظ عن رسول الله ﷺ ، وتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان بالمدينة .]]

[[أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز ثنا محمد بن عبد الله الشافعي ثنا إسماعيل بن إسحاق ثنا عمرو يعني ابن مرزوق أنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين مختون . هكذا رواه أبو بشر عن سعيد بن جبير ، وخالفه أبو إسحاق السبيعي .]] ..

[[أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد الميداني ثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى هو الذهلي ثنا أبو داود عن شعبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة ، مختون . قال الخطيب : وهذا القول أصح من الأول والله أعلم]] ..

[[أخبرنا ابن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني سليمان بن عبد الرحمن ثنا الوليد أنا عبد الرحمن بن نمر اليحصبي قال قال الزهري أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري وزعم أنه قد عقل عن رسول الله ﷺ وعقل مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهه من دلو معلق في دارهم قال فتوفى رسول الله ﷺ وهو ابن خمس سنين .

ومن الخالفين جماعة احتج أهل العلم بروايتهم ما سمعوه قبل الاحتلام . [] ..

.. وقبل أن نضع الدين لم يبلغوا الحلم (المذكورين في النصوص السابقة) في معايير الاشتراطات (المختلف فيها أصلاً) وذلك في تعريف الصحابي ، وقبل أن نتساءل كيف يؤخذ الحديث بعد قرون مما قيل إن أطفالاً لم يبلغوا الحلم حين وفاة النبي ﷺ قد رووه عن النبي ﷺ .. قبل ذلك نقول : إذا كان هناك اختلاف - كما نرى - في عمر ابن عباس حين توفي النبي ﷺ ، ما بين عشر سنين وبين خمس عشرة سنة ، وذلك في روايتين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذاته ، وإذا كان هناك اختلاف في عمر مسلمة بن مخلد حين توفي النبي ﷺ بين عشر سنين وأربع عشرة سنة ، وذلك في روايتين عنه ، وإذا كان هناك اختلاف في عمر ابن الزبير ، فكيف إذا يتم الجزمُ بجزئية منقولة عنهم (أو عن غيرهم) عن النبي ﷺ ، بعد قرون من موت النبي ﷺ ، بل ومن موتهم !!!؟ .. وأين المنهجية العلمية المتبعة في ذلك !!!؟ ..

والمقدمة التي تم الانطلاق منها في هذه المقاربات التاريخية ، من أن الصحابي عدل لكونه صحابياً (مع غض النظر عن الاختلاف الذي رأيناه في تعريفهم هم ذاتهم للصحابي) ، هذه المقدمة نراها في النص التالي المقتبس من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

[] باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم ، وإنما يجب فيمن دونهم . كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن . فمن ذلك قوله تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقوله : وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، وهذا اللفظ وإن كان عاماً فالمراد به الخاص ، وقيل هو وارد في الصحابة دون غيرهم ، وقوله : لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ، وقوله تعالى : والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وقوله تعالى : والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ، وقوله : يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ،

وقوله تعالى : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] ..

وهذان نصان من ذات المرجع :

[] وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج

أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له []

[] القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين

الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من

الفقهاء [] ..

.. إن استشهدهم على عدالة جميع الصحابة (حسب مصطلحاتهم الوضعية التي

اختلفوا فيها) ، بالآية الكريمة .. ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ

مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، لبناء نتيجة مسبقة

الصنع هي تعديل جميع الصحابة .. هذا الاستشهاد ليس سليماً ، فالآية الكريمة لا تحمل

من الدلالات ما يذهبون إليه ..

كلمة ﴿ أُمَّةٍ ﴾ في كتاب الله تعالى تعني المنهج الفكري ، وهذا ما نراه جلياً في قوله

تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ

أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ - ٢٣]

.. نرى بوضوح أن كلمة **«أُمَّة»** في العبارة **«إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ»** تعني

المنهج الفكري والعقدي الذي عليه الآباء ، ولا تعني الآباء كقوم أو كجماعة أو كجيل ،
إنما تعني المنهج الفكري والعقدي الذي كان عليه أولئك الآباء ..

.. إذا .. علينا أن نُميِّزَ - في كتابِ اللهِ تعالى - بين دلالاتِ كلمة **«أُمَّة»** ، وبين

دلالاتِ كلمة **«قَوْمٌ»** .. فكلمةُ أُمَّةٍ مُجرّدةٌ عن الانتماءِ القومي وعن اللغةِ والنسلِ ،

فهي تعني مجموعةَ الأفرادِ من زاويةِ المُشترِكِ الذي يجمعُهُم .. بينما كلمة **«قَوْمٌ»** هي التي
تعني البُعدَ القوميَّ واللغويَّ ، والحركةَ ضمن هذا الإطار ..

.. فكلُّ قَوْمٍ ، هم أُمَّةٌ ، بمعنى أَنهم ينتمونَ إلى مناهجِ فِكْرِيَّةٍ مُختلفةٍ ، بحيث تصفُ

كلمةُ أُمَّةٍ مجموعةً من هؤلاء القوم لهم مُشترِكُهُم الفِكْرِي .. وكلمةُ أُمَّةٍ ليست مُقتصرَةً
على قومٍ مُحدّدين ، فالمُشترِكُ الفِكْرِيُّ الذي له إطارٌ منهجيٌّ يُميِّزه ، يتعدّى حدودَ القومِ
، بمعنى يشملُ أفراداً لا يمكنُ حصرُهُم في قومٍ مُحدّدين ..

.. فأبو لهب من قومِ الرسولِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ولكنه ليس من أُمَّتهِ ، لأنَّهُ ليس على

المنهج الذي أنزلَ عليه .. من هُنَا نرى أنَّ قوله تعالى **«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران : ١٠١] ،

يصف ما يصنعهُ المنهجُ الذي أنزلَ على الرسولِ مُحَمَّدٍ ﷺ .. بمعنى : أنَّ مُتبعي هذا المنهجِ

- مهما كانت قومياً تُهمُّهم ، ومن أيِّ جيلٍ كانوا ، من السابقين تاريخاً أم اللاحقين - هم

خيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، لأنَّهُم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ،

نتيجةُ التزامِهِم بهذا المنهجِ ، فهذا المنهجِ يصنعُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. وهذا لا يعني أنَّ

كلَّ قومٍ الرسولِ مُحَمَّدٍ ﷺ من أُمَّتهِ ، كما أنَّه لا يعني أنَّ أُمَّتهِ ﷺ محصورةٌ ضمن إطارِ

قومه .. فأُمَّتُهُ هم الملتزمون بـمنهجهِ ، مهما كان انتماءُهم القومي ..

.. والعبارة القرآنية : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ ﴾ بصيغة المضارع والمخاطب كما نرى ، تدلُّ على صفات يقوم بها حاملو منهج الله تعالى في كلِّ زمانٍ ومكان ، فهي تصفُ أعمالَ مُتَّبِعِي منهجِ الله تعالى في كلِّ زمانٍ ومكان .. والعبارة القرآنية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ بصيغة الماضي ، تدلُّ على كينونة المنهج الذي يُخْرِجُ للناس تلك الأمة ، فكلمة ﴿ كُنْتُمْ ﴾ بصيغة الماضي تدلُّ على الكينونة ، كون الأمة المعنية منهجاً مُجرّداً عن الزمان والمكان ..

.. ففي كتابِ الله تعالى حينما تقترن كلمة ﴿ كَانَ ﴾ بما هو فوق الزمان والمكان ،

فإنها تعني الكينونة ، حيث الكينونة مُجرّدة عن الزمان والمكان ، وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١١] لأكبر دليلٍ على ذلك .. وبالتالي فالعبارة القرآنية ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ تعني المنهج المُجرّد عن الزمان والمكان ، الذي بكينونته يُنتجُ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ..

وفي ورود كلمة ﴿ أُخْرِجَتْ ﴾ بصيغة المبني للمجهول ما يؤكّد صحّة ما نذهب إليه

، فالمنهج من الله تعالى والالتزام من الناس ، وشبيهه هذه الصياغة هو قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة : ١٨٣] ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ [البقرة : ٢١٦] ..

.. إذاً .. الاحتجاج بقوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِاللَّهِ ﴾ ، على تعديل جميع من رأى النبي ﷺ من أفراد الجيل الأوّل ليس صحيحاً ولا بأيّ وجهٍ من أوجه التفسير المنطقي المبني على منهجية علمية مجرّدة عن الأهواء والعصبيّات المذهبيّة المسبقة الصنع ..

واحتجاجهم بقول الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] لتعديل جميع الصحابة (حسب مصطلحاتهم لتعريف الصحابة على اختلافاتها) ، هو أيضاً احتجاجٌ باطل ..

إنَّ المخاطب في هذه الآية الكريمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ هو الأمة المتبعة لمنهج الرسالة الخاتمة التي أنزلت ونزلت على النبي محمد ﷺ ، إلى قيام الساعة ، وكلمة ﴿ النَّاسِ ﴾ في العبارة ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ تعني كلَّ الناس إلى قيام الساعة ، وليس فقط الناس الذين كانوا موجودين زمن الجليل الأوَّل ، وحصر دلالات هذه الآية الكريمة بجزءٍ من أفراد الجليل الأوَّل هو خروجٌ فاضحٌ على دلالات هذا النصِّ القرآني ..

ثمَّ إنَّ كلمة ﴿ أُمَّةً ﴾ تحمل دلالاتٍ واضحةً جليَّةً في كون الأمر لا يتعلَّق بجيلٍ محدَّدٍ أو قومٍ محدَّدين كما بيَّنا .. وفي ورود كلمة ﴿ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ بهذه الصيغة دون صيغة (خلقناكم) على سبيل المثال ، ما يقوي صحَّة ما نذهب إليه ، فمشتقات الجذر (ج ، ع ، ل) عندما تتعلَّق بمسائل غير مادِّيَّة كالمنهج تأتي بمعنى وصف وسمي ، يقول تعالى ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ أَنْعِيْبًا ﴾ [الحجر : ٩١] ، ويقول تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٤] ..

ثمَّ إنَّ هذه الشهادة على الناس تتعلَّق بالآخرة ولا يمكن حصرها بالدنيا فقط ، وهذه الشهادة هي ﴿ عَلَى النَّاسِ ﴾ وليس للناس ، والشاهد علينا ليس النبي ﷺ ، إنما هو الرسول بما تحمل هذه الكلمة من دلالة تتعلَّق بالمنهج كما بيَّنا ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .. وكلُّ ذلك يؤكِّد أنَّ المسألة تتعلَّق بالمنهج وأتباعه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ وليست محصورة ببعض أفراد الجليل الأوَّل كما يحتجُّون ..

واحتجاجهم بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] على تعديل جميع الصحابة ليس صحيحاً على الإطلاق ..

الآية الكريمة كما نرى لا تحمل دلالات للتعديل ، وهي تحمل دلالات تتعلق برضوان الله تعالى عن المؤمنين .. ومن جهة أخرى الآية تحمل دلالات خاصة بفئة من الناس هم ﴿ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، ولا تعني جميع أفراد الجيل الأول من الصحابة ..

.. ثم إن حصر أحكام هذه الآية الكريمة ودلالاتها في إطار لا يتجاوز بيعة أصحاب النبي ﷺ بالحديبية حين بايعوه على نصرته ، وعلى أن لا يفرّوا ، وعلى ألا يولوا الدبر ، وذلك تحت الشجرة ، حيث أرسل النبي عثمان بن عفان برسالته إلى الملا من قريش ، فأبطأ عثمان عليه بعض الإبطاء ، فظن أنه قد قُتل ، فدعا أصحابه إلى تجديد البيعة على حربهم ، فبايعوه على ذلك ، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان ، وقد اختلف في عدد الذين بايعوا ، فمنهم من قال عددهم (١٤٠٠) ، ومنهم من قال عددهم (١٥٢٥) ، ومنهم من قال عددهم (١٣٠٠) ... هذا مختصر القصة التاريخية التي تم حصر دلالات هذه الآية الكريمة في إطارها ..

.. نرى في العبارة القرآنية ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أن الفاء في بدايتها هي للتعقيب ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ، ونحن نعلم أن علم الله تعالى لما في قلوبهم لا يتأخر عن مبايعتهم تحت الشجرة ، ولا يتأخر عن رضاه عنهم ، وما نراه أن العلم هو بصيغة الماضي ﴿ فَعَلِمَ ﴾ وليس المضارع ، وبالتالي فالعلم المعني هو علم الله تعالى الكاشف .. فلماذا تأخر علم الله تعالى الكاشف في هذه العبارة القرآنية ، وأتى مسبوقاً بفاء التعقيب ؟!!! ..

هذا يؤكد أن أحكام هذه الآية الكريمة - شأنها بذلك شأن كل آيات كتاب الله تعالى - ليست متوقفة على حادثة تاريخية ، إنما هي نواميس وأحكام صالحة لكل زمان

ومكان .. وحتى لو سلمنا للإطار التاريخي الذي فرضوه على هذه الآية الكريمة ، فإن هذه الآية لا تحمل ما يذهبون إليه ، وذلك لأكثر من سبب ..

فمن جهة .. الآية الكريمة تتعلق برضوان الله تعالى ، وليس بالتعديل والعلم والضبط في النقل ، فقله تعالى ﴿ **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴿١٩﴾** نراه يتعلّق بمسائل لا علاقة لها بما يذهبون إليه في توظيف هذه الآية الكريمة لتعديل جميع الصحابة ..

ومن جهة أخرى .. الآية لا تشمل كل الصحابة الذين عددهم أكبر بكثير من العدد المختلف فيه أصلاً في هذه البيعة ..

الأهم من كل ذلك أن هذه الآية الكريمة - كما بينا - تحمل دلالات وأحكاماً عامة لها إسقاطاتها في كل زمان ومكان ، واستشهادهم بها على تعديل جميع الصحابة (الذين اختلفوا في تعريفهم) ليس سليماً على الإطلاق ..

أما بالنسبة لاستشهادهم بالآية الكريمة ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾** [التوبة : ١٠٠] على تعديل جميع الصحابة ، فقد بينا في محطة سابقة (فرضية عدالة الصحابة بين الوهم والحقيقة) كيف أن هذا الاستشهاد ليس سليماً على الإطلاق ..

.. وقد بينا أنه في حال حمل الآية الكريمة محملاً تاريخياً كما يريدون ، فعلينا أن لا نغض أعيننا عن كلمة ﴿ **مِنْ** ﴾ في العبارة القرآنية : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ** ﴾ ، والتي تحمل معنى التبعض .. وكيف بنا أن نعدّل كل أفراد الجيل الأوّل (حسب تعريفهم للصحابي بأنه من رأى النبي ﷺ) في الوقت الذي نقرأ فيه الآية التالية مباشرة للآية الكريمة التي يستشهدون بها ..

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ^ط وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ^ط مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ^ط نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ^ط سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ ﴿

[التوبة : ١٠٠ - ١٠١]

.. ألا تنطبق تعاريف الصحابة التي وضعوها على أهل المدينة الذين شاهدوا وعاصروا

النبي ﷺ حوالي عشر سنين ، والذين يصف الله تعالى بعضهم أنه مرد على النفاق ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ^ط مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾ ؟ ..

وبيّنا أن الأولى هو إطلاق دلالات الآية الكريمة لتشمل السابقين في القربى إلى الله تعالى في كل زمان ومكان ، وبيّنا كيف أن ورود كلمة ﴿ اتَّبَعُوهُمْ ﴾ بصيغة الماضي ، وليس (يَتَّبَعُوهُمْ) بصيغة المضارع ، يدلُّ على دلالات تتجاوز الجانب التاريخي الذي فُسِّرَتْ به هذه الآية الكريمة ، وبيّنا أن كلمة ﴿ وَالسَّابِقُونَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، وردت بدلالات مجردة عن السبق التاريخي ، حاملة معنى السبق الإيماني والقربى من الله سبحانه وتعالى ..

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤]

ولا داعي لإعادة ما قلناه ، فالاستشهاد بهذه الآية الكريمة على تعديل جميع الصحابة ، حسب تعريفهم هم للصحابي ، هو خروجٌ فاضح على دلالات كتاب الله تعالى ..

أما استشهادهم بقوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٠ - ١٤] ،

فمن الواضح أنه استشهادٌ ليس صحيحاً على الإطلاق ..

فالسبق المعني هو سبق إيماني مجرد عن التاريخ ، وعن الأديان ، فهذه المرتبة ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ ينالها كل من يستحقها من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة .. ولكن الأمر بالنسبة للغارقين في مستنقع الروايات التاريخية أنهم أصبحوا لا يرون دلالات كتاب الله تعالى الواضحة الجلية إلا من منظار رواياتهم ..

.. واستشهادهم بقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] على تعديل جميع الصحابة حسب تعريفهم للصحابي ، يظهر فساده واضحاً جلياً ، ولا داعي للإبحار في دلالات هذه الآية الكريمة ، فالآية جلية في متبعي النبي ﷺ دون غيرهم ﴿ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وكنا قد رأينا كيف أن النبي ﷺ ذاته لم يكن يعلم بعض الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة .. ولننظر في النص التالي الذي استشهدوا به على تعديل جميع الصحابة ..

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٨ - ٩]

ما نراه في هذا النص الكريم أن المعنيين يتصفون بعدة صفات في الوقت ذاته ، فبين العبارات الحاملة لهذه الصفات لا نرى عطفاً بكلمة (أو) ..

الصفة الأولى أنهم فقراء ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ ..

الصفة الثانية أنهم مهاجرون ﴿ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ .. وبالتالي فليس كل الفقراء

معنيين بذلك ، إنما فقط الفقراء المهاجرون ..

﴿ الصفة الثالثة أنهم أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بشكلٍ كاملٍ وليس من بعضها
 ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ .. وبالتالي فليس كلّ الفقراء المهاجرين معيّنين

بذلك ، إنّما فقط الفقراء المهاجرون الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ..

﴿ الصفة الرابعة أنهم يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً ﴾ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا .. وبالتالي فليس كلّ الفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم
 معيّنين بذلك ، إنّما فقط الفقراء المهاجرون الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم الذين
 يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً ..

﴿ الصفة الخامسة أنهم ينصرون الله تعالى ورسوله ﴾ وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..
 وبالتالي فليس كلّ الفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم وابتغون فضلاً من
 الله تعالى ورضواناً معيّنين بذلك ، إنّما فقط الفقراء المهاجرون الذين أُخرجوا من ديارهم
 وأموالهم يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً ينصرون الله تعالى ورسوله ..

﴿ بناء على هذه الصفات مجتمعة استحقوا شهادة الله تعالى بصدقهم ﴾ أُولَئِكَ
 هُمُ الصّٰدِقُونَ .. وهذه الصفات مجتمعة لا يتّصف بها جميع الصحابة حسب تعريفهم
 هم للصحابة ..

ومّا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في إطلاق دلالات هذا النصّ الكريم ، وأنّه لا يعني
 أبداً تعديل جميع الصحابة (حسب تعريفهم للصحابي بأنّه من رأى النبي ﷺ) ، ممّا يؤكّد
 ذلك هو الآية الثانية ..

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ مُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
 صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الفتح : ٩]

قالوا : المراد من الدار المدينة ، وهي دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين ، بمعنى : اتخذوا المدينة مدينة النبي ﷺ فابتنوها منازل ، واتخذوا الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ من قبل المهاجرين ، يجيئون من هاجر إليهم ..
ونرى فساد ما ذهبوا إليه ، من النقاط التالية ..

❖ كيف تبوأ الأنصار (حسب المفهوم التاريخي) الإيمان قبل المهاجرين ، ونحن نعلم أن المهاجرين سبقوا الأنصار (زمنياً) في مسألة الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ !!!؟ ..
وأى تأويل لإخفاء هذه الحقيقة اللغوية بهدف فرض الدلالات التاريخية على هذه الآية الكريمة ، هو ذرٌّ للرماد في الأعين ، وخروجٌ على ظاهر صياغة النصِّ القرآني ..

❖ إن كان الأمر مسألة لا تخرج عن الحدث التاريخي في مسألة المهاجرين من مكة إلى المدينة ، والأنصار الذين استقبلوهم في المدينة ، فإن الذين يجيئون من بعدهم هم حدثٌ مستقبليٌّ بالنسبة للحدث الأول ، وهذا تناسبه صيغة المضارع ، وليس الماضي .. ولكن ما نراه في الآية التالية مباشرة أن مجيء من بعدهم هو بصيغة الماضي وليس المضارع

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [

الفتح : ١٠]

.. فكلمة ﴿ جَاءُوا ﴾ بصيغة الماضي جلّية في كون المسألة ليست محصورة بالجانب

التاريخي ، وأنها مسألة تتعلق بعلم الله تعالى الكاشف المجرد عن التاريخ ، ولها إسقاطاتها في كلِّ زمانٍ ومكان ..

❖ وصف المعنيين في هذا النصِّ بكلِّ الصفات التي رأيناها مجتمعة ، ينفي نفيًا قاطعاً صحّة استشهادهم بهذه الآية الكريمة على تعديل جميع الصحابة (حسب تعريفهم هم للصحابي) ، فليس كلٌّ من رأى النبي ﷺ يتّصف بهذه الصفات مجتمعة ..

.. إذاً .. ما يُقال بأن الصحابة كلّهم عدول ، وما قرأناه في كتاب الكفاية في علم

الرواية : [] القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأفضل من جميع المعدلين

والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء] ، لا دليل عليه في كتاب الله تعالى على الإطلاق .. وبإمكان كل باحث عن الحقيقة أن يرى ذلك من خلال الروايات التي عرضناها في المحطات السابقة ، والتي هي من مراجع لا يستطيع عابدهو أصنام التاريخ الطعن بها .. فكيف يستقيم التعديل المتوهم مع الأحداث التي لا ينكرها أحد ، من معركة الجمل إلى معركة صفين إلى غيرها الكثير من الأحداث والخلافات التي لا تنسجم أبداً مع التعديل الذي يذهبون إليه ..

.. ولذلك من الطبيعي أن يتهم كل من يستعمل عقله ويحترم صياغة كتاب الله تعالى بأنه من أهل البدع .. هذا ما نراه في النص التالي الذي نقتبسه من كتاب الكفاية في علم الرواية ..

]] وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم وسفك بعضهم دماء بعض ، فصار أهل تلك الحروب ساقطي العدالة ، ولما اختلطوا بأهل النزاهة وجب البحث عن أمور الرواة منهم]]

وحتى لو طلقنا عقولنا مخافة اتهامنا بأننا من أهل البدع وسلمنا بعدالة جميع الصحابة ، فهل ما رووه عن النبي ﷺ كتب في نصوص حفظت في كتب ، أم نُقل بعد قرون عبر من أتى بعدهم ؟ .. لقد بينا في محطة سابقة لكل من يملك ذرة من عقل أو منطق كيف أن الحديث لم يكتب أبداً في عصر النبي ﷺ ، ولا في عصر الصحابة ، وبالتالي فثبوت مصداقية الرواية يقتضي تعديل الرواة الذين نقلوا الروايات ابتداءً بالصحابة وانتهاءً بمن أخرج تلك الأحاديث ، وأي حرق في ذلك يرفع عن الرواية صفة اليقين ..

وإذا كان الحديث في الجيل الأول قد نُقل على المعنى ، فمن المؤكد أن الحديث وصل في وقت إخراجه إلى معنى معنى المعنى ، هذا في حال فرض عدالة جميع الرواة ومصداقيتهم .. لننظر في النصوص التالية المقتبسة من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

]] وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسن بن عيسى الناقد واللفظ له قال أنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا جعفر بن محمد الفريابي قال حدثني أحمد بن صالح قال ثنا معن قال ثنا معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن مكحول قال دخلنا على وائلة بن الأسقع فقلنا يا أبا

الأسقع حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا نسيان فقال هل قرأ أحدٌ منكم الليلة من القرآن شيئاً؟ قالوا نعم قال فهل زدتم ألفاً أو واواً أو شيئاً؟ فقلت إننا نزيد وننقص وما نحن بأولئك في الحفظ فقال هذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار فكيف ونحن نحدث بحديث سمعناه عن رسول الله ﷺ مرةً أو مرتين ، إذا حدثتكم على معناه فحسبكم] ..

[] أخبرنا محمد بن علي الحربي قال ثنا علي بن عمر الحافظ قال ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان قال ثنا كثير بن يحيى بن كثير قال حدثني أبي قال ثنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : كنا نجلس إلى النبي ﷺ عسى أن تكون عشرة نفر نسمع الحديث فما منا اثنان يؤديانه غير أن المعنى واحد.] ..

[] أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال ثنا علي بن عمر الحافظ قال ثنا أحمد بن محمد بن سلم قال ثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن المنذر عن جده هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لي عائشة رضي الله عنها : يا بني إنه يبلغني أنك تكتب عنى الحديث ثم تعود فتكتبه فقلت لها : أسمعك منك على شيء ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع في المعنى خلافاً ؟ قلت : لا ، قالت : لا بأس بذلك] ..

[] أخبرنا أبو محمد الحسين بن علي بن محمد بن أحمد بن بشار السابوري بالبصرة قال ثنا محمد بن أحمد بن محمود العسكري قال ثنا أحمد بن عثمان بن أبي منصور السكوني قال ثنا محمد بن الوزير وعمرو بن عثمان قالا ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء عن بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس أن أبا الدرداء كان يحدث بالحديث عن رسول الله ﷺ فإذا فرغ منه قال هذا ، أو نحو هذا ، أو شكله] ..

[] أخبرنا الحسن بن علي التميمي قال أنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال ثنا أبو قطن قال ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث حديثاً عن رسول الله ﷺ فرغ منه قال أو كما قال رسول الله ﷺ .] ..

[[أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال أنا عثمان بن أحمد الدقاق قال ثنا حنبل بن إسحاق قال حدثني أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل (ح وأخبرنا) ابن رزق أيضا قال أنا إسماعيل بن علي الخطبي وأبو علي بن الصواف وأحمد بن جعفر بن حمدان قالوا ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمد بن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة ، المعنى واحد واللفظ مختلف . [[..

[[أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال ثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي قال أنا محمد بن إسحاق الثقفي قال ثنا إسحاق يعني بن راهويه قال أنا إسماعيل بن عليّة عن ابن عون قال : كان الحسن والنخعي والشعبي يحدثون بالحديث مرّة هكذا ومرّة هكذا فذكر ذلك لابن سيرين فقال : إنهم لو حدثوا كما سمعوا كان أفضل . [[..

[[أخبرني الحسن بن أبي طالب قال ثنا عمر بن محمد بن علي الناقد قال ثنا عمر بن محمد بن نصر الكاغذي قال ثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال ثنا حرب بن ميمون قال ثنا هشام قال : قيل للحسن يا أبا سعيد إنك تحدثنا بالحديث اليوم وتحدث من الغد بكلام آخر ؟ فقال : لا بأس بالحديث إذا أصبت المعنى . [[..

[[أخبرنا البرقاني قال أنا ابن خميرويه الهروي قال أنا الحسين بن إدريس قال ثنا ابن عمار قال ثنا المعافي عن مسعر عن عمرو بن مرة قال : إننا لا نستطيع أن نحدّثكم الحديث كما سمعناه ولكن عموده ونحوه . [[..

[[أخبرني الحسين بن علي الطناجيري قال أنا عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ قال ثنا الحسين بن أحمد بن بسطام الزعفراني قال ثنا سلمة بن شبيب قال ثنا عبد الرزاق قال قلت لسفيان الثوري : حدثنا بحديث أبي الزعراء كما سمعت قال : يا سبحان الله ومن يطيق ذلك ؟ إنما نجينكم بالمعنى . [[..

.. وربّ قائل يقول : هناك روايات أخرى تحمل بيانا يفيد أنّ الحديث نُقل بحرفيّته ، نقول : هذا دليل على تناقض الروايات وليس على صحّة قول هذا القائل ، فيجب ألاّ ننسى أنّ هذه النصوص كُتبت بعد قرون من موت من يقال بأنهم رووها ، وأنّها انتقلت

إلينا عبر أجيال طحنتها الحروب والعصبيات المذهبية والقبلية.... ومن جهة أخرى لو نظرنا في متون ما بين أيدينا من روايات ومن تناقض بينها - كما سنرى إن شاء الله تعالى في محطات قادمة - فسنعلم علم اليقين أن الحديث تم تناقله بالمعنى ، وأن فيه كثيراً من الخلط والتناقض والاختلاف والوضع لدرجة يستحيل فيها أن يكون قد نُقل بحرفيته ..

.. فإن كان الصحابة عدولاً وعلينا أن نأخذ ما يُقال بأنهم رووه عن النبي ﷺ دون معايرة على كتاب الله تعالى ، بمجرد أنهم رأوا النبي ﷺ ، فكيف بنا إذاً أن نفهم النص التالي من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

[[أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر قال ثنا محمد بن أحمد اللؤلؤي قال ثنا أبو داود قال ثنا نصر بن علي قال أخبرني أبو أحمد قال ثنا عمار بن زريق عن أبي إسحاق قال : كنت في المسجد الجامع مع الأسود فقال : أنت فاطمة بنت قيس عمر بن الخطاب فقال ما كنا لندع كتاب ربنا وستة نبينا لقول امرأة لا ندري أحفظت أم لا ، وهكذا اشتهر الحديث عن علي بن أبي طالب أنه قال : ما حدثني أحدٌ عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته .

ومعلوم أنه كان يحدثه المسلمون ويستحلفهم مع ظهور إسلامهم ، وأنه لم يكن يستحلف فاسقاً ويقبل خبره ، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين ، وكذلك غيره من الصحابة روي عنهم ردوا أخباراً رويت لهم ، ورواتها ظاهرهم الإسلام.....]]

.. مع تعريفهم للصحابي وبأنه فوق الجرح والتعديل ، لماذا كان علي بن أبي طالب يستحلف من كان يحدثه عن رسول الله ﷺ ، مع ظهور إسلام المتحدث [[ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين]]

.. !!!؟ .. فهل يُعقل أن علياً - وغيره من بعض الصحابة - لم يسمع بالآيات التي يحتجّون بها على تعديل جميع الصحابة ، أي على تعديل جميع من رأى النبي ﷺ حسب تعريفهم للصحابي !!!؟ .. أم أنهم يفهمون دلالاتها أكثر منه !!!؟ .. وإن كانت هذه الرواية غير صحيحة فكيف

يحتجّون بالكتب الحاملة لها على نقيض ما تحمل - هي والكثير غيرها - من دلالات !!!؟

..

وهذان نصٌّ آخر من المرجع ذاته يبيّن المسألة نفسها ..

[[أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي قال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا أبو الحسين محمد بن خالد بن خلي الحمصي بحمص قال ثنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة عن أبيه عن الزهري قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع ، وإنما آخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه في سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرتي حسنة . [[..

.. المسألة لم تقف عند الاختلاف في تعريف الصحابي ، ولم تقف عند لي أعناق دلالات كتاب الله تعالى لفرض أهوائهم عليها في الزعم بأنها تحمل تعديلاً لكل الصحابة ، ولم تقف عند كون الحديث قد نُقلَ بالمعنى عن الرسول ﷺ ، وأنه تمّ الوضع الكثير فيه ، إنّما تتعدى ذلك إلى الاختلاف الجلي في الاشتراطات التي تمّت صناعتها لقبول الرواية من الراوي .. ولو عدنا إلى كتب الحديث ذاتها ، والتي يعتمدها العاملون في هذا المجال لرأينا أنّه لا يُوجد اتفاقٌ على شروط الراوي الذي تؤخذ منه الرواية ..

.. إن مصداقية من يتمُّ الأخذ منه مسألة ليست بالقليلة ، لأنّه بإمكانه أن يكذب (سواء كان كذباً متعمداً أو نسياناً) على لسان من سبقه ، وعند ذلك ما الفائدة من تعديل السابقين إذا كانت أقوالهم ستُنقل عبره إلى اللاحقين .. لو فرضنا جدلاً أنّ الجيل الأوّل من الملائكة ، فماذا يفيدنا هذا الفرض إذا كانت أقوالهم ستُنقل إلينا عبر بشرٍ مرّوا بحروبٍ أحرقت الأخضر واليابس ، وجعلتهم يقطعون أعناق بعضهم ، ويحتمل فيهم الكذب والصدق ، والنسيان والحفظ ، فما الفائدة من ملائكية من سبقهم في معرفة مصداقية المنقول عنهم !!!؟ .. ألاّ يؤثّر هذا الواقع الذي لا ينكره أحدٌ في مصداقية نقلهم

؟ .. ألم يختلفوا في الأخذ عن أهل البدع حسب تعريفهم هم لهذه البدع .. لننظر إلى النصّ التالي من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

[[باب ما جاء في الأخذ عن أهل البدع والأهواء والاحتجاج برواياتهم : اختلف أهل العلم في السماع من أهل البدع والأهواء ، كالتدريسية والخوارج والرافضة ، وفي الاحتجاج بما يروونه ، فمنعت طائفة من السلف صحة ذلك لعله أنّهم كفّار عند من ذهب إلى إكفار المتأولين ، وفسّاق عند من لم يحكم بكفر متأول ، وممن لا يروى عنه ذلك مالك بن أنس . وقال من ذهب إلى هذا المذهب : إنّ الكافر والفسق بالتأويل بمثابة الكافر المعاند والفسق العامد فيجب أن لا يقبل خبرهما ولا تثبت روايتهما .

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى قبول أخبار أهل الأهواء الذين لا يعرف منهم استحلال الكذب والشهادة لمن وافقهم بما ليس عندهم فيه شهادة ، وممن قال بهذا القول من الفقهاء أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، فإنه قال : وتقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم ، وحكي أن هذا مذهب بن أبي ليلى وسفيان الثوري ، وروى مثله عن أبي يوسف القاضي .

وقال كثير من العلماء : يقبل أخبار غير الدعاة من أهل الأهواء ، فأما الدعاة فلا يحتج بأخبارهم ، وممن ذهب إلى ذلك أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل .

وقال جماعة من أهل النقل والمتكلمين : أخبار أهل الأهواء كلها مقبولة ، وإن كانوا كفّاراً وفسّاقاً بالتأويل . **[[** ..

وفي النصوص التالية التي نقتبسها من كتاب الكفاية في علم الرواية لأكبر دليل لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

[[قد أسلفنا الحكاية عن أبي عبد الله الشافعي في جواز قبول شهادة أهل الأهواء غير صنف من الرافضة خاصة ، ويحكي نحو ذلك عن أبي حنيفة إمام أصحاب الرأي وأبي يوسف القاضي . **[[** ..

[[أخبرني أحمد بن محمد بن أحمد الروياني قال ثنا محمد بن العباس الخزاز قال أنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب قال سمعت إبراهيم الحربي يقول سمعت علي بن الجعد يقول سمعت أبا يوسف يقول : أجزى شهادة أهل الأهواء أهل الصدق منهم إلا الخطابية والقدرية الذين يقولون إن الله لا يعلم الشيء حتى يكون]]. ..

[[أخبرني أبو بشر محمد بن عمر الوكيل قال ثنا عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ قال ثنا محمد بن الحسن المقرئ قال ثنا عبد الله بن محمود المروزي قال ثنا أحمد بن مصعب قال ثنا عمر بن إبراهيم قال سمعت ابن المبارك يقول سألت أبو عصمة أبا حنيفة ممن تأمرني أن أسمع الآثار؟ قال : من كل عدل في هواه إلا الشيعة ، فإن أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد ﷺ ، ومن أتى السلطان طائعاً]]. ..

[[فأخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي قال فيما أجاز لي أبو العباس بن حمدان أن محمد بن أيوب أخبرهم قال أنا محمد بن أبان قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول من رأى رأياً ولم يدع إليه احتمال ، ومن رأى رأياً ودعا إليه فقد استحق الترك .]]. ..

[[أخبرنا أحمد بن أبي جعفر قال أنا يوسف بن أحمد الصيدلاني بمكة قال ثنا محمد بن عمرو بن موسى العقيلي قال ثنا يحيى بن عثمان قال ثنا نعيم بن حماد قال سمعت ابن المبارك يقول وقيل له تركت عمرو بن عبيد وتحدثت عن هشام الدستوائي وسعيد وفلان وهم كانوا في عداه؟ قال إن عمراً كان يدعو .]]. ..

[[أخبرنا عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب قال ثنا عمر بن أحمد الواعظ قال سمعت عثمان بن عبدويه الحربي يقول سمعت إبراهيم الحربي يقول قيل لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله سمعت من أبي قطن القدري؟ قال : لم أره داعية ولو كان داعية لم أسمع منه .]]. ..

[[أخبرنا أبو بكر البرقاني قال قرأت على علي بن الحسين الكراعي المروزي بها حدثكم عبد الله بن محمود قال ثنا محمد بن عبد العزيز الأبيوردي قال سألت أحمد بن حنبل أياً يكتب عن المرجىء والقدري؟ قال : نعم يكتب عنه إذ لم يكن داعياً .]]. ..

]] فأخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر بن علان الوراق قال أنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الأزدي الحافظ قال ثنا محمد بن عبده القاضي قال ثنا علي بن المديني قال قلت ليحيى بن سعيد القطان إن عبد الرحمن بن مهدي قال : أنا أترك من أهل الحديث كل من كان رأساً في البدعة ، فضحك يحيى بن سعيد فقال : كيف يصنع بقتادة ؟ ، كيف يصنع بعمر بن زر الهمداني ؟ ، كيف يصنع بابن أبي رواد ؟ ، وعد يحيى قوماً أمسكت عن ذكرهم ثم قال يحيى : إن ترك عبد الرحمن هذا الضرب ترك كثيراً . [[..

]] أخبرنا أبو الفتح منصور بن ربيعة بن أحمد الزهري الخطيب الدينوري قال أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن علي بن راشد قال ثنا أحمد بن يحيى بن الجارود قال قال علي بن المديني : لو تركت أهل البصرة لحال القدر ، ولو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي يعنى التشيع ، خربت الكتب ، قوله خربت الكتب يعنى لذهب الحديث . [[..

]] أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الروياني قال ثنا محمد بن العباس الخزاز قال أنا سليمان بن إسحاق الجلاب قال قال إبراهيم الحربي قيل لأحمد بن حنبل في حديثك أسماء قوم من القدرية فقال : هو ذا نحن نحدث عن القدرية . [[..

]] أخبرنا أحمد بن أبي جعفر قال أنا محمد بن عدي بن زحر البصري في كتابه قال ثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري قال سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث يقول ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان وأبا حسان الأعرج .

أخبرنا أبو بكر البرقاني قال أنا محمد بن عبد الله بن خميرويه الهروي قال أنا الحسين بن إدريس وسألته يعنى محمد بن عبد الله بن حماد الموصلي عن علي بن غراب ، فقال كان صاحب حديث بصيراً به ، قلت : أليس هو ضعيف ؟ قال : إنه كان يتشيع ولست أنا بتارك الرواية عن رجل صاحب حديث يبصر الحديث بعد أن لا يكون كذوباً للتشيع أو القدر ، ولست براو عن رجل لا يبصر الحديث ولا يعقله ، ولو كان أفضل من فتح يعنى الموصلي . [[..

[[أخبرني القاضي أبو عبد الله الصيمري قال ثنا علي بن الحسن الرازي قال ثنا محمد بن الحسين الزعفراني قال ثنا أحمد بن زهير قال سمعت يحيى بن معين وقيل له إن أحمد بن حنبل قال إن عبيد الله بن موسى يرد حديثه للتشيع فقال كان والله الذي لا إله إلا هو عبد الرزاق أغلى في ذلك منه مائة ضعف ، ولقد سمعت من عبد الرزاق أضعاف أضعاف ما سمعت من عبيد الله .

قرأنا على الحسن بن علي الجوهري عن أبي عمر بن حيويه قال ثنا أبو الطيب محمد بن القاسم الكوكبي قال ثنا إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي قال سمعت يحيى بن معين ذكر حسيناً الأشقر فقال : كان من الشيعة الغالية الكبار ، قلت : وكيف حديثه ؟ قال : لا بأس به قلت : صدوق ؟ قال : نعم كتبت عنه عن أبي كدينة ويعقوب القمي .

أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا عبد الله بن الأحرم الحافظ وسئل لم ترك البخاري حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة ؟ قال لأنه كان يفرط في التشيع .

أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب أنا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب وسئل عن الفضل بن محمد الشعراني فقال : صدوق في الرواية إلا أنه كان من الغالين في التشيع ، قيل له : فقد حدثت عنه في الصحيح ؟ فقال : لأن كتاب أستاذي ملآن من حديث الشيعة - يعنى مسلم بن الحجاج - . [[..

.. ولننظر في النصّ التالي المقتبس من كتاب : مقدّمة ابن الصلاح ..

[[اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي يكفر في بدعته : فمنهم من رد روايته مطلقاً ، لأنه فاسق ببذعته . وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوي في الفسق المتأول وغير المتأول . ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرته مذهبه أو لأهل مذهبه ، سواء كان داعية إلى بدعته أو لم يكن . وعزا بعضهم هذا إلى الشافعي ، لقوله : أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ، لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقهم . وقال قوم :

تقبل روايته إذا لم يكن داعية ، ولا تقبل إذا كان داعية إلى بدعته ، وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء . وحكى بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه خلافاً بين أصحابه في قبول رواية المبتدع إذا لم يدع إلى بدعته ، وقال : أما إذا كان داعية ، فلا خلاف بينهم في عدم قبول روايته . وقال (أبو حاتم بن حبان البستي) ، أحد المصنفين من أئمة الحديث : الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة ، لا أعلم بينهم فيه خلافاً . وهذا المذهب الثالث أعدلها وأولاها ، والأول بعيد مُباعد للشائع عن أئمة الحديث ، فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة . وفي (الصحيحين) كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول ، والله أعلم . [[

..

.. وكالعادة .. يتم الاختلاف في كل جزئية (مهما صغرت) من جزئيات ما يسمى بعلوم الحديث ، لننظر إلى النصّ التالي من كتاب : الكفاية في علم الرواية ..

[[اختلف أهل العلم في لفظ المعدل الذي تحصل به العدالة لمن عدله . فقال بعضهم : المقبول في ذلك أن يقول هو مقبول الشهادة لي وعلي . وقال آخرون : يكفي أن يقول هو عدل رضا . وقال غيرهم : يجب أن يقول هو عدل مقبول . ومنهم من قال : يكفيه أن يقول هو مقبول الشهادة ، وقال بعض أهل العراق : إذا قال لا أعلم إلا خيراً كان ذلك تعديلاً .]] ..

.. ولننظر إلى النصّ التالي المقتبس من كتاب : الكفاية في علم الرواية :

[[قال بعض الفقهاء : لا يجوز أن يقبل في تعديل المحدث والشاهد أقل من اثنين وردوا ذلك إلى الشهادة على حقوق الآدميين وأنها لا تثبت بأقل من اثنين وقال كثير من أهل العلم : يكفي في تعديل المحدث المزكي الواحد ، ولا يكفي في تعديل الشاهد على الحقوق إلا اثنان . وقال قوم من أهل العلم : يكفي في تعديل المحدث والشاهد تزكية الواحد إذا كان المزكي بصفة من يجب قبول تزكيته .]] ..

ما نراه في هذه النصوص جميعها أنّ المسألة من بدايتها إلى نهايتها هي مسألة رؤى مختلفة لبشر بالتأكيد ليسوا معصومين ، ونرى أنّه لا يوجد ما يُسمّى بالإجماع إلا في

الخطابات الرثانة التي تسقط فوق رؤوس العوام الذين يُجَيِّشون لمحاربة كلّ متدبّر لكتاب الله تعالى .. فهذه الجزئيات (مقدّمات ما يُسمّى بعلوم الحديث) فضلاً عن الاختلاف الشاسع بينها ، نرى أنّ العمل بما على أرض الواقع لتزكية الرجال ولفرزهم وفق أيّ جزئية من هذه الجزئيات المتناقضة أصلاً ، لا يمكن تجريده عن الأهواء والعصبيّات ، فلا يمكن الوصول إلى إجماع حقيقي في تطبيق جزئية واحدة على رجل واحد .. فكيف إذاً يكون الأمر حينما تكون للجزئية الواحدة احتمالات تدور من النقيض إلى نقيضه ؟!!! ..

ومسألة التدليس هي مسألة مهمّة جداً في معرفة مصداقية ما وصلنا من روايات .. وبغض النظر عن كون المعدّلين من البشر ، ويحتمل فيهم الخطأ بذات نسبة احتمال الصواب في تعديل الآخرين ، وفي معرفة المدّلس منهم من غير المدّلس حسب رؤاهم المختلفة وحسب عصبيّاتهم المتباينة ، بغض النظر عن هذه الحقيقة ، نرى أنّهم اختلفوا اختلافاً شاسعاً في هذه المسألة (مسألة التدليس) .. لننظر إلى النصّ التالي من كتاب : مقدّمة ابن الصلاح ، لنعرف كيف عرفوا هم مسألة التدليس ..

]] التدليس قسمان : أحدهما : تدليس الإسناد ، وهو أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه ، موهماً أنه سمعه منه . أو : عن عاصره ولم يلقه ، موهماً أنه قد لقيه وسمعه منه . ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر ..

القسم الثاني : تدليس الشيوخ ، وهو : أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه ، فيسميه ، أو يكتّبه ، أو ينسبه ، أو يصفه بما لا يعرف به ، كي لا يُعرف .]] ..

.. ولننظر في النصّ التالي المقتبس من كتاب : الكفاية في علم الرواية ، لنرى موقف بعض السابقين العاملين في مسألة الحديث من التدليس ..

]] أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل قال أنا علي بن محمد بن أحمد المصري قال ثنا عمر بن عبد العزيز بن مقلص قال سمعت أبي يقول سمعت الشافعي يقول قال شعبة بن الحجاج : التدليس أخو الكذب . أخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر بن علان الوراق قال أنا أبو

الفتح محمد بن الحسين الأزدي قال ثنا الحسن بن علي قال ثنا بندار قال ثنا غندر قال سمعت شعبية يقول : **التدليس في الحديث أشد من الزنا ، ولأن أسقط من السماء أحب إليّ من أن أدلس** . أخبرنا أبو بكر البرقاني قال أنا محمد بن عبد الله بن خميرويه الهروي قال أنا الحسين بن إدريس قال ثنا ابن عمار قال سمعت المعافي يقول سمعت شعبية يقول : **لأن أزني أحب إليّ من أدلس ، فقلت له : يا أبا مسعود ما تقول أنت في التدليس ؟ قال أدنى ما فيه التزني .** أخبرني أبو القاسم الأزهري قال ثنا عبد الرحمن بن عمر الخلال قال ثنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه قال ثنا جدي قال سمعت سليمان بن حرب يقول سمعت جرير بن حازم يقول وذكر التدليس والمدلسين فعابه وقال : **أدنى ما يكون فيه أنه يري الناس أنه سمع ما لم يسمع .** وقال ثنا جدي قال سمعت الحسن بن علي يقول سمعت أبا أسامة يقول : **خرّب الله بيوت المدلسين ما هم عندي إلا كذابون .** أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني المؤدب قال أنا أبو بكر بن المقري قال ثنا علي بن محمد الرقي قال ثنا الميموني قال ثنا خالد بن خدّاش قال سمعت حماد بن زيد يقول : **التدليس كذب ، ثم ذكر حديث النبي ﷺ : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور ، قال حماد ولا أعلم المدلس إلا متشبعاً بما لم يعط .** ..

.. بعد ذلك .. لننظر في النصّين التاليين المقتبس من المرجع ذاته : الكفاية في علم الرواية .. لنرى كيف أنّ التدليس حسب تعريفهم هم له ، وحسب قولهم هم ، وفي كتبهم هم ، لم ينج منه إلا ما رحم ربّنا جلّ وعلا ..

]] أخبرني أبو القاسم الأزهري قال ثنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن قال ثنا عبد الله بن محمد البغوي قال حدثني أحمد بن زهير قال سمعت يحيى يقول : **الثوري أمير المؤمنين في الحديث وكان يدلس .**

أخبرنا محمد بن جعفر بن علان قال أنا أبو الفتح محمد بن الحسين الحافظ قال ثنا الحسن بن علي قال ثنا محمد بن يحيى الأزدي قال سمعت يزيد بن هارون يقول **قدمت الكوفة فما رأيت بها أحداً إلا وهو يدلس إلا مسعر بن كدام وشريكاً .** وأخبار المدلسين تتسع وقد ذكرت أسماءهم وسقت كثيراً من رواياتهم المدلسة في كتاب التبيين لأسماء المدلسين فغنيت عن إعادتها في هذا الموضع .

وقال فريق من الفقهاء وأصحاب الحديث : إنَّ خبر المدلس غير مقبول لأجل ما قدمنا ذكره من أن التدليس يتضمن الإيهام لما لا أصل له وترك تسمية من لعله غير مرضي ولا ثقة وطلب توهم علو الإسناد وإن لم يكن الأمر كذلك .

وقال خلق كثير من أهل العلم : خبر المدلس مقبول لأنهم لم يجعلوه بمثابة الكذاب ولم يروا التدليس ناقضاً لعدالته . وذهب إلى ذلك جمهور من قبل المراسيل من الأحاديث وزعموا أن نهاية أمره أن يكون التدليس بمعنى الإرسال .

وقال بعض أهل العلم : إذا دلس المحدث عن من لم يسمع منه ولم يلقه وكان ذلك الغالب على حديثه لم تقبل رواياته ، وأما إذا كان تدليسه عن من قد لقيه وسمع منه فيدلس عنه رواية ما لم يسمعه منه فذلك مقبول بشرط أن يكون الذي يدلس عنه ثقة .

وقال آخرون : خبر المدلس لا يقبل إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام ، فإن أورده على ذلك قبل ، وهذا هو الصحيح عندنا]]

]] أخبرنا محمد بن جعفر بن علان الوراق قال قال لنا أبو الفتح الأزدي الحافظ قد كره أهل العلم بالحديث مثل شعبة وغيره التدليس في الحديث وهو قبيح ومهانة ، والتدليس على ضربين : فإن كان تدليساً عن ثقة لم يحتج أن يوقف على شيء وقبل منه ، ومن كان يدلس عن غير ثقة لم يقبل منه الحديث إذا أرسله حتى يقول حدثني فلان أو سمعت]]

.. من الذي يملك اليقين في أن يحدّد تحديداً كاملاً الثقة من غير الثقة المعيّنة في العبارات :]] فإن كان تدليساً عن ثقة لم يحتج أن يوقف على شيء وقبل منه ، ومن كان يدلس عن غير ثقة لم يقبل منه الحديث]] !!!؟ .. كيف يُحدّد البشر ويزكّوا بعضهم تزكيةً ينتج عنها إدخال نصوصٍ إلى المقدّس ، في الوقت الذي يقول الله تعالى لنا فيه بأنَّ نبيّه ﷺ لم يكن يعلم هو ذاته بعض الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة في عصره وبين يديه !!!؟ ..

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة :

[١٠١]

.. وبناء على تعريفهم هم للتدليس ، وعلى كون التدليس لم ينج منه إلا ما رحم ربّي ، وبناء على هذه الروايات التي هي نقطة من بحر الروايات التي تؤكد ذلك ، ولو أبعدا - كما يريدون - معايرة هذه الروايات على كتاب الله تعالى ، واعتبرنا معيار السند فقط ، وبناء على قولهم هم : **[[تدليس الإسناد ، وهو أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه ، موهماً أنه سمعه منه .]]** ، بناء على ذلك ، هل يبقى هناك فارق كبير بين الرواية المنقطعة وغير المنقطعة !!!؟ .. أليست الرواية المنقطعة (التي يظهر فيها الانقطاع) فيها من الصدق ما هو أكثر من الرواية التي يُوهمنا فيها الراوي أنه سمع ممن لم يسمع منه ، وذلك عبر منهج : **[[أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه ، موهماً أنه سمعه منه .]]** .. !!!؟

.. وبناء على ما رأينا في هذه المحطة من اختلاف لم تنج منه جزئية واحدة من مقدمات ما يسمونه بعلوم الحديث ، هل يبقى هناك فارق كبير بين الرواية الصحيحة (حسب معاييرهم المبنية على هذه الجزئيات) وبين الرواية غير الصحيحة !!!؟ ... هذه كلها روايات ظنية الثبوت ، تأخذ مصداقيتها من موافقتها لكتاب الله تعالى .. لذلك فما يذرونه من رماد في أعين البسطاء من أن هذه الروايات بُني سندها على علم وعلى أصول ثابتة ، وما يجترّونه من أقوال بعض السابقين ويوهمون بأنه علم لا يأتيه الباطل ، هذا كله كلام لا يلقى آذاناً مُصغية إلا عند من لا يعرف الحقيقة ، ولا يريد معرفتها ..

.. ألا يخجل من الله تعالى من يصنّف الرجال تصنيفاً يعتبره جزءاً من المقدّس ، عبر أدوات تاريخية صنعها بشرٌ لا يمكن تجرّدهم عن الخطأ ، ولا يمكنها ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال أن ترتفع فوق مستوى الظن ، في الوقت الذي يقرأ فيه قول الله تعالى ..

﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [يونس : ٣٦]

لقد وصل تجاسرهم على كتاب الله تعالى والاستهانة به إلى درجة أصبحوا يعتبرون بما رواياتهم فوق كتاب الله تعالى ، فكتاب الله تعالى الذي يصفه جلّ وعلا بقوله ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] أصبحوا يرونه محتاجاً لرواياتهم ، بينما رواياتهم ليست محتاجة لكتاب الله تعالى ، لأنّها - حسب ما يذهبون - قاضية على كتاب الله تعالى .. لننظر في النص التالي من كتاب الكفاية في علم الرواية ..

[[أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال ثنا محمد بن إسحاق الصغاني قال حدثنا روح بن عبادة قال ثنا الأوزاعي عن مكحول قال قال القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن ، قال وقال يحيى بن أبي كثير السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة .]]

.. أعتقد أنّ من يقرأ قولهم [[القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن]] ويقرأ قولهم [[السنّة قاضية على الكتاب ، ليس الكتاب قاضياً على السنّة]] ، وفي نفسه ولو ذرّة تقديرٍ وتقديسٍ لكتاب الله تعالى ، سيُدرك - أكثر من قبل - حقيقة شكوى الرسول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

.. وهكذا نرى أنّ ما يُسمّى بعلوم الحديث مبنية على مقدّمات ظنيّة الثبوت مختلفة في كلّ جزئية إلى درجة التناقض ، يستخدمها بشر يخطئون ويصيبون ، وتحكمهم عصبياهم المذهبية والطائفية والقبلية والشخصية ، وبالتالي فكلّ ما ينتج عن هذه المقدّمات وتطبيقها لا يمكنه الارتقاء إلى مستوى اليقين ، وبالتالي هو ظنيٌّ يأخذ مصداقيته من موافقته للنصّ المطلق (القرآن الكريم) الذي تعهد الله تعالى بحفظه ..

ولو أردنا نقل النصوص من أمّهات كتب الحديث وما يسمّى بعلومه ، والتي تبين عدم الاتفاق على أيّ جزئية من جزئيات هذه المسألة وعلى مقدّماتها التي عبرها وصلتنا الروايات التي بين أيدينا ، لو أردنا ذلك ، لأتينا بمئات النصوص التي تبين هذه الحقيقة ،

وذلك من الكتب ذاتها التي يعتمد عليها المطبلون والمزّمرون في جعل هذه المقاربات علماً مقدساً يريدون فرضه على الأمة ..

وما يجب أن نعلمه أننا ننقل نصوصاً من كُتُبٍ هي في أصلها لا تخرج عن المنظومة التي تنبئ ما يسمّى بعلوم الحديث ، والأكثر من ذلك هي كُتُبُ تُعدّ المراجع التي يعتمدون عليها في البرهنة على حجّية هذه العلوم ، فكيف إذاً يكون الأمر من منظارٍ أكثر تجرّداً وأكثر بعداً عن الغرق في مستنقع التشبّث بالتاريخ ورواياته ورجالاته ؟!!! .. كيف يكون الأمر حينما ننظر إلى هذه الروايات من منظار قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا

عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦]

.. فما عرضناه من نصوص في هذه المحطّة وما سبقها من محطات وما يتبعها ، يُثبت لمن يملك ذرّةً من عقل ومنطق أنّ مقدمات ما يسمّى بعلوم الحديث جميعها صناعة بشرية محضّة ، مليئة بالأهواء والعصبانيات والأخطاء والاختلافات ، وبالتالي فما ينتج عن هذه الآليات من روايات لا يتعدّى مستوى الظن ..

.. وبالتالي فمقولة الإجماع والمنهجية العلمية فيما يُسمّى بعلوم الحديث ، لا وجود لها إلا في الخطابات الرنانة التي لا تهدف إلا إلى تغييب العقل ، وإلى ذرّ الرماد في الأعين الباحثة عن الحقيقة .. فالإجماع الحقيقي - بالنسبة للحديث وعلومه - هو أنّه لا يُوجد إجماع على هذه المقاربات التاريخية حتى بين واضعي آليات هذه المقاربات ، ولا تُوجد - في الحديث وعلومه - منهجية علمية خالية من الأخطاء والأهواء والعصبانيات المذهبية المسبقة الصنع ، وذلك عند السنّة والشيعة على حدّ سواء ..

إنّ المنهجية العلمية السليمة تقتضي ألاّ تحمل جميع المقدمات المؤدّية لأيّ نتيجة أيّ اختلاف وأيّ احتمال للخطأ .. وأيّ حلل واختلاف في مقدّمة واحدة من المقدمات التي تستند عليها النتيجة هو قدحٌ بهذه النتيجة ، وتقتضي هذه المنهجية أيضاً الصدق المطلق الخالي من أيّ هوى أو نسيان أو تعصّب وذلك في استعمال هذه المقدمات لفرز الرجال ومعرفة الراوي الصادق منهم والكاذب ، وأيّ نقصٍ عن المطلق في ذلك يقدر في النتائج الحاصلة عن هذا الفرز .. فكيف يكون الأمر إذا كانت المقدمات السابقة للنتيجة جميعها

ودون استثناء مليئة بالاختلاف واحتمالات الخطأ ولا يُوجد إجماع حقيقي على مقدّمة واحدة منها ، وهذا ما رأيناه في ما يُسمّى بعلوم الحديث ، فمقدّمات هذه المقاربات التاريخية من أوّلها إلى آخرها تحمل في كلّ مقدّمة منها اختلافًا لدرجة التناقض كما رأينا في هذه المحطّة وما سبقها .. وكيف يكون الأمر إذا كان الرجال (الذي يُسقطون على أرض الواقع هذه الاشتراطات المتناقضة لفرز الرواة) رجالاً لا يمكنهم التجرّد عن عصبياهم وعن بشريتهم. بما تحمل من خطأ ومن هوى ومن ضغطٍ مذهبيٍّ وطائفيٍّ وبالتالي فمن الجحود بكتاب الله تعالى وبالسنّة الشريفة الحق وبثوابت العلم والعقل والمنطق أن يُقال إنّ هذه المقاربات علمٌ يُدخلُ نصوصاً من التاريخ إلى ساحة المقدّس ..

وسنرى - إن شاء الله تعالى - في المحطّة القادمة ، عبر إجماعٍ آخر في الروايات وعلومها ، كيف أنّ الحديث وعلومه أقرب إلى التاريخ منهما إلى المنهج ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة التاسعة

((الحديث وعلومه بين المنهج والتاريخ))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. كُنَّا قد بَيَّنَّا بشكلٍ جلي ، أنَّ فرضيَّتي عدالة الصحابة وعصمة آل البيت ، بالحيثية التي تُقدِّمان بها ، عبارة عن وهم ، وبينا أنَّ ذلك لا يعني عدم وجود من هو عدلٌ وصادق .. أبداً .. ما نعنيه أنَّه ليس من المعقول أن يتمَّ تعديلُ جيلٍ تقاتل الكثيرُ من أبنائه فيما بينهم وَقَتَّلُوا بعضهم بعضاً واتَّهموا بعضهم بعضاً بالكذب والخروج على الحق .. ليس من المعقول أن يُرْفَعُوا إلى درجة اعتبارِ كلِّ ما يُروى عنهم - حتى بعدَ قرونٍ من موتهم - بأنَّه صحيح ..

إنَّ مقولة الإجماع التي يُدندن بها لا معنى لها في ميزان الفكر والبحث عن الحقيقة ، فالصحابه تفرَّقوا في البلاد المفتوحة منذ ولاية عثمان ، بل اقتتلوا فيما بينهم قتالاً راح ضحيَّته عشرات الألوف من رقبهم ... وهنا نسأل السؤال التالي : هل الاقتتال بين رجالات الجيل الأوَّل من الصحابة كان لأسبابٍ وخلافاتٍ فقهيةٍ ، أم لأسبابٍ شخصيةٍ لا علاقة للدين بها ..

فإن كان اقتتالهم لأسبابٍ فقهية ، فإنَّ مفهومَ الإجماع عبارة عن أكذوبة لا وجود لها ، فافتتالهم يعني أنَّهم لم يكونوا مجتمعين على ما اقتتلوا عليه ، وإلاَّ فلماذا اقتتلوا ..
 وإن اقتتالهم لأسبابٍ شخصية هدفها الملك والسلطة ، فمن العيب والخجل أن يُقدَّم كلُّ ما روي عنهم من اجتهادات على أنَّها مصدرٌ من مصادر التشريع ، لجرّد ورودها عنهم ، وذلك في الوقت الذي يقول الله تعالى فيه ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .. وفي الوقت الذي يأمرنا الله تعالى بقوله ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] ..

.. وفوق كلِّ ذلك ، نجد في كتب التفسير والفقهاء آراءً متناقضةً لفقهاء الطائفة الواحدة في المسألة الواحدة ، فأين هو الإجماع الذي يُعدُّ مصدرًا تُعابير عليه المسائل ؟!!!!!!
 إنَّ كلَّ باحث عن الحقيقة متدبِّر لجزئيات الفقه الموروث يرى أن الإجماع مصدرٌ وهميٌّ للتشريع ، يحتجُّ به كلُّ من يريدُ تسويقَ فكره ، في الوقت الذي يحتجُّ بهذا المصدر الوهمي من يقفُ في الخندق الآخر من هذا المحتجِّ بالإجماع ..
 .. ولو كان هناك إجماعٌ بين الصحابة ، فكيف إذا نرى مذاهب مختلفة ، من الفقه إلى العقيدة ، في الوقت الذي تعتبرُ فيه - كلُّ هذه المذاهب - الإجماعَ مصدرًا من مصادر التشريع ؟!!!!!! ..

.. ولو قرأنا مختلفَ كتبِ التاريخ التي تعتبرها الأمة وتأخذُ بها لرأينا صححة ما نذهبُ إليه من اختلافٍ بين أفراد الجيل الأوَّل .. وكنموذجٍ لما نقول ، لننظر في النصِّ التالي الذي نقتبسُه من مرجعٍ تاريخيٍّ له اعتباره عند الكثيرين من أبناء الأمة ، إنَّه الكامل في التاريخ لابن الأثير ، والحادثة هي معركة صفين بين علي ومعاوية ..

]] فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا : هذا حكم كتاب الله عزَّ

وجل بيننا وبينكم ، مَنْ لثغور الشام بعد أهله ، مَنْ لثغور العراق بعد أهله ، فلما رآها الناس قالوا : نُجيبُ إلى كتاب الله تعالى ، فقال لهم علي : عبادَ الله أمضوا على حقكم

وصديقكم وقتال عدوكم ، فإن معاوية ، وعمراً ، وابن أبي معيط ، وحبیباً ، وابن أبي سرح ، والضحاك ، ليسوا بأصحاب دين ، ولا قرآن ، أنا أعرفُ بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالاً فكانوا شرّاً أطفال وشرّاً رجال ، ويحكم ! ، والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة [] ..

.. إذا كان رجال الجيل الأول قد اتهم بعضهم بعضاً بأنهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وقتلوا بعضهم بعضاً ، لأسباب لا يمكنها أن تُعطي أيّ مُبرّر شرعي لهذا الاقتتال .. فكيف بنا أن ننطلق مما قد قيلَ عنهم بعد قرون من هذه الفتن ، على أنه علمٌ نتيجته إدخالُ نصوصٍ إلى المُقدّس !!!؟ .. وكيف بنا أن نقرأ التاريخَ وأن نفهمه بعيداً عن حقيقة الأحداث التي تحملها نصوصه !!!؟ .. وكيف بنا أن نكذب التاريخ تارةً ، وأن نُصدّقه تارةً أخرى دون أيّ منهجية علمية في ذلك ..

.. ولننظر إلى هذا النصّ التاريخي ، الموجود - أيضاً - في الكامل في التاريخ لابن الأثير ، لنرى مصير محمد بن أبي بكر على يد بعض المسلمين من رجالات الجيل الأول :

[] فخرج محمد يمشي في الطريق فانتهى إلى خربة في ناحية الطريق فأوى إليها ، وسار عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمد بن أبي بكر فانتهى إلى جماعة على قارعة الطريق فسألهم عنه فقال أحدهم : دخلت تلك الخربة فرأيت فيها رجلاً جالساً ، فقال ابن حديج : هو هو ، فدخلوا عليه فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشاً ، وأقبلوا به نحو الفسطاط ، فوثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص وكان في جنده وقال : أنتقتل أخي صبراً ! ابعث إلى ابن حديج فإنه عنه ، فبعث إليه يأمره أن يأتيه بمحمد ، فقال : قتلتكم كنانة بن بشر وأخلي أنا محمداً ! ، أكفاركم خيراً من أولئكم أم لكم براءة في الزبر ! ، هيهات هيهات ، فقال لهم محمد بن أبي بكر : اسقوني ماءً ، فقال له معاوية بن حديج : لا سقاني الله

إن سقيتك قطرةً أبداً ، إنكم منعمتم عثمان شرب الماء ، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم والغساق ، فقال له محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك إليك ، إنما ذلك إلى الله يسقي أوليائه ويظمي أعداءه أنت وأمثالك ، أما والله لو كان سيفي بيدي ما بلغت مني هذا ، ثم قال له : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار ، فقال محمد : إن فعلت بي ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله ، وإنني لأرجو أن يجعلها عليك ، وعلى أوليائك ، ومعاوية ، وعمرو ، ناراً تلتظي كلما خبت زادها الله تعالى سعيراً ، فغضب منه وقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً ، وقننت في دُبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، وأخذت عيال محمد إليها فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالهم ، ولم تأكل من ذلك الوقت شواءً حتى توفيت [] ..

.. أليس أبطال هذه القصة من أفراد الجيل الأول ؟ .. هل أحداث هذه القصة تتعلق من قريب أو بعيد بمنهج الله تعالى وتعاليمه وإيصالها إلى البشر ؟ .. هل إلقاء المسلم للمسلم في جيفة حمار ثم حرقه ، هل ذلك من تعاليم الإسلام ؟!!! .. أليست أحداث هذه القصة وقعت بين أفراد من الأجيال الأولى وعائشة ما زالت على قيد الحياة ؟!!! .. أليست هذه القصة مقتبسة من أهم كتب التاريخ التي نعتز بها .. فمتى ندرك - إذا - أن الفارق كبير بين اعتبار التاريخ مادة تؤخذ بالمقاربة وبالمعايرة على ثوابت النص القرآني والعقل والمنطق ، وبين اعتبار التاريخ مصدراً تشريعياً يؤخذ بما يُسمى بعلم السند ؟!!! .. ولننظر أيضاً إلى النص التالي من : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير :

[] وقدّم عمرو بن العاص من مصر على معاوية ومعه أهل مصر ، فقال لهم عمرو : لا تسلّموا على معاوية بالخلافة ، فإنه أهيب لكم في قلبه ، وصغروه ما استطعتم ، فلما دخلوا قال معاوية لحجابه : كأنني بابن النابغة وقد صغر أمرني عند القوم ، فانظروا إذا دخل القوم فتعتوهم أشد ما يحضركم ، فكان أول من دخل عليه رجل منهم

يقال له ابن الخياط فقال : السلام عليك يا رسول الله ، وتتابع القوم على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم عمرو : لعنكم الله ، نهيتكم أن تسلموا عليه بالإمارة فسلمتم عليه بالنبوة [[

.. أيُّ تعتعة ، وأيُّ جرح ، وأيُّ تعديل ، وأيُّ عدالة ، وأيُّ أمانة ، وأيُّ قيمٍ إيمانية ، يُمكننا أن نتحدّثَ عنها ، حينما نقرأ هذه النصوص وغيرها الكثير الكثير في معظم كتبنا التاريخية ، في الصحاح وغير الصحاح ولننظر - أيضاً - في النصّ التالي لنرى جانباً من حقيقة ما كان يحدث على أرض الواقع بين الكثير من رجالات الجيل الأوّل ..

[[وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لو مات أبو موسى الأشعري قبل هذا اليوم - يعني يوم التحكيم بين علي ومعاوية - لكان خيراً له ، وقال أبو موسى الأشعري لعمرو : لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، قال عمرو : إنّك مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً ، فحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط ، وحمل ابنُ لعمرو على شريح فضربه بالسوط أيضاً ، وحجّز الناس بينهم ، وكان شريح يقول بعد ذلك : ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف]]

.. ألم نرَ في محطة سابقة الحديث التالي ..

البخاري (٤٤٥٣) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةَ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئاً فَقَالَ خُدُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا اتَّعَدَانِنِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيْنَا شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُدْرِي

.. ألم نرَ - أيضاً - في الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وفي موضوع هذا الحديث ، كيف أن عائشة قالت لمروان : **[[كذبت ، والله ما هو ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنك أنت فضض من لعنة نبيّ الله]]** ..

.. وفي الموضوع ذاته بتحويل المبدأ القرآني ﴿ **وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾ على أرض الواقع إلى نظامٍ قسريٍّ بالقوة ، دون أيّ اعتبارٍ لمنهج الله تعالى ، ودون أيّ اعتبارٍ لكرامة المؤمنين وحرّياتهم .. لننظر في النصّ التالي من الكامل في التاريخ لابن الأثير ..

[[ثمّ أقبل على ابن الزبير فقال : هاتِ لعمرى إنك خطيبهم ، فقال : نعم ، نخيّرك بين ثلاث خصال ، قال : أعرضهن ، قال : تصنع كما صنع رسول الله ﷺ ، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر ، قال معاوية : ما صنعوا ؟ ، قال : قبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً ، فارتضى الناس أبا بكر ، قال : ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف ، قالوا : صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر ، فإنّه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه ، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ، ولا من بني أبيه ، قال معاوية : هل عندك غير هذا ؟ ، قال : لا ، ثمّ قال : فأنتم ، قالوا : قولنا قوله ، قال : فإنّي قد أحببت أن أتقدم إليكم ، إنّه قد أعذر من أنذر ، إنّي كنت أخطب فيكم فيقوم إليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح ، وإنّي قائم بمقالة فأقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يبقين رجلاً إلاّ على نفسه ، ثمّ دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال : أقم على رأس كلّ رجل من هؤلاء رجلين ومع كلّ واحد سيف ، فإن ذهب رجلاً منهم يردّ عليّ كلمة بتصديق أو تكذيب ، فليضرباه بسيفهما]] ..

.. وبعيداً عن عصبية الشيعة لأهل البيت وعن تضخيمهم على حساب المنهج ، وبعيداً عن أيّ نزعة طائفية أو مذهبية ، ومن منظار إنسانيٍّ بحتٍ مجردٍ عن أيّ عصبية

مذهبية أو طائفية .. بعيداً عن كل ذلك .. لننظر إلى النصّ التالي في كتاب الكامل في التاريخ والذي يصوّر أحداثاً وقعت في الأجيال الأولى ، ومع أقرب الناس للنبي ﷺ :

[[فنأدى شمر في الناس : ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه شكلتكم أمهاتكم ! فحملوا عليه من كل جانب ، فضرب زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى ، وضرب أيضاً على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو ، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق ، وقال لخولي بن يزيد الأصبحي : احتز رأسه ، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد ، فقال له سنان : فت الله عضدك ! ونزل إليه فذبحه واحتز رأسه فدفعه إلى خولي ، وسلب الحسين ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته ، وهي من خز ، فكان يسمى بعد قيس قطيفة ، وأخذ نعليه الأسود الأودي ، وأخذ سيفه رجل من دارم ، ومال الناس على الفرش والحلل والإبل فانتهبوها ، ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء حتى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها فيؤخذ منها .

ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة غير الرمية.

وأما سويد بن المطاع فكان قد صرع فوق بين القتلى مثنخناً بالجراحات ، فسمعهم يقولون : قُتل الحسين ! فوجد خفةً فوثب ومعه سكين ، وكان سيفه قد أخذ ، فقاتلهم بسكينة ساعة ثم قتل ، قتله عروة بن بطان الثعلبي وزيد بن رقاد الجنبلي ، وكان آخر من قتل من أصحاب الحسين . [[..

.. عابدو أصنام التاريخ يقرؤون كل هذه النصوص - في الصحاح وكتب التاريخ على حدّ سواء - من منظار عصبيّاتهم الطائفية والمذهبية ، كفعل وردّ فعل ، دون أن تعينهم دلائلها كمنهج بحثٍ مجردٍ عن تلك العصبيّات ، ودون أن يرو فيها ما يراه من يملك حدّاً أدنى من التجرد ، ولا يرون في عرضنا لها إلاّ إساءةً لرجال التاريخ ، لأنّهم

جعلوا منهم أصناماً لا يجوز الاقترابُ منها .. فأولئك لا تعنيهم الحقيقة .. ما يعينهم هو تقديس الرجال ولو على حساب منهج الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. القضية ليست قضية إساءة لرجال التاريخ كما يتوهم عابِدو أصنام التاريخ ، القضية قضية دين وعبادة لله تعالى .. القضية قضية نصوص تُنسبُ إلى أولئك الرجال .. الهدف ليس الرجال ، الهدف هو تحري الحقيقة من بين تلال الروايات التاريخية التي ينسبُ الكثيرُ منها – عبر هؤلاء الرجال – إلى الرسول ﷺ ، وذلك بما لا يقبله قرآنٌ أو عقلٌ أو منطقٌ كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى .. لو كانت المسألة مسألة رجال نريد مُحاکمتهم في حياتنا الدنيا ، لبرأناهم وأدأ للفتن التي يُثيرها رافعو هؤلاء الرجال إلى درجة الأصنام التي لا يجوزُ الاقترابُ منها ..

.. ربّما يقول قائل ما الضمان أنّ هذه النصوص التاريخية صحيحة ، وربّما يخلو للكثيرين أنّ يكذبوا هذه النصوص التاريخية ، وأن يبحثوا عن تأويلات وعن نصوصٍ أخرى للطعن بها ، وذلك خروجاً من المأزق الفكري الذي تضعهم به تلك النصوص .. نقولُ : أليست كتبُ التاريخ التي تأتي بهذه النصوص وغيرها الكثير ، أليست هي الكتب التي يجترئُ منها عابِدو أصنام التاريخ ما يستشهدون به لما يُريدون ... ولماذا لا يكون السؤال على الشكل التالي : ما الضمان أنّها ليست صحيحة ؟ .. ألم نرَ في الصحاح التي يُقدّسونها أحاديثَ لا تختلفُ كثيراً عن هذه النصوص التاريخية ؟ .. ألم تُقَطَّعَ أعناق الكثير من رجالات الجيل الأول على أيدي بعضهم بعضاً ، لأسبابٍ دينويّةٍ محضة ؟ ، فلماذا إذاً الاستغراب من هذه الروايات التي تنقل جزءاً من حقيقة ما كان يحدث على أرض الواقع ؟ .. أليس ما نراه في حال الأمة ، من تشرذم وانقسام وتكفير ما بين مذاهبها ، أليس يؤكّدُ صحّة ما تحمله هذه النصوص ، سواءً في كتب التاريخ أم في كتب الحديث ؟ ..

.. نحن نتحدّث عن دين وعن نصوص تُنسبُ للرسول ﷺ ، وتمرّ من خلال أولئك الرجال الذين تمّ اعتبارهم فوق الجرح ، وبأتهم جميعاً عدول ، وبأته علينا أن نُسلمَ كتسليمنا للقرآن الكريم بكلّ ما يُنسبُ إليهم بأنهم سمعوه من الرسول ﷺ ، وبأته علينا أن نُسلمَ كتسليمنا للقرآن الكريم أنّ هذه النصوص المنسوبة إليهم ، يمكنها أن تنسخ القرآن

الكرِيم وأن تَقِيدَ مَطْلَقَه ، أو تُطْلِقَ مُخَصَّصَه ، كما يذهب الكثيرون مما يحسبون أنفسهم أوصياءً على دين الله تعالى ..

أليست كلُّ هذه الأحداث المؤلمة وقعت في الأجيال السابقة لتدوين الحديث ؟!!! ..
 ألم يختلفوا في شروط الراوي الذي يؤخذ عنه .. فمنهم من اعتبر إسلام الراوي شرطاً كافياً ، ومنهم من اعتبر القيام بالواجبات الدينية شرطاً كافياً ، ومنهم من اعتبر مَنْ فَضَّلَهُ أكثر من نقصه عدلاً ، ومنهم من اشترط سلامة مذهبه ، ومنهم من اشترط عدم شرب الخمر وعدم الكذب وعدم السفه وكمال العقل ، ومنهم من اشترط في الراوي أن يكون عالماً بما يسمعه واعياً وضابطاً له ، ومنهم من اشترط ألا يكون مجروحاً أو مجهولاً وأن يكون ثقة .. كلُّ يضع شروطاً حسب ما يرى من ضوابط تكفي لأن يُعْتَبَرَ الراوي ثقة ..

.. ولذلك فالراوي العدل والضبط عند أحدهم ليس كذلك عند آخر ، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ ، فالمسألة ليست كالبحث في كتاب الله تعالى ، وليست كالبحث في العلوم الكونية التي تُوضَع تحت المجهر .. ولذلك لا نرى إجماعاً حقيقياً على توثيق ضعيف ، ولا على تضييع ثقة .. فعلى سبيل المثال - لا الحصر - ونقلاً عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ النيسابوري في كتابه : (المدخل إلى معرفة المستدرک) ، وذلك من كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ورد أن عدد الذين خرَّج لهم البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرج لهم مسلم (٤٣٤) شيخاً ، وعدد من احتجَّ بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتجَّ بهم البخاري في الجامع الصحيح (٦٢٥) شيخاً .. وهكذا يكون مجموع الذين اختلف في الأخذ عنهم البخاري ومسلم هو (١٠٥٩) شيخاً ..

.. وما نلاحظه في مجمل الشروط الموضوعية وعلى اختلافها ، أنها لا تُركِّز على شرط القيمة الفكرية والعقلية عند الراوي ، ولا على وضع المتن في معيار كتاب الله تعالى والعقل والمنطق .. مُعْظَمُ الاهتمام كان بالسند الذي هو في النهاية مسألة تاريخية تُؤخذ بالمقاربة ، ولا يُمكنها أن تصل إلى مرتبة العلم الذي يعني الوقوف على حقائق الأشياء ..

.. كيف لمعايير يضعها البشر ويختلفون عليها ، أن تكون مقدّمةً ينتج عن تطبيقها ما يُرْفَعُ إلى مستوى المقدّس .. فإذا كانت المعايير يُختلفُ فيها ، فكيف إذا بتطبيقها لمعرفة الثقة من غير الثقة ..

.. وحتى لو فرضنا جدلاً أنّه تمّ الاتفاق على معايير الراوي الثقة وعلى معايير الجرح والتعديل ، فهل سيتمّ الاتفاق على ذلك حينما تُطبّق هذه المعايير على أرض الواقع ؟ .. لو كانت هذه المعايير علماً مقدّساً فلماذا لم تُوضَع في حياة النبي ﷺ ، وبين يديه ؟!!! .. فهل بقي المنهج ناقصاً تلك المعايير حتى زمن اعتمادها من قبل بعض أفراد الأمة بعد قرون ؟!!! .. ألم يكتمل الدين في حياة النبي ﷺ ؟ .. وإلا كيف بنا أن نفهم قولَ الله تعالى :

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾

[المائدة : ٣]

.. للنظر في النصّ التالي الذي يردُّ في الباعث الحثيث ، والجامع لأخلاق الراوي

وآداب السامع ، وتمييز المرفوع ، وتوضيح الأفكار :

[[روى ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي ، قال : ((صَلَّى

أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاصّ فقال : ((حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالوا : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كلّ كلمة طيراً منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان !!)) وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : حدثته بهذا ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا إلا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، ف جاء متوهماً لنوال ، فقال له يحيى : من حدّثك بهذا الحديث ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد بن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحقق ، ما تحقق هذا إلا الساعة ! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة

عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين !! فوضع أحمد كمة على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزئ بهما] ..

.. إذا كان أحمد بن حنبل يُكذِّبُ على لسانه وبوجوده ولا يأبه الكاذب بكذبه ، فكيف إذا بالكذب على الموتى ؟!!! .. وكم كذبة كُذِّبَتْ على أحمد بن حنبل في غيابه دون أن يعلم بها ؟!!! .. إذا كان الراوي يكتب عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهما على قيد الحياة ، فأئى علمٍ يمكننا الجزمُ به بناءً على ما يُسمَّى بعلم السند ؟!!! .. أليست العطيّات - كما نرى في هذا النصّ التاريخي - أليست سبباً أساسياً للكذب ؟ ..

.. وهنا - أيضاً - ربّ قائل يقول : هذه الرواية ليست في الصحاح ، ما الضمان أنّها صحيحة ، وذلك هروباً من مواجهة الحقيقة .. نُجيبُ على ذلك فنقول : كان من المفترض - عند الباحثين عن الحقيقة - أن يكون السؤال : وما الضمان أنّها ليست صحيحة .. فهذه نصوص تاريخية موجودة في كتبنا التاريخية ، وليست في كتب الآخرين ، ومن جهةٍ أخرى فالأمرُ يتعلّقُ بنصوصٍ تُرفعُ - عبر أولئك الرجال - إلى درجة المقدّس ، وتحريّ الحقيقة لا يكونُ بإغماض الأعين عن النصوص ، بل يكونُ بالبحث الموضوعي المُجرّد عن أيّ عصبيةٍ مُسبقةٍ الصنع ، لأنّ الله تعالى يطلبُ منا ألاّ نرفعَ أيّ نصٍ خارج نصوص كتابه الكريم إلى درجة الإيمان الكامل الذي نؤمن به بالقرآن الكريم .. يقول تعالى : **﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَوْمِنُونَ ﴾** [الجاثية : ٦]

.. لماذا يستغربون مثل هذه النصوص ، ومثل هذه الأحداث التي تُبينُ الوَضْعَ المتعمّدَ على الرسول ﷺ .. ألم نرَ في الصحاح مَنْ كان يتّهم أبا هريرة أنّه يكذبُ على الرسول ﷺ ليهتدي الآخرون ويضلّ هو ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ

تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى .. ولماذا لا يكون النص التالي صحيحاً والذي نقبسه من اللآلئ المصنوعة :

[] روي عن شيخ خارجي أنه قال : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هويانا أمراً صيرناه حديثاً [] .. إن العبارة : [] فإننا كنا إذا هويانا أمراً صيرناه حديثاً [] ، تُلخِّصُ لنا الكثير مما كان يحدثُ بعد ما وقع من فتن وحرروب وعصبيات واقتتال ..

.. إذا .. كان الخلافُ موجوداً بين أفراد الجيل الأول حول الحديث عن الرسول ﷺ ، فكيف إذا لا يكون موجوداً بعد قرون ؟ وكيف نستغربُ ذلك ؟ .. لننظر إلى الحديث التالي ..

مسلم (٢٩٦٩) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي يُوْبَ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ قَالَ كُنْتُ بِالشَّامِ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مُسْلِمٌ بْنُ يَسَارٍ فَجَاءَ أَبُو الْأَشْعَثِ قَالَ قَالُوا أَبُو الْأَشْعَثِ أَبُو الْأَشْعَثِ فَجَلَسَ فَقُلْتُ لَهُ حَدِّثْ أَحَانَا حَدِيثَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ نَعَمْ غَزَوْنَا غَزَاةً وَعَلَى النَّاسِ مُعَاوِيَةَ فَعَنِمْنَا غَنَائِمَ كَثِيرَةً فَكَانَ فِيهَا غَنِيمًا أَنْبِيَّةً مِنْ فِضَّةٍ فَأَمَرَ مُعَاوِيَةَ رَجُلًا أَنْ يَبِيعَهَا فِي أَعْطِيَاتِ النَّاسِ فَتَسَارَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَبَلَغَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَقَامَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنْ بَيْعِ الدَّهَبِ بِالدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ وَالْبُرِّ بِالْبُرِّ وَالشَّعِيرِ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرِ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحِ بِالمِلْحِ إِلَّا سَوَاءً بِسَوَاءٍ عَيْنًا بَعَيْنٍ فَمَنْ زَادَ أَوْ أَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى فَرَدَّ النَّاسُ مَا أَخَذُوا فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ حَاطِبًا فَقَالَ أَلَا مَا بَالَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثَ قَدْ كُنَّا نَشْهَدُهُ وَنُصَحِبُهُ فَلَمْ نَسْمَعْهَا مِنْهُ فَقَامَ عُبَادَةَ بْنُ الصَّامِتِ فَأَعَادَ الْقِصَّةَ ثُمَّ قَالَ لَتَحَدَّثَنَّ بِمَا سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَرِهَ مُعَاوِيَةَ أَوْ قَالَ وَإِنْ رَغِمَ مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَصْحَبَهُ فِي جُنْدِهِ لَيْلَةَ سَوْدَاءَ قَالَ حَمَادٌ هَذَا أَوْ نَحْوَهُ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ عَنْ أَيُّوبَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

.. ألا تُبين هذه الرواية خلافاً بين معاوية وعُبادة بن الصَّامِتِ حول قضية تُنسبُ إلى الرسول ﷺ ؟ .. ألا تُبين هذه الرواية خلافاً بين أفراد الجيل الأوَّل من الذين عاصروا الرسول ﷺ وصاحبوه ، وذلك في مسألة تتعلقُ بصلب التشريع ؟ .. فكيف الأمرُ إذاً في عصر تدوين الحديث بعد قرونٍ من موتهم ؟!!! ..

.. ولننظر أيضاً إلى الحديث التالي في الصحاح الذي يُبين لنا أن بعضَ أفراد الجيل الأوَّل كانوا يكذبون على بعضهم ، حتى فيما يزعمون أنه يُنسبُ إلى الرسول ﷺ ..

البخاري (٩٤٧) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ الْقَتُوتِ فَقَالَ قَدْ كَانَ الْقَتُوتُ قُلْتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ قَالَ قَبْلَهُ قَالَ فَإِنْ فَلَانًا أَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنْكَ قُلْتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ كَذَبَ إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا أَرَاهُ كَانَ بَعَثَ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ زُهَاءَ سَبْعِينَ رَجُلًا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ أَوْلَيْكَ وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَقَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَيْهِمْ

.. فلانٌ هذا المذكور في هذه الرواية أليس من رجال أجيال ما قبل تدوين الحديث ؟ ، من يستطيعُ الجزمَ بما في قلبه أو قلب غيره .. فكيف إذاً يكون الأمرُ بعد موتِ أنس بن مالك .. وما الضمان أن هناك كذباً على أنس بن مالك أو على غيره ، لم يُكتشف ، وبالتالي تمَّ تمريره في الروايات ..

.. ألم نرَ في محطة سابقة كيف أن عمر لم يقنع بقولِ عمَّار ، في مسألة من صلب الدين ، وعاشا أحداثها سوياً ، وللنبي ﷺ قولٌ بها على الرغم من كل ذلك .. يأمر عمر عمَّاراً بعدم الحديث بها ؟!!! ..

مسلم (٥٥٣) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمِ الْعَبْدِيِّ حَدَّثَنَا يَحْيَى يَعْنِي ابْنَ سَعِيدِ الْقَطَانَ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَكَمُ عَنْ دُرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ فَقَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً فَقَالَ لَا تُصَلِّ فَقَالَ عَمَارُ أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ فَأَجْنَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَكْتُ فِي الثَّرَابِ وَصَلَّيْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدَيْكَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَنْفُخَ ثُمَّ تَمَسَحَ بِهِمَا وَجْهَكَ وَكَفَيْكَ فَقَالَ عُمَرُ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمَارُ قَالَ إِنْ شِئْتَ لَمْ أُحَدِّثْ بِهِ قَالَ الْحَكَمُ وَحَدَّثَنِيهِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَنْ أَبِيهِ مِثْلَ حَدِيثِ دُرٍّ قَالَ وَحَدَّثَنِي سَلْمَةُ عَنْ دُرٍّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ الَّذِي ذَكَرَ الْحَكَمُ فَقَالَ عُمَرُ نُؤَلِّيكَ مَا تَوَلَّيْتَ وَحَدَّثَنِي إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ أَخْبَرَنَا شُعْبَةَ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ سَمِعْتُ دُرًّا عَنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قَالَ قَالَ الْحَكَمُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي قَالَ إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ قَالَ عَمَارُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ شِئْتَ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا وَلَمْ يَذْكُرْ حَدَّثَنِي سَلْمَةُ عَنْ دُرٍّ

البخاري (٣٣٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَجْنَبَ فَلَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا أَمَا كَانَ يَتَيَّمُ وَيُصَلِّي فَكَيْفَ تَصْنَعُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ رُحِّصَ لَهُمْ فِي هَذَا لَأَوْشَكُوا إِذَا بَرَدَ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ أَنْ يَتَيَّمُوا الصَّعِيدَ قُلْتُ وَإِنَّمَا كَرِهْتُمْ هَذَا لِذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَارٍ لِعَمَرَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ الْمَاءَ فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَصْنَعَ هَكَذَا فَضْرَبَ بِكَفِّهِ ضَرْبَةً عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ نَفَضَهَا ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ظَهْرَ كَفِّهِ بِشِمَالِهِ أَوْ ظَهَرَ

شِمَالِهِ بِكَفِّهِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَفَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِقَوْلِ عَمَارٍ وَزَادَ يَعْلَى عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي مُوسَى فَقَالَ أَبُو مُوسَى أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ عَمَارٍ لِعُمَرَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَنَنِي أَنَا وَأَنْتَ فَأَجْنَبْتُ فَتَمَعَّكْتُ بِالصَّعِيدِ فَاتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هَكَذَا وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ وَاحِدَةً

.. ألم نرَ الأحاديث التالية التي تُؤكِّدُ أنَّ الدنيا كانت السببَ الأكبرَ خلفَ اقتتال

أفراد الجليل الأول ومن تبعهم :

البخاري (٣٧٢٠) :

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِي حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةَ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَّةِ أَحَدًا ثُمَّ وَقَعَتِ الثَّلَاثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاحٌ

البخاري (٤١٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ

البخاري (٤٢٨٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا بَيَانٌ أَنَّ وَبَرََةَ حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ وَهَلْ

تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ
فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمَلِكِ

البخاري (٦٥٨٠) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلِ الْأَحْدَبِ عَنْ أَبِي وَاثِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ
الْيَمَانَ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مَنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ
يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ

البخاري (٦٥٨١) :

حَدَّثَنَا خَلَادٌ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ
إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ

.. إذا كان ابنُ عمرَ يصفُ الكثيرين من رجال عصره بأنهم يتقاتلون على الملك ،
وإذا كان حُدَيْفَةُ بن اليمان يصفُ الكثيرين من رجال عصره بأن أعمالهم كفرٌ بعد إيمان ،
فما قيمة المعايير التي يضعها اللاحقون لتقييم الموتى قبلهم بقرون !!!؟ ..
.. أيُّ ثقةٍ يمكننا تصوُّرها ، وأيُّ شروطٍ يمكننا أن نصفها بصفة العلم ، تلك التي
يضعها اللاحقون لتقييم السابقين ، تقييماً يترتبُ عليه إدخالُ نصوصٍ إلى المقدَّس ، إذا
وقفنا على دلالات الحديث التالي ..

مسلم (٤٦١٧) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيَّ أَخْبَرَنَا الْأَسْوَدُ
بْنُ شَيْبَانَ عَنْ أَبِي نُوفَلٍ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى عَقَبَةِ الْمَدِينَةِ قَالَ فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ
تَمُرُّ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا
حُبَيْبِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا حُبَيْبِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا حُبَيْبِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا
أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَنهَاكَ عَنْ هَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ مَا

عَلِمْتُ صَوَامًا قَوَامًا وَصُومًا لِلرَّحِمِ أَمَا وَاللَّهِ لَأُمَّةٌ أَنْتَ أَشْرُهَا لَأُمَّةٌ خَيْرٌ ثُمَّ نَفَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَبَلَغَ الْحَجَّاجَ مَوْقِفُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَنْزَلَ عَنْ جِدْعِهِ فَأُلْقِيَ فِي قَبْرِ الْيَهُودِ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَأَبَتْ أَنْ تَأْتِيَهُ فَأَعَادَ عَلَيْهَا الرَّسُولَ لَتَأْتِيَنِي أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكَ مَنْ يَسْحَبُكَ بِقُرُونِكَ قَالَ فَأَبَتْ وَقَالَتْ وَاللَّهِ لَا آتِيكَ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ يَسْحَبُ بِي بِقُرُونِي قَالَ فَقَالَ أَرُونِي سِبْتِي فَأَخَذَ نَعْلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ يَتَوَدَّفُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتِي صَنَعْتُ بَعْدُ وَاللَّهِ قَالَتْ رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ بَلَّغْنِي أَنْتَ تَقُولُ لَهُ يَا ابْنَ دَاتِ النَّطَاقِينَ أَنَا وَاللَّهِ دَاتِ النَّطَاقِينَ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكُنْتُ أَرْفَعُ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَأَمَا الْآخِرُ فَنِطَاقُ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَسْتَعْنِي عَنْهُ أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي تَقْيِيفِ كَذَابًا وَمُبِيرًا فَلَمَّا الْكَذَابُ فَرَأَيْنَاهُ وَأَمَا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالَكَ إِلَّا إِيَّاهُ قَالَ فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يَرَا جَعْمَهَا

.. أن نضع شروطاً للتعديل وللجرح فهذا ممكن ، وتكون نتائج تطبيقه متوازياً مع علمنا كبشر وعلى قدرتنا في سبر أعماق الناس ، أما أن نرفع نتائج شروطنا وتطبيقها إلى مستوى القداسة الموازية لكتاب الله تعالى ، بحيث نجزم جزءاً قاطعاً بصحة نصوص محددة ، بناءً على الشروط التي وضعناها بأيدينا ، فهذا التآلي على الله تعالى ، هو مخالفة لقوله جلّ وعلا :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١١﴾ ﴾
 أَنْظَرَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿ [النساء : ٤٩ - ٥٠]

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢]
 .. أي ثقة يمكننا تصوورها علماً نقف من خلاله على حقائق الأمور ، وأي شروط يضعها اللاحقون لتقييم السابقين ، تقييماً يترتب عليه إدخال نصوص إلى المقدس ، إذا وقفنا على دلالات الحديث التالي ..

البخاري (٣٢٣٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ فَعَضِبَ مُعَاوِيَةَ فَقَامَ فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ يَتَحَدَّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا تُؤْتَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُولَئِكَ جَهَالِكُمْ فَأَيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَهُهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ

.. ألا نرى في هذا الحديث سياسةً تُوظفُ الدينَ لِصَالِحِهَا ، وتنسبُ ذلك إلى الرسول ﷺ .. وإلا كيف بنا أن نفهم قولَ الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ، من منظار ما ينسبه معاوية للرسول ﷺ في هذا الحديث ، بأنه قال : [[إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَهُهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ]] !!!؟ .. ألا يشفع لنا في شكنا بصحة ما ينسبه معاوية للرسول ﷺ في هذا الحديث ، أن معاوية حول الخلافة إلى حكم ملكي قسريٍّ حُسب على الدين ، وامتدَّ زماناً طويلاً تجاوزَ فترةَ حكم الأمويين ؟ ..
.. أيُّ شروطٍ تلك التي يضعها اللاحقون لتقييم السابقين ، تقييماً يترتبُ عليه إدخالُ نصوصٍ إلى المُقدَّس .. وكيف يتمُّ القطعُ من قبل كثيرٍ من العلماء والفقهاء بأنَّ كلَّ من تثبتُ رؤيته للنبي ﷺ عدلٌ وأنه أفضل من جميع المعدلين والمزكِّين الذين يجيئون من بعده أبد الأبدين !!!؟ ..

.. إنَّ علمَ الإسناد الذي هو معرفة رجالِ الإسناد وصفاتهم المعبرة ، وَضَبَطِ أَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَمَوَالِدِهِمْ وَوَفِيَّاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ .. وعلم الحديث الذي هو : معرفة متون الأحاديث وصحاحها وحسنها وضعيفها ومفصلها ومرسلها ومنقطعها ومعصلها ومقلوبها ومشهورها وغريبها ومتواترها وآحادها وشاذها ومُنكَرُها ومختلفها .. والشروط التي يجب أن تتوفر في الراوي ليكون الحديث المنقول عنه صحيحاً وهي أن يكون ثقةً في دينه ، معروفاً بالصدق في أقواله وأفعاله ، عاقلاً لما

يتحدث ، وأن يكون سمع الحديث من ثقة ، وهذا سمعه من ثقة ، عن ثقات ، حتى ينتهي بالصحابي الذي سمعه من النبي ﷺ ، ولا يكون بينهم رجل مجروح ولا مجهول .. وعلم الجرح والتعديل ، والذي يهدف إلى البحث عن رجال الإسناد فيما يشينهم أو يزكّيهم .. كل هذه المصطلحات .. تمّ تقديرها وفق معايير جُلّها مبنيٌّ على السند دون المتن ، ووضعت للتأطير الفكري للحالة المذهبية التي يعتقدها بعض أفراد الأمة في عصر من العصور ، ومن مناظير مذهبية مُحدّدة ، للحفاظ على تلك الأطر .. ومع ذلك فتطبيقها لا يخلو من الأخطاء والأهواء والعصبيات ، إلا إن كان رجال التاريخ ملائكة يتلقون الوحي المباشر من الله سبحانه وتعالى ..

.. كل هذه المصطلحات مبنية - في النهاية - على تزكية الرجال من خلال رجال آخرين ، دون منهجية علمية حقيقية يتم فيها وضع النقاط على الحروف ، ودون الاتكاء على أي أدلة من كتاب الله تعالى في معرفة مصداقية المتن .. وبالتالي لا ترتفع تلك المصطلحات والنتائج المترتبة عليها إلى درجة العلم الذي نُسلم به كتسليمنا للنص القرآني ..

.. وما يُطلَقون عليه اسم تأويل مختلف الحديث ، ويعتبرونه علماً ، لا يمتُّ للعلم الحقيقي بشيء ، لأنه يفرض مسبقاً أن جميع الروايات صحيحة بغض النظر عن متونها ، ويعطي فرضه هذا قوة الإلزام كنتيجة لا يجوز نقاشها ، وبعد ذلك يبدأ البحث عن مقدمات لهذه النتيجة ، ويبدأ التأويل من أجل التوفيق بين الروايات المتناقضة في متونها ، والمتناقضة بينها وبين القرآن الكريم ، مهما بلغت درجة التناقض مع كتاب الله تعالى .. ولا سقف - في سبيل ذلك التأويل - للخروج على قواعد اللغة العربية ، وللخروج على حدود العقل والمنطق .. ولذلك نرى تأويلاً لبعض الروايات لا تقبله قواعد اللغة ولا عقل ولا منطق ، ولا وجود له على الإطلاق في حيثيات الصياغة اللغوية للروايات .. وسنرى هذه الحقيقة بشكل جليّ عندما نتعرض - إن شاء الله تعالى - لبعض الروايات في المحطات القادمة ..

.. وكمّا كانت تلك الروايات لا يستقيم فهمها إلاّ بتلك التأويلات والتخریجات التي أتى معظمها بعد قرونٍ من الزمن ، فلماذا إذاً لم يشرح مُخرجو تلك الروايات رواياتهم في عصرهم هم ، فكيف إذاً يتركون رواياتهم دون شرح ؟ ... المسألة ليست مسألة شرح ، المسألة كما سنرى في المخطّات القادمة هي مسألة تبرير التناقض بين الروايات بهدف عدم الاعتراف بعدم صحتها ، وذلك بعد أن رُفِعَت تلك الروايات إلى درجة المقدّس ، وبعد أن أصبح نقضها نقضاً لما تمّ تقديمه على أنه عين المنهج ..

.. كلّ هذه المصطلحات والمعايير والقواعد والشروط والتأويلات التي وُضعت في علوم الحديث ، لا يمكن أن تتصف بصفة العلم الذي يعني الوقوف على حقيقة الأمور والأشياء ، حتّى لو خرج الموتى من قبورهم وسئلوا عمّا سمعوا ، لأنّ احتمال الخطأ والسهو والكذب والتلبس وارد ، ولا يمكن تزكية الرجال تزكية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. كل ذلك يُؤكّد أنّ الحديث وعلومه أقرب إلى التاريخ منهما إلى المنهج ..

.. وحتّى شرط البخاري وهو أن يكون قد ثبت لقاء الراوي مع من روى عنه ولو مرّة .. حتى هذا الشرط لا يُعطي الروايات القيمة العلميّة المطلوبة ، لأنّ تطبيق هذا الشرط لا يكون إلاّ بأدوات تاريخيّة ، فحتّى يتمّ التأكّد من ثبوت لقاء الراوي مع من روى عنه ، لا بدّ من التحري عن ذلك بذات الأدوات التاريخيّة التي يتمّ التحري بها عن صدق الرواة ، وبالتالي فهذا الشرط لا يركز إلاّ على حوامل تاريخيّة لا يمكنها أن ترتفع إلى مستوى القيمة العلميّة والتسليم الإيماني ..

.. إذاً .. حذّر المشكّلة بالحديث وعلومه ، أنّ معظم الاهتمام كان في السند دون المتن ، وأنهم ربطوا تلك العلوم بالتاريخ الذي لا يتجرّد رجاله عن عصبياتهم ، وأنّ تأويلهم للجمع بين الروايات المتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى ، خرج في الكثير من الحالات على قواعد اللغة العربيّة وثوابت العقل والمنطق .. فكوّن معايير الصحّة والضعف عند علماء الحديث هي في معظمها من جهة الإسناد أو الشكل فقط ، دون التعرّض لمستن الحديث ، أدّى إلى كثيرٍ من الاختلاف ، وإلى رسم حدودٍ لهذه الاختلافات وإدخالها إلى

صلب الدين .. وترتبَ على ذلك تعميقُ الخلافات المذهبية والطائفية ، والإبقاء على هذه الخلافات بقاءً قدسيةً تلك الروايات ..

.. إنَّ عِلْمَ الحديثِ الذي هو القواعدُ والطرقُ التي يجب اتّباعها في جمع الحديث من أفواه الناس للتمييز بين الصحيح منها والموضوع أو الضعيف ، هو منهجٌ تراثيٌّ جمعيٌّ مبنيٌّ على جماجم الموتى ، وصناعةٌ بشريةٌ ظهرت بعد مدّةٍ من موت النبي ﷺ تُقدّر بالقرون ، تهدفُ - هذه الصناعة البشرية - إلى معرفة السنّة الشريفة من بين تلال الأقوال والأفعال التي تُنسب إلى الرسول ﷺ ، وتهدفُ إلى حل الإشكاليات التي نتجت عن عدم تدوين السنّة في القرن الأوّل .. وكنا قد بيّنا - بشكلٍ جلي - كيف أنّ الروايات وصلت إلينا بالسماع من أفواه الرجال ..

.. إنَّ عدمَ تدوين روايات الأحاديث لفترةٍ من الزمن تُقدّر بالقرون ، أفسحَ مجالاً للكذب على الرسول ﷺ ، انتصاراً للأهواء والعصبية المذهبية والقبلية ولتحقيق أغراض ذلك من جهة ، ولتلبية الحاجات المستجدة للمسلمين من جهةٍ أخرى .. فلماذا لا تكونُ بعضُ الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ قد اختلطت مع الإسرائيليات ، فتدوينها بعد موت النبي ﷺ بمدّة تُقدّر بالقرون ساعدَ في هذا الخلط ، وفي الحديث التالي ما يُشيرُ إلى ذلك ..

أحمد (٧٣٨٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ اجْتَمَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَعْبٌ فَجَعَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ كَعْبًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَعْبٌ يُحَدِّثُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ الْكُتُبِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِمَمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

.. ألم نَرَ في البداية والنهاية عن السائب بن يزيد أنّه قال : [سمعت عمر بن

الخطاب يقول لأبي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتترك الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة] ؟ ..

.. ونحن نعلمُ أنّ الانتقالَ من النظام القبلي إلى النظام الديني احتاجَ إلى وقتٍ من الزمن لتغيير الذهنيّة المتعلّقة بذلك ، ولذلك كان يُنظرُ إلى السياسة الإسلاميّة للدولة الأولى من مناظير قبليّة ، وتجلّى ذلك في آلياتِ اختيارِ رأسِ الهرم السياسي منذ وفاة النبي ﷺ في سقيفة بني ساعدة إلى قرون من الزمن ليست قليلة .. فالشورى التي يأمرُ الله تعالى بها لم تُستعمل إلاّ على نطاق ضيقٍ في فترةٍ قليلة بعد وفاة النبي ﷺ ، وبعد ذلك انتهت الشورى وتحوّلت إلى نظامٍ ملكي يرثُ فيه الأميرُ أباه كما يرثُ منه العقارات والأموال .. وكلّ ذلك ساعدَ في إفساح المجال لتلفيق بعض الروايات على الرسول ﷺ بغية الانتصار للذات القبليّة والمذهبيّة ..

.. إذا كانت الكتب السماويّة السابقة التي أرسلها الله تعالى في شيعِ الأولين ، قد حُرِّفَ فيها الكلامُ عن مواضعه ، ولأجل ذلك تعهد الله تعالى بحفظ نصّ القرآن الكريم ، يقولُ تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ

الْأَوَّلِينَ ﴿ [الحجر : ٩ - ١٠]

.. فكيف إذا اعتبر النصّ الآتي إلينا بأدوات تاريخيّة لا تخلو - كما رأينا - من الأهواء والأخطاء والعصبيّات .. كيف نعتبره نصّاً موازياً للنصّ القرآني دون معايرة حقيقيّة على كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. ولو كان اهتمامهم بالمتن كاهتمامهم بالسند ، لما وصل الاختلافُ بين مذاهب الأُمَّة وطوائفها ، بل بين أفراد الطائفة الواحدة في بعض المسائل ، كما وصلَ إلى ما وصلَ إليه ، ولَمَّا كنّا نرى ما نراه من فعلٍ وردّ فعلٍ في تقديس رجالات التاريخ وتقديمتهم وكأنتهم جزءٌ من المنهج ، ولكانت مصطلحاتُ علمِ الحديث وأركانه مختلفةً عمّا هي عليه الآن ..

لننظر إلى النصّ التالي الذي نقتبسه من كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، والذي يُبيِّن لنا هل فعلُ الصحابي حُجّة .. هذا النصّ هو من منظار مذهبي وطائفي واحد

.. لننظر إلى الاختلاف الشاسع والتناقض الكبير فيه بين الرؤى المتناقضة للمسألة الواحدة ، هذا فضلاً عن الاختلاف في الروايات ما بين المناظير المذهبية والطائفية المختلفة :

]] إذا قال الصحابي قولاً ، أو فعل فعلاً ، فقد قدمنا أنه يسمّى موقوفاً . وهل يحتجّ به ؟ فيه تفصيل واختلاف .. قال أصحابنا : إن لم ينتشر فليس هو إجماعاً . وهل هو حجة ؟ فيه قولان للشافعي رحمه الله وهما مشهوران ، أصحهما الجديد أنه ليس بحجة ، والثاني وهو القديم أنه حجة ، فإن قلنا هو حجة قدم على القياس ، ولزم التابعي وغيره العمل به ، ولم تجز مخالفته .. وهل يخصّ به العموم ؟ فيه وجهان . وإذا قلنا : ليس بحجة ، فالقياس مقدم عليه ، ويجوز للتابعي مخالفته . فأما إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم على قولين فإن قلنا بالجديد لم يجز تقليد واحد من الفريقين ، بل يُطلب الدليل . وإن قلنا بالقديم فهما دليلان تعارضا فيرجح أحدهما على الآخر بكثرة العدد . فإن استوى العدد قدم بالأئمة فيقدم ما عليه إمام منهم على ما لا إمام عليه . فإن كان الذي على أحدهما أكثر عدداً ومع الأقل إمام فهما سواء . فإن استويا في العدد والأئمة إلا أنّ في أحدهما أحد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي آخر غيرهما ففيه وجهان لأصحابنا : أحدهما أنهما سواء ، والثاني يقدم ما فيه أحد الشيخين ، هذا كلّ إذا انتشر . أما إذا لم ينتشر فإن حُوف فحكمه ما ذكرناه ، وإن لم يخالف ففيه خمسة أوجه لأصحابنا العراقيين : الأربعة الأولى منها وهي مشهورة في كتبهم في الأصول وفي أوائل كتب الفروع . أحدهما : أنه حجة وإجماع وهذا الوجه هو الصحيح عندهم . والثاني : أنه حجة وليس بإجماع . والثالث : إن كان فتوى فقيه فهو حجة ، وإن كان حكم إمام أو حاكم فليس بحجة وهو قول أبي علي ابن أبي هريرة . والرابع ضده إن كان فتياً لم يكن حجة ، وإن كان حاكماً أو إماماً كان إجماعاً . والخامس أنه ليس بإجماع ولا حجة وهذا الوجه هو المختار عند الغزالي في (المستصفي) . أما إذا قال التابعي قولاً ولم ينتشر ، فليس بحجة بلا خلاف . وإن انتشر وخولف فليس بحجة بلا خلاف . وإن انتشر ولم يخالف فظاهر كلام جماهير أصحابنا أن حكمه حكم

قول الصحابي المنتشر من غير مخالفة . وحكى بعض أصحابنا فيه وجهين : أصحهما هذا ، والثاني ليس بحجة . قال صاحب (الشامل) من أصحابنا : الصحيح أنه يكون إجماعاً وهذا هو الأفقه ، ولا فرق في هذا بين الصحابي والتابعي [] ..

.. أي نتيجة فكرية يمكننا استنباطها من خلال هذه المعايير التي لا تعتمد إلا على التاريخ .. لماذا لا نرى معياراً واحداً يقول : علينا أن نضع القول المنسوب إلى الصحابي في ميزان كتاب الله تعالى ؟!!! .. وكيف بنا أن نفهم كتاب الله تعالى وأن نتدبره حينما نغرق في هذه التفاصيل والاختلافات التي لا تُجمع على شيء ؟!! .. نعم لا تُجمع على شيء ... أي إجماع هذا الذي يمكننا أن نستخلصه من العبارات التالية داخل هذا النص : [] وإن لم يخالف ففيه خمسة أوجه لأصحابنا العراقيين : الأربعة الأولى منها وهي مشهورة في كتبهم في الأصول وفي أوائل كتب الفروع . أحدهما : أنه حجة وإجماع وهذا الوجه هو الصحيح عندهم . والثاني : أنه حجة وليس بإجماع . والثالث : إن كان فتوى فقيه فهو حجة ، وإن كان حكم إمام أو حاكم فليس بحجة وهو قول أبي علي ابن أبي هريرة . والرابع ضده إن كان فتياً لم يكن حجة ، وإن كان حاكماً أو إماماً كان إجماعاً . والخامس أنه ليس بإجماع ولا حجة وهذا الوجه هو المختار عند الغزالي في (المستصفي ([] ..

.. إذا كان الرأي الأول للشافعي هو أن قول الصحابي حجة ، وكان رأيه الثاني أن قول الصحابي ليس بحجة .. هذا ما نقرؤه من النص : [] وهل هو حجة ؟ فيه قولان للشافعي رحمه الله وهما مشهوران ، أصحهما الجديد أنه ليس بحجة ، والثاني وهو القديم أنه حجة [] .. ولو قدر للشافعي أن يعيش أكثر مما عاش ، ما الضمان أنه لن يغير رأيه الأخير ؟ ... كيف نُعدُّ مثل هذه التأويلات والآراء علماً يُكفر من يتجاوزُه ؟!!! أين هو الإجماع الذي يتحدثون عنه ؟!!! .. كيف بنا أن نصل إلى أي نتيجة لو اعتبرنا النص السابق معياراً لدراسة مسألة ما ؟!!! .. ألا نرى احتمالات تدور من النقيض حتى تصل إلى نقيضه ؟!!! .. ألا يُبين لنا هذا النص أن الإجماع مسألة مُستحيلة ؟ ..

فكيف إذاً يكون الأمر لو وضعنا جانبَ هذا النصِّ نصوصاً أخرى في هذه المسألة لطوائف ومذاهب أخرى !!!؟ .. وإن كان هناك إجماعٌ كما يُخطَبُ على العوام ، فلماذا نرى ما نراه من طوائف ومذاهب لا يستطيع إحصاؤها إلا المتخصِّصون !!!؟ ..

.. كلُّ مذهب من مذاهب الأمة يقولُ أجمعت الأمة ، ونأتي إلى داخل المذهب ذاته فنرى أن الإجماع مسألة لا تتعدى الخطابات والتهريج الذي يُصَبُّ كالأنهار فوق رؤوس العوام .. لننظر إلى النصِّ التالي الذي نقبسه بحرفيته من تفسير القرآن الكريم لابن كثير ، في مسألة صوم أيام التشريق ، وذلك في تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة :

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .. ورد في تفسير هذه الآية النصُّ

التالي الذي اقتطعه بحرفيته التي يردُّ بها :

[[[فلو لم يصمها أو بعضها قبل العيد فهل يجوز له أن يصومها في أيام التشريق

؟ ، فيه قولان للعلماء ، وهما للشافعي رحمه الله تعالى :

١ - القديم منهما أنه يجوز له صيامها لقول عائشة وابن عمر في صحيح البخاري لم يرخَّص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي ، هكذا رواه مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر ، وقد رُوِيَ من غير وجه عنهما ورواه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أنه كان يقول من فاتته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهنَّ أيام التشريق ، وبهذا يقول عبيد بن عمير الليثي عن عكرمة والحسن البصري وعروة ابن الزبير ، وإنما قالوا ذلك لعموم قوله تعالى : (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ)

٢ - الجديد من القولين أنه لا يجوز صيامها أيام التشريق لما رواه مسلم عن قتيبة الهذلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عزَّ وجلَّ .. [[[[

.. إذا كان للشافعي رأيان متناقضان في جزئية فقهية واحدة ، يعتمد في رأيه الأول على رواية أُخرجت لاحقاً في صحيح البخاري ، ويعتمد في رأيه الثاني المناقض للرأي الأول على رواية أُخرجت لاحقاً في صحيح مسلم .. بعد ذلك .. عن أيّ إجماع يتحدثون ؟!!! .. كلُّ يقولُ : أنا الفرقة الناجية المعنية بالحديث التالي ..

ابن ماجة (٣٩٨٣) :

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ

أحمد (١١٧٦٣) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنِ الثَّمِيرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً

.. وبالتالي كلُّ فرقة وكلُّ طائفة تنظرُ إلى غيرها من الفرق والطوائف على أنها في النار ، وذلك بسبب هذه الروايات التاريخية التي يُقدِّسونها أكثرَ من تقدسهم لكتاب الله تعالى .. هكذا يُفهمُ من صياغة مثل هذه الروايات دون أن نُضيفَ لها معاني من حيوبنا .. وإلا كيف بنا أن نفهمَ الكلامَ الموضوعَ على لسان الرسول ﷺ : **[[كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً]]** .. ولو نظروا في هذه الرواية لرأوا أنها ليست صحيحة من الأساس .. ألم يحتكرُ أهلُ الكتاب الخلاصَ لأنفسهم دون العالمين ..

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أُمَّاتُهُمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١]

.. ألم يُجب الله تعالى على زعمهم هذا ، وعلى زعمنا المشابه له بأن الجنة لنا دون

باقي الديانات ..

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِي بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤]

.. بعد هذا البيان القرآني ، كيف تكون هذه الرواية صحيحة ، وكيف يُحتَكِرُ الخلاصُ لفرقة واحدة ، تدعي كلَّ الفرق - دون استثناء - أنها هي تلك الفرقة الناجية ؟ .. إذا كانت الجنة ليست حكرًا لنا كمسلمين ، وليست حكرًا لأهل الكتاب ، فكيف إذا تكون حكرًا لفرقة دون غيرها من فرق المسلمين ؟!!! .. لو أُعطي تدبُّرُ القرآن الكريم حقَّه الذي يأمرُ اللهُ تعالى به ، هل كان من الممكن أن تصلَ إلينا هذه الرواية الموضوعية على النبي ﷺ وغيرها الكثير ؟ ..

.. لو أُعطي المتنُ قيمةً في معايير صدق الرواية كالقيمة التي أُعطيت للسند ، هل كان من الممكن أن تصلَ إلينا هذه الرواية الموضوعية على النبي ﷺ ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. وحتى لو فرضنا جدلاً وجودَ الإجماع الذي يتحدثون عنه - لو فرضنا ذلك جدلاً - فإن ذلك لا يكون بديلاً عن كتابِ الله تعالى وتَدبُّره .. ولنأخذ مثلاً على ذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٢٦٨٩) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ رَافِعٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَّتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَّاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أُنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ

.. ألم يذهب الشافعي ، ومالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، ومعظم جماهير العلماء من السلف والخلف ، إلى أن من قال لامرأته في مجلس واحد : أنت طالق ، ثلاثاً ، يقع بذلك الطلاق ثلاث طلاقات ، جرياً وراء ما يُنسبُ في هذه الرواية أن عمرًا أمضى ذلك ؟!!! ..

.. لننظر في شرح هذا الحديث في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، لنرى كيف يتم الاختلاف بناء على هذه الروايات ، وكيف يتم ترجيح القول والقييل على دلالات كتاب الله تعالى الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ، فالعبرة القرآنية ﴿ الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، هي خارج كل هذه الاختلافات ، ولا نرى أنها تُؤخذ بعين الاعتبار في أي رأي من هذه الآراء المتناقضة :

[] قوله : (عن ابن عباس قال : كان طلاق الثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيها عليهم فأمضاه عليهم) .

وفي رواية عن أبي الصهباء (أنه قال لابن عباس أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر ؟ فقال ابن عباس نعم) . وفي رواية (أن أبا الصهباء قال لابن عباس : هات من هناتك ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر واحدة ؟ فقال : قد كان ذاك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم ، وفي سنن أبي داود (عن أبي الصهباء عن ابن عباس نحو هذا إلا أنه قال كان الرجل إذا طلق امرأته قبل أن يدخل بها جعلوه واحدة) هذه ألفاظ هذا الحديث وهو معدود من الأحاديث المشككة . وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت طالق ثلاثاً فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء من السلف والخلف : يقع الثلاث . وقال طاوس وبعض أهل الظاهر : لا يقع بذلك إلا واحدة . وهو رواية عن الحجاج بن أرطاة ومحمد بن إسحاق والمشهور عن الحجاج بن أرطاة أنه لا يقع به شيء ، وهو قول ابن مقاتل ورواية عن محمد بن إسحاق

. واحتج هؤلاء بحديث ابن عباس هذا ، وبأنه وقع في بعض روايات حديث ابن عمر أنه طلق امرأته ثلاثاً في الحيض ولم يحتسب به ، وبأنه وقع في حديث ركانة أنه طلق امرأته ثلاثاً وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم برجعته . واحتج الجمهور بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ قالوا : معناه أن المطلق قد يحدث له ندم فلا يمكنه تداركه لوقوع البينونة ، فلو كانت الثلاث لا تقع لم يقع طلاقه هذا إلا رجعيّاً فلا يندم . واحتجوا أيضاً بحديث ركانة أنه طلق امرأته البتة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " الله ما أردت إلا واحدة ؟ " قال : الله ما أردت إلا واحدة . فهذا دليل على أنه لو أراد الثلاث لوقعن وإلا فلم يكن لتحليفه معنى . وأما الرواية التي رواها المخالفون ، أن ركانة طلق ثلاثاً فجعلها واحدة ، فرواية ضعيفة عن قوم مجهولين . وإنما الصحيح منها ما قدمناه أنه طلقها البتة ولفظ (البتة) محتمل للواحدة وللثلاث ولعل صاحب هذه الرواية الضعيفة أعتقد أن لفظ (البتة) يقتضي الثلاث فرواه بالمعنى الذي فهمه وغلط في ذلك . وأما حديث ابن عمر فالروايات الصحيحة التي ذكرها مسلم وغيره أنه طلقها واحدة . وأما حديث ابن عباس فاختلف العلماء في جوابه وتأويله ، فالأصح أن معناه أنه كان في أول الأمر إذا قال لها : أنت طالق أنت طالق أنت طالق ، ولم ينو تأكيداً ولا استئنافاً يحكم بوقوع طلقة لقلّة إرادتهم الاستئناف بذلك فحمل على الغالب الذي هو إرادة التأكيد ، فلما كان في زمن عمر رضي الله عنه وكثر استعمال الناس بهذه الصيغة وغلب منهم إرادة الاستئناف بها حملت عند الإطلاق على الثلاث عملاً بالغالب السابق إلى الفهم منها في ذلك العصر . وقيل المراد أن المعتاد في الزمن الأول كان طلقة واحدة وصار الناس في زمن عمر يوقعون الثلاث دفعة فنفذه عمر ، فعلى هذا يكون إخباراً عن اختلاف عادة الناس ، لا عن تغيير حكم في مسألة واحدة . قال المازري وقد زعم من لا خبرة له بالحقائق : أن ذلك كان ثم

نسخ . قال : وهذا غلط فاحش لأن عمر رضي الله عنه لا ينسخ ولو نسخ وحاشاه لبادرت الصحابة إلى إنكاره ، وإن أراد هذا القائل أنه نسخ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك غير ممتنع ، ولكن يخرج عن ظاهر الحديث . لأنه لو كان كذلك لم يجز للراوي أن يخبر ببقاء الحكم في خلافة أبي بكر وبعض خلافة عمر . فإن قيل فقد يجمع الصحابة على النسخ فيقبل ذلك منهم . قلنا : إنما يقبل ذلك لأنه يستدل بإجماعهم على ناسخ ، وأما أنهم ينسخون من تلقاء أنفسهم فمعاذ الله لأنه إجماع على الخطأ وهم معصومون من ذلك . فإن قيل : فلعل النسخ إنما ظهر لهم في زمن عمر . قلنا : هذا غلط أيضاً ، لأنه يكون قد حصل الإجماع على الخطأ في زمن أبي بكر والمحققون من الأصوليين لا يشترطون انقراض العصر في صحة الإجماع والله أعلم . وأما الرواية التي في سنن أبي داود أن ذلك فيمن لم يدخل بها ، فقال بها قوم من أصحاب ابن عباس فقالوا : لا يقع الثلاث على غير المدخول بها ، لأنها تبين بوحدة بقوله : أنت طالق فيكون قوله ثلاثاً حاصل بعد البيونة فلا يقع به شيء . وقال الجمهور : هذا غلط بل يقع عليها الثلاث ، لأن قوله : (أنت طالق) . معناه ذات طلاق . وهذا اللفظ يصلح للوحدة والعدد ، وقوله بعده (ثلاثاً) تفسير له . وأما هذه الرواية التي لأبي داود فضعيفة ، رواها أيوب السخيتاني عن قوم مجهولين عن طاوس عن ابن عباس فلا يحتج بها والله أعلم . قوله : (كانت لهم فيه أناة) . هو بفتح الهمزة أي مهلة وبقية استمتاع لانتظار المراجعة . [[

..

اختلافات ، واحتمالات ، تدور من النقيض إلى نقيضه ، دون النظر في قوله تعالى : ﴿ أَلَطَّلِقُ مَرَّتَانِ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، الذي يعني فعلين مستقلين لكل منهما زمنه وحيثياته الخاصة به ، ودون النظر في أن ما ذهبوا إليه تناسبه الصياغة : (الطَّلَاقُ اثنتان) ، وليس : ﴿ أَلَطَّلِقُ مَرَّتَانِ ۗ ﴾ !!! ..

.. شبه الإجماع هذا حصل مع علمهم أن ذلك يخالف فعل الرسول ﷺ وفعل أبي بكر وفعل عمر ذاته سنتين من خلافته؟!!!! .. وأي تأويل لهذه الرواية بغير ما تحتل صياغتها اللغوية هو استخفاف بالعقول فضلاً عن كونه خروجاً على جوهر المنهج ..

.. فإذا كان الفعل المنسوب لعمر يُصبح ديناً على الرغم من علمهم بمخالفته للقرآن الكريم وللسنة ذاتها ، فهل بعد ذلك استغراباً للتأويلات التي نراها؟!!!! .. وهل شبه الإجماع هذا يُعطيه حقاً تمنع الأمة بسببه من تدبير كتاب الله تعالى؟!!!! .. وأين هو تباكيهم على السنة الشريفة وعلى اتباع كل ما فعله ﷺ؟!!!! .. كيف يتباكون على السنة الشريفة وعلى أفعال السلف في الوقت الذي يُشرعون فيه نقيض ما تحمله رواياتهم ذاتها؟!!!! .. ومن الذي يخالف السنة الشريفة متهماً من يحترمون كتاب الله تعالى وعقولهم بأنهم ينكرون سنة النبي ﷺ؟!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. نعم يرفعون روايات التاريخ فوق القرآن الكريم ، فالمتنمي لذات المذهب مهما فعل سينجو في النهاية ، لأنه يُقدّس رجالا التاريخ الذين تم تحويلهم إلى أصنام في مذهبه وطائفته ، والآخر مهما عمل وصام وصلّى وحج فلن ينجو لأن له أصناماً تاريخية مختلفة .. ألا يعني ذلك حالة ينطبق عليها قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعاً

كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣١ - ٣٢]

.. من كل ما سبق نرى أن الحديث عند كل طوائف الأمة ومذاهبها دون استثناء ، وصل - عبر أفواه الرجال - بأدوات تاريخية ، لا تخلوا من الأخطاء ، ولا تخلوا من الأهواء ، ولا تخلوا من العصبية التي نمت وتنمو على حساب الحق الذي يحمله كتاب الله تعالى ، ونرى أيضاً أن الأطر المذهبية والطائفية ليست أكثر من خلافات سياسية بين السابقين ، وأنها لم تكن - أبداً - نتاجاً تدبرياً لمنهج الله تعالى ..

.. ونرى - أيضاً - أن الحديث لم يُدوّن إلا بعد وفاة النبي ﷺ بمدة تُقدَّر بالقرون ..
وبذلك يكون الحديث وعلومه أقرب إلى التاريخ منهما إلى المنهج .. وكان من المفروض
 أن تُوضَعَ روايات الأمة - دون استثناء - في ميزان القرآن الكريم ، لمعرفة الحق من الباطل ،
 وألا يتوقَّف ذلك على جيلٍ بعينه دون الأجيال الأخرى .. أي كان من المفروض أن
 يقوم علماء التفسير وعلماء القرآن الكريم بفرز الروايات ، كونهم أكثر قدرة على
 تصحيح متون الحديث من علماء الحديث ذاهم .. فالفرز - الذي تمَّ خلال التاريخ - بين
 علم الحديث وعلم التفسير ، كان نتيجة كون علم الحديث مبنياً - بشكلٍ أساسي - على
 السند دون المتن ..

.. ويحقُّ لنا أن نسأل السؤال التالي : هل كلُّ ما فعله ﷺ ونطق به وأقره وصل إلينا
 ؟ .. بالتأكيد لا .. ومن جهة أخرى هل كلُّ ما وصل إلينا من روايات هو صحيح ؟ ..
 بالتأكيد لا ، وهذا ما سنراه - إن شاء الله تعالى - في المحطات القادمة ..
 .. وهل كلُّ ما فعله ﷺ وأقره وأمر به يُحيط بالمستجدات الحضارية اللاحقة إلى قيام
 الساعة وما يترتب عليها من أحكامٍ فقهية ؟ .. بالتأكيد لا ..

إذاً .. لا تكون السنّة الحقُّ محفوظة إلا في كونها محتواةً في النصِّ القرآني .. وفي
 كونها استنباطاً من أعماق النصِّ القرآني ، لا ينتهي حتى قيام الساعة ..
 .. لذلك فالمطبّلون والمزّمرون للروايات التاريخية على أنّها عين السنّة الحق التي
 وصفها الله تعالى في كتابه الكريم بالحكمة ، إنّما يطبّلون ويزمّرون للتاريخ وليس للسنّة ،
 وليس لمنهج الله تعالى ، فلو كانوا حقاً يريدون السنّة الشريفة لما جعلوا بعض روايات
 التاريخ ناسخةً لبعض أحكام كتاب الله تعالى ..

.. هم يقولون أقفل باب الاجتهاد بسبب التناحر بين أتباع المذاهب آنذاك ، وبسبب
 الاختلاف الذي يؤدّي إلى البغضاء والتفرقة ، وحتى لا تتمزق الأمة أكثر ممّا هي عليه ..
 فمعلومٌ كم حدث من التناحر والافتتال والقتل بسبب تلك المذاهب ، وكم حُرقت من
 الكتب بسبب ذلك ..

.. ألا نستطيع أن نقرأ من إقفالهم هذا لباب الاجتهاد ، أن المذاهب في حقيقتها صناعةٌ بشريةٌ يحاول أتباعها تحويلها إلى حالةٍ مقدّسة ، وأنها في حقيقتها تؤدي إلى التفرقة ، كونها نتاجاً سياسياً لا علاقة له بالتدبّر المنهجيّ المُجرّد للمنهج .. فلو لم تكن كذلك ، لماذا أقفلوا باب الاجتهاد خوفاً من ظهور مذاهب جديدة ، في الوقت الذي يُقدّسون فيه اجتهادات رجالهم التي أنتجت مذاهبهم ؟!!! .. لو كانت مذاهبهم حقاً ، فلماذا يخافون من ظهور مذاهبٍ جديدة قافلين باب الاجتهاد ؟!!! ..

ولو كان هناك اجتهادٌ حقيقيٌّ يتكئ على كتاب الله تعالى والعقل والمنطق ، لكان سبباً أساسياً في توحد الأمة وفي إهماء حالة التناحر والتباغض بين مذاهبها وطوائفها ، ولكان سبباً في إيصال منهج الله تعالى إلى العالم أجمع .. فالاجتهاد الحق يُظهر حقيقة منهج الله تعالى ، ويضع الأمة في سبيل واحد .. والتقدّيس الأعمى للروايات دون أيّ معايرة على كتاب الله تعالى ، يُغطّي حقيقة منهج الله تعالى ، ويزيد من تفرقة الأمة ومن حالة البغضاء بين أبنائها ، لأنه لكل منهم أصنامُه المختلفة عن أصنام الآخرين ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه - في هذا السياق - ما هي المنهجية التي يجب وضعها لمعرفة الصحيح من الموضوع فيما بين أيدينا من روايات ، وكم هي نسبة الروايات التي تُصنّف داخل ما تعارف عليه بأنه من الصحاح مع أنّها موضوعة وليست من الدين .. هذا السؤال سنحاول إن شاء الله تعالى الإجابة عليه في المخطّات القادمة ..

.. وقبل أن ندخل في المخطّات القادمة ، لا بدّ أن نبيّن مسألة هامّة ، هي أنّنا ننظر إلى متن رواية الحديث وليس إلى سنده ، فمعايير السند - كما رأينا - مسألة ليست علمية ، وليست مجردة عن الأهواء والأخطاء والعصبيّات ، ومن جهة أخرى لا يفيدنا الآن أيُّ بحثٍ بها ، لأنّ مادّة أيّ بحثٍ بها هي ما وصلنا عن رؤى لبعض السابقين عن غيرهم ، ونحن لا نستطيع أن نُعيد الزمن للوراء لنتحقّق من صحّة أيّ مقدّمة ..

.. ولكننا نستطيع أن نضع متن الروايات في معيار كتاب الله تعالى ، لنعرف من خلال هذا المعيار الموضوع منها ، كون كتاب الله تعالى محفوظاً ومطلقاً ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكونه تبياناً لكلّ شيء ..

.. إذا .. في المخطّات القادمة ، سننظر في متن الرواية ، ولا يعنينا سندها بشيء ،
فلربّما يكون من يتّهم راوياً بالكذب أو الضعف كذاباً والراوي المُتّهم أصدق منه
وأوثق منه ، ولربّما يكون من يصف راوياً بالصدق والثقة كذاباً أو متوهّماً والراوي
ليس بثقة وليس صادقاً .. فمعايير تقييم البشر لبعضهم بعضاً ليست من العلم في شيء ،
كما رأينا .. وسنرى في المخطّات القادمة كيف أنّ الكثير من الروايات التي يتوهّم
الكثيرون صحّتها بناء على معايير السند ، كيف أنّها موضوعة ، وكيف أنّ مسألة
السند لا تغني أبداً عن معايرة هذه الروايات على كتاب الله تعالى ..

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة العاشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. بعد كل ما رأيناه في المحطات السابقة ، سنقفُ - إن شاء الله تعالى - عند بعض الروايات ، لنرى حقيقة ما تحدثنا عنه ، وكيف أن المقدمات التاريخية التي لا تخلوا من الأخطاء والأهواء والعصبيات ، لا بُدَّ وأن ينتج عنها بعض الروايات التي لا يقبلها القرآن الكريم ولا العقل ولا المنطق .. وما يجب أن نعلمه أن نقد البخاري أو مسلم أو أي كتاب من كتب التاريخ ، لا يعني أبداً نقداً للسنة أو إنكاراً لها ، ولا يعني عدم تصديق قول الرسول ﷺ .. بل يعني انتصاراً للرسول ﷺ وللسنة الحق وإظهاراً لها وتنقيتها من الدس الذي لحق بها ..

.. المسألة ليست مسألة مصداقية السنة الشريفة وحجيتها ، فلا يوجد على وجه الأرض مؤمنٌ بالقرآن الكريم يقول : أنا لا أريد السنة .. المسألة - في جوهرها - مسألة ثبوت الروايات ومصداقيتها في نسبتها للرسول ﷺ ، وهل هي من السنة أم لا .. ومن يعتبر نقداً هذه الكتب التاريخية إنكاراً لقول الرسول ﷺ فهو مفلسٌ فكرياً ، وكل ما يقوم

به هو ذرٌّ للرماد في أعين العامة حتى لا يروا الحقيقة .. من يعتبرُ نقد هذه الكتب التاريخية انتقاصاً من السنّة الحق ، فاعتباره هذا دليلنا على أنّه يعتبرُ التاريخ صنماً ومنهجاً بديلاً عن منهج الله تعالى ، ويريدُ فرضه على الناس ..

.. إذاً .. المسألة مسألة ثبوت الرواية ، هل هي صحيحة أم لا .. وما نعينه بالصحة ليس الانتماء إلى البخاري أو مسلم أو الكافي أو غيرها من الكتب ، ما نعينه بالصحة هو موافقة متن الرواية لدلالات كتاب الله تعالى .. وهذا المعيار لم يُعطَ حقّه خلال التاريخ ، فما تمّ التركيزُ عليه هو السند دون المتن .. ولذلك .. نرى بعض الروايات التي حُسبت من الصحاح ، نرى أنّها تُسيءُ لكتاب الله تعالى .. فالقرآن الكريم ذاته لم يسلم من الدس الذي يهدف إلى الإساءة له ، وإلى زرع الشك في النفوس بأنّه ليس من عند الله تعالى .. لننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٤٦١٥) :

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ

مسلم (٤٥٠٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا نَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو فَتَنَحَّدْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ عِنْدَهُ فَذَكَرْنَا يَوْمًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ لَقَدْ ذَكَرْتُمْ رَجُلًا لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ فَبَدَأَ بِهِ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ

.. إذاً .. وفق هذه الرواية ، يُعدُّ عبدُ الله بن مسعود مرجعاً لأخذ القرآن الكريم منه ،

بل يُعدُّ المرجعَ الأوّلَ وفق هذه الرواية ، حيث بدأ به الرسول ﷺ : **[[خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ**

أَرْبَعَةَ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ قَيْدٍ بِهِ]]. .. وحسب الرواية التالية يتأكد لدينا أن عبد الله بن مسعود مرجع أول لأخذ القرآن الكريم منه :

البخاري (٤٦١٨) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيَّنَ أَنْزَلْتُ وَلَا أَنْزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أَنْزَلْتُ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَلَّغَهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

مسلم (٤٥٠٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا قُطَيْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أَنْزَلْتُ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبَلَّغَهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ

.. هل من الممكن لعاقل أن يتصوّر بأن هذا المرجع الأول لأخذ القرآن الكريم منه ، والذي يقول : [] وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أَنْزَلْتُ وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبَلَّغَهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ]]. .. هل من المعقول أنه لم يعلم بوجود سورتين كاملتين في كتاب الله تعالى .. هذا ما تقوله الروايات التي يحاولون رفعها إلى مستوى كتاب الله تعالى ... لننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٤٥٩٤) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ وَعَبْدَةَ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ عَنِ الْمُعَوَّدَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَتَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البخاري (٤٥٩٥) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ح
وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ قُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ
كَذَا وَكَذَا فَقَالَ أَبِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ
فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. فالقول المنسوب إلى ابن مسعود في هذه الرواية **[[كَذَا وَكَذَا]]** ، يعني أن

المعوذتين ليستا من كتاب الله تعالى .. هذا الكلام لا يأتي به من جيوبنا ، إنما يأتي به من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وهو كتاب له اعتباره عند أهل الحديث ، إذ يقول - فيما يخص هذا الحديث - بالحرف الواحد :

[[قوله : (يقول كذا وكذا) هكذا وقع هذا اللفظ مبهما ، وكأن بعض الرواة أبهمه

استعظاما له . وأظن ذلك من سفيان فإن الإسماعيلي أخرجه من طريق أبي عبد الجبار بن العلاء عن سفيان كذلك على الإبهام ، كنت أظن أولا أن الذي أبهمه البخاري لأنني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان ولفظه " قلت لأبي إن أخاك يحكها من المصحف " وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان ومن طريقه أبو نعيم في " المستخرج " وكان سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه . وقد أخرجه أحمد أيضا وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ " إن عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه " وأخرج أحمد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بلفظ " إن عبد الله يقول في المعوذتين " وهذا أيضا فيه إبهام ، وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال " كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . قال الأعمش : وقد حدثنا عاصم عن زر عن أبي بن كعب فذكر نحو حديث قتيبة الذي في

الباب الماضي ، وقد أخرجه البزار وفي آخره يقول " إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعود بهما " قال البزار . ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة . [[.. ولنتابع ما يقوله ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري : [[وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب " الانتصار " وتبعه عياض وغيره ما حكي عن ابن مسعود فقال : لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن وإنما أنكر إثباتهما في المصحف ، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصحف شيئاً إلا إن كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن في كتابته فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك ، قال : فهذا تأويل منه وليس جحداً لكونهما قرآناً . وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : ويقول إنهما ليستا من كتاب الله . نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور . وقال غير القاضي : لم يكن اختلاف ابن مسعود مع غيره في قرآنيتهما ، وإنما كان في صفة من صفاتهما انتهى . وغاية ما في هذا أنه أبهم ما بينه القاضي . ومن تأمل سياق الطرق التي أوردتها للحديث استبعد هذا الجمع . وأما قول النووي في شرح المذهب : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منهما شيئاً كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح ، ففيه نظر ، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل " المحلى " : ما نقل عن ابن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل . وكذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره : الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل . [[..

ولنتابع ما يقوله ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

[[وقد استشكل هذا الموضع الفخر الرازي فقال : إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواتراً في عصر ابن مسعود لزم تكفير من أنكرها ، وإن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر ابن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر . قال : وهذه عقدة صعبة .]]

.. هذه مقتطفات مُنتقاة من شرح هذه الرواية .. إذاً .. فهمنا لصياغة هذه الرواية في صحيح البخاري هو فهمٌ صحيح ، وهو أن ابن مسعود كان يقول : إنَّ سورتي المعوذتين ليستا من كتابِ الله تعالى .. وإذا نظرنا في ذات الرواية الواردة في مسند أحمد ، فسيظهر لنا هذا الدسُّ بشكلٍ جليٍّ ..

مسند أحمد (٢٠٢٤٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِيٍّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ فِي الْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ فَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ الْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ لَكُمْ فَقُولُوا قَالَ أَبِيُّ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَحْنُ نَقُولُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَالَ قِيلَ لِي فَقُلْتُ قَالَ أَبِيُّ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَحْنُ نَقُولُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ أَبِي رَزِينٍ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ أَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ بِمِثْلِهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زُرِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبِيًّا عَنْ الْمُعَوَّذَتَيْنِ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَحْنُ نَقُولُ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِيِّ بْنِ كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوَّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَخُنْ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا عَفَانُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ عَنْ أَبِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ
مسند أحمد (٢٠٢٤٥) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَشْكَابٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مَعْنٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زُرِّ عَنْ أَبِي بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقِيلَ لِي فَقُلْتُ

.. نحن نعلم أنه ثوجد روايات تؤكد أن المعوذتين من القرآن الكريم ، وإيماننا بأن المعوذتين من القرآن الكريم ليس من هذه الروايات .. أبداً .. نحن نؤمن بأنهما من كتاب الله تعالى نتيجة إيماننا بالقرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه .. ونحن لا نقول إن البخاري (وغيره من أئمة الحديث) لا يؤمن بأن المعوذتين من كتاب الله تعالى .. أبداً .. نحن نلقي الضوء على بعض الروايات التي دُست خلال التاريخ للإساءة إلى منهج الله تعالى .. المسألة مسألة دراسة موضوعية على ضوء كتاب الله تعالى ، لروايات يرفعها الكثيرون إلى مستوى المقدس ..

.. إننا نرى الدس واضحاً جلياً في هذه الروايات التي أتتنا نتيجة لتطبيق علوم الحديث التي يحسبونها نصوصاً مقدسة .. فالعبرة : **[[كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى]]** ، عبارة واضحة جلية لا تحتاج إلى تفسير ولا إلى تأويل ..

.. والعبرة : **[[قَالَ قُلْتُ لِأَبِي بْنِ كَعْبٍ إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مَصْحَفِهِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ فَقُلْتُهَا فَقَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ فَقُلْتُهَا فَخُنْ نَقُولُ مَا قَالَ**

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]] .. لا تقلُ إساءةً عن العبارة الأولى ، بل هي أكبرُ إساءة ، فأبئُ - حسبَ صياغةِ هذه الرواية - لم يُنكرْ على ابن مسعود عدمَ كتابةِ المعوذتين في مصاحفه ، في إجابته على السؤال : **[[إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مِصْحَفِهِ]]** .. وبدلاً من أن يجيب بالقول : لا هذا غيرُ صحيح ، إنَّ المعوذتين من كتابِ الله تعالى ، وبدلاً من أن يُجيب بالتبريرات التي ما أنزل اللهُ تعالى بها من سلطان ، ولا وجود لها في صياغةِ هذه الأحاديث ، والتي يُلبسها عابِدو أصنام التاريخ بغية ذرِّ الرماد في العيون للإيهام بصحَّةِ هذه الروايات .. بدلاً من ذلك .. راح يُصوِّرُ سورتي المعوذتين على أنَّهما دعاءٌ كدعاءِ الاستسقاء .. هكذا يفهم من صياغةِ هذه الروايات كلُّ إنسانٍ يُدركُ الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيَّة .. والأهم من كلِّ ذلك هو نسبُ ذلك إلى الرسول ﷺ ، وكلُّ ذلك من خلال رجال يقول الرسول ﷺ خذوا القرآن منهم .. فأبئُ إساءةً وأبئُ دسُّ وأبئُ مهزلة هذه المهزلة التي نراها بأبِّ أعيننا !!! ..

وأبئُ ذرِّ للرماد في الأعين كمحاولة للإيهام بصحَّةِ هكذا رواية ، هو تلبيسٌ على الحقيقة .. فلو فرضنا - جدلاً كما يحلو لبعضهم - أنَّ ابن مسعود في الموقف الذي كان فيه يحكُّ المعوذتين من كتابِ الله تعالى ، لم يكن قد سمع بهاتين السورتين ، فهذا لا يُعطيه الحقَّ بإنكار وجودهما في كتابِ الله تعالى وحكَّهما من المصاحف ، ولو كان كلُّ صحابيٍّ سينكر السور التي لم يسمع بها ، لفقدنا الكثير من سور كتابِ الله تعالى .. هذا فضلاً عن كون هذه التخريجة (بأنَّ ابن مسعود لم يكن آنذاك قد سمع بتزول هاتين السورتين) لا وجود لها في صياغةِ هذه الروايات كما نرى ..

ثمَّ إنَّ العبارة : **[[كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مِصْحَفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى]]** ، تبين بما لا يقبل الشك - حسب هذه الروايات الموضوعية - أنَّه كان يحكَّهما عن علم ، وليس لأنَّه لم يسمع بهما .. فبجمع دلالات العبارة **[[وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى]]** ، مع قوله الذي كان يُقسم فيه فيقول : **[[وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ وَمَا مِنْ آيَةٍ**

إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ
[[، يُفسدُ مثل هذه التخريجات من أساسها ، ويبين أنها محاولات فاشلة للإيهام بصحة
هكذا روايات ..

.. وهنا نتوجه بالسؤال إلى كُلِّ من يحمل في قلبه ولو ذرّة إيمان بكتاب الله تعالى ،
فقول له : هل هذه الروايات تُعدّ سنّة يُكفّر من لا يؤمن بها ؟!!! .. ومن الذي يُدافع عن
السنّة الشريفة ؟!!! .. هل هم الذين يُقرّون بصحتها ، أم هم الذين يقولون بأنها موضوعة
؟!!! .. وهل انتماء مثل هذه الروايات للكتب التي يُقال أنها كلّها صحيحة ، هل هذا
الانتماء يجعلنا نُطلق عقولنا ونصدّق مثل هذه المزاعم ؟!!! .. إذا كان من يُوصي الرسول
ﷺ بأخذ القرآن منه ، ومن يقول في الصحاح ذاتها : **[[وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنزِلَتْ وَلَا أُنزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ
فِيمَ أُنزِلَتْ وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ]]** ، إذا كان لا
يعلم انتماء سورتين من كتاب الله تعالى إلى كتاب الله تعالى ، فكيف إذا نستطيع أن نشق
بأيّ رواية أُخرى في هذه الصحاح ، تنقل لنا جزئيات تاريخيّة لم يسمعها إلا أناس
مُحدّدون ؟!!! .. وكيف بنا أن نُطلق عقولنا لنقبل تأويلهم الذي رأيناه : **[[لم ينكر ابن
مسعود كونهما من القرآن ، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف]]** ، هل هذا التأويل الذي
لا يلقي أساساً له إلا في مخيلة من طلق عقله وكفر بقواعد اللغة العربيّة .. هل هذا التأويل
يتمشى مع العبارات الواردة في هذه الروايات : **[[كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْكُ الْمُعَوَّدَتَيْنِ مِنْ
مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى]]** ؟!!! .. حتى نُصدّق
تأويلهم هذا ، هل علينا أن نتخيّل القرآن الكريم كتاباً آخر يختلف عن كتاب الله تعالى
؟!!! .. وهل هذا التأويل من الممكن أن يُطلق عليه صفة العلم ؟!!! .. نتركُ الإجابة لمن
كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الروايتين التاليتين في صحيح البخاري :

البخاري (٤٥٦٢) :

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ دَخَلْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِ فَسَمِعَ بِنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَاتَّانَا فَقَالَ أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ فَقُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَأَيُّكُمْ أَقْرَأُ فَأَشَارُوا إِلَيَّ فَقَالَ اقْرَأْ فَقَرَأْتُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَالذِّكْرَ وَالْأُنثَى قَالَ أَنْتَ سَمِعْتَهَا مِنْ فِي صَاحِبِكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَؤُلَاءِ يَأْبُونَ عَلَيْنَا

البخاري (٤٥٦٣) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَقَالَ أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَيَّ قِرَاءَةَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا قَالَ فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ فَأَشَارُوا إِلَيَّ عَلْقَمَةَ قَالَ كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ عَلْقَمَةَ وَالذِّكْرَ وَالْأُنثَى قَالَ أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ هَكَذَا وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي عَلَيَّ أَنْ أَقْرَأُ وَمَا خَلَقَ الذِّكْرَ وَالْأُنثَى وَاللَّهُ لَا أَتَابِعُهُمْ

.. ولننظر إلى النص التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

[[..... ووقع في رواية داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة في هذا الحديث

” وإن هؤلاء يريدونني أن أزول عما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لي : اقرأ وما خلق الذكر والأنثى ، وإنني والله لا أطيعهم ” أخرجه مسلم وابن مردويه . وفي هذا بيان واضح أن قراءة ابن مسعود كانت كذلك ، والذي وقع في غير هذه الطريق أنه قرأ ” والذي خلق الذكر والأنثى ” كذا في كثير من كتب القراءات الشاذة ، وهذه القراءة لم يذكرها أبو عبيد إلا عن الحسن البصري ، وأما ابن مسعود فهذا الإسناد المذكور في الصحيحين عنه من أصح الأسانيد يروي به الأحاديث . قوله : (كيف سمعته) أي ابن مسعود (يقرأ والليل إذ يغشى ؟ قال علقمة : والذكر والأنثى) في رواية سفیان (فقرأت والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) وهذا صريح في أن ابن مسعود كان يقرؤها كذلك . وفي رواية إسراييل عن مغيرة في المناقب ” والليل إذا يغشى والذكر

والأنثى " بحذف " والنهار إذا تجلى " كذا في رواية أبي ذر وأثبتها الباقون . قوله : (وهؤلاء) أي أهل الشام (يريدونني على أن أقرأ وما خلق الذكر والأنثى ، والله لا أتابعهم) هذا أبين من الرواية التي قبلها حيث قال " وهؤلاء يأبون علي " ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عن ذكر هنا ، ومن عداهم قرءوا " وما خلق الذكر والأنثى " وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه ، ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه . والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود وإيهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم ، وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا ، فهذا مما يقوى أن التلاوة بها نسخت . [] ..

.. ولننظر أيضاً إلى الروایتين التاليتين في صحيح مسلم للموضوع ذاته ..

مسلم (١٣٦٤) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قَدِمْنَا الشَّامَ فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ فَقَالَ أَفِيكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَقُلْتُ نَعَمْ أَنَا قَالَ فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى قَالَ سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالذَّكْرَ وَالْأُنْثَى قَالَ وَأَنَا وَاللَّهِ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ فَلَا أَتَابِعُهُمْ وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَعِينَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَتَى عَلْقَمَةَ الشَّامَ فَدَخَلَ مَسْجِدًا فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى حَلْقَةٍ فَجَلَسَ فِيهَا قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَعَرَفْتُ فِيهِ تَحَوُّشَ الْقَوْمِ وَهَيْئَتَهُمْ قَالَ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنبِي ثُمَّ قَالَ أَتَحْفَظُ كَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ

مسلم (١٣٦٥) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ لَقِيتُ أبا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِمَّنْ أَنْتَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ مِنْ

أَيُّهُمْ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَالَ هَلْ تَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاقْرَأْ وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى قَالَ فَقَرَأْتُ وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى وَالذَّكْرَ وَاللَّائِنَى قَالَ فَضَحِكُمْ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُوهَا وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَلَقَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُيَيْتَةَ

.. ولننظر في النص التالي الذي نقتطعه من كتاب : صحيح مسلم بشرح النووي :

]] وأما ابن مسعود فرويت عنه روايات كثيرة منها ما ليس بثابت عند أهل النقل ، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء ، وكان رأي عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يتناول الزمان ويظن ذلك قرآناً . قال المازري : فعاد الخلاف إلى مسألة فقهية ، وهي أنه هل يجوز إلحاق بعض التفاسير في أثناء المصحف ؟ قال : ويحتمل ما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن ، وكتب ما سواهما وتكررها لشهرتهما عنده وعند الناس . والله أعلم .]]

كيف تُفسر العبارة : [[وَلَكِنْ هُوَ لَأَنْ يُرِيدُونَ أَنْ أَقْرَأَ وَمَا خَلَقَ فَلَا أَتَابِعُهُمْ]] ،
بالعبارات : [[فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء]] ، أو بالعبارات [[أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن ، وكتب ما سواهما وتكررها لشهرتهما عنده وعند الناس]] ؟ .. كيف ؟!!!!!! ..

.. ألا تحمل هذه الروايات وتفسيرها شكاً يُراد إدخاله في نفوس الناس حول صياغة النص القرآني ؟ .. ألا تُصوّر هذه الروايات للناس أن حذف الكلمات من كتاب الله تعالى هو مسألة سهلة وليست ذات قيمة ؟ .. كيف تُحذف الكلمتان : ﴿ وَمَا خَلَقَ ﴾ من الآية

الكريمة : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [الليل : ٣] ، دون أن تختل الصياغة المطلقة لهذه الآية الكريمة ؟ ..

.. والقول بالنسخ أو بأنها قراءات تفسيرية ، هو تلبيس آخر على الحقيقة ، وهو جريمة أكبر من جريمة وُضِعَ هذه الروايات ، وذلك بقطع الطريق على كل قبس من نور يمكنه أن يتكون في عقول أبناء الأمة .. والجريمة الأكبر من هاتين الجريمتين هو تصديق مثل هذه الروايات ... كيف بنا أن نُطَلِّقَ عقولنا وأن نُصَدِّقَ أَنَّ النِّصَّ الْقُرْآنِيَّ الْمُطْلَقَ الَّذِي صَاغَهُ اللَّهُ تَعَالَى صِيَاغَةً مُطْلَقَةً يَتَحَدَّى بِهَا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ ، يحتاجُ تفسيره إلى حذف كلمات منه !!!؟ .. فأبي تفسير ذلك الذي لا يكون إلا بحذف الكلمات من النصِّ الْمَفْسَّرِ !!!؟ .. وأبي استخفاف بعقولنا ذلك الاستخفاف !!!؟ ..

.. وكيف نصدِّق أنَّ الآية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [الليل : ٣] ، نزلت في البداية ناقصة ، ثم أُضيفت لها الكلمتان ﴿ وَمَا خَلَقَ ﴾ لاحقاً !!!؟ ، وكيف نلبس من جيوننا بأنَّ القارئ لم يكن قد سمع (آنذاك) بعد بتزول هاتين الكلمتين !!!؟ .. وأين هي الصياغة المطلقة التي تحدى الله تعالى بها المخلوقات !!!؟ .. هل هي في الآية كاملة ، أم في الآية الناقصة لهاتين الكلمتين !!!؟ ..

.. نعود فنقول : بعد قراءتنا لمتون هذه الروايات ، كيف نقرأ التبرير : **[[ويحتمل ما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن ، وكتب ما سواهما وتكررها لشهرتهما عنده وعند الناس .]]** .. أليس ذلك هو قمة الاستخفاف بعقولنا .. ألم نقرأ في الروايات السابقة بأنَّ ابن مسعود كان يقول عن المعوذتين إنهما ليستا من كتاب الله تعالى ، فكيف إذا يُبرَّرُ ذلك بأنَّه لم يكتبهما لشهرتهما عنده وعند الناس !!!؟ .. هذا هو تأويل مُختلف الحديث الذي يصفونه بالعلم .. فهل هناك أيُّ رابطٍ منطقي بين نصوص الروايات وبين نصوص تأويلها ..

.. ألم تُوضَع هذه الروايات المزعومة لإثارة الشكِّ حول خصوصية النصِّ القرآني وسموه فوق النصوص البشرية .. ألم تُوضَع هذه الروايات المزعومة لاستخدامها كذريعة

للنيل من قدسية النصّ القرآني؟! .. فكيف يمكننا أن نقول للعالم إن النصّ القرآني نصٌّ مُعجزٌ يستحيلُ فيه حذف حرفٍ أو زيادته أو تبديله ، ثمَّ بعد ذلك تقدّم لهم مثل هذه الروايات ومثل هذه التأويلات التي لا يقبلها عقلٌ أو منطوقٌ؟! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية :

البخاري (٤١٤٥) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءِ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةَ طَعَامِ مَسْكِينٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوحَةٍ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيَطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا

.. ألا تُضيف هذه الرواية كلمتي : (يُطَوَّقُونَهُ فَلَا) إلى الآية الكريمة :

﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٤]

.. أي تأويلٍ يمكننا أن نقبله ، ونحن نعتقد أن معجزة القرآن الكريم تكمن في صياغته اللغوية ، وأيُّ حفظٍ لكتاب الله تعالى يمكننا أن نتصوره إن كانت إضافة الكلمات إلى نصوصه مسألة ليست ذات قيمة ، وأيُّ تفسيرٍ لكتاب الله تعالى الذي لا يكون إلا بإضافة الكلمات له أو بحذفها منه .. ألا يخلُ من الله تعالى كلُّ مؤمن بالقرآن الكريم حينما يسمع مثل هذه الروايات؟! ..

والقول بأن الكلمتين (يُطَوَّقُونَهُ فَلَا) هما من باب القراءة التفسيرية ، هو ذرٌّ للرماد في الأعين ، فالراوي في هذه الرواية : [سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةَ طَعَامِ مَسْكِينٍ] ، وبعد ذلك نرى العبارات التي تفسّر ذلك [قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَيْسَتْ بِمَنْسُوحَةٍ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيَطْعِمَانِ

مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا]] ، وكلُّ ذلك ينفي نفيًا قاطعًا ما يُذَرُّ من رمادٍ في الأعين من ورود الكلمتين (يُطَوَّقُونَهُ فَلَا) من باب القراءة التفسيرية ..

.. فالمشكلة التي تُفسد عليهم أيَّ تأويل ، أنه يُنسَبُ إلى ابن عباس أن هذه العبارات التي تشمل هذه الإضافة في قلبها ، ليست بمنسوخة ، ومن ثمَّ وبعد ذلك يشرح هذه الإضافة التي لا وجود لها في كتاب الله تعالى .. فالعبرة [[هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا فَيُطْعِمَا مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا]] ، هي تفسير للنصَّ [[وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فَلَا يُطِيقُونَهُ فِدْيَةَ طَعَامِ مَسْكِينٍ]] ..

ولننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (١٩٠٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسَاقِفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَانَتْهُمْ تَأْتُمُوا فِيهِ فَنَزَلَتْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ .. كيف تُضاف الجملة : (فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ) إلى قلب الآية الكريمة :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْهُ عَرَفْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨]

.. أليست العبارة في نهاية الحديث : [[قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ]] تقطع الطريق على تأويلاتهم ؟ .. وحتى في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري نرى النصَّ التالي فيما يخصُّ تفسيرَ هذا الحديث : [[..... وقراءة ابن عباس " في مواسم الحج " معدودة من الشان الذي صح إسناده وهو حجة وليس بقرآن]] .. كيف يصحُّ إسنادُ الشاذ ؟!!! .. وكيف يكون حجةً وهو ليس بقرآن ؟!!! .. أليس هذا محاولةً لتحريف كتاب الله تعالى ،

أليست علوم الحديث المبنية على السند دون المتن وعلى معايير تاريخية مليئة بالأخطاء والأهواء والعصبيات ، أليست هي مَنْ أُوصلَ إلينا مثل هذه الروايات ؟!!! ..
.. ولننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٦٩٠٨) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ حَرثِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَيَّ عَسِيبٌ مَعَهُ فَمَرَرْنَا عَلَيَّ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَأَ تَسْأَلُوهُ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ بِشْيءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا

.. كيف تُوضع كلمة (أوتوا) بدل كلمة ﴿ أُوتِيتُمْ ﴾ في قلب الآية الكريمة :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

﴾ [الإسراء : ٨٥]

.. أليست نهاية هذه الرواية : [قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا] تقطع الطريقَ

على تأويلاتهم التي لا علاقة لها - أصلاً - بالمؤول لا من قريب ولا من بعيد ؟ ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٢٩٩١) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ عَطَاءٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَنَادُوا يَا مَالِكُ قَالَ سُفْيَانُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَنَادُوا يَا مَالِكُ

.. كيف يُحذف حرف الكاف من كلمة ﴿ يَمْلِكُ ﴾ في الآية الكريمة :

﴿ وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُوبٌ ﴾ [الزخرف : ٧٧]

.. وأين هو مُطلق الصياغة القرآنية التي يتحدّى الله تعالى بها الإنسان والجن ، إن كانت الحروف تُحذف من كلمات كتاب الله تعالى ، دون أن يختل هذا المطلق ؟!!! ..
.. ولننظر في الحديث التالي :

مسلم (٩٩٨) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِي يُؤُسَ مَوْلَى عَائِشَةَ أَنَّهُ قَالَ أَمَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا وَقَالَتْ إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَادْنِي حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى فَلَمَّا بَلَغْتُهَا آدَنْتُهَا فَأَمَلْتُ عَلَيَّ حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَصَلَاةَ الْعَصْرِ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ قَالَتْ عَائِشَةُ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. كيف تُضاف الكلمتان (وَصَلَاةَ الْعَصْرِ) إلى قلب الآية الكريمة :

﴿ حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨]

.. حسب هذه الرواية ، يقول الراوي : [[أَمَرْتَنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا]] ، ولم يقل : أن أكتب لها تفسيراً .. ويقول على لسانها [[إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَادْنِي حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى]] ، ويتابع قوله [[فَلَمَّا بَلَغْتُهَا]] أي هذه الآية الكريمة ، وبالتالي فإنّ القول المنسوب لعائشة [[سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]] يتعلّق بالآية وليس بتفسير لها ..

.. فبعد إقرار هذه الإضافة الموضوعية ، يُنسبُ إلى عائشة أنّها تقول : [[سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]] ، ولا نرى عبارة مثل [[هذا تفسيرها الذي سمعته من الرسول ﷺ]] ، ولا نرى أيّ صيغة فيها مجرد إشارة إلى أن إضافة العبارة (وَصَلَاةَ الْعَصْرِ) إلى قلب الآية الكريمة هي من باب الإضافة التفسيرية ... وأيُّ قولٍ بنسخ هاتين

الكلمتين بعدما كانتا قرآناً ، وأنّ كتابة عائشة لهما هو من باب القراءة التفسيرية ، كلُّ ذلك لا يحمل لكتاب الله تعالى إلاّ الإساءة .. فهل الآية الكريمة لم تكن مطلقة قبل حذف هاتين الكلمتين منها وأصبحت مطلقة بعد حذفهما ؟!!! .. أم أنّ إضافة الكلمات وحذفها لا يؤثر في قيمة النصوص ؟!!! .. أم ماذا ؟!!! ..

.. ولذلك فذرهم للرماد في الأعين للإيهام بصحة هكذا روايات ، باختراع تبريرات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، لا تحمل لكتاب الله تعالى إلاّ الإساءة ، هو تلبيسٌ وتضليل لا يخدم إلاّ الإساءة لمنهج الله تعالى ..

.. وهنا أتوجه بالسؤال إلى عابدي أصنام التاريخ فأقول لهم : رواياتكم هذه التي تقدسونها وتفرضونها على الأمة ، ألا تؤدي إلى تحريف كتاب الله تعالى ؟ .. وهل أنتم حينما تقرّون مثل هذه الروايات تقدسون بالفعل كتاب الله تعالى ؟ .. ولو فرضنا - جِدلاً - أن الآلية التي وصل بها إلينا كتاب الله تعالى تُماثل الآلية التي وصلت إلينا بها مثل هذه الروايات ، كما يُهرجُ المهرجون على العوام .. لو فرضنا ذلك .. فهل كانت الأمة ستجمع على كتاب الله تعالى مثلما تُجمع عليه الآن ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي كيف يُصورُ كبار الصحابة بأنهم لا يميزون بعض

النصوص ، هل هي منتمية إلى كتاب الله تعالى أم لا :

البخاري (٥٩٥٧) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِبَابِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلُهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمُنْبَرِ

مسلم (١٧٣٩) :

و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِلءَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ مِثْلُهُ وَلَا يَمْلَأُ نَفْسَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَاللَّهُ يَتُوبُ عَلَيَّ مَنْ تَابَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي أَمِنَ الْقُرْآنُ هُوَ أَمْ لَا وَفِي رِوَايَةٍ زُهَيْرٍ قَالَ فَلَا أَدْرِي أَمِنَ الْقُرْآنُ لَمْ يَذْكُرْ ابْنَ عَبَّاسٍ

.. كيف يحفظ ابن عباس وابن الزبير من الرسول ﷺ نصوصاً عن ظهر قلب ، دون أن يعلما أهي من القرآن الكريم أم لا ؟!!! .. وإن كان الأمر كما يُفترى في هذه الروايات ، فأى ثقة يمكننا أن نعتمدها حينما نأخذ الروايات المنسوبة إليهما – وإلى غيرهما – بعد قرونٍ لأمرٍ أقل بكثيرٍ من هذه المسألة ؟!!! .. إن كان انتماء النصوص إلى كتاب الله تعالى مسألة لا يمكن الجزمُ بها كما يُفترى في هذه الروايات ، فكيف إذا تُرْفِعُ مواضع هذه الروايات إلى درجة المقدس ، وتُقدَّم على أنها من صلب المنهج ؟!!! .. وإن كان الصحابة لا يميزون بين نصوص القرآن الكريم وغيرها كما يفهم من صياغة هذه الروايات ، فأين هي معجزة صياغة النص القرآني ، التي يتحدثى الله تعالى بها الإنس والجن ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيد ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٤٥٣٥) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

.. وفق الصياغة اللغوية لهذه الرواية ، ودون أن نُضيفَ إليها معاني من جيوبنا ، فإنَّ عمر بن الخطاب نطقَ بالآية الكريمة المذكورة في هذه الرواية قبل نزولها من السماء .. هذا ما تنطقُ به عباراتُ هذه الرواية التاريخية .. وإلاَّ كيف بنا أن نفهمَ العبارات : [[فَقُلْتُ لَهُنَّ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ]] .. أليس ذلك

افتراءً وكذباً وإساءةً لكتاب الله تعالى ، فنحن نعلم أن الوحي بالقرآن الكريم لم ينزل إلا على الرسول محمد ﷺ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن صياغة النص القرآني مستحيلة على المخلوقات ، والله تعالى يتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بنص مثل القرآن الكريم ، فكيف إذا تكون هذه الرواية صحيحة !!!؟ .. وكيف يتخيل من يدافع عن مثل هذه الروايات أنه بذلك يدافع عن منهج الله تعالى !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. ولم يتوقف تصوير عمر بن الخطاب في روايات الأحاديث على أنه ينطق بالقرآن الكريم قبل نزوله من السماء ، بل نراه - في هذه الروايات - يرى نقيض ما يراه الرسول ﷺ ، في مسألة تعدد من أهم المسائل التي أنزلت من السماء .. ونرى عمر يمنع أبا هريرة من إبلاغ ما أمره ﷺ به ، ضارباً إياه بين ثديه ضربةً يجر بها لاسته .. ونرى الرسول ﷺ يأخذ برواية عمر التي هي نقيض ما أمر به ﷺ .. وكل ذلك في سرد قصصي يسيء للرسول ﷺ ، وللمنهج الذي أنزله الله تعالى ..

مسلم (٤٦) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ الْحَنْفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَحَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَرَعْنَا فُقُمْنَا فَكُنْتُ أَوْلَى مَنْ فَرَعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ فَدَرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَنِي خَارِجَةَ وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ النَّعْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا سَأَلْتُكَ قُلْتُ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فُقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا فَحَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَرَعْنَا فَكُنْتُ أَوْلَى مَنْ فَرَعَ فَاتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ النَّعْلَبُ وَهَوَّلَاءِ النَّاسُ وَرَأَيْتُ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَعْطَانِي نَعْلِيهِ قَالَ أَذْهَبُ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَتْ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَنِّي بِهِمَا مَنْ لَقِيَتْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ تَدْيِيٍّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِيٍّ فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَتْرِي فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قُلْتُ لَقِيَتْ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ تَدْيِيٍّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِيٍّ قَالَ ارْجِعْ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّهْمُ يَعْمَلُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَلَّهْمُ

.. من أي زاوية ننظر من خلالها إلى هذا الحديث ، سنراه ليس صحيحاً .. كيف يبدو عمر أكثر حكمةً وقدرةً من الرسول ﷺ ذاته ، وذلك في تبليغ أمرٍ من أهم الأمور التي أتى بها المنهج .. ثم كيف بنا أن نفهم النصَّ التالي من هذه الرواية الذي يُصورُ أبا هريرة بصورةٍ لا تختلف كثيراً عن صور أفلام الأطفال في الرسوم المتحركة : [[فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ تَدْيِيٍّ فَخَرَرْتُ لِاسْتِيٍّ فَقَالَ ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْهَشْتُ بُكَاءً]] !!! ..

.. ثم كيف يكشف الرسول ﷺ بهذه السرعة أن ما رآه عمر أكثر حكمةً وأقربُ حقاً مما أمر به الرسول ﷺ أبا هريرة أن يُبلغ به الناس ؟!!! .. وما هو حال هذا الأمر لو أن عمر لم يُصادف أبا هريرة ، ليضربة بين تدييه ضربةً يخرُّ بها لإسته وبمنعه من تنفيذ أمر الرسول ﷺ ؟!!! ..

والأهم من كل ذلك .. أن الموضوع الذي وُضع الحديثُ من أجله ليس صحيحاً ، فدخل الجنة ليس بالصورة المنقولة على لسان أبي هريرة ، بأنها إن عَلِمَ بها الناس يتكلمون

ولا يعملون ، كون العمل لا قيمة له بها ، حسب ما تنطق به هذه الرواية والكثير من الروايات الموضوعية غيرها كيف نوفق بين هذه الصورة المنقولة في هذه الرواية عن دخول الجنة ، وبين قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢]

.. إنَّ إغراقَ فكرِ الأمةِ في مستنقعِ هكذا رواية ، هو مسألةٌ يريدُها واضعو هذه الروايات ، لإبعادِ أبناءِ الأمةِ عن كتابِ الله تعالى (القرآن الكريم) ، فتقزُّمُ قيمةِ العملِ وتُسْتَسْهَلُ المعاصي ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي لنرى كيف أنَّ عمر بن الخطاب يعلم الرسول ﷺ بأن يعمل بما نهاه الله تعالى عنه ، ويجذب الرسول ﷺ ليمنعه من فعلٍ عملٍ نهاه الله تعالى عن فعله .. ولنرى كيف أنَّ القرآن الكريم يتزل موافقاً لما رآه عمر ، وبالتالي عكس ما هم بفعله ﷺ ... وكلُّ ذلك إساءةٌ متعمدةٌ للرسول ﷺ ، وبالتالي للمنهج الذي أنزل عليه ..

البخاري (٥٣٥٠) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنُهُ فِيهِ وَصَلَّ عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ وَقَالَ إِذَا فَرَّغْتَ مِنْهُ فَأَدِّنَا فَلَمَّا فَرَّغَ آذَنُ بِهِ فَجَاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَجَدَّبَهُ عُمَرُ فَقَالَ أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَزَلَّتْ وَلَا تُصَلِّ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَيَّ قَبْرِهِ فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ

.. ولننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (١٧٨٤) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ أَنْزَلَتْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ وَلَمْ يَنْزِلْ مِنَ الْفَجْرِ فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدَهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيُهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ مِنَ الْفَجْرِ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

.. هذا الحديث - وأمثاله - وُضِعَ من أجل التشكيك بمصداقية نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى ، وذلك من خلال تصوير القرآن الكريم بأنه حادثٌ يتَّبَعُ لجزئيات بعض الأحداث في الجيل الأول ، بحيث تنزل الآية ناقصةً ثم تُضَافُ إليها الكلمات بناءً على طلب الرجال .. أليست العبارة القرآنية ﴿ مِنْ الْفَجْرِ ط ١ ﴾ ، التي يُزَعَمُ أَنَّهَا نزلت لاحقاً ، أليست في قلب الآية الكريمة :

﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ط ٢ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ط ٣ فَالْقِنَ بِشِرْهُنَّ وَأَبْغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ط ٤ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ط ٥ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ط ٦ وَلَا تُبَشِّرْهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ ط ٧ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ط ٨ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

.. فكيف إذا من الممكن لعاقِلٍ يحمل في قلبه ذرَّةً من إيمانٍ وفي عقله ذرَّةً من إدراكٍ ومنطقٍ ، وفي نفسه ذرَّةً من تقديسٍ لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، كيف له أن يقبل

نزول آية ناقصة ، تنزلُ عبارةً في قلبها بعد فترةٍ من الزمن نتيجةً حالةٍ تاريخيةٍ ؟!!! ...
 هذه الحالةُ المزعومةُ في هذه الرواية : **[[فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيُهُمَا]]** ، ألا يعلمها الله تعالى قبل إنزالِ هذه الآية الناقصة حسبَ زعمهم ؟!!! .. ولماذا أحرَّ الله تعالى العبارة : **﴿ مِنْ الْفَجْرِ ﴾** إلى أن ربطَ أولئك الرجالَ خيوطاً في أرجلهم ؟!!! ..

.. والأهم من كلِّ ذلك .. أن هذه الآية لا تحملُ ما يذهبُ إليه واضعو هذه الرواية ، فالآيةُ الكريمةُ لا تقولُ : **[[وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ تَحْتَ ضَوْءِ الْفَجْرِ]]** ، حتى تُربطَ الخيوطُ في الأرجل .. الله تعالى يقول : **﴿ وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾** ، فالخيوطُ الأبيضُ هو من الخيوطِ الأسود الذي هو من الفجر ، وهي مسألةٌ تتعلقُ بالفجرِ وضوئه لا بالخيوط التي تُربطُ بالأرجل .. فكيف إذاً يُمكنُ لهذه الرواية أن تكونَ صحيحةً يُكفرُ من يشكُّ بصحتها ؟!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيد ..
 .. ولننظر في الحديث التالي :

البخاري (٤٦٠٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ بِاللَّوْحِ وَالِدَوَاةَ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالِدَوَاةَ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرٌ الْبَصَرِ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ

البخاري (٤٢٢٧) :

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا فَكَتَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَشَكَا ضَرَارَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ

.. ولننظر في النصّ التالي من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما يخصّ هذا الحديث :

[[قوله : (فنزلت مكانها) قال ابن التين : يقال إن جبريل هبط ورجع قبل أن يجف القلم . قوله : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله) قال ابن المنير : لم يقتصر الراوي في الحال الثاني على ذكر الكلمة الزائدة وهي (غير أولي الضرر) فإن كان الوحي نزل بزيادة قوله : (غير أولي الضرر) فقط فكأنه رأى إعادة الآية من أولها حتى يتصل الاستثناء بالمستثنى منه ، وإن كان الوحي نزل بإعادة الآية بالزيادة بعد أن نزل بدونها فقد حكى الراوي صورة الحال]]

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ موجودة في قلب الآية الكريمة ..

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٥]

.. كيف تُستبدلُ كلماتُ الله تعالى المطلقة التي يتحدّى بها الإنسُ والجنُّ ، والموجودة في اللوح المحفوظ أزلاً ، كيف تُستبدلُ بناءً على شكوى من ابنِ أمِّ مكتوم ؟!!! .. وهل القرآن الذي بين أيدينا كان من الممكن أن يكون ناقصاً هذه العبارة القرآنيّة لولا تلك الشكوى من ابنِ أمِّ مكتوم ؟!!! .. وكيف استطاعوا تصوّر ذلك ؟!!! .. بل كيف تكون العبارة القرآنيّة : ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ في قلب هذه الآية الكريمة تابعة لحادثة تاريخيّة ..

بمعنى آخر كيف تكون هذه الآية الكريمة مُطلقةً ويستحيل صياغتها من قبل المخلوقات ، في الوقت الذي يكون فيه حذفُ العبارة القرآنية ﴿ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ منها وعدمُ حذفها سيّان !!!؟ ..

.. أليس من صفات المطلق هو عدمُ التعدّد ؟ .. أليس النقصانُ والزيادةُ في ذات المطلق قدحٌ فيه ؟ .. فكيف إذاً من الممكن حذف الكلمات وإضافتها لذات الصياغة القرآنية ، دون أن يختلّ إطلاقها !!!؟ .. أم أنّ القرآنَ الكريم لم يكن مُطلقاً يتحدّى الله تعالى به الإنسَ والجنَّ قبل شكوى ابن أم مكتوم ، وأصبح مُطلقاً بعد هذه الشكوى .. وهل تأخذ الآياتُ الكريمةُ مصداقيّةً وجودها من خلال الروايات ، كما يشتهي عابدو أصنام التاريخ ، أم أنّ الرواية التاريخية هي من تأخذ مصداقيّتها من خلال موافقتها لكتاب الله تعالى ؟ .. وكيف يضلّلون الناس بزعمهم أنّ إنكارَ مثل هذه الروايات يهدف إلى إنكار القرآن الكريم !!!؟ .. لننظر في الرواية التالية ، كيف أنّ بعضَ رواياتهم لم تُوضَع إلا لزرع الشكِّ في مصداقيّة كتاب الله تعالى ..

أحمد (٢٥١١٢) :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَقَدْ أَنْزَلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرًا فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ دُوبَيْبَةُ لَنَا فَأَكَلَتْهَا

.. حسبَ بعضِ رواياتهم التي يسمّونها بالسنة الشريفة ، ويكفرون من لا يؤمن بها ، حسبَ هذه الروايات ، القرآنَ الكريمُ تأكلهُ الدواب !!! .. فبعضُ الأحكام التي يريدون جعلها جزءاً من المنهج ، ولا نصوصَ لها في كتاب الله تعالى ، يجعلون لها نصوصاً في بطون الدواب ، وإلا كيف بنا أن نفهم العبارات الواردة في هذه الرواية : [[لَقَدْ أَنْزَلَتْ آيَةُ

الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرًا فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلْتُ دُوبِيَّةً لَنَا فَأَكَلْتُهَا] ...

وهم بذلك يقدمون كتاب الله تعالى الذي بين أيدينا والذي تكفل عز وجل بحفظه ، يقدمونه على أنه أقل من الكتاب الذي نُزِّلَ بين يدي الرسول ﷺ ، بمقدار تلك النصوص التي أكلتها تلك الدويبة ، وبمقدار النصوص التي يزعمون أنها نُسخَ خطُّها !!! ..

.. ومع كل ذلك .. يزعمون أنهم بإقرارهم لهذه الروايات إنما يدافعون عن السنة الشريفة وعن كتاب الله تعالى !!! .. يزعمون أننا بإنكارنا لمثل هذه الرواية كونها تستحيل عليها الصحة ، إيماناً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .. يزعمون أننا بهذا الإنكار إنما نُنكِرُ السنةَ الشريفةَ كمقدمةٍ لإنكارِ كتابِ الله تعالى !!! .. نترك الفصلَ بيننا وبينهم في معرفةٍ من منا يتبع الحق ، ومن منا يؤمن بحفظ الله تعالى لكتابه العزيز .. نترك الفصلَ بيننا وبينهم في ذلك الله تعالى ، ومن بعده لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولننظر في الحديث التالي كيف يحمل - لكتاب الله تعالى - الإساءة ذاتها التي

يحملها الحديث السابق ..

أحمد (٢٠٢٦٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّحَّانُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ كَمْ تَقْرَأُونَ سُورَةَ الْأَحْزَابِ قَالَ بَضْعًا وَسَبْعِينَ آيَةً لَقَدْ قَرَأْتُهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ الْبَقْرَةِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا وَإِنَّ فِيهَا آيَةَ الرَّجْمِ

أحمد (٢٠٢٦١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زُرِّ قَالَ قَالَ لِي أَبِي بِنِ كَعْبٍ كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ أَوْ كَأَيِّنْ تَعُدُّهَا قَالَ قُلْتُ لَهُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً فَقَالَ قَطُّ لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتُعَادِلُ سُورَةَ الْبَقْرَةِ وَلَقَدْ قَرَأْنَا فِيهَا الشَّيْخُ

وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيًا فَارْجُمُوهُمَا الْبَيِّنَةُ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

هذه الروايات وأمثالها يُزعمُ فيها أن هناك نصوصاً كانت من كتاب الله تعالى ثم رُفِعَتْ ، وهذا ممَّا لُبِّسَ به على كتاب الله تعالى في مسألة النسخ والمنسوخ المزعومة .. فالزعم بوجود نصوص من كتاب الله تعالى رُفِعَ خطُّها يُوَدِّي إلى القول بأن القرآن الكريم الموجود الآن بين أيدينا ينقص عن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى بمقدار تلك النصوص .. وكل ذلك افتراءً على كتاب الله تعالى ، ودعوة لزرع الشك به، سواء علم عابدو أصنام التاريخ ذلك أم لم يعلموا .. كل ذلك وضع متعمدٌ للإساءة لكتاب الله تعالى ، وإن خُطِبَ علينا أن هذا الوضع وما لحق به من تأويل هو علم يجب تقديسه ورفعته إلى مستوى كتاب الله تعالى ..

.. إن ما يُسمَّى بعلم الحديث وبعلم تأويل مختلف الحديث ، هو تراثٌ جمعيٌّ ، مادَّتهُ تغييبُ العقل ، ومبنيٌّ على جماجم الموتى ، وعلى التسليم الكامل للرواية دون أي اعتبار لمتنها ، مهما بلغت درجة الخروج على ثوابت اللغة العربية .. فدون ذلك لا يستقيم ما يُسمَّى بعلم الحديث وعلم تأويل مختلف الحديث ، لأن التناقض بين بعض الروايات من جهة ، وبينها وبين دلالات كتاب الله تعالى ، لا يمكن إخفاؤه إلا بإلغاء العقل من أساسه .. والنتيجة - كما رأينا - في هذه المحطة وما سبقها ، هي تقزيمُ دلالات كتاب الله تعالى في نفوس المتلقين .. ولذلك فالإصرار على تقديم روايات الأحاديث على أنها جزءٌ من المنهج يُماثلُ حال المعنيين بقوله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤْيَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩]

.. وقد وُجِدَ في الماضي من وقفَ موقفاً عقلياً سليماً من هذه الروايات .. لننظر في

الحديث التالي :

البخاري (٣٠٨٥) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ

.. من الواضح أن هذا الحديث لا يكون صحيحاً إلا بعد أن نؤوِّله تأويلاً لا علاقة له

بصياغته اللغوية ، فحتى يكون صحيحاً لا بُدَّ أن نُضيفَ له معاني من جيوبنا .. ألم يقل الله

تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ ﴾

رَحِيمٌ [البقرة : ١٤٣] ، فكيف إذا يعمل أحدنا بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه

وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، أليست هذه

جبرية محضة !!!؟ .. أليست العبارات القرآنية : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ذَلِكَ

ذِكْرَىٰ لِلذَّكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .. أليست ناموساً إلهياً يَصوِّرُ لنا ماهية الحساب

بأنه ليس نتيجة آخر عملٍ عمله الإنسان ، إنما هو نتيجة محصلة أعماله ، ويؤكد ذلك

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ ﴿٣﴾ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿٥﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة : ٦ - ١١]

.. والقول بأن المعنى في هذه الرواية هو العمل الذي ظاهره يخالف باطنه ، بمعنى نرى

نحن البشر ظاهراً مخالفاً لما يعلمه الله تعالى بالنسبة للعمل المعنى في هذه الرواية ، وذلك

كمحاولة لتخريج هذه الرواية وللإيهام بصحتها ، هذا القول ليس صحيحاً على الإطلاق

، فهذه التخريجات هي تلبيس لا وجود لأي إشارة له في متن هذه الرواية .. فالعبارات :

[[فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ

[[، واضحة وصریحة ، ولا تحمل لا من قريب ولا من بعيد ما يذرونه من رمادٍ في أعين البسطاء .. والعبارة [[فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ]]] ، إضافة لصياغة عبارات هذا الحديث تُسقط تأويلهم من أساسه ، وتبين كيف يتمُّ اللف والدوران والقفز فوق ثوابت اللغة وإخراج معاني من الجيوب ، في تفسيرهم للروايات ، من أجل الإيهام بصحتها ..

.. إذاً المسألة في كتاب الله تعالى ، ليست كما هو الحال في هذه الرواية ، المسألة في كتاب الله تعالى مسألة موازين تثقل وتخف ، والحسنات فيها يُذهبن السيئات ، والله تعالى يُدخلُ الناسَ في الجنة والنار نتيجة مُحصلة أعمالهم ، وليس نتيجة آخر عمل عملوه حيث سبق عليهم الكتاب كما يُلفَّق في هذه الرواية .. هذه الحقيقة .. نرى من رآها من السابقين في النصِّ التالي الذي نقتطعه من التفسير الكبير للفخر الرازي فيما يتعلق بهذا الحديث :

[[..... وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن عمرو بن عبيد الله أنه قال : لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبتَه ، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أحببته ، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله عزَّ وجل يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقاً ..]]

.. أيُّ عقلٍ سليمٍ يستطيعُ أن يتصوَّرَ وقوعَ الحادثةِ المحمولةِ بالحديثِ التالي ؟ ..

البخاري (٣٥٦٠) :

حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قَرْدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ

.. هل القردود كحيوانات هي مُكلَّفة كالبشر ؟!!! .. ولو فرضنا - جدلاً - أن الأمر كذلك ، فلماذا لا نرى الآن قرداً تقوم بتطبيق حدِّ الرجم ؟!!! .. أم أن التكليف قد رُفِعَ عنها بعد أن رأى عمرو بن ميمون رجمَ هذه القردة الزانية وبعد أن شارك في

رجمها؟!!! .. وكيف عرف أن هذا الرجم كان نتيجةً للزنا بين قردهٍ مُحصنةٍ متزوجةٍ من قردهٍ بعقد نكاحٍ شرعيٍّ ، وبين قردهٍ آخرٍ غيرٍ زوجها؟!!! .. أم أنه كان شاهداً على عقد ذلك النكاح الشرعي؟!!! .. والأهم من كل ذلك .. أن حدَّ الرجم للزنا لم يُذكر أصلاً في كتاب الله تعالى .. فكيف إذاً استدخلُ هذه الروايةُ إلى عقولنا ؟!!! ..

.. ونحن نعلم أن هذه الروايةَ ليست منقولةً عن الرسول ﷺ ، وأنها مسألةٌ حدثت في الجاهليَّة ، إلا أننا نتحدث عنها كمصداقيةٍ وكتبوت ، وهي كمصداقيةٍ وكتبوت لا تختلف عن غيرها من روايات البخاري ، كونها واردةً فيه ، وأتت بذات الأدوات التي أتت بها روايات البخاري .. فمصداقيةُ الرواية وفق معايير ما يُسمَّى بعلم السند مسألةٌ مستقلةٌ عن موضوعها ، ولو كانت متون الروايات معياراً لمصداقيةِ الرواية ، وذلك بمعيرة هذه المتون على كتاب الله تعالى ، لو كان ذلك ، لما رأينا مثل هذه الروايات ..

.. وماذا يفيدنا السند في رواية كهذه الرواية؟!!! .. وهل سيذهب الخيال عند بعضهم إلى تصوّر قبيلة القروذ هذه بأنّها قبيلةٌ من الجنّ تشكّلت في عالمنا المادّي ، وذلك كمحاولة للخروج من المأزق الذي يُوضَع به عابِدو أصنام التاريخ نتيجة هكذا رواية؟!!! ..

.. ومهما كان الباب الذي ورد عبره هذا الحديث ، ومهما كان الموضوع الذي يحمله هذا الحديث ، فإنَّ عدم مصداقيةِ متنه تقتضي التشكيك ليس فيه فقط ، وإثماً في الآلية التي أتت عبرها هذه الروايات ... أليس متنُ هذه الرواية يُعطي أولي الألباب الحقَّ في أن يشكّوا بهذه الرواية من أساسها ، وأن يصفوها بالموضوعة؟!!! .. أم أن الهدف من الروايات هو السند ، ولا علاقة لمتونها بالأحكام المحمولة بها؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. السنَّة كتشريعٍ مستمرٍّ لهذه الأمة لا تُناقض القرآن الكريم ، ولا تُضيف إليه الكلمات ، ولا تحذفها منه .. ولا تُناقض الحقائق العلميَّة والكونيَّة ، فمتزلُّ القرآن الكريم هو الله تعالى ، وخالقُ الكون هو الله تعالى .. وأصحاب الفكر التراثي الجمعي الذين يحسبون أنفسهم حماة السنَّة والدين .. هؤلاء .. يفترون على كلِّ غيورٍ على السنَّة يريدُ

تنقيتها من بعض الروايات التي لُفِّت على الرسول ﷺ بعد موته بقرون ، يتهمونه بأنه لا يصدق الرسول ﷺ ، وهم يعلمون أن المسألة ليست كذلك ، وأن المسألة تتعلق بثبوت الرواية عنه ، وليس بكون الرسول ﷺ صادقاً أو لا .. فمعاذ الله أن يكذبَ مسلمٌ مؤمنٌ بكتاب الله تعالى رسولَ الله ﷺ ..

.. إنهم بافترائهم هذا وذرهم للرماد في عيون أبناء الأمة ، يلعبون اللعبة ذاتها التي لعبها فرعون مع قومه ، حينما أراد تضليلهم وحجبهم عن الحق الذي أنزلَ مع موسى عليه السلام ، فقال لهم : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦]

.. وفي المحطة القادمة سنرى - إن شاء الله تعالى - بعض الروايات التي وُضعت بهدف الإساءة لشخص النبي ﷺ ، وسنرى كيف أن اعتماداً مثل هذه الروايات هو قمة الإساءة للمنهج ، وللسنة الشريفة ، وللنبي ﷺ ، ولكل مؤمنٍ بمنهج الله تعالى ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الحادية عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. كُنَّا قد رأينا في المحطة السابقة بعض الروايات التي تُسَيءُ لكتابِ الله تعالى ، وبالتالي تُسَيءُ للإسلام وللرسول ﷺ ، ولكلِّ مؤمنٍ يعتقدُ بتتريـلِ القرآنِ الكريمِ من عند الله تعالى .. وكُنَّا قد بيّنا جانباً من تأويلِ هذه الروايات في الموروثِ ذاته ، ورأينا كيف أنَّ ذلك التأويل لا علاقة له بالصياغة اللغويّة للروايات المؤوِّلة ، مع العلم أنَّ صياغة تلك الروايات واضحةٌ حلّية وليست بحاجة إلى مُفسِّر ولا مُؤوِّل ، فلا يُمكن لتلك الروايات إلّا أن تكون موضوعةً لهدفٍ غيرِ نبيل .. هذا ما يُدرِّكُه كلُّ باحثٍ عن الحقيقة ، مؤمناً بكتابِ الله تعالى ، غيرَ مُطلِّقٍ لِعَقَلِه ..

.. وسنقفُ في هذه المحطة عند بعض الروايات التي وُضعت للإساءة لشخصِ النبي ﷺ ، لنرى ذلك بأمِّ أعيننا ، ولنرى كيف أنَّه لا يمكنُ تأويلها تأويلاً يجعلُ منها رواياتٍ صحيحةً ، تليقُ بمن يصفه اللهُ تعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .. سنرى كيف أنَّه لا يمكنُ تأويلها تأويلاً يُعدها عن ساحة الإساءة لشخصِ النبي ﷺ ،

مهما بلغت درجة قفزنا فوق ثوابت اللغة العربية ، ومهما بلغت درجة قفزنا فوق ثوابت العقل والمنطق ..

.. الله تعالى يأمرُ رسوله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قَمِرَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا

﴿٢﴾ نَبْصَفُهُ أَوْ أَنْقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمّل : ١ -

٤] .. وفي السورة ذاتها يُصوّرُ اللهُ تعالى لنا في كتابه الكريم خطاباً يُوجّهه لرسوله ﷺ ، يُبينُ لنا فيه أنه ﷺ كان يقضي ثلثي الليل و نصفه وثلثه قائماً ..

﴿ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَبْصَفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ

الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمّل: ٢٠]

.. وإضافةً إلى هذا القيام ، لا شكَّ أنه ﷺ كان ينامُ كونه بشراً ، ولا شكَّ أنه ﷺ

كان يُصلي الفجر كونه مُكَلِّفًا ، وأنه كان يتفكّر بالمهام الملقى عليه كونه قائداً للأمة .. بعد كل ذلك .. لا يُمكن لعاقِلٍ أن يتصوّرَ أنه ﷺ كان يطوف على إحدى عشرة امرأة من نسائه بغسلٍ واحدٍ وبساعة واحدة من الليل !!! .. لننظر إلى الأحاديث التالية ..

البخاري (٢٦٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ

مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهِنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوْ كَانَ يُطِيقُهُ قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ

أَعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ إِنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ تِسْعَ نِسْوَةٍ

البخاري (٢٧٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ

أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ فِي اللَّيْلِ

الْوَاحِدَةِ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ نِسْوَةٍ

مسلم (٤٦٧) :

و حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي شُعَيْبٍ الْحَرَّانِيُّ حَدَّثَنَا مَسْكِينٌ يَعْنِي ابْنَ بُكَيْرٍ
الْحَدَّاءَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَطُوفُ عَلَى
نِسَائِهِ بَغُسْلٍ وَاحِدٍ

.. الذين جندوا أنفسهم للدفاع عن مثل هذه الروايات ظناً منهم أنهم يدافعون عن
سنة النبي ﷺ ، هؤلاء ، يحتجون بأن النبي أُعطي قوةً جنسيةً تُعادل ثلاثين رجلاً ، كما هو
وارد في صياغة هذه الروايات .. وفي الوقت ذاته يُعرضون عن حقيقة يُدرُّها القاصي
والداني ، وهي أنه ﷺ تزوج خديجة وهو في قمة شبابه ، أي في قمة قدرته الجنسية ، فكان
عمره آنذاك (٢٥) عاماً ، وكانت خديجة في الأربعين من عمرها ، أي أنها امرأة ليست
في سن الشباب ، ولم يكن آنذاك يطوف على إحدى عشرة امرأة بغسل واحد في ساعة
واحدة من الليل .. وهم يعلمون أنه ﷺ لم يتزوج عليها ما دامت حيّة ، وبقيت معه ﷺ
حتى أصبحت عجوزاً وأصبح رجلاً كبيراً تتراجع عنده مسألة الجنس ، وبالتالي هم
يعلمون أنه ﷺ لم يكن يطوف على إحدى عشرة امرأة طيلة تلك الفترة ، أي أنه لم يُعطَ
قوةً جنسيةً تُعادل ثلاثين رجلاً ، ويعلمون أنه بعد أن تُوفيت بقي ﷺ دون نساء فترةً
ليست قليلة من الزمن ، وهو في هذه الفترة لم يطف على أي من النساء .. فكيف إذاً
بعد أن دخل ﷺ في الستينات من عمره أُعطي قوةً جنسيةً تُعادل ثلاثين رجلاً ، وأصبح
يطوف على إحدى عشرة امرأة في الليلة الواحدة في غسل واحد !!! ..

.. أي عقل يمكنه أن يقبل مثل هذه الروايات .. ألم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول
للناس بأنه من الجانب البشري الذي تنتمي إليه القدرة الجنسية ، بأنه بشرٌ مثلهم ، وأن
الفارق بينه وبينهم هو في الوحي ، وبالتالي ليس في القدرة الجنسية ..

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠]

.. ألم يأمر الله تعالى نبيه ﷺ في كتابه الكريم ، بقوله تعالى ..

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًّا لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ .
 أُمْتِعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [٢٨ - ٢٩] [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]

.. ألا يحمل قوله تعالى : ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ - مما يحمل من معانٍ - زينة المتعة واللقاء بين الرجل والمرأة ؟ .. ألا يحمل قوله تعالى ﴿ فَتَعَالَيْنَ . أُمْتِعْكُنَّ وَأَسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ خيار تسريجهن في حال اختيارهن تلك الزينة ؟ .. أليس البديل الآخر للحياة الدنيا وزينتها بما تشمل من شهوة ، هو الله تعالى ورسوله والدار الآخرة : ﴿ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ ﴾ ؟ .. ألا تنسف دلالات هذه الآية الكريمة من الجذور كل هذه الروايات الملققة على الرسول ﷺ !!!؟ .. فكيف إذا كان يقضي الليل في الطواف على النساء بغسل واحد !!!؟ .. وأين هو الوقت الذي يسمح له بذلك !!!؟ .. فحتى لو طلقنا عقلاً ، وافترضنا جدلاً أنه ﷺ لم يكن يعمل بما وصفه الله تعالى به : ﴿ إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ﴾ ، ولو افترضنا جدلاً أنه ﷺ لم يكن يصلي الفجر ، لو افترضنا ذلك ، فهل يسمح الوقت بأن يطوف على إحدى عشرة امرأة في ليلة واحدة وبغسل واحد !!!؟ .. ومن جهة أخرى ألا تُعطي هذه الروايات حيثيات الإساءة لشخص النبي ﷺ من قبل الآخرين الذين تُترجم هذه الروايات وتوضع بين أيديهم على أنها من صلب الدين !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. لننظر في قوله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ

خَلَلْتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الأحزاب : ٥٠]

.. لننظر في العبارة القرآنية : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .. ألا نرى أن المرأة التي هب نفسها ، إنما هبها للنبي ﷺ وليس مجرد شخص محمد كبشر .. أي هب نفسها لساحة الخلاص والنقاء والدخول في شرف التعلق بصفة الزوجية مع النبي ﷺ ، بما يعني ذلك من ابتعاد عن الدنيا وزينتها وشهواتها .. ولذلك نرى صيغتين من الخطاب في هذه العبارة القرآنية .. هناك صيغة تتعلّق بصفة النبوة ونراها بصيغة الغائب : ﴿ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴾ ..

.. وهذه المرأة التي هب نفسها لساحة الخلاص والنقاء والدخول في شرف التعلق بصفة الزوجية مع النبي ﷺ ، بعد ذلك تخلص كأنثى لشخص محمد ﷺ ، ولذلك نرى كيف أنّ الخطاب القرآني انتقل من صيغة الغائب في تعلقه بصفة النبوة التي تعني الطهارة والنقاء والابتعاد عن دنيوية الشهوات ، انتقل إلى صيغة المخاطب ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، التي تعني شخص محمد كبشر لا يختلف عن غيره من البشر في مسألة الجنس وغير ذلك من المسائل الدنيوية ..

.. بعد هذا البيان القرآني العظيم كيف تكون تلك الروايات صحيحة ، وكيف يكون ﷺ بقوة جنسية تعادل ثلاثين رجلاً وهو في الستينات ، وبعد أن أصبح نبياً ورسولاً ، ولا يكون كذلك وهو في فور شبابه ؟!!! .. وما الذي يحملنا على أن نعدّ مثل هذه الروايات من المقدّس ؟!!! .. ثم كيف يمكن لعافل أن يتصوّر رجلاً له قوة جنسية تعادل

ثلاثين رجلاً ، ويطوف في الليلة الواحدة على إحدى عشرة امرأة وبغسل واحد ، كيف
يُمكن لهذا العقل أن يتصورَ بأنَّ هذا الرجل يتزوج طفلةً لم تتجاوز السنين الستة الأولى من
حياتها ؟!!! .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٤٧٦١) :

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ بِنْتُ عُقْبَةَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَّنَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا
مُسْلِم (٢٥٤٨) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ
وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ هُوَ ابْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ

.. أي تأويلٍ يُمكننا أن نتصوره لهذه الرواية ؟!!! .. ومن قال إنَّ البنية الجسدِيَّة
للنساء والرجال كانت تختلف عما هي عليه الآن اختلافاً يُبيحُ ما تحمله هذه الرواية المُلَفَّقة
؟!!! .. ألم يأمر النبي ﷺ في روايات الأحاديث ذاتها أن التفريق في المضاجع بين الأخوة
يكون بعد بلوغهم عشر سنين ؟ ..
لننظر في الرواية التالية ..

أحمد (٦٤٠٢) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا سَوَّارُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرُوا صَبِيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا
إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ قَالَ أَبِي وَقَالَ الطُّفَاوِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فِي هَذَا الْحَدِيثِ سَوَّارُ أَبُو حَمَزَةَ وَأَخْطَأَ فِيهِ

.. أليست العبارة : **[[وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ]]** في هذه الرواية تردُّ خلف

العبارة : **[[وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا]]** .. كيف إذاً يتزوج قائلُ هذا الكلام من

طفلة تحتاجُ إلى أكثرَ من عمرها حتى تبلغ؟!!!! .. بل كيف يكونُ هناك عقدُ زواجٍ وعائشة لا تُدركُ شيئاً عن الزواجِ وأموره ؟ .. نقولُ لأولئك الذين يحسبون أنفسهم حاملي لواءِ السنّةِ الشريفة ، هل تخدمون السنّةَ عندما تنسبون إلى النبي ﷺ مثل هذه الروايات؟!!!! .. كيف تنسبون للنبيّ أنّه أُعطي قوّةً جنسيّةً تُعادل ثلاثين رجلاً ، وأنّه كان يقضي الليل في الطواف على النساء ، وبغسلٍ واحد ، وأنّه تزوّج من طفلة لم تدخل ساحة التكليف بعد ، وأنها تحتاجُ إلى أكثرَ من عمرها لتبلغ سنّ الحلم؟!!!! .. وكيف تتصوّرون أنّكم بذلك تُقدّسون سنّة النبي ﷺ ، فترجمون مثل هذه الروايات للعالم على أنّها سنّةٌ ومصدرٌ من مصادر التشريع؟!!!! .. نقولُ لعابدي أصنام التاريخ : ألم يتكئ المسيئون لشخص النبي ﷺ على رواياتكم هذه بعد أن ترجمتموها ووضعتموها بين أيديهم وقتلتم لهم هذا هو ديننا؟!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ ..

.. والإساءة لشخص النبي ﷺ في الروايات التي تُسمّى بالصحاح ، لم تقف عند هذا

الحد .. لننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٤٨٥٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَسْبِيلٍ عَنْ حَمْرَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْلِسُوا هَاهُنَا وَدَخَلَ وَقَدْ أَتَى بِالْجَوْنِيَّةِ فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَحْلِ فِي بَيْتِ أُمَيْمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَّاحِيلَ وَمَعَهَا دَائِيَّتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَبِي نَفْسِكَ لِي قَالَتْ وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ فَقَالَ قَدْ عُدْتِ بِمَعَاذِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْوَلِيدِ النَّيْسَابُورِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَيْمَةَ بِنْتِ شَرَّاحِيلَ فَلَمَّا أُدْخِلَتْ

عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَكَانَتْهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَيْنِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْوَزِيرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ حَمَزَةَ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ يَهْدًا

.. حسب هذه الرواية المزعومة ، النبي ﷺ يدخل على امرأة ، ويقول لها هي نفسك لي ، فتقول له : **[[وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ]]** ، متهمة إياه بأنه من السُّوقَةِ ، وعندما يهوي بيده عليها لتسكن تقول له : **[[أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ]]** .. والنبي ﷺ حسب هذه الرواية المزعومة ، يبسطُ يده لامرأة تكره منه ذلك ..

.. ومن شرح هذه الرواية لا يمكننا أن نصل إلى نتيجة في فهمها ، ولا حتى إلى نتيجة في معرفة هُويّة تلك المرأة المعنيّة بهذه القصة ، ولا إلى نتيجة هل كانت لِتُخَطَبَ أم أنّها كانت مخطوبة للنبي ﷺ .. ومهما أولوا في دلالات صياغة هذه الرواية ، لإيهام الناس الذين يعرفون قواعد اللغة العربيّة وقيمة النبي ﷺ ، ومعنى قوله تعالى : **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾** [القلم : ٤] .. مهما أولوا فإنّ هذه الرواية وشرحها لا تحملُ للنبي ﷺ إلاّ الإساءة ..

.. ولننظر في النصوص التالية التي نقتطعها من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما يخصُّ هذه الرواية :

[[وجزم هشام بن الكلبي بأنها أسماء بنت النعمان بن شراحيل بن الأسود بن الجون الكندية ، وكذا جزم بتسميتها أسماء محمد بن إسحاق ومحمد بن حبيب وغيرهما ، فلعل اسمها أسماء ولقبها أميمة . ووقع في المغازي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق " أسماء بنت كعب الجونية " فلعل في نسبها من اسمه كعب نسبها إليه ، وقيل هي أسماء بنت الأسود بن الحارث بن النعمان]] ..

.. ولننظر في المقطع التالي :

[[وفي رواية لابن سعد أن النعمان بن الجون الكندي أتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً فقال : ألا أزوجك أجمل أيم في العرب ؟ فتزوجها وبعث معها أبا أسيد الساعدي .. ولننظر في المقطع التالي :

[[عن أبي أسيد قال " تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بني الجون فأمرني أن آتية بها فأتيته بها فأنزلتها بالشوط من وراء ذباب في أطم ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فخرج يمشي ونحن معه]]. .. ولننظر في المقطع التالي :

[[يحتمل أنها لم تعرفه صلى الله عليه وسلم فخاطبته بذلك ، وسياق القصة من مجموع طرقها يأبى هذا الاحتمال]]. .. ولننظر في المقطع التالي :

[[فخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاء بها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها ، فلما كلمها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد أعذتك مني . فقالوا لها أتدريين من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليخطبك ، قالت كنت أنا أشقى من ذلك]]. .. ولننظر في المقطع التالي :

[[قوله (فأهوى بيده) أي أمالها إليها . ووقع في رواية ابن سعد " فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء ألقى وقبل " وفي رواية لابن سعد " فدخل عليها داخل من النساء وكانت من أجمل النساء فقالت : إنك من الملوك فإن كنت تريد أن تحظي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا جاءك فاستعيذي منه " ووقع عنده عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن بن الغسيل بإسناد حديث الباب " إن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشطتاها وخضبتاها ، وقالت لها إحداهما : إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله منك]]. ..

.. ومهما كانت الصلة بين هذه المرأة المعنوية بهذه الرواية وبين النبي ﷺ ، فإنَّ كلَّ حرفٍ من هذه الرواية ومن شرحها يقول بأنَّها موضوعةٌ لقصدٍ غيرِ نبيلٍ .. فكيف بنا أن

نفهم الجملة التالية من شرح هذا الحديث : **[[ووقع في رواية ابن سعد " فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء ألقى وقبل [[!!!؟ .. كيف يهوي إليها ليقبلها وهي تتعلّق به بإحدى احتمالين لا ثالث لهما :**

١ - إما أنّها ليست زوجته حسب ما تُبين العبارة الواردة في شرح هذه الرواية : **[[فقالوا لها أتدريين من هذا ؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليخطبك ، قالت كنت أنا أشقى من ذلك [[.. فهذه العبارة تُبين أنّ هذه المرأة لم تُخطب بعد للنبي ﷺ ، بل لم تعرفه .. وبالتالي كيف يفترون على النبي ﷺ بأنّه : **[[فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء ألقى وقبل [[!!!؟ كيف يُقبلُ ﷺ امرأة لا تعرفه ولا ترتبط معه بأيّ عقدٍ شرعي !!!؟ ..****

٢ - أو أنّها زوجته التي لم تُوافق على هذا الزواج ، بدليل قولها في هذه الرواية المكذوبة من أساسها : **[[فقالت أعوذُ بالله منك [[، وبدليل قولها **[[وهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ [[.. وبالتالي كيف يفترون على النبي ﷺ بأنّه : **[[فأهوى إليها ليقبلها ، وكان إذا اختلى النساء ألقى وقبل [[!!!؟ .. كيف يتزوّج النبي ﷺ من امرأة لا تريد الزواج منه ، وهو الذي يصفه الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ !!!؟ ..******

.. ثمّ كيف بنا أن نفهم العبارات التالية من تأويل هذا الحديث : **[[إن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشطتاها وخضبتاها ، وقالت لها إحداهما : إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله منك [[.. هل هذه المرأة ساذجة إلى حدّ تصديق أنّ النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله منك ، أم أنّ الساذج هو من يصدّق مثل هذه الافتراءات على النبي ﷺ وعلى زوجاته !!!؟ ..**

.. ألا تُسيءُ هذه التبريرات المُلَفَّقة إلى عائشة وحفصة بوصفهما كاذبتين تُلفَقان الأكاذيب على النبي ﷺ !!!؟ .. وإلا كيف بنا أن نفهم ذرَّهم للرماد في العيون عبر تأويلهم بأن عائشة وحفصة قالت إحداهما لهذه المرأة : **[[إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول أعوذ بالله منك]]** .. وكيف يُؤتمنُ في أخذ الأحاديث عنهنَّ إن كانت هذه هي أقوالهن وأفعالهن !!!؟ .. ولماذا يتمسكون بصحَّة رواية لا هدفَ لها إلا الإساءة للنبي وأزواجه !!!؟ .. وما هي الأحكام الشرعية القيِّمة التي يُمكننا أن نستنبطها من مثل هكذا رواية !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية :

أحمد (١٣٤٧٨) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِامْرَأَةِ فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا لِيَقْتُلَهُ فَوَجَدَهُ فِي رَكِيَّةٍ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ نَاوِلْنِي يَدَكَ فَنَاولَهُ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ مِنْ ذَكَرٍ

مسلم (٤٩٧٥) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمَّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ اخْرُجْ فَنَاولَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ

.. كم تحملُ هذه الرواية الموضوعية من إساءةٍ للنبي ﷺ ، ولأزواجه ؟ !!! .. كيف يُطلقُ النبي ﷺ حكماً بقتل إنسانٍ بريءٍ لمجردِ تهمةٍ غيرِ ثابتة ، وهو الذي نَزَلَ عليه قولُ الله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ

فَتُصِيبُوهَا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦]

.. حسب هذه الرواية الموضوعية ، ألم يُصدِّقُ النبي ﷺ الفاحشةَ على نساءه بدليلٍ ما يُنسبُ إليه أنه قال لعليٍّ : **[[اذْهَبْ فَاصْرِبْ عُنُقَهُ]]** ؟ .. حسب هذه الرواية الموضوعية ، ألم تذهب عنق هذا الرجل المحبوب في خير كان لو لم يكن يتبرّد .. وأيُّ تأويلٍ يمكننا قبوله بعدما نقرأ صياغةَ هذه الرواية ، فالنبي ﷺ لا يعلمُ الغيب كما يُخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم ، وبالتالي فعنقُ هذا الرجل كانت بحكم المقطوعة لو لم يكن يتبرّد ، وكذلك فإنَّ عرضَ نساء النبي ﷺ كان - أيضاً - في خير كان لولا ذلك التبرّد .. فالنبي ﷺ لا يعلمُ الغيب بأنَّ علياً سيجد هذا الرجل في رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا وسيقولُ له اخرجْ فيناوله يَدُهُ فيجده محبوباً لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فيكفّ عنه ..

.. وشرح هذه الرواية لا يُلامسُ حقيقةَ ما تحملُ صياغتها اللغويّة من دلالات ..

لننظر إلى شرح هذه الرواية في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي :

[[(باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة) ذكر في الباب حديث

أنس أن رجلا كان يتهم بأمر ولده صلى الله عليه وسلم ، فأمر علياً - رضي الله عنه - أن يذهب يضرب عنقه ، فذهب فوجده يغتسل في ركي ، وهو البئر ، فرآه محبوباً فتركه ، قيل : لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محرّكاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا ، وكف عنه علي - رضي الله عنه - اعتماداً على أن القتل بالزنا ، وقد

علم انتفاء الزنا . والله أعلم]] ..

.. إن العبارة الواردة في هذا الشرح : **[[قيل : لعله]]** تُبين لنا أن هذا الشرح لا يتكئ على أي دليل يعتقده المؤول ذاته ، لا من صياغة الرواية ، ولا من أي طريق آخر .. والعبارات التالية للكلمتين **[[قيل : لعله]]** تؤكد أن هذا الشرح وُضع من أجل هدف واحد ، هو عدم الاعتراف بعدم صحة هذا الحديث ليس إلا .. **[[قيل : لعله كان منافقا ومستحقا للقتل بطريق آخر ، وجعل هذا محركا لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا ، وكف عنه علي - رضي الله عنه - اعتمادا على أن القتل بالزنا ، وقد علم انتفاء الزنا]]** ..

.. إن كان مستحقاً للقتل بنفاقه لا بالزنا ، فلماذا نقرأ في بداية الرواية العبارة : **[[أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟!!! .. ولماذا كفَّ عليٌّ عن هذا الرجل بمجرد ما رآه محبوباً ليس له ذكر : **[[فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَخْرُجْ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ]]** ؟ .. أليست العبارة **[[فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ]]** ، تؤكد أن المسألة تتعلق بعرض نساء النبي ﷺ وليس بأي أمرٍ آخر ؟ ..

.. وحتى لو طلقنا عقولنا وصدقنا ما ورد في تأويل هذه الرواية ، فما علاقة عدم قتله نتيجة انتفاء الزنا ، ما علاقة ذلك بنفاقه ؟ أين هي العلاقة بين هاتين المسألتين في ظاهر صياغة هذه الرواية ؟ .. ثم هل عقوبة النفاق هي القتل ؟!!! .. أليس القول بعدم صحة هذه الرواية أفضل من تأويلها تأويلاً لا تحمله لا من قريب ولا من بعيد ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ومن تأويل هذه الرواية وغيرها الكثير نرى أن ما يُسمى بعلوم الحديث وتأويلها ، لا يستند إلى أي منهجية علمية ، وأن هذه العلوم تهدف إلى خلق التبريرات للإيهام بصحة كل ما جاء في الصحاح ، مهما بلغت درجة القفز فوق قواعد اللغة العربية وثوابت العقل والمنطق .. من تأويل هذه الرواية وغيرها الكثير ندرك أن كل ما نتج عن

المعايير التاريخية ، لا يمكنه أن يصل إلى درجة المقدس مهما هرج المهرجون ومهما
خطب عابدين أصنام التاريخ على العوام ..

.. ولم تقف الإساءة لشخص النبي ﷺ عند هذا الحد ، بل تعدتها إلى نسب الأكاذيب
إلى أفعاله ﷺ ، لجعل ذلك شريعة يريدون من البشر القيام بها كسنة .. لننظر في الحديث
التالي ..

البخاري (١٧٩٢) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ
أَمْلَكُكُمْ لِأَرَبِهِ وَقَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَآرِبُ حَاجَةَ قَالَ طَاوُسٌ غَيْرِ أَوْلِي الْأَرَبَةِ الْأَحْمَقُ لَا حَاجَةَ
لَهُ فِي النَّسَاءِ

مسلم (١٨٥٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ
الْأَخْرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا ح وَحَدَّثَنَا شُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ
مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَهُوَ
صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لِأَرَبِهِ

أبو داود (٢٠٣٤) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ
قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ كَانَ
أَمْلَكَ لِأَرَبِهِ

أحمد (٢٣٠٢٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ كَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ

.. ولننظر في المقاطع التالية التي بحتزئها من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخص هذا الحديث :

[[وعرف من طريق إسرائيل سبب تحديث عائشة بذلك واستدراكها على من حدث عنها به على الإطلاق بقولها " ولكنه كان أملككم لإربه " فأشارت بذلك إلى أن الإباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يأمن من الوقوع فيما يحرم . وفي رواية حماد عند النسائي " قال الأسود قلت لعائشة أيباشر الصائم ؟ قالت : لا . قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم ؟ قالت : إنه كان أملككم لإربه " وظاهر هذا أنها اعتقدت خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، قاله القرطبي .]]

وهذا مقطع آخر :

[[ويدل على أنها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص ما رواه مالك في " الموطأ " عن أبي النضر " أن عائشة بنت طلحة أخبرته أنها كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلِكَ فتلاعبها وتقبلها ؟ قال أقبلها وأنا صائم ؟ قالت نعم " قوله : (كان يقبل ويباشر وهو صائم) التقبيل أخص من المباشرة ، فهو من ذكر العام بعد الخاص ، وقد رواه عمرو بن ميمون عن عائشة بلفظ " كان يقبل في شهر الصوم " أخرجه مسلم والنسائي ، وفي رواية لمسلم " يقبل في رمضان وهو صائم " فأشارت بذلك إلى عدم التفرقة بين صوم الفرض والنفل . وقد اختلف في القبلة والمباشرة للصائم : فكرهها قوم وهو مطلقا وهو مشهور عند المالكية ، وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر " أنه كان يكره

القبلة والمباشرة " ونقل ابن المنذر وغيره عن قوم تحريمها ، واحتجوا بقوله تعالى (فالآن باشروهن) الآية . فمنع المباشرة في هذه الآية نهائياً ، والجواب عن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ، هو المبين عن الله تعالى ، وقد أباح المباشرة نهائياً فدل على أن المراد بالمباشرة في الآية الجماع لا ما دونه من قبلة ونحوها ، والله أعلم]] ..
.. وهذا مقطع آخر ..

[] وأباح القبلة قوم مطلقاً وهو المنقول صحيحاً عن أبي هريرة وبه قال سعيد وسعد بن أبي وقاص وطائفة ، بل بالغ بعض أهل الظاهر فاستحبها ، وفرق آخرون بين الشاب والشيخ فكرهها للشاب وأباحها للشيخ وهو مشهور عن ابن عباس أخرجه مالك وسعيد بن منصور وغيرهما ، وجاء فيه حديثان مرفوعان فيهما ضعف أخرج أحدهما أبو داود من حديث أبي هريرة والآخر أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفرق آخرون بين من يملك نفسه ومن لا يملك كما أشارت إليه عائشة وكما تقدم ذلك في مباشرة الحائض في كتاب الحيض . وقال الترمذي : ورأى بعض أهل العلم أن للصائم إذا ملك نفسه أن يقبل وإلا فلا ؛ ليسلم له صومه ، وهو قول سفيان الشافعي ، ويدل على ذلك ما رواه مسلم من طريق عمر بن أبي سلمة وهو ربيب النبي صلى الله عليه وسلم أنه " سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيقبل الصائم ؟ فقال : سل هذه - لأم سلمة - فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك . فقال : يا رسول الله قد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . فقال : أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له " فدل ذلك على أن الشاب والشيخ سواء ، لأن عمر حينئذ كان شاباً ، ولعله كان أول ما بلغ وفيه دلالة على أنه ليس من الخصائص ، وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن عطاء بن يسار " عن رجل من الأنصار أنه قبل امرأته وهو صائم ، فأمر امرأته أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن

ذلك ، فسألته فقال إني أفعل ذلك ، فقال زوجها : يرخص الله لنبيه فيما يشاء .

فرجعت فقال : أنا أعلمكم بحدود الله وأتقاكم [[

.. أليست هذه التأويلات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، أليست متناقضة

فيما بينها ؟ .. أليست العبارة : [[وظاهر هذا أنها اعتقدت خصوصية النبي صلى الله

عليه وسلم بذلك]] ، أليست تناقض العبارات : [[فقالت له عائشة : ما يمنعك أن

تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبلها ؟ قال أقبلها وأنا صائم ؟ قالت نعم " قوله : (كان يقبل

ويباشر وهو صائم) التقبيل أخص من المباشرة ، فهو من ذكر العام بعد الخاص]] !!!؟

.. ألم يُخْتَلَفَ في هذه المسألة بناءً على هذه الروايات وتأويلاتها !!!؟ ..

.. وحتى لو كان المخاطب هو عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر .. فكيف يُفترى

على عائشة أنها قالت له : [[ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبلها]] ... فهل

يليق ذلك بالحشمة التي اتصفت بها أزواج النبي ﷺ !!!؟ .. ومهما كانت قرابة الرجل

للمرأة ، فكيف لهذه المرأة أن تطلب منه - بحضور زوجته - ملاعبة تلك الزوجة وتقبلها

.. !!!؟

.. ولو كان هناك ذرة تدبر لكتاب الله تعالى ، لو كان ذلك ، هل كان من الممكن

أن تصل إلينا مثل هذه الروايات وأن تُرفع إلى درجة المقدس وأن تُعتبر جزءاً من المنهج

ومصدراً للتشريع !!!؟ .. ألم يقرأ علماء هذه الروايات قول الله تعالى :

﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ

عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْقِنَ

بَشِرُوهُنَّ وَأَتَّغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ

عَنِكَ فَوْنَ فِي الْمَسْجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ [البقرة : ١٨٧]

.. أليست الكلمتان ﴿ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾ تُبَيِّنَانِ لَنَا أَنَّ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ رَفَثٍ
وَمُبَاشَرَةٍ وَتَقْبِيلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، هُوَ فِي لَيْلَةِ الصِّيَامِ فَقَطْ ، أَي بَعْدَ دُخُولِ اللَّيْلِ وَقَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ
لَنَا الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ؟ .. أليست العبارة القرآنية : ﴿ فَالَّذِينَ
بَشَرُوهُمْ ﴾ تَبِيحُ الْمُبَاشَرَةِ أَثْنَاءَ لَيْلَةِ الصِّيَامِ فَقَطْ ، شَأْنَهَا بِذَلِكَ شَأْنُ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ :
﴿ فَالَّذِينَ بَشَرُوهُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۗ ﴾ .. وبالتالي ألا
تَحْمِلُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَكْمًا وَاضِحًا جَلِيًّا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ ذَلِكَ فِي نَهَارِ الصِّيَامِ ..
.. أَلَمْ يُحَرِّمِ اللَّهُ تَعَالَى الرَّفَثَ فِي مَكَانٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۗ
وَأَتَّقُوا يَتَأْتَى الْآلَبَابُ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

.. فَهَلْ كَلِمَةُ رَفَثٍ تَخْتَلِفُ مَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ؟!!! .. أَمْ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ تِلْكَ
الْأَكَاذِيبَ الْمَوْضُوعَةَ فِي فَرِيضَةِ الْحَجِّ ؟!!! .. أَلَمْ يَجْعَلُوا هَذِهِ الرُّوَايَاتِ حُجَّةً عَلَى كِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَإِلَّا كَيْفَ بَنَى أَنْ نَفْهَمُ الْعِبَارَاتِ التَّالِيَةَ الَّتِي رَأَيْنَاهَا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ :
[[وَنَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُ عَنِ قَوْمٍ تَحْرِيْمُهَا ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَالَّذِينَ بَشَرُوهُمْ)
الآيَةَ . فَمنَعِ الْمُبَاشَرَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَهَارًا ، وَالْجَوَابُ عَنِ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، هُوَ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَبَاحَ الْمُبَاشَرَةَ نَهَارًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُبَاشَرَةِ فِي
الآيَةِ الْجَمَاعَ لَا مَا دُونَهُ مِنْ قِبَلَةٍ وَنَحْوِهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ]]. .. هَلْ تَبَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ لِكِتَابِ

الله تعالى ، هل هو إلغاءً لدلالات النصِّ القرآني الواضحة وضوح الشمس وسط النهار
 ؟!!! .. أليس تأويلهم هذا دليلاً على أن رواياتهم هذه أعظمُ قدسيَّةً وأهميَّةً - عندهم -
 من القرآن الكريم .. وإلا كيف بنا أن نفهم ردِّهم على من يضعُ كتابَ الله تعالى معياراً
 لروايات التاريخ : **[[والجواب عن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ، هو المبين عن الله
 تعالى ، وقد أباح المباشرة نهاراً]]** ..

.. ألا تُخالفُ تلك الروايات صريحَ كتابِ الله تعالى ، وفي الوقتِ ذاته تُسيءُ
 للإسلام ولشخصِ النبي ﷺ ، وتُعطي أحكاماً ينقضُها كتابُ الله تعالى جملةً وتفصيلاً ؟ ..
 نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..
 .. ولم تقتصر الإساءةُ إلى النبي ﷺ بوصفه يباشر النساء وهو صائم ، إنما تعدت ذلك
 إلى وصفه يباشر النساء وإحداهنَّ في فور حيضتها .. لننظر إلى الحديث التالي :

البخاري (٢٩١) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ هُوَ
 الشَّيْبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ
 حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَزَرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا
 ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيْكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ تَابِعَهُ
 خَالِدٌ وَجَرِيرٌ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ

مسلم (٤٤١) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ح وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ
 حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ
 عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنْ تَتَزَرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيْكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ

.. لماذا يُباشِرُ ﷺ حائضاً في الوقت الذي يقولون فيه تُوجدَ عنده إحدى عشرة امرأة
 !!!؟ .. وكيف يُباشِرُ حائضاً وهو الذي نزلَ عليه قولُ الله تعالى : ﴿ وَدَسَّأَلُونَكَ عَنِ
 الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ
 فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
 الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .. وإذا كان يملك ﷺ إربيه فهل تملك المرأة الحائضُ
 إربيهما !!!؟ .. هذه المرأة الحائضُ أليست بشراً لا تستطيعُ أن تتخلى عن طبيعتها الفطرية
 كأنثى !!!؟ هل حَسَبَ واضعو هذه الروايات لها حساباً في ذلك !!!؟ .. ألم يتكئ على
 مثل هذه الروايات الملققة الكثيرون من المسيئين لشخص النبي ﷺ !!!؟ .. نترك الإجابة
 لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..
 ولننظر في الرواية التالية كم تحمل من الإساءة للنبي ﷺ ..

مسلم (٢٤٩١) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ
 عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَآتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ
 مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ
 وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ
 حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ أَبِي الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا
 أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَذَكَرَ بِمَثَلِهِ غَيْرَ
 أَنَّهُ قَالَ فَآتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً وَلَمْ يَذْكُرْ تَدْبِيرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ

.. ولننظر في النص التالي من شرح هذا الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ..

[] ومعنى الحديث : أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته

أو جاريتها إن كانت له ، فليواقعها ليدفع شهوته ، وتسكن نفسه ، ويجمع قلبه على ما

هو بصدده . [] ..

.. وهنا أتوجه إلى كل عاقل يحمل في نفسه ذرة احترام للنبي ﷺ ، وذرة إدراك لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، فأقول له : هل هؤلاء الذين يستमितون في الدفاع عن هذه الروايات التي تصوّر النبي ﷺ رجلاً يشتهي النساء التي يراها لدرجة يذهب فيها لإفراغ شهوته الناتجة عن هذه الرؤية في نسائه ، هل هؤلاء يدافعون عن شخص النبي ﷺ أم يسيئون له ؟!!! .. أترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. ومن جملة الأحاديث التي افتروها على النبي ﷺ والتي يصورونه بها بأنه يحتقر النساء ، تلك الأحاديث التي تُشبه المرأة بالكلاب والحمير .. لننظر إلى الروايات التالية ، كيف أنّها تصوّر هذا الافتراء على الرسول ﷺ ، وفي الوقت ذاته كيف أنّها متناقضة فيما بينها ..

مسلم (٧٩٠) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُخْزُومِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَصَمِّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ

مسلم (٧٩٤) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ قَالَ ح وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ ح قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنِي مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ وَذَكَرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَمِيرِ وَالْكَلابِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً فَتَبَدُّو لِي الْحَاجَةَ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْسَلُ مِنْ عِنْدِ رَجُلِيهِ

البخاري (٤٦٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ بِالْبَطْحَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةُ الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ تَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَرْأَةِ وَالْحِمَارُ

البخاري (٤٨٩) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ بِنَسَمَا عَدَلْتُمُونَا بِالْكَلْبِ وَالْحِمَارِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ غَمَزَ رَجُلِي فَقَبَضْتُهُمَا

.. أليس قول عائشة في هذه الروايات [[قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَوْبِيرِ وَالْكَلابِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةٌ فَتَبَدُّو لِي الْحَاجَةَ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْسَلُ مِنْ عِنْدِ رَجُلَيْهِ]] ، وكذلك قولها [[بِنَسَمَا عَدَلْتُمُونَا بِالْكَلْبِ وَالْحِمَارِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ غَمَزَ رَجُلِي فَقَبَضْتُهُمَا]] ، وكذلك القول [[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمْ بِالْبَطْحَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةُ الظُّهْرِ رَكَعَتَيْنِ وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ تَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْمَرْأَةِ وَالْحِمَارُ]] ، أليس ينقض القول الموضوع على الرسول ﷺ بأنه قال : [[يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ]] !!!؟ ..

.. أليس قول عائشة [[قَدْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحَوْبِيرِ وَالْكَلابِ]] لوحده ، وكذلك قولها [[بِنَسَمَا عَدَلْتُمُونَا بِالْكَلْبِ وَالْحِمَارِ]] لوحده ، أليس يكفي - أولي الألباب - لنقض قول أبي هريرة الذي ينسبه للنبي ﷺ بأنه قال [[يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ]]

!!!؟ .. ولماذا الحمار والكلب بالذات ؟!!!؟ .. أليس هذا وضعاً مقصوداً للإساءة للنبي ﷺ ، وللمرأة ، وللإسلام ؟!!!؟ ..

.. ألا تتناقض صياغة هذه الروايات تناقضاً لا يمكن الجمع بينه إلا بإخراج هذه الروايات من إطار ظاهر صياغتها اللغوية ، وبإضافة تبريرات وتخريجات من جيوبنا لا وجود لها على الإطلاق في صياغة هذه الروايات ؟!!!؟ .. وكيف بنا أن نستنبط أحكاماً من جملة هذه الروايات المتناقضة ؟!!!؟ .. أليس تطبيق العقل ضرورة لا بد منها حتى يتم التفاعل مع منهجهم التراثي الجمعي دون انتباه لحقيقة هذه المتناقضات ؟!!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. ومن جملة الأحاديث التي تم افتراؤها على النبي ﷺ ، تلك التي يصورونه بها بأنه يحتقر جنس النساء .. فحسب ما يفترى على الرسول ﷺ ، لولا حواء لم تخن زوجة زوجها .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣١٤٧) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ أَنْتِي زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مسلم (٢٦٧٤) :

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهِ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبِثُ الطَّعَامُ وَلَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ أَنْتِي زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مسلم (٢٦٧٣) :

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ أَبَا
يُؤُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْلَا
حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْتَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ

ولننظر في النصّ التالي من صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ هذا الحديث :

[[ومعنى هذا الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهتها ونزع العرق لما جرى في قصة

الشجرة مع إبليس فزّين لها أكل الشجرة فأغواها فأخبرت آدم بالشجرة فأكل منها]]

.. قبل أيّ شيء .. لم يذكر لنا القرآن الكريم في قصة هذه الشجرة أنّ وسوسة الشيطان كانت لحواء دون آدم .. ففي كتاب الله تعالى نرى أنّ وسوسة الشيطان كانت لآدم عليه السلام ، وله ولزوجه ، ولم تكن لزوجه فقط :

﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا

نَهَيْتُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [

الأعراف : ٢٠]

﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّكِدُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا

يَبْتَلِي ﴾ [طه : ١٢٠]

.. فالقرآن الكريم لم يذكر - أبداً - أنّ الشيطان وسوس لحواء كي تزّين لآدم عليه

السلام ارتكاب الخطيئة ، كما هو وارد في شرحهم لهذه الرواية الموضوعية ..

.. وبيّن لنا القرآن الكريم أنّه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ

جَمَلِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر : ١٨] .. إذا .. كيف تُحْمَلُ

حواء حيانة آية زوجة لزوجه في كلّ زمانٍ ومكانٍ كونها : [[أم بنات آدم فأشبهتها

ونزع العرق لما جرى في قصة الشجرة مع إبليس]]

، كما يُلبّس في شرح هذا الحديث الموضوع !!!؟

.. وحسب مبدأ اللامنطق الذي تحمله هذه الرواية الموضوعية ، وحسب مبدأ تغييب العقل الذي يسعون جاهدين لفرضه على فكر الأمة ، لماذا لا يُحْمَلُونَ آدَمَ هذه الخيانة الزوجية عن الرجال الذين يخونون زوجاتهم في كلِّ زمانٍ ومكان ، كونه أباً لأولاد آدم فيشبهونه ويتزع العرق لِمَا جرى في قصّة الشجرة ، حيث وسوس إليه الشيطان ليس بعد وسوسته لحواء؟!!!!!!! ..

.. ثمَّ كيف بنا أن نفهمَ العبارة الواردة في هذا الحديث : **[[لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبُثُ الطَّعَامُ وَلَمْ يَخْتَزِ اللَّحْمُ]]** !!!؟ .. لننظر في النصّ التالي من صحيح مسلم بشرح النووي فيما يتعلّق بهذا الحديث :

[[قال العلماء : معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المنّ والسلوى نُهوا عن ادّخارهما فادّخروا ففسد وأنتن واستمرّ من ذلك الوقت والله أعلم]] ..

.. فما علاقة بني إسرائيل في أن يَخْبُثَ الطعام وأن يتغيّر اللحم وأن ينتن ويفسد؟!!!! .. وهل لم يَخْبُثَ الطعام ولم يَخْتَزِ اللحم فيتغيّر وينتن ويفسد إلا منذ وُجد بنو إسرائيل ، ومنذ أن أنزل الله تعالى عليهم المنّ والسلوى؟!!!! .. نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. ولم تقفِ الإساءة في الروايات لشخص النبي ﷺ عند هذه الحدود ، بل تعدّتها إلى تصويره رجلاً يُرهن درعه ليهودي من أجل شعيرٍ يريدُه طعاماً لعياله .. لننظر في الروايات التالية ..

البخاري (٢٧٠٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تُوْفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ وَقَالَ يَعْلى حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ وَقَالَ مُعَلَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ وَقَالَ رَهْنُهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ

الترمذي (١١٣٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَعُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ
عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تُوْفِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ بِعِشْرِينَ صَاعًا
مِنْ طَعَامٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
أحمد (٢٠٠٥) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَخَذَهَا رِزْقًا لِعِيَالِهِ
النسائي (٤٥٧٢) :

أَخْبَرَنَا يُوْسُفُ بْنُ حَمَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ
صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ لِأَهْلِهِ

.. وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويلٍ من جيبه بأن الشعير إنما كان لضيفٍ طارئٍ أو
لحالة طارئة ، قبل ذلك ، لننظر في العبارات الواردة في هذه الروايات : [] ... ((وَدِرْعُهُ
مَرْهُونَةٌ بِعِشْرِينَ صَاعًا مِنْ طَعَامٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ)) .. ((وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ
عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَخَذَهَا رِزْقًا لِعِيَالِهِ)) .. ((وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ
بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ لِأَهْلِهِ)) .. [] ... فالدرع تم رهنه لشعير هو طعام لأهل النبي
ﷺ ولعياله ، حسب نصوص هذه الروايات الموضوعه ..

.. ألم يقل الله تعالى :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى
طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ
وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿ [الأحزاب : ٥٣]

.. ألا نرى في هذه الآية الكريمة أن بيوت النبي ﷺ كانت مركزاً لإطعام الناس ، وأن
الناس هم الذين كانوا يأتون إلى بيوت النبي ﷺ لأكل الطعام ولاستعارة المتاع ، لا العكس
؟ .. فكيف إذا يموت النبي ﷺ ودرعه مرهونة لشعير من عند يهودي أخذه كطعام لعياله
.. !!!؟

.. ولنقارن هذه الروايات مع قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ

ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿ [الضحى : ٦ - ٨] .. ألم يبين الله تعالى لنا
في هذه الآيات أنه لم يجعل نبيه ﷺ محتاجاً لأحد .. وأنه أغناه ؟ .. إن حدود الإساءة للنبي
ﷺ بشكل خاص وللأمة بشكل عام ، لم تقف عند تصويره يرهن درعه من أجل الشعير
لعياله ، بل تعدت ذلك إلى أن هذا الرهن كان لليهودي .. وكأنه لا يوجد في الأمة من
كان يُجهز الجيوش الفاتحة ، وكأنه لا يوجد في الأمة من يستطيع أن يكفي النبي ﷺ من
أي حاجة .. وكيف تتوافق المرتبة التي وضعوا هم بها الصحابة بأنهم عدولٌ وفوق الجرح
وبأنهم كانوا يفدون النبي ﷺ بأنفسهم .. كيف تتوافق هذه المرتبة مع ترك هؤلاء الصحابة
لنبيهم يرهن درعه لليهودي من أجل شعير يطعم به عياله ؟!!!!!! ..
.. ثم كيف يرهن النبي ﷺ درعه من أجل شعير يأخذه رزقاً لعياله وهو الذي كان
يوزعُ بيديه مئات الإبل قبل ذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣٩٩١) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا أَعْطَى الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنْ
الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُبَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى نَاسًا فَقَالَ رَجُلٌ مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهَ اللَّهِ فَقُلْتُ
لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُؤْيِي بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ

.. ومن كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري نقتطع النص التالي فيما يخص

شرح هذا الحديث :

[[..... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفَةَ قلوبهم من سبي حنين

مائة من الإبل . فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى

عبيدة بن حصن مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة ،

وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة]]

.. كيف يُعطي ﷺ كلَّ فردٍ من هؤلاء الأفراد مائة من الإبل ، وبعد ذلك يُرهنُ دِرْعَهُ

ليهوديٍّ من أجل شعيرٍ يُريده رزقاً لعياله ؟!!! .. نترك الإجابة لمن يُصدِّقُ قولَ الله تعالى

: ﴿ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴾ .. نترك الإجابة لمن يعتقدُ أنَّ النبيَّ ﷺ على درجةٍ من

الخلق بحيث لا يُرهنُ رمزَ شرفه وعرضه وآلية دفاعه عن دينه من أجل الشعير .. نترك

الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. إنَّ أصحابَ الفكر التراثي الجمعي ، الذين يدعون إلى تطليق العقل ، يهربون من

مواجهة الحقائق والبراهين التي تُقدِّمها بمقولة يستدرِّون بها عطفَ العوام ، فيقولون : من

يتحدَّث بأمر الدين لا بُدَّ أن يكون مُختصّاً ، بمعنى أن يكون منتمياً للمؤسسة الدينيَّة ،

وأن لا يخرج على تعاليمها وثوابتها ، ويقولون لماذا في العلوم الأخرى ، كالطب والهندسة

والكيمياء والفيزياء .. لماذا لا يتحدَّث بها إلا المختصون ؟ ... هذه المقولة لا تُحمَلُ على

أيِّ قيمةٍ علميَّة ، فالعلوم الأخرى مبنية على ثوابتٍ وبراهينٍ علميَّةٍ مُجرَّبةٍ على مادةِ

الطبيعة الموجودة بين أيدينا ، وعلى الرغم من ذلك نرى أنَّ العلماء يُصحِّحون فرضياتهم

من قرنٍ إلى آخر ، بناءً على اكتشافاتهم المتجدِّدة على المادة الموجودة بين أيديهم ، ونرى

إجماعاً ، أو شبه إجماع على الكثير من فرضيات العلوم الكونيَّة ..

.. والعلوم الحقّ للقرآن الكريم والمبنية على حيثيات صياغة النصّ القرآني وثوابت

العقل المجرّد والمنطق ، والمحمولة بالحجج والبراهين بعيداً عن روايات التاريخ .. هذه العلوم

تُعدُّ أساساً للبحث ومعياراً لفكر الأمة ، وهذا لا يمنع أن يتجدَّد فهمنا لدلالات النصّ

القرآني نتيجة رؤية جديدة لدلالات يحملها النص القرآني لم تكن قد كشفت سابقاً .. ولذلك فإنَّ وُجِدَ اختلافٌ في مسائل تتعلّق بالدراسات القرآنيّة البحتة ، فإنَّ ذلك يعودُ إلى أهوائنا ورؤانا المختلفة ، وإلى ما نحملُ من شِقَاقٍ في أنفسنا ، ولا يعودُ إلى كتابِ الله تعالى الذي يسرّه للتدبّر .. يقولُ تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ

بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٦]

.. أمّا بالنسبة للتاريخ ورواياته التي يزعمُ عابِدو أصنام التاريخ أنَّ كلَّها سنّة ، فالمسألةُ مختلفةٌ تماماً ، والدراسةُ في ذلك تُبنى على المقاربة ، ولا تخلو من الأخطاء والأهواء والعصبيّات ، ولذلك من المستحيل أن يكون هناك إجماعٌ على مسائلٍ تعتمدُ على مادّة التاريخ ... والمؤسّسات الدينيّة التي تُقدّمُ نفسها ناطقةً باسمِ الله تعالى ، وأنّه لا يجوز لغير رجالِها أن يتحدّثَ باسمِ الدين ، هذه المؤسّسات ، لا تتبنّى منهجاً مبنياً على ثوابتِ كتابِ الله تعالى والعقل والمنطق ، ومعظمُ مادّةِ بحثها نراه مبنياً على رؤيةٍ مسبقةٍ الصنع لجوانبٍ معيّنة من التاريخ .. وحتى من يخرج من أفراد هذه المؤسّسات الدينيّة على تعاليمها ، يُكفّر ويُتهم بسيولٍ من التهم الموجودة مُسبقاً في جيوبهم ..

.. لذلك فمقولة الاختصاص التي يحتجّون بها ، لا قيمة لها ، وكان من المفروض أن

يقولوا إنَّ معيارَ الحقِّ هو : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾^ط ، وهذا ما نراه محمولاً في الآية

الكريمة : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهَا ءِآهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ

مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤]

.. فبقوله تعالى : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي ﴾^ط بعد العبارة القرآنيّة :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾^ط ، في ذلك إشارةٌ إلى أنَّ الذكر الذي نُزِّلَ على النبيِّ ﷺ ، هو

معيار البرهان الذي يُطلَبُ تقدّمه ..

.. علومهم المبنية على التاريخ والتي يقدمونها على أنها منهجية ولها مؤسساتها ، لماذا لم تأخذهم إلى إزالة هذه الرواسب من كتب التاريخ ، وإلى تنقية تلك الكتب من الدس والافتراء والوضع الذي لا يحمل للأمة إلا كل سوء .. علومهم المبنية على التاريخ والتي يقدمونها على أنها منهجية ولها مؤسساتها ، لماذا لم توحّد الأمة خلال هذه القرون الكثيرة ، ولماذا لا تزيد الأمة إلا تفرقة وتمزيقاً ؟!!! ..

ألا يخشى عابدو أصنام التاريخ أن يحشروا يوم القيامة مع المعنّيين في قوله تعالى ..

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ

مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٧ - ٦٨]

.. ألا يخشى عابدو أصنام التاريخ أن يكونوا كالمعنّيين في قوله تعالى ..

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١]

.. ما رأيناه حتى الآن من روايات تُسيءُ لكتاب الله تعالى ولنبيه ﷺ ، هو نموذج

بسيط .. فالروايات التي لا يقبلها كتابُ الله تعالى ولا العقل ولا المنطق كثيرة ، وفي المحطّة القادمة سنقف - إن شاء الله تعالى - عند مجموعة منها ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثانية عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. عندما يفهم الإنسان ما يسمعه وفق ما تهوى نفسه ، دون أي اعتبار لحقيقة المسموع .. وعندما يدرك ما يراه وفق ما يريد ، دون أي اعتبار لحقيقة المرئي .. وعندما يفهم ما يقرأ كما يحلو له ، دون أي اعتبار لحقيقة صياغة النص المقروء .. حين ذلك .. تكون ساحة الوعي والإدراك عنده قد غرقت في مستنقع ذاته بما تحمل من عصبية وهوى وخروج عن الحق .. وحين ذلك تتحول الوسيلة عنده إلى غاية ، وتتحول الغاية إلى وسيلة ، وحين ذلك تنقلب المعايير ويسير باتجاه الوراثة ليكون مشمولاً مع الذين يعينهم قول الله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ

آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٦]

.. هذا ما حصل ويحصل مع عابدي أصنام التاريخ في كل زمان ومكان ، يضعون التاريخ غاية مقدسة ، ويجعلون من منهج الله تعالى وسيلة لخدمة تلك الغاية ، وبالتالي يُنحى العقل الجرد جانباً ، ويُستبدل بهوى تدفعه العواطف الهوجاء ، ويتحوّل هذا الهوى رويداً رويداً إلى مُقدّسٍ يحلّ مكان منهج الله تعالى .. هذا مكمّن كلّ العصبيّات التي كانت وراء محاربة مناهج الله تعالى التي بعثها مع رسله عليهم السلام .. فالمشكلة التي واجهها كلُّ الرسل عليهم السلام مع أقوامهم تتلخص في أتباع تلك الأقوام لموروث الآباء والأجداد ، دون تعقلٍ منهج الله تعالى بشكلٍ جردٍ عن ذلك الموروث .. والنتيجة يصفها قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١١) وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ

ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس : ٩٦ - ٩٧]

.. لنقف عند مسألة زواج النبي ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان .. نحن نعلم أنّ زواجه منها كان قبل فتح مكة بفترة زمنية تُقدّر بالسنين .. ففي فتح مكة كانت أم حبيبة زوجةً للنبي ﷺ منذ سنين .. هذه الحقيقة التاريخية نراها تصطدم مع روايةٍ في صحيح مسلم ، تُصور لنا أنّ النبي ﷺ لم يكن متزوجاً من أم حبيبة حين فتح مكة ..

مسلم (٤٥٥٧) :

حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمَعْقَرِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا النَّضْرُ وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدِ الْيَمَامِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ حَدَّثَنَا أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَأَ يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثُ أَعْطَيْتَهُنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أُزَوِّجُكَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمُعَاوِيَةُ تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أَقَاتِلَ الْكُفَّارَ كَمَا كُنْتُ أَقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ نَعَمْ

.. كيف يعرضُ أبو سفيانُ أمَّ حبيبة على النبي ﷺ للزواج ، وهو متزوجٌ منها منذ سنين ؟ .. أليس هذا تناقضاً تاريخياً يجعلُ من هذه الرواية كاذبةً ولا أساسَ لها من الصحة ؟ .. هذا ما يقوله العقلُ والمنطق .. ولكنَّ الذين وضعوا هذه الروايات غايةً لا بُدَّ من تخريجها مهما حملت من التناقض .. هؤلاء يؤوِّلون كما تموى أنفسهم ، ومهما خرج تأويلهم على حدود اللغة والعقل والمنطق .. والكارثة الكبرى أن تأويلهم هذا يُطلقون عليه اسمُ : علم تأويل مختلف الحديث ، ويريدون فرضه على الأمة على أنه جزءٌ من المنهج ... لكي نرى هذه الحقيقة بأمِّ أعيننا ، ما علينا إلا أن ننظرَ في النصِّ التالي الذي نقتطعه من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، وذلك فيما يخصُّ تفسيرَ هذا الحديث :

[[..... واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ، ووجه

الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة ، وهذا مشهور لا خلاف فيه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل . قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور : تزوجها سنة ست ، وقيل : سنة سبع . قال القاضي عياض : واختلفوا أين تزوجها ؟ فقيل : بالمدينة بعد قدومها من الحبشة ، وقال الجمهور : بأرض الحبشة . قال : واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك ؟ فقيل : عثمان ، وقيل : خالد بن سعيد بن العاصي بإذنها ، وقيل : النجاشي لأنه كان أمير الموضع وسلطانها . قال القاضي : والذي في مسلم هنا أنه تزوجها أبو سفيان غريب جدا . وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور . ولم يزد القاضي على هذا . وقال ابن حزم : هذا الحديث وهم من بعض الرواة ؛ لأنه لا خلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر ، وهي بأرض الحبشة ، وأبوها كافر . وفي رواية عن ابن حزم أيضا أنه قال : موضوع قال : والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل . وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه . قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان

هجوماً على تخطئة الأئمة الكبار ، وإطلاق اللسان فيهم . قال : ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث ، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما ، وكان مستجاب الدعوة . قال : وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة ؛ لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطيباً لقلبه ؛ لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج ابنته بغير رضاه ، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد ، وقد خفي أوضح من هذا على أكبر مرتبة من أبي سفيان ممن كثر علمه وطالت صحبته . هذا كلام أبي عمرو رحمه الله ، وليس في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم جدد العقد ، ولا قال لأبي سفيان إنه يحتاج إلى تجديده ، فلعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله : نعم إن مقصودك يحصل وإن لم يكن بحقيقة عقد . والله أعلم . ..

.. هذا نصٌّ يُبَيِّنُ كيف أن ما يُسمَّى بعلم تأويل مختلف الحديث ، لا علاقة له بأي وجه من وجوه العلم لا من قريب ولا من بعيد .. لننظر كيف يؤوّل المؤوّلون .. يقولون : **[[لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطيباً لقلبه ؛ لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج ابنته بغير رضاه ، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد]]** .. القضية إذاً قضية احتمالات للخروج من تناقض لا يتم الخروج منه إلا بإلغاء العقل من أساسه ... أين العبارات الواردة في متن هذه الرواية والتي تحمل تأويلاتهم التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ؟!!! .. ولماذا لا نرى في متن الرواية ذاتها ما يشير مجرد إشارة إلى تأويلاتهم المتناقضة ؟!!! .. أليست التأويلات المختلفة والمتناقضة للمتن ذاته والتي يُوتى بها من الجيوب ، أليست دليلاً على أن هذا التأويل ليس أكثر من ذرٌّ للرماد في العيون الباحثة عن الحقيقة ؟!!! ..

.. ألا نرى أن كلمة **[[عِنْدِي]]** في العبارة الواردة في هذا الحديث **[[قَالَ عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أَرْوَجُهَا قَالَ نَعَمْ]]** ، ألا نرى أنها

تتسلف كل هذه التأويلات ، التي لا وجود لها - أصلاً - في صياغة هذه الرواية ... فأما حبيبة - لم تكن آنذاك - عند أبي سفيان ، والكلمة المنسوبة في هذه الرواية لأبي سفيان **[[عِنْدِي]]** تعني أنها كانت عنده ، وهذا يُناقض وجودها عند النبي ﷺ زوجة له قبل ذلك بمدّة تُقدَّر بالسنين .. هكذا يفهم كل من يُدرك الحدّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة ، وهذا ما أدركه ابن حزم .. ولذلك قال عن هذه الرواية بأنّها موضوعة ..

.. وسياق متن هذه الرواية يُؤكّد أنّها موضوعة .. فحسب هذه الرواية طلب أبو سفيان من النبي ﷺ أن يتزوَّج النبيّ ابنته أمّ حبيبة ، لسبب هو أن المسلمين كانوا لا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ .. وبالتالي يُريد أبو سفيان أن يتزوَّج النبيّ بابنته أمّ حبيبة وبالتالي تنتقل أمّ حبيبة إلى بيت النبيّ ، وبالتالي يعلم المسلمون بذلك الزواج ، وبالتالي ينظر المسلمون إليه ويقاعدونه ، نتيجة اقتراب أبي سفيان من النبيّ بهذا الزواج ، هكذا ينطق نصّ هذه الرواية : **[[كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ فَقَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ثَلَاثُ أَعْطَيْنِهِنَّ قَالَ نَعَمْ قَالَ عِنْدِي أَحْسَنَ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ أَزَوَّجُكُمَا قَالَ نَعَمْ]]** ..

.. وهنا نسأل السؤال التالي : هل المسلمون الذين كانوا لا يَنْظُرُونَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ ، هل كانوا يعلمون أنّ النبيّ ﷺ متزوَّج من أمّ حبيبة أم لا ؟!!! .. وهل كانوا يعلمون أنّها موجودة منذ سنين في بيت النبيّ وليس في بيت أبي سفيان أم لا ؟!!! .. بالتأكيد كانوا يعلمون ذلك .. وبالتالي وحسب سياق متن هذه الرواية ، فإنّ طلب أبي سفيان من النبيّ بأن يتزوَّج أمّ حبيبة لا علاقة له على الإطلاق بكلّ التبريرات التي نراها لذرّ الرماد في العيون من أجل الإيهام بصحّة هذه الرواية المكذوبة ..

.. ونهاية الحديث : **[[وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ نَعَمْ]]** .. هذه النهاية ، تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ طَلَبَ تَزْوِيجَ أُمِّ حَبِيبَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ .. وحتى لو هبطنا فِكرًا وإدراكًا إلى

مستوى التأويلات التي نراها ، هل زواج النبي ﷺ من أم حبيبة ليس شرعياً فترة تُقدَّرُ بالسنين ، إلى أن طلب أبو سفيان وقوع هذا الزواج وأعطاه النبي ﷺ ذلك ؟!!! ..
 .. لننظر في شرح هذا النص كيف يُصَادَرُ العقل ، وكيف يُتَّهَمُ المُلتزِمُ بقواعد اللغة العربية في تدبره لهذا النص ، والذي يجعل بأن يأتي بتأويلات من جيبه لا علاقة لها بصياغة الرواية .. لننظر كيف يُتَّهَمُ بأنه يهاجم الأئمة الكبار ويخطئهم .. [وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم ، وبالغ في الشناعة عليه . قال : وهذا القول من جسارته فإنه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار ، وإطلاق اللسان فيهم]
 إذا المسألة لا تتعلّق بالبحث عن الحقيقة ، المسألة تتعلّق بالدفاع عن الأئمة الكبار ..
 والدليل لا علاقة له بأيّ قيمة علمية تتكئ على صياغة هذه الرواية أو على أيّ حقيقة أخرى ، الدليل وفق ذلك المنهج التاريخي تُلخّصه العبارات التي رأيناها : [ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث ، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما ، وكان مستجاب الدعوة] ..

.. وهنا نسأل السؤال التالي : ماذا يُفيدنا السند في مثل متن هذه الرواية التي تناقض حقيقة تاريخية تحملها روايات أخرى ؟!!! .. وهل يزول هذا التناقض التاريخي بمجرد أنه قيل بأن وكيع ويحيى بن معين قد وثقا عكرمة بن عمار ؟!!! .. ولو كان هناك ذرة اعتبار للمتن ، وذرة تفعيل للعقل في إدراك دلالات هذا المتن ، وذرة تجرّد في البحث عن الحقيقة .. لو كان ذلك .. فهل كان من الممكن أن تصل إلينا مثل هذه الروايات ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..
 .. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٣٤٠٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَعْنَى ابْنَ دِينَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو بَكْرِ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّتَا يَدَيْهِ
يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا

.. حسب هذا الحديث ، الله تعالى كلتا يديه يمين .. بعد ذلك نرى الأمر مختلفاً عند

مسلم ذاته .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٤٩٩٥) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ أَيَّنَ
الْمُتَكَبِّرُونَ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص هذا

الحديث :

]] وأما إطلاق اليمين لله تعالى فمتأول على القدرة ، وكنى عن ذلك باليدين ،

لأن أفعالنا تقع باليدين ، فخطوبنا بما نفهمه ، ليكون أوضح وأؤكد في النفوس ، وذكر
اليمين والشمال حتى يتم المثال ، لأننا نتناول باليمين ما نكرمه ، وبالشمال ما دونه
ولأن اليمين في حقنا يقوى لما لا يقوى له الشمال ، ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض
، فأضافها إلى اليمين ، والأرضين إلى الشمال ، ليظهر التقريب في الاستعارة ، وإن كان
الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيئاً أخف عليه من شيء ، ولا أثقل من شيء ، هذا

مختصر كلام المازري في هذا]]

وهنا يحق لنا أن نسأل السؤال التالي : ما هو المعيار اللغوي والعقلي والمنطقي الذي

من خلاله نستطيع قراءة هذه الروايات ؟!!!!!! .. وكيف يمكننا أن ننطلق من مثل هذه

الروايات نحو استنباط أحكام ودلالات تحملها هذه الروايات في الوقت ذاته ؟!!!!!! ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٢٢٨) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عَلِيَّةَ قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ سَمِعَهُ فِيمَا أَعْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا أَتَدْرُونَ أَيَّنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بِيَانٍ الْوَاسِطِيُّ أَخْبَرَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا أَتَدْرُونَ أَيَّنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ بِمِثْلِ مَعْنَى حَدِيثِ ابْنِ عَلِيَّةَ

هل يُعقل أن هذه الرواية الموضوعية تكون قد خرجت من فم الرسول ﷺ !!! .. ألا يرى كل من يملك الحد الأدنى من المعرفة الفلكية والعلمية أن دلالات هذه الرواية - دون أن يُضاف لها عبارات ودلالات من الجيوب - تُناقض الحقيقة الكونية بأن الأرض تدور حول الشمس ، وأنه في كل لحظة هناك مطلع ومغرب للشمس ؟ .. وماذا تنفع التأويلات والتخرجات مع هكذا رواية ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي :

مسلم (٤١١٨) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَابْنُ أَبِي حَبِيبٍ وَابْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ

وفق هذا الحديث ينسب أبو هريرة قولاً إلى النبي ﷺ بأنه قال : **[[لَا عَدْوَى]]** .. وهذا كلام باللغة العربية التي يُدرِكُها كلُّ عربي .. وفي الحديث التالي يعودُ أبو هريرة لينسبَ إلى النبي ﷺ قولاً يناقضُ هذا القول تماماً .. لننظر في الحديثين التاليين ..

ابن ماجه (٣٥٣١) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَى الْمُصِحِّ

أحمد (٩٣٤٥) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا النَّهَّاسُ عَنْ شَيْخِ بَمَكَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ

والحديث التالي يؤكِّدُ أنَّ العدوِّ مسألةٌ كونيَّةٌ لا تُلغى بحديثٍ من عندِ أبي هريرة ..

مسلم (٤١٣٨) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ فِي وَفْدٍ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْدُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ

.. والحديث التالي المنسوب إلى أبي هريرة يُبيِّنُ للباحثين عن الحقيقة المدركين حقيقة

الصياغة اللغويَّة لهذا الحديث ، يُبيِّنُ أنَّ العدوِّ مسألةٌ موجودة لا يُمكنُ إلغاؤها .. وفي

الوقت ذاته ينسبُ أبو هريرة إلى الرسول ﷺ أنه لا عدوى ..

مسلم (٤١١٦) :

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَاللَّفْظُ لِأَبِي الطَّاهِرِ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ فَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حِينَ قَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدُوَّ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظُّبَاءُ فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا كُلَّهَا قَالَ فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ قَالََا حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَغَيْرُهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانَ الدُّؤَلِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدُوَّ فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَصَالِحٍ وَعَنْ شُعَيْبٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ ابْنِ أُخْتِ نَمِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدُوَّ وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ

.. فالعبارات الواردة في هذا الحديث : **[[فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ**

تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظُّبَاءُ فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا كُلَّهَا قَالَ فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ]] .. هذه العبارات تؤكد أن هناك عدوى ، فأول بعير أجرب هو من أعدى البقية ، هذا ما ندركه من قول الأعرابي : **[[فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا]]** ، وهذا هو ما تحمله كلمة عدوى ، فالعدوى لا تتعلق بحيثية حصول المرض ، ولا بماهيته المجرّدة عن نقله للآخرين ، إنما تتعلق بنقل هذا المرض إلى الآخرين بعد حدوثه ، وهذا ما تؤكد كلفه كلمة : **[[فَيَجْرِبُهَا]]** ، بمعنى : فينقل إليها الجرب ..

.. والقول المنسوب إلى الرسول ﷺ على لسان أبي هريرة : **[[فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ]]**

لا يُعطي المؤولين حيثيات الهروب من التناقض الموجود في هذا الحديث ، لأنّ العدوى هي نقل المرض من مريض إلى غير المريض ، ولا علاقة لها - أبداً - بتكوين حيثيات المرض في المريض الأول ، فتكوين حيثيات المرض في المريض الأول تناسبه الصياغة : ((فمن أمرض الأول)) وليس **[[فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ]]** .. إذا .. العبارة **[[فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ]]**

هي بمعنى فمن نقل المرض من مريضٍ إلى هذا الأوَّل ، وهذا يعني أنَّ هذا الأوَّل انتقل إليه المرض بالعدوى ، ومن بعد ذلك انتقل المرض من هذا الأوَّل إلى غيره ، وهكذا .. وهذا هو عينُ العدوى .. فكيف إذا يُنسب - في الحديث ذاته - إلى الرسول ﷺ أنه قال : **]] لَأَعْدَى]]** ، أي بمعنى لا ينتقل المرض من مريضٍ إلى آخرٍ !!!؟ ..

.. وهنا يأتي دور ما يُسمَّى بعلمِ تأويل مختلف الحديث ، فيؤوِّلون تأويلهم لإيهام الناس بأنَّه لا تعارض أبداً بين هذه الأحاديث ، يقولون ذلك ضاربين بعرض الحائط قواعد اللغة العربيَّة والعقل والمنطق .. لننظر إلى النصِّ التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ تفسير هذا الحديث :

]] قال جمهور العلماء : يجب الجمع بين هذين الحديثين ، وهما صحيحان . قالوا : وطريق الجمع أن حديث (لا عدوى) المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده أن المرض والعاهة تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى . وأما حديث (لا يورد ممرض على مصح) فأرشد فيه إلى مجانية ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره . فنفي في الحديث الأول العدوى بطبعها ، ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدر الله تعالى وفعله ، وأرشد في الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل الله وإرادته وقدره . فهذا الذي ذكرناه من تصحيح الحديثين والجمع بينهما هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء ، ويتعين المصير إليه . ولا يؤثر نسيانُ أبي هريرة لحديث (ولا عدوى) لوجهين : أحدهما أن نسيان الراوي للحديث الذي رواه لا يقدح في صحته عند جماهير العلماء ، بل يجب العمل به . والثاني أن هذا اللفظ ثابت من رواية غير أبي هريرة ؛ فقد ذكر مسلم هذا من رواية السائب بن يزيد ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وحكى المازري والقاضي عياض عن بعض العلماء أن حديث (لا يورد ممرض على مصح) منسوخ بحديث (لا عدوى) وهذا غلط لوجهين : أحدهما أن النسخ يشترط فيه تعذر الجمع

بين الحديثين ، ولم يتعذر ، بل قد جمعنا بينهما . والثاني أنه يشترط فيه معرفة التاريخ ، وتأخر الناسخ ، وليس ذلك موجودا هنا . وقال آخرون : حديث (لا عدوى) على ظاهره ، وأما النهي عن إيراد الممرض على المصح فليس للعدوى ، بل للتأذي بالرائحة الكريهة ، وقبح صورته ، وصورة المجذوم . والصواب ما سبق . والله أعلم .

..... [[..

.. قولهم : [[قال جمهور العلماء : يجب الجمع بين هذين الحديثين ، وهما صحيحان]] ، يؤكد صحة ما نذهب إليه بأن ما يُسمى بعلم تأويل مختلف الحديث ، ينطلق من مقدّمة مفادها أنّ هذه الأحاديث المختلفة والمتناقضة والمناقضة لكتاب الله تعالى ولثوابت العلم والعقل والمنطق ، أنّها صحيحة ، وما على هذا العلم إلا أن يخلق التبريرات لإيهام الناس أنّ هذه الأحاديث ليست مختلفة ..

.. كيف تكون العبارة الواردة في هذه الأحاديث (لا عدوى) تحمل المعنى : [[حديث (لا عدوى) المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقد أنه المرض والعاهة تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى]] !!!؟ .. كيف أفتحت الجاهلية واعتقادها في هذه المسألة دون أيّ ذكرٍ لذلك في متن الحديث !!!؟ .. وكيف تكون العبارة [[لا يورد ممرض على مصح]] تحمل المعنى : [[حديث (لا يورد ممرض على مصح) فأرشد فيه إلى مجانية ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره]] !!!؟ .. ما علاقة هذه التأويلات بمتن هذا الحديث !!!؟ .. ألا تعني العبارة [[لا يورد ممرض على مصح]] ، ألا تعني أمراً بأن لا يذهب المريض إلى غير المريض خوفاً من نقل هذا المرض إليه ؟ .. ألا يعني ذلك أنّ هناك عدوى قد تنتقل من هذا المريض إلى غيره ، وبالتالي فالقول الذي ينسبه أبو هريرة إلى الرسول ﷺ بأنه قال : [[لَأَعْدَى]] ، هذا القول ، لم يسمع به الرسول ، لأنّه ﷺ لا يتكلم بمتناقضات لا يقبلها عقل ولا منطق ..

.. ومن جهةٍ أُخرى كيف نفهم العبارات : **[[نسيان الراوي للحديث الذي رواه لا يقدر في صحته عند جماهير العلماء ، بل يجب العمل به]]** .. صحيحٌ أن الإنسان قد ينسى مقولةً سمعها من غيره ، ولكن حينما يقول هذه المقولة للناس نقلاً عن من سمعها منه ، وحينما يُذكرُ بها وبأنه قالها كما سمعها ، حين ذلك لا بدّ وأن يتذكر ذلك ، وخصوصاً إن كانت هذه المقولة منقولة عن النبي ﷺ .. المشكلة في هذا الحديث أن الروائين المنقولين عن أبي هريرة متناقضتان ، وأن أبا هريرة صمت عن المقولة (لا عدوى) ، تلك المقولة التي نسبها للنبي ﷺ بعظمة لسانه ، وعندما ذُكرَ بها أبي أن يعرف ذلك .. فكيف إذاً نسب لأبي هريرة ما لم يعترف به هو ذاته ؟!!! ..

.. ولننظر إلى الحديث التالي الذي ينسفُ تأويلهم هذا من جذوره ..

البخاري (٥٣٢٨) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطُّبَاءُ فَيَخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَجْرِبُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ وَعَنِ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدَ يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَيَّ مُصِحٌّ وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الْأَوَّلِ قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى فَرَطْنَ بِالْحَبَشِيَّةِ قَالَ أَبُو سَلَمَةَ فَمَا رَأَيْتَهُ نَسِيَ حَدِيثًا غَيْرَهُ

.. فأبو هريرة يُنكرُ أنه نسب للنبي ﷺ العبارة **[[لا عدوى]]** ويرطن بالحبشيّة ، لأنّه ذُكرَ بأنّه نسب للنبي ﷺ العبارة **[[لا عدوى]]** .. وإلاّ كيف نفهم العبارة : **[[وَأَنْكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَدِيثَ الْأَوَّلِ قُلْنَا أَلَمْ تُحَدِّثْ أَنَّهُ لَا عَدْوَى فَرَطْنَ بِالْحَبَشِيَّةِ]]** .. أليست هذه العبارة دليلاً على عدم قناعة أبي هريرة بالعبارة **[[لا عدوى]]** من أساسها ؟ .. أليست هذه العبارة دليلاً على أن المسألة مسألة إنكارٍ للقضيّة من جذورها وليست

مسألة نسيان كما يُنسبُ إلى أبي سلمة؟ .. فلو كانت قضية نسيان لتذكرها أبو هريرة حينما ذُكرَ بها ..

.. وتأويلهم الذي نراه لا يحملُ أيَّ دليلٍ يتكثون عليه في صياغة هذه الرواية ، فلماذا لا يكون الذي نسي هو الراوي الذي روى عن أبي هريرة أنه قال **[[لا عدوى]]** ، ولماذا لا يكون أبو هريرة قد نسي بالفعل ، ولماذا لا تكون الرواية موضوعة ولا أساس لها من الصحة .. فما يقولونه مُجرّد تصوّرات تهدف إلى عدم الاعتراف بعدم صحة هذه الرواية .. هذه التصوّرات المختلفة نستطيعُ قراءتها أيضاً في النصّ التالي الذي نقتطعه من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث ..

[[..... قال ابن التين : لعل أبا هريرة كان يسمع هذا الحديث قبل أن يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديث " من بسط رداءه ثم ضمه إليه لم ينس شيئاً سمعه من مقالتي " وقد قيل في الحديث المذكور إن المراد أنه لا ينسى تلك المقالة التي قالها ذلك اليوم لا أنه ينتفي عنه النسيان أصلاً . وقيل : كان الحديث الثاني ناسخاً للأول فسكت عن المنسوخ ، وقيل : معنى قوله : " لا عدوى " النهي عن الاعتداء ، ولعل بعض من أجلب عليه إبلا جرباء أراد تضمينه فاحتج عليه في إسقاط الضمان بأنه إنما أصابها ما قدر عليها وما لم تكن تنجو منه ، لأن العجماء جُبارٌ ، ويحتمل أن يكون قال هذا على ظنه ثم تبين له خلاف ذلك انتهى]] ..

.. هل نستطيعُ الوصولَ إلى نتيجةٍ من هذا التأويل؟!!!! .. وكيف تُنسخُ مسألة كونيّة طبيّةٌ مُستقلّةٌ عن التشريع كالعدوى في المرض **[[كان الحديث الثاني ناسخاً للأول فسكت عن المنسوخ]]**؟!!!! ، فهل تمّ النسخ بعد موت النبي ﷺ؟!!!! .. ألا يدلُّ ذلك على أنّ مسألة النسخ والمنسوخ من أساسها مُختلقةٌ لتبرير ما يريد أصحابُ المنهج التراثي الجمعي؟!!!! .. وكيف بنا أن نفهم العبارة **[[ويحتمل أن يكون قال هذا على ظنه ثم تبين له خلاف ذلك]]**؟!!!! .. ألا يدلُّ ذلك على أنّ ما يُنسب إلى النبي ﷺ قد يكون

ظناً من بعض رجالات الجيل الأول ، فأبو هريرة يقول **[[قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَدْوَى]]** بنص ينسب فيه هذا القول للرسول ﷺ ، فكيف إذا نبرر هذا التناقض بأن قوله هذا إنما كان ظناً سكت عنه بعد أن تبين له خلاف ذلك؟! .. وإن قال قائل : إن ما ينسبه رجالات الجيل الأول للرسول ﷺ بالنص الصريح ، هو ظن منهم قد ثبت لهم خلافه فيما لو عاشوا فترة أكثر من عمرهم ، فماذا نقول لهذا القائل بناءً على ما نراه من تبريرات ما يُسمى بعلم مختلف الحديث؟! ..

.. وعلى أي شيء تتكئ هذه الاحتمالات المتخيلة في تأويل هذا الحديث ، والتي لا وجود لها على الإطلاق في متن هذا الحديث؟! .. وكيف ننسب لأبي هريرة مقولة عن النبي ﷺ ونصر على أنه قالها على الرغم من أنه يرطن بالحبشية نتيجة هذا الإصرار؟! .. فبأي لغة سيرطن أبو هريرة لو سمع ما يُسمى بتأويل مختلف الحديث ، ورأى ما نراه من تلبس العبارات بمعاني لا تحملها لا من قريب ولا من بعيد؟! .. وإذا كانت العبارات المنقولة عن أبي هريرة وغيره ظنيةً وتُنسى من قبل الرواة الأوائل ذاتهم ، وهذا طبيعي فهم بشر ، فكيف إذا لا ينسى ذلك من نقل عنهم ، ومن نقل عن من نقل عنهم ، وهكذا إلى زمن تدوين هذه الروايات بعد قرون؟! .. ولو أن هذه الجهود التي تُبذل كمحاولة لتأويل ما لا يمكن تأويله ، لو صُرفت هذه الجهود في فهم كتاب الله تعالى ، وفي استنباط دلالات أحكامه ، لوصلت الأمة إلى فهم مُتقدمٍ لحقيقة دينها ، ولما تشرذمت كما هي عليه الآن ..

.. لننظر إلى صياغة الحديث التالي ، دون أن نُضيف إليها معاني من جيوبنا ..

البخاري (٤٩٣٦) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غَنَى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي

وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي وَيَقُولُ الْإِبْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدْعُنِي فَقَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ .. صياغة الحديث واضحة وبيّنة .. أبو هريرة يقول : **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ، ويذكر نصاً عن النبي ﷺ ، وبعد ذلك يقولون له : **[[يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟ ، فماذا يقول لهم ، يقول لهم : **[[لا]]** .. وكلمة **[[لا]]** تعني أنه لم يسمعه من الرسول ﷺ .. ويتابع قائلاً : **[[هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ]]** .. هكذا يدرك كل إنسان يدرك الحد الأدنى من قواعد اللغة العربية .. فلماذا يقول أبو هريرة : **[[لا]]** كإجابة على سؤالهم : **[[سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟!!! .. وإن كان قد سمعه من غير رسول الله ﷺ فلماذا لم يقل هذا ما سمعته من فلان عن الرسول ، بدلاً من قوله : **[[هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ]]** ؟!!! .. إن المسألة مسألة دين وليست مسألة تاريخية أو شخصية ، كما يتوهم عابِدو أصنام التاريخ ... لننظر إلى كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كيف يُؤوّل هذا الحديث :

[[..... ووقع في رواية الإسماعيلي المذكورة " قالوا يا أبا هريرة شيء تقول من رأيك أو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هذا من كيسي " وقوله من كيسي هو بكسر الكاف للأكثر أي من حاصله إشارة إلى أنه من استنباطه مما فهمه من الحديث المرفوع مع الواقع ، ووقع في رواية الأصيلي بفتح الكاف أي من فطنته]] .. لماذا يسألونه هذا السؤال **[[سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟ ، وذلك بعد أن قال لهم : **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟!!! .. أليس سؤالهم هذا يكفي للقول بأنهم كانوا يشكّون في قول أبي هريرة ؟ .. أم أنّهم في آذانهم وقرّ فلم يسمعوا قول أبي هريرة في بداية الحديث : **[[قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ؟!!! .. ومع ذلك أجابهم بكلمة **[[لا]]** .. وبعد ذلك فصل فقال : **[[هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ]]**

هَرِيرَةَ]] ، ولم يقل هذا سمعته من فلان عن الرسول ﷺ ؟!!! .. بعد كل ذلك نرى هذا التأويل الذي لا علاقة له أبداً بنص الرواية ..

.. وتأويلهم هذا لا يقل سوءاً عن دلالات الحديث ذاته ، فلماذا لم يقل أبو هريرة في الحديث ذاته وفي إجابته على سؤالهم ، لماذا لم يقل : إن النص الذي ينسب إلى الرسول ﷺ هو من فطنته واستنباطه ، مما فهمه من الحديث المرفوع مع الواقع ؟!!! .. فلماذا لم يُجب هو بالإجابة التي نراها في تأويلهم ؟!!! ، وأين هي دلالات هذا التأويل في حيثيات صياغة هذه الرواية ؟!!! .. وماذا نقول لمن يشك بأن كل الروايات التي ينسبها أبو هريرة للرسول ﷺ هي من كيسه ؟!!! ..

.. لماذا نستغرب أن أبا هريرة قد نسب من كيسه قولاً إلى النبي ﷺ دون أن يكون قد سمعه منه ، ودون أن يكون النبي قد قاله ؟ .. لماذا يستغربون ذلك ويؤولون .. ألم يُذكر في الصحاح ذاتها أن أبا هريرة أُتهم من قبل بعض أفراد الجيل الأول بأنه كان يكذب على الرسول ﷺ .. وكنا قد رأينا الحديث التالي ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَيَّ جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلُّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْمَعْنَى

.. وكنا قد رأينا في تذكرة الحفاظ كيف أن أبا هريرة حينما سأله أبو سلمة السؤال

التالي : أكنت تحدث في زمان عمر هكذا ؟ فأجابه أبو هريرة : [لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقتي] ... وكنا قد رأينا في جامع بيان العلم وفضله أن أبا هريرة قال : [لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربني بالدرّة]

!!!؟ ... وكنا قد رأينا في البداية والنهاية عن السائب بن يزيد أنه قال : [سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار : لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة] ... وكنا قد رأينا في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي عن السائب بن يزيد أنه قال : [أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة قال : قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ لقد أكثرت ، لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس ...] إذا كان بعض أفراد الجيل الأول قد اتهم أبا هريرة بالكذب على الرسول ﷺ ، فما هو الداعي لتبرير ما لا يُبرر ؟!!!؟ ... ولماذا تُرفع روايات التاريخ إلى مستوى المقدس ؟!!!؟ بل كيف يجروون على جعلها مقيّدة لدلالات كتاب الله تعالى ، وكيف يذهب بعضهم إلى جعل هذه الروايات ناسخة لبعض دلالات كتاب الله تعالى ؟!!!؟ .. كل ذلك إنّما حصل ويحصل نتيجة تقديس التاريخ برجاله ورواياته ونتيجة وضعها كبديل عن منهج الله تعالى (القرآن الكريم) ..

.. هذه التناقضات التي نراها في الأحاديث ، وهذه الروايات التي تُصور لنا أن بعض رجال الجيل الأول كانوا هم يكذبون بعضهم بعضاً .. هذه الروايات موجودة - كما نرى - في كتب وُضعت من مناظير تقديس أولئك الرجال ، وكتبت بمداد أهواء رفيع أولئك الرجال إلى مستوى العدالة التي يُكفر من يُشكك بها ، ومع ذلك نرى ما نراه .. فكيف إذاً تكون حقيقة الأمر على أرض الواقع ؟!!!؟ .. وكيف كنا سنرى هذه الأحداث لو كتبت تلك الكتب من مناظير حيادية مجردة ؟!!!؟ لناخذ مسألة أخرى يظهر فيها الوضع بشكل جلي .. معلوم أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب .. يقول تعالى ..

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

.. فالعبارة القرآنية : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ

السُّوءُ ﴾ واضحة ولا تحتاج إلى أي تأويل .. والآية الكريمة التالية تؤكد هذه الحقيقة ..

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا نَتَّبِعُ إِلَّا مَا

يُوحَىٰ إِلَيْنَا وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩]

.. فالعبارة القرآنية : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ واضحة الدلالة ، وتقول

بصريح العبارة بأن النبي ﷺ لا يعلم ما سيحدث له ولا لغيره ..

.. هذه الحقيقة نراها أيضاً في الحديث التالي :

البخاري (٦٨٣٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

.. نحن نُقرُّ بصحة هذه الرواية لأنها تتوافق مع القرآن الكريم ، فما يعيننا هو المتن

وليس السند .. بعد هذه الحقيقة التي يقرها القرآن الكريم وتحملها هذه الرواية ، نرى رواية أخرى في صحيح البخاري ذاته ، وفي صحيح مسلم ، تحملان ما يُناقض هذه الحقيقة ..

البخاري (٦١١٤) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئاً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ عِلْمَهُ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلَهُ مِنْ جَهْلِهِ إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَأَهُ فَعَرَفَهُ

مسلم (٥١٤٧) :

و حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ عُثْمَانُ حَدَّثَنَا وَقَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنِ حُدَيْفَةَ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَوْلًا وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيْتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ

.. كيف يعلم النبي ﷺ الغيبَ لدرجة أن يُحَدِّثَ بما سيكون من فتن إلى قيام الساعة ، في الوقت الذي يؤكِّدُ اللهُ تعالى في كتابه الكريم أن نبيِّه ﷺ لا يعلم الغيب ، ولا يعلم ما سيحدث له ولغيره ؟!!! .. كيف يعلم النبي ﷺ الغيبَ في الوقت الذي تصف فيه عائشة بالكاذب كلٌّ من يقول بأن النبي ﷺ يعلم الغيب ؟!!! .. ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من تفسير هذا الحديث في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ..

[[..... وقد أخرج مسلم من طريق أبي إدريس الخولاني عن حذيفة " والله إنني

لأعلم كل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسراً إليّ شيئاً لم يكن يحدث به غيري "]]

[[ثم قال حذيفة " ما أدري أنسى أصحابي أم تناسوه " والله ما ترك رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة إلا قد سماه لنا]]

.. إن لم يكن هذا تناقضاً ، فما هو التناقضُ إذاً .. وماذا تفيد التأويلات أمام مثل هذه الروايات المتناقضة .. وهل نخدم السنَّةَ الحقَّ عندما نفرض هذه الروايات على الناس ونعتبرها جزءاً من المنهج ؟!!! .. أم أننا نخدم السنَّةَ الحقَّ عندما ننقي السنَّةَ الشريفة من الوضع الذي لبس عليها ؟!!! .. لو كان هناك تدبُّرٌ حقيقيٌّ لكتابِ الله تعالى ، ولو أُعْتَبِرَت هذه الروايات دون المقدَّس ، ولو تمَّ اعتبارُ المتنِّ معياراً لمعرفة صدق الروايات ..

لو كان ذلك .. هل كنا سنرى مثل هذه الروايات ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ
أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولناخذ مسألةً أخرى لنرى شيئاً من الدسِّ والتلفيق الذي وُضع لتشويه السنّة
الشريفة ذاتها يُبينُ الله تعالى لنا في كتابه الكريم ، أن الظالمين الجاحدين بالمنهج ، هم
من يَصِفُ الرسولَ مُحَمَّدًا ﷺ بالرجلِ المسحور ، وأنه ﷺ قد عصمه الله تعالى من الناس في
تبليغه لمنهج الرسالة .. يقولُ تعالى ..

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ

الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٧]

﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان : ٨]

﴿ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧]

.. لنقارن هذه الحقيقة القرآنية ، مع الأحاديث التالية ..

البخاري (٣٠٢٨) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عَيْسَى عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ سَحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ اللَّيْثُ كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامُ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ
وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا فِيهِ شِفَائِي
أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ
قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَ فِيمَا ذَا قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَّةٍ وَجَفَّ طَلْعَةٌ
ذَكَرَ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بئرِ دُرْوَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ

لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ نَخْلَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتُهُ فَقَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي
اللَّهُ وَخَشِيتُ أَنْ يُبَيِّرَ ذَلِكَ عَلَيَّ النَّاسَ شَرًّا ثُمَّ دُفِنْتُ الْبَيْتُ

مسلم (٤٠٥٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَشَعْرَتِ أَنْ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَفَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ قَالَ وَجُفٌّ طَلَعَتْ ذَكَرَ قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بَيْتٍ فِي أَرْوَانَ قَالَتْ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَانَ مَاءَهَا نُقَاعَةَ الْحِنَاءِ وَلَكَانَ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنْتُ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَامَةَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاقَ أَبُو كُرَيْبٍ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ وَقَالَ فِيهِ فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَيْتِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ وَقَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْرَجْتُهُ وَلَمْ يَقُلْ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنْتُ

.. كيف يسحر الرسول ﷺ لدرجة أنه يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ ؟!!! ..
ألا يقدح ذلك بالمنهج وبالسنّة التي يزعمون أنّهم يكلفون أنفسهم بالدفاع عنها ؟!!! ..
أليس سحر الرسول ﷺ لدرجة أنه **[[يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ]]** ، أليس ذلك قدحاً بعصمة الله تعالى لرسوله ﷺ في تبليغه للمنهج ، وبالتالي قدحاً بالمنهج ذاته ؟!!! ..
وكيف لا يعلم الرسول حقيقة فعله إن كان حقيقياً أو خيالياً نتيجة سحر الناس له في

الوقت الذي عصمه الله تعالى من أولئك الناس في تبليغه لهذا المنهج ؟!!! .. أم أن ذلك اليهودي الذي سحر الرسول ﷺ ليس من الناس ؟!!! .. ألا تُوافق هذه الروايات قولَ الظالمين : ﴿ **إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** ﴾ ؟!!! .. ألم تُوضع مثل هذه الروايات لإثارة الشكِّ بكلِّ ما نطق به ﷺ على أنَّه فعله ، هل هو ممَّا كان مُتخيلاً أو ممَّا كان حقيقة ؟!!! .. أليست العبارة : **[[قَالَتْ سِحْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ]]** ، أليست هذه العبارة من هذا الحديث تُسيءُ إلى النبي ﷺ كشخص ، وللإسلام كمنهج ، وتُعطي الظلمةَ حيثيات هذه الإساءة ؟!!! .. وكيف يصفون الرسول ﷺ بأنَّه : **[[يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ]]** في الوقت الذي ينسبون فعله وقوله إلى السنَّةِ التي يزعمون أنَّهم حُماتها ؟!!! ..

.. لو وُضع في شروطِ جمع الروايات شرطٌ يُلزِمُ معايَرةَ هذه الروايات على كتاب الله تعالى القرآن الكريم .. لو وُضع هذا الشرط .. هل كان من الممكن أن تصل إلينا مثل هذه الروايات ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. وقد يحلو لبعضهم أن يستشهدوا بقصة موسى عليه السلام مع السحرة ، لتبرير هذه الرواية ، وهذا هو عين الجهل ليس فقط بدلالات كتاب الله تعالى وثوابت اللغة وإنما أيضاً بالحدِّ الأدني من العمق الفلسفي في رؤية الحقائق واستنباطها ..

.. وقول بعضهم بأنَّ السحر هو مرض .. هذا القول هو قمة الجهل وقمة التنطع .. فالسحر كما هو في قصة موسى عليه السلام مع السحرة هو تأثير خارجي لخداع البصر لكي تُرى الأشياء على غير حقيقتها .. فالحبال والعصي التي هي في حقيقتها لم تكن تسعى ، رآها الناس أنَّها تسعى نتيجة التأثير على أعينهم ، فما سحر هو أعين الناس بمعنى رؤيتهم للأشياء ، وليس سحر ذوات الناس ..

﴿ **قَالَ الْقَوَا^ط فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ**

عَظِيمٍ﴾ [الأعراف : ١١٦]

.. والآية الكريمة التالية تؤكد أن ساحة السحر هي خارج الذات وتعلق بالنظر إلى

الأشياء ..

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا لَنَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [

الأعراف : ١٣٢]

وهذا المعنى للسحر بأنه التأثير على الرؤية بحيث تُرى الأشياء على غير حقيقتها نراه

أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ فَمَا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [النمل : ١٣]

.. ولذلك فموسى عليه السلام لم يدخل في حالة مرض بحيث يُخيّل إليه أنه هو ذاته

يفعل الشيء دون أن يكون قد فعله ، كما يفترى على الرسول ﷺ ..

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۗ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [

طه : ٦٦]

فتأثير سحرهم على موسى عليه السلام لم ينتقل إلى ذاته لدرجة أنه لم يعد يُدرك

حقيقة فعله هو ، إنما كان في رؤيته الخارجية لما هو خارج ذاته ، بحيث استطاعوا بخداع

بصري أن يجعلوه يشاهد فعلهم هم (وليس فعله هو) على غير حقيقته ..

ولذلك فهذا الخداع البصري الذي هو وهم مكانه خارج ذوات من يقعون في ساحة

تأثير هذا الخداع ، نراه يتلاشى أمام المعجزة الحقيقية البعيدة عن هذا الخداع البصري ،

ولذلك السحرة ذاهم خرواً سجداً عندما رأوا الحقيقة ..

﴿ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ

حَيْثُ أَتَى ﴿٦٧﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه : ٦٩ -

[٧٠]

.. إذا .. القول المفترى على عائشة في البخاري ومسلم [[عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُحِرَ

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ]] ليس

صحيحاً ، وهو مفترى على عائشة ذاتها .. فهذا الكلام الذي أرادوا نسبه إلى الرسول ﷺ

بأنه **[[كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ]]** يختلف عن قصة موسى عليه السلام مع السحرة ، ويفيد أن أفعال الرسول ﷺ ذاتها طالها عدم الإدراك ، وأن المسألة انتقلت إلى ذاته ﷺ وإلى إدراكه ، وهذا أمرٌ خطير ، فكيف يقولون عن السنة الشريفة بأنها كل ما قال أو فعل أو ثم يعودون فيقولون أفعاله هو ذاته كان شاكاً بها .. !!!؟

المسألة بالنسبة لهم هي مسألة روايات رُفعت إلى مستوى المقدس وأصبحت حجة على كتاب الله تعالى ، ولو أنهم توجد عندهم إرادة البحث عن الحقيقة لرأوا أن قولهم هذا لا يختلف عن قول المفترين الظالمين ، والذي يصوره قول الله تعالى ..

﴿ **إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** ﴾ [الإسراء : ٤٧]

﴿ **وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** ﴾ [الفرقان : ٨]

.. ولناخذ مسألة أخرى .. معلومٌ من كتاب الله تعالى أن الرضاعة تتم بانقضاء حولين .. يقول تعالى ..

﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾

[البقرة : ٢٣٣]

.. إذا الرضاعة تتم في حولين كاملين ، وبعد الحولين فإن الرضاعة لا تُحرم ، لأنها تكون خارج الحولين ، هذا ما نقرؤه من كتاب الله تعالى .. وهناك أحاديث تتوافق مع هذه الحقيقة القرآنية ..

مسلم (٢٦٤٢) :

حَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ أَشْعَثَ بْنِ أَبِي الشَّعَثَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي رَجُلٌ قَاعِدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَرَأَيْتُ الْعُضْبَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ قَالَتْ فَقَالَ انظُرْنِي إِخْوَتُكُنَّ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَإِنَّمَا الرِّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا

أَبِي قَالَا جَمِيعًا حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعُ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بَنُ حَمِيدٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عَنْ زَائِدَةَ كُلُّهُمْ عَنْ أَشْعَثَ بْنِ أَبِي الشَّعْثَاءِ بِإِسْنَادِ أَبِي الْأَحْوَصِ كَمَعْنَى حَدِيثِهِ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا مِنَ الْمَجَاعَةِ

سنن الترمذي (١٠٧٢) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَّانَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحْرَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الدُّدِيِّ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّ الرَّضَاعَةَ لَا تُحْرَمُ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يُحْرَمُ شَيْئًا وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُنْذِرِ بِنُ الزُّبَيْرِ بِنُ الْعَوَّامِ وَهِيَ امْرَأَةُ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ .. إِذَا الرَّضَاعَةُ مِنَ الْمَجَاعَةِ ، وَالرَّضَاعَةُ لَا تُحْرَمُ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ وَمَا كَانَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَإِنَّهُ لَا يُحْرَمُ شَيْئًا ، هَذَا مَا نَقَرُّهُ مِنْ هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ .. بَعْدَ ذَلِكَ نَنْظُرُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فَنَرَى أَنَّ الْأَمْرَ غَيْرَ ذَلِكَ ..

مسلم (٢٦٤٠) :

و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ وَاللَّفْظُ لِهَارُونَ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي مَحْرَمَةُ بِنُ بَكِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ حَمِيدَ بْنَ نَافِعٍ يَقُولُ سَمِعْتُ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ لِعَائِشَةَ وَاللَّهِ مَا تَطِيبُ نَفْسِي أَنْ يَرَانِي الْعُلَامُ قَدْ اسْتَعْنَى عَنِ الرَّضَاعَةِ فَقَالَتْ لِمَ قَدْ جَاءَتْ سَهْلَةَ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ فَقَالَتْ إِنَّهُ دُو لِحْيَةٍ فَقَالَ أَرْضِعِيهِ يَذْهَبُ مَا فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ

مسلم (٢٦٣٧) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ جَمِيعًا عَنِ الثَّقَفِيِّ قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنِ الْقَاسِمِ عَنِ عَائِشَةَ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ كَانَ مَعَ أَبِي حُدَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرَّجَالُ وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُدَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُدَيْفَةَ فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُدَيْفَةَ

مسلم (٢٦٣٦) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ جَاءَتْ سَهْلَةَ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ وَهُوَ حَلِيفُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضِعِيهِ قَالَتْ وَكَيْفَ أَرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ زَادَ عَمْرُو فِي حَدِيثِهِ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. كيف نُررُ هذه الروايات التي تتناقضُ بشكلٍ صريحٍ مع كتابِ اللهِ تعالى ؟!!! ..

ألم يقل الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ

الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .. ألم يقل النبي ﷺ في الأحاديث ذاتها [] لَأُحَرِّمَ مِنْ

الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءَ فِي الدُّدِيِّ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ [] ، فكيف إذا تكون رضاعةً من

بلغ ما بلغ الرجال وعقل ما عقلوا وأصبح له لحيه ، كيف تكون رضاعةً محرمةً ..

وهنا يأتي المؤولون الذين وضعوا فرضيةً مسبقةً هي صحة كل هذه الروايات في الوقت

ذاته ، لسبب أن سندها صحيحٌ وفق معاييرهم البشرية المليئة بالأخطاء والأهواء

والعصبية .. يأتي دورهم لتبرير ما لا يمكن تبريره .. لننظر في النص التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي :

[[قوله صلى الله عليه وسلم : (أرضعيه) قال القاضي : لعلها حلبته ثم شربه من غير أن يمسه ثديها ولا التقت بشرتها ، وبهذا الذي قاله القاضي حسن ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبر والله أعلم]] ..

.. العبارة في هذا الشرح : **[[لعلها حلبته ثم شربه من غير أن يمسه ثديها ولا التقت بشرتها]]** هي احتمال وليس يقيناً ، فكلمة **[[لعلها]]** تؤكد ذلك .. ورواية الحديث تقول : **[[أرضعيه تحرمي عليه]]** ، ولا تقول أشربه أو اسقيه تحرمي عليه .. وكلمة : **[[أرضعيه]]** لها دلالاتها المعروفة في اللغة العربية ، وتعني الرضاعة التي تنقض مثل هذه التأويلات من أساسها ..

.. وحتى لو سلمنا جدلاً بهذا التأويل .. فإن ذلك لا يحل المشكلة .. المشكلة هي في كون رضاع الكبر يحرم ، وفي معارضة ذلك لكتاب الله تعالى ، ولبعض الأحاديث ذاتها .. فسواء شرب الكبر حليب المرأة من كأس أو من فنجان أو رضعه مباشرة من ثديها ، فإن ذلك لا يحرمه على المرصعة .. هكذا نفهم من كتاب الله تعالى الذي نزله تبيانا لكل شيء ..

.. يحاولون أن يخترعوا مبرراً للإيهام بصحة مثل هذه الروايات .. ويتخيل بعضهم

أن في الحديث التالي مخرجاً للتناقض الذي نراه ..

مسلم (٢٦٤١) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ أَنَّ أُمَّهُ زَيْنَبَ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ تَقُولُ أَبِي سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْخِلَنَّ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِتِلْكَ الرِّضَاعَةِ وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ وَاللَّهِ مَا

نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَالِمٍ خَاصَّةً فَمَا هُوَ بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهِذِهِ الرِّضَاعَةِ وَلَا رَأَيْنَا

.. وفق هذا الحديث ، قَوْلُ أزواج النبي ﷺ لعائشة : **[[وَاللَّهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَالِمٍ خَاصَّةً]]** ، ليس قولاً منسوباً إلى الرسول ﷺ ، إنما هي رؤية بعض أزواج النبي ، كرد على القول المنسوب لعائشة .. فعائشة حسب ما يُنسب إليها في هذه الروايات ، تذهب إلى أن رضاعة الكبير تُحرّم ، هذا ما تقولهُ الصياغة اللغوية الظاهرة لهذه الروايات ، وإلا كيف أن نفهم العبارات **[[أَبِي سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُدْخِلَنَّ عَلَيْنَهُنَّ أَحَدًا بِنِتْلِكَ الرِّضَاعَةِ وَقُلْنَا لِعَائِشَةَ وَاللَّهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَالِمٍ خَاصَّةً]]** ... فالعبارة **[[أَبِي سَائِرُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ]]** ، والعبارة **[[وَقُلْنَا لِعَائِشَةَ وَاللَّهِ مَا نَرَى هَذَا إِلَّا رُخْصَةً]]** تؤكدان أن عائشة ترى هذه المسألة بشكل مختلف عن رؤية سائر أزواج النبي ﷺ ..

ولو نظرنا في صياغة تلك الروايات لرأيناها تنقض نقضاً صريحاً كون هذه الفتوى هي رخصة لحالة خاصة كحل لمشكلة اجتماعية ، فالعبارة المنسوبة للنبي ﷺ **[[أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ]]** واضحة في أن الإرضاع يؤدي للتحريم .. فكلمة **[[أَرْضِعِيهِ]]** هي مقدمة للنتيجة **[[تَحْرُمِي عَلَيْهِ]]** ... وأين هي العبارة الواردة في هذه الروايات والتي فيها إشارة إلى أن هذه العبارة هي رخصة خاصة وليست تشريعاً ؟!!! .. وإن كانت الرخص الخاصة يتمّ تحديدها بناءً على أهوائنا دون وجود عبارات تشير إليها في صياغة الروايات ، فهذا يعطي الحق لمن يشاء بأن يخصّص الحكم الذي يشاء ، وبالتالي ما الفائدة من الأحكام المحمولة في الروايات ؟!!! .. وماذا نقول لمن يريد أن يجعل كل الروايات أحكاماً خاصة وليست تشريعاً عاماً ، وحتّته في ذلك أن التخصيص يُؤتى به من الجيوب ، ولا علاقة له بنصوص الروايات ، ولا حتى بالراوة ذاتهم ؟!!! ..

.. كيف يذهب المؤولون - هروباً من عدم الاعتراف بعدم صحة هذه الأحاديث - إلى كون هذه الأحاديث خاصة برخصة فردية لسالم ، في الوقت الذي لا تذهب فيه رابوية الحديث ذاتها إلى ذلك ؟!!! .. لننظر في النص التالي من شرح النووي لمسلم فيما يخص هذه المسألة :

]] واختلف العلماء في هذه المسألة فقالت عائشة وداود تثبت حرمة الرضاع برضاع البالغ كما تثبت برضاع الطفل لهذا الحديث ، وقال سائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن لا يثبت إلا بإرضاع من له دون سنتين إلا أبا حنيفة فقال سنتين ونصف وقال زفر ثلاث سنين وعن مالك رواية سنتين وأيام]] ..

.. حسب هذه الروايات الموضوعية والمفتراة ، عائشة تبين مبدأً هو أن رضاع الكبير يُحرّم ، وتستشهد بإرضاع سالم ليس كرخصة فردية خاصة بسالم ، ولا تقوم بذلك كاجتهاد شخصي ، إنما تُعيد الأمر إلى النبي ﷺ ، وتمّ الافتراء عليها بأنها كانت تأمر بنات إخوتها وبنات أخواتها أن يُرضعن من أحبّت أن يراها ويدخل عليها - وإن كان كبيراً - خمس رضعات ثم يدخل عليها .. إذاً .. كلّ التبريرات التي تهدف إلى إيهام الناس بصحة هذه الروايات هي ذر للرماد في الأعين ، فليس من المعقول أن يفهم المؤولون هذه الروايات أكثر من عائشة ذاتها ؟!!! ..

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى فإن هذه الرؤية - المحمولة في هذه الرواية والمنسوبة لباقي أزواج النبي ﷺ - ليست رؤيةً صحيحة ، لأن النبي ﷺ لا يملك أصلاً صلاحية مخالفة أحكام القرآن الكريم ، بأن يُحلّل مُحَرَّمًا أو يُحرّم مُحَلَّلًا ..

.. ألم يُخاطبُ اللهُ تعالى نبيه ﷺ بقوله ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [التحریم : ١]

.. أليست هذه الآية الكريمة نصاً صريحاً بأن النبي ﷺ لا يستطيع التشريع خارج دلالات النص القرآني حتى في تفاعله مع أزواجه .. فكيف إذاً سيخالف ﷺ قول الله تعالى

: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .. وكيف سيخالف ﷺ قوله في روايات أخرى : [لا يُحْرَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأُمَمَاءَ فِي النَّدْيِ وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ] [] .. ألم يقل الله تعالى :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَنِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٧] .. ألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذَا تُمَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَتْ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَّا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَايَ نَفْسِي ۗ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۗ إِنَِّّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس : ١٥]

.. إذا .. هذه الرواية موضوعة على النبي ﷺ وعلى عائشة وعلى أحكام كتاب الله تعالى ... والاعتراف بأن هذه الرواية موضوعة هو خدمة لمنهج الله تعالى وللسنة الشريفة بتزيهها عن كل الشبهات التي ينقضها كتاب الله تعالى جملة وتفصيلاً ..
.. تفسير الروايات وتأويلها السليم لا يكون بإلغاء العقل ، ولا يكون بالقفز فوق دلالات كتاب الله تعالى ، ولا يكون بإضافة دلالات لا وجود لها في صياغة النصوص المؤولة لا من قريب ولا من بعيد .. خدمة السنة الشريفة لا تكون بإقرار روايات متناقضة فيما بينها ، ومتناقضة مع كتاب الله تعالى ... خدمة السنة الشريفة تكون بإخراج تلك الروايات من ساحة المقدس ، لأنها في حقيقتها موضوعة بهدف الإساءة للمقدس ..
.. ولننظر إلى الحديث التالي ..

أحمد (١٠٣١١) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ

أحمد (٧٥٧٠) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ سَكْرَ فَاجِلِدُوهُ ثُمَّ إِنَّ سَكْرَ فَاجِلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ سَكَرَانَ فِي الرَّابِعَةِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ

.. لا شك أن الخمر محرّم في القرآن الكريم ، وبصيغة التحريم .. ألم يقل الله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، أليس الخمر فيه إثم كبير .. ألم يأمرنا الله تعالى أن نذرَ ظاهرِ الإثمِ وباطنُهُ : ﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٠] .. ألم يُحرّم الله تعالى الإثم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .. إذا .. الخمرُ محرّم بالنصّ القرآني .. الخمرُ فيه إثم كبير ، والإثمُ محرّم .. إذا الخمرُ محرّم في كتاب الله تعالى .. فقله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٩] ، هذا القول .. ينطق بهذه الحقيقة ..

.. ولكن .. لا يعني ذلك أن تُختَرَع الأحكام والتشريعات وفق الأهواء ، ولا يعني أن نجعل القرآن الكريم وراء ظهورنا .. فلا يُوجد في كتاب الله تعالى حُكمٌ بقتل شارِب الخمر أو حتى بجلده .. فكيف إذا يُنسبُ إلى الرسول ﷺ أنه قال : [[إِنَّ سَكْرَ فَاجِلِدُوهُ ثُمَّ إِنَّ سَكْرَ فَاجِلِدُوهُ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ]] ، ثم كيف يكون النبي ﷺ قد قال ذلك في الوقت الذي نرى فيه في الحديث ذاته العبارة : [[فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ سَكَرَانَ فِي الرَّابِعَةِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ]] !!! .. أليس هذا تناقضاً يُدرِكُه

من يملكُ حدًّا أدنى من الإدراك ؟!!! .. كيف يأمرُ الرسولُ ﷺ بقطعِ عنقٍ من يسكرُ أربعَ مرّاتٍ ، ولا يُطبّقُ هو ذاته هذا الحكم الذي يُزعمُ أنّه أمرٌ به ؟!!! .. وأيُّ تأويلٍ يُمكنه أن يُسعفَ هذه الروايات المتناقضة ؟!!! .. فهل تُوجدُ في صياغةِ متن هذه الروايات آيةٌ مساححة لتبرير هذا التناقض ؟!!! .. أليس التناقضُ صريحاً في ظاهرِ صياغتها اللغويّة لدرجة لا يمكن معها إلاّ القول بالوضع المتعمّد على الرسول ﷺ ؟!!! ..

.. أليست هذه التناقضاتُ نتيجةً طبيعيّةً لرواياتٍ تمَّ جمّعها على أُسسٍ تاريخيّةٍ تعتمدُ على تزكية الرجال لبعضهم بعضاً ، وعلى معايير لا تخلو من الأخطاء والأهواء ؟ .. أليس من الجريمة الكبرى ومن الجحودِ بكتابِ الله تعالى أن تُعتبرَ هذه الروايات المتناقضة نصوصاً مقدّسةً تُنسبُ إلى السنّة الشريفة ؟!!! .. ألا تُخالفُ هذه الروايات صريحَ كتابِ الله تعالى ؟!!! .. تترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

وهنا أتوجّه إلى كلِّ من يستغرب وجود هذه التناقضات في الروايات معتقداً أن هذه الروايات هي عين السنّة كما يُخطب عليه ، فأقول له : عندما تنظر إلى روايات الطوائف الأخرى فترى التناقضات فيها ، إنّما ترى تلك التناقضات بعين التجرد ، بعيداً عن ضغط العصبية المذهبية والطائفية لتلك الطوائف ، وتلك التناقضات لا يراها الآخرون نتيجة ضغط تلك العصبية ، إنّما يرون التناقضات التي في طائفتك ومذهبك ، لأنّهم ينظرون إلى روايات مذهبك وطائفتك بعين التجرد بعيداً عن عصبية مذهبك وطائفتك .. إذاً .. رؤية الحقيقة تحتاج إلى تجرد وإلى تحييد العاطفة وإلى تفعيل العقل ، وكلُّ ذلك ضرورة لا بدّ منها لمعرفة الحق ..

.. لذلك أقول لمن يستغرب وجود هذه التناقضات في روايات الأحاديث التي بين أيدينا : العقل والمنطق والعلم والإرادة الطاهرة النقيّة المحرّدة عن الانتماء المذهبي والطائفي ، كلُّ ذلك حينما يُستعمل كأداة لفهم نصوص كتاب الله تعالى فهماً صحيحاً ، لا بدّ وأن يُوصَلَكَ إلى الحقيقة ، وأن يُوصَلَكَ إلى معرفة التناقضات في تلال الروايات التي بين أيدينا .. ولا يمكن لتطبيق العقل وتفعيل العواطف الهوجاء والغرق في مستنقع الطوائف والمذاهب

إلا أن يُبعدك عن إدراك الحقيقة ، وعن الإعراض عن المتناقضات في هذه الروايات مهما بلغت درجة هذا التناقض ..

.. وسنرى - إن شاء الله تعالى - في المخطّة القادمة وبعين التجرّد والبحث عن الحقيقة بعض الروايات التي تُخالف صريح كتاب الله تعالى ، والمتناقضة فيما بينها ، والتي لا يُقرّها علمٌ ولا عقلٌ ولا منطق ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثالثة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. لا نستطيع أن نرى وجهنا إلا بمرآة ، ولا نستطيع أن نرى خلفنا إلا بمرآتين ، إحداهما أمامنا والأخرى خلفنا ... وبالتالي فالتاريخ برواياته ورجالاته كمرآة لما رآه بعضُ السابقين ، لا تُعرفُ حقيقتهُ إلا بالعقلِ المُجردِ في إدراكه لدلالات كتاب الله تعالى وثواب العلم والمنطق ، وذلك كمرآة للحاضر نرى من خلالها ما تحمله مرآة الماضي ..

.. حينما تتقابل المتناقضات ، فإنَّ العقلَ المُجردَ والإدراكَ السليمَ لكتاب الله تعالى ، والإرادةَ النقيّةَ في تحرّي الحقِّ والانتصارِ له .. كلُّ ذلك .. يدفع باتجاه معرفة الحقيقة .. فقد يرفضُ العقلُ كلَّ المتناقضات حينما لا يجد فيها ما هو صحيح .. وقد يأخذ ببعضها ويرفضُ بعضها .. أمّا أن يُقرّها كُلّها فهذا يعني أنه هوىٌ وليس عقلاً ..

.. لا يمكن لأيِّ إنسانٍ عاقلٍ أن يتصوّر تحرّي الحقِّ بشكلٍ تام ، إلا من قِبَلِ الله تعالى ، فالبشر ليسوا معصومين عن الخطأ أبداً ، والحقيقة ليست محتكرةً لشخصٍ أو مذهبٍ أو طائفة .. ألم يقل الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣]

.. أليس الذي يعتقد أن رجلاً ما من رجالات التاريخ ، قد استطاع تحري الحقيقة كاملة دون الآخرين وأن الآخرين لا حقيقة عندهم .. أليس هذا الاعتقاد هو ذاته ما يحمله قول الله تعالى : ﴿ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ ؟ .. أليس القول بأن بعض السابقين استطاعوا تحري الحق المطلق من بين ضباب الدس على الرسول ﷺ ، وبأن ما صححوه فوق العقل والحوار ، وأن فلاناً معصوماً لأنه من أهل البيت ، وأن فلاناً عدل لأنه رأى النبي ﷺ .. أليست هذه الأقوال عصبية لا علاقة لها بمنهج الله تعالى ، وتناقض كون منهج الله تعالى محتوي في القرآن الكريم ، وأن هذا المنهج قد اكتمل قبل موت النبي ﷺ ؟ ..

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]

.. إن القول بأن كل ما في الصحيحين صحيح ، لا يختلف كثيراً عن القول بأن كل ما في الصحيحين ليس صحيحاً .. فكلا القولين عصبية ناتجة عن جهل بمنهج الله تعالى من أساسه .. ومن لا يدرك أن إدخال الأكاذيب الملققة على الرسول ﷺ إلى ساحة المقدس هو معاول في هدم السنة الحق (عند السنة والشيعه على حد سواء) ، من لا يدرك ذلك ، فهو جاحد بكتاب الله تعالى ، وغارق في مستنقعات التيه ، ومن يعينهم قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَايِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنَا ﴿ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥]

.. ألم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن الموتى لا يسمعون :

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدَّ بَرِينٌ ﴾ [النمل :

[٨٠

﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدَّ بَرِينٌ ﴾ [الروم :

[٥٢

.. ألم يُبَيِّنُ اللهُ تعالى لنا أنَّ كلمة الموتى تعني كلَّ من فارقَ الحياةَ الدنيا مؤمناً كان أو كافراً ، إنساناً كان أو حيواناً .. وأنَّ كلمةَ الأموات وليس الموتى هي ما تعني الموت الإيماني ، سواءً كان ذلك لمن هو على قيد الحياة أو لمن فارق الحياة ، وأنَّ المؤمنَ الحقَّ لا يُعَدُّ من الأموات وإن كان قد فارق الحياة منذ قرون .. وبالتالي فقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ يعني أنَّ من فارق الحياة الدنيا لا يُمكننا أن نسمعَه .. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر :

[٢٢ ، يُؤكِّدُ هذه الحقيقة ..

.. أليست العبارات القرآنيَّة التالية دليلاً على عدم سماع الموتى :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ

بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ۗ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

يَوْمٍ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] فلو كان الرجلُ المعنيُّ في هذا النصِّ - أثناءَ موته - سامعاً

لمن في الدنيا لما قال : ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ ﴾ ..

.. ألا نرى في قولِ عيسى عليه السلام يومَ القيامة ، في حديثه مع الله تعالى : ﴿

وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنْتَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۗ ﴾ [المائدة : ١١٧] ، ألا نرى أنَّ عيسى عليه السلام لم يكن يعلم شيئاً

عمَّا في الدنيا حين وفاته ، وبالتالي لم يكن يسمع من في الدنيا أثناء وفاته ؟ ..

.. والآيات الكريمة التي تُبين أن الموتى لا يسمعون كثيرة .. بعد هذا البيان القرآني

الواضح ، نرى أحاديث تحمل نقيض ذلك ..

البخاري (٣٦٧٩) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ سَمِعَ رُوحَ بْنَ عَبَّادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقَذَفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ حَبِيثٍ مُحْبِثٍ وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ أَيْسَرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَكَلَّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَّا أُرَوَّاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَتَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا

البخاري (٣٦٨٢) :

حَدَّثَنِي عُثْمَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَلْبِ بَدْرٍ فَقَالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا تُسْمَعُ الْمَوْتَى حَتَّى قَرَأْتَ الْآيَةَ

البخاري (٣٦٨١) :

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلْ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ

وَدَنِيهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ قَالَتْ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْقَلْبِيبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ ثُمَّ قَرَأَتْ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ يَقُولُ حِينَ تَبَوَّأُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ

.. ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري

، فيما يخص شرح هذا الحديث :

]] والجواب عن الآية أنه لا يسمعون وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة ، ولم ينفرد عمر ولا ابنه بحكاية ذلك بل وافقهما أبو طلحة كما تقدم ، وللطبراني من حديث ابن مسعود مثله بإسناد صحيح . ومن حديث عبد الله بن سيدان نحوه وفيه : " قالوا يا رسول الله وهل يسمعون ؟ قال : يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون " وفي حديث ابن مسعود " ولكنهم اليوم لا يجيبون " **[[**

]] وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله تعالى : (إنك لا تسمع الموتى) وكذلك المراد بمن في القبور ، فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلاً احتاجت معه إلى تأويل قوله : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " وهذا قول الأكثر ، وقيل : هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفار ، شبهوا بالموتى وهم أحياء ، والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر ، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفتته عائشة رضي الله عنها ، والله أعلم **[[**

.. إن مقولة : **]] أحياهم حتى سمعوا]]** ، هي تأويل لا يقل مخالفةً لكتاب الله تعالى عن مخالفة إسماع الموتى .. فالقرآن الكريم يبين لنا أن الكفار المعنيين في الرواية وأمثالهم ممن يستحقون دخول النار ، يقولون في الآخرة وهم في النار :

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن

سَبِيلٍ ﴾ [غافر : ١١]

.. أليس إحياءهم ليسمعوا كلامَ النبي ﷺ ومن ثم موتهم ، أليس ذلك خرقاً للناموس المذكور في كتاب الله تعالى ، والذي لا يدكر لنا الله تعالى عنه أي خرق ؟ .. فلو أن هؤلاء عادت لهم الحياة لسمعوا ثم ماتوا ، لكانوا قد أحيوا ثلاثاً وليس اثنتين .. وهذا يُخالف قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ ..

.. وأين هي الخصوصية في إسماع النبي ﷺ للموتى ، وذلك مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ

لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ؟ .. أليست كلمة ﴿ إِنَّكَ ﴾ تشمل النبي ﷺ ؟ .. أليست هذه الكلمة تنفي أي خصوصية للنبي ﷺ في إسماع الموتى ؟ .. وكيف نفهم العبارة الواردة في تفسير هذه الرواية : [وقيل : هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفار ، شبهوا بالموتى وهم أحياء ، والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر ، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفتته عائشة رضي الله عنها ، والله أعلم] .. ألا يحمل هذا التأويل مخالفة لكتاب الله تعالى لا تقل عن مخالفة إسماع الموتى ؟!!! .. كيف تكون كلمة الموتى تعني الكفار ، وهي في كتاب الله تعالى تعني كل من فارق الحياة الدنيا مؤمناً كان أو كافراً ، إنساناً كان أو حيواناً ..

.. فالحيوان حينما ينفق يُسمى بالموتى مع أنه لا علاقة له بمسائل الكفر والإيمان ،

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالِ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠]

.. أليست كلمة (الأموات) هي التي تعني ما تذهب إليه تلك التأويلات ؟!!! .. الله

تعالى يقول : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ، ولا يقول : (إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْأَمْوَاتِ) ..

فكيف إذا تُحْمَلُ كلمة ﴿الْمَوْتَى﴾ دلالات كلمة (الأموات) ؟!!! .. أليس هذا تحريفاً للكلمة عن مواضعه ؟!!! ..

.. ولو طلقنا عقولنا وأعرضنا عن دلالات كلمة ﴿الْمَوْتَى﴾ في كتاب الله تعالى وقبلنا تأويلهم بأن كلمة ﴿الْمَوْتَى﴾ في الآيتين الكريميتين : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل : ٨٠] ، ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الروم : ٥٢] .. بأنها تعني الكفار من الأحياء الذين لا يسمعون نداء الحق .. لو طلقنا عقولنا وقبلنا بهذا التأويل .. فماذا تعني إذا العبارة القرآنية في هاتين الآيتين : ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ، والتي تُعْطَفُ مباشرةً على العبارتين : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ، ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ .. ؟!!!!!!

.. أليست العبارة ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ هي التي تعني الكفار من الأحياء الذين لا يسمعون نداء الحق وإن كانت العبارتان : ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ، ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ تعنيان الكفار من الأحياء الذين لا يسمعون نداء الحق كما يزعمون ، فما الفائدة إذاً من عطف هذه العبارة القرآنية عليهما ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. كيف بنا أن نُطَلِّقَ عقولنا وأن نقفز فوق دلالات كتاب الله تعالى الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ، لمجاعة روايات هي ذاتها متناقضة في معناها ؟ .. أليست العبارات المنسوبة للنبي ﷺ : **[[وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ]]** ، أليست تُناقضُ العبارة الواردة أيضاً في ذات الأحاديث : **[[مَا قَالَ إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ إِنَّمَا قَالَ إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ]]** ؟!!! .. أليس الفارق كبيراً بين دلالات العبارة المنسوبة للرسول ﷺ : **[[إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ]]** ، وبين

دلالات العبارة المنسوبة - أيضاً - للرسول ﷺ : **[[إِنَّهُمْ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ]]** !!!؟ .. كم هي درجة تطبيق العقل التي نحتاجها لنقنع أنفسنا أنه لا تعارض بين هذه الروايات ، وأنه لا تعارض بينها وبين دلالات كتاب الله تعالى !!!؟ .. وإن لم يكن هذا تناقضاً فما هو التناقض إذاً !!!؟ .. وكيف لهذه الروايات المتناقضة أن تُرفع إلى درجة المقدس !!!؟ .. وكيف يتم الدفاع عن مثل هذه التناقضات اعتقاداً بأن ذلك هو دفاع عن السنة الشريفة !!!؟ ..

.. وفي الرواية الأخيرة نرى - أيضاً - مسألة أخرى هي مسألة عذاب الميت ببكاء أهله عليه .. وفي هذه المسألة تُبين عائشة أن قول ابن عمر الذي يرفعه للنبي ﷺ ليس صحيحاً ، فالعبارة في هذا الحديث : **[[ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ فَقَالَتْ وَهَلْ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الآنَ]]** .. هذه العبارة واضحة وجليّة بأن ابن عمر قد توهم ونسي في رفعه للنبي ﷺ أن الميت يُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه .. وقولها هذا يتوافق مع القرآن الكريم : **﴿ أَلَّا تَرَوْا وَزَرَ وَزَرَ أُخْرَى ﴾** [النجم : ٣٨] .. ومع ذلك نرى روايات متناقضة في هذه المسألة .. لننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢١٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ تَابِعَهُ عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ وَقَالَ آدَمُ عَنْ شُعْبَةَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ عَلَيْهِ

مسلم (١٥٣٨) :

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَبِحَ عَلَيْهِ

.. ولننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢٠٨) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ وَهُوَ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ صَهِيْبٌ يَقُولُ وَآخَاهُ فَقَالَ عُمَرُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ

.. ولننظر في النص التالي المقطع من فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخص

هذا الحديث :

[[فذكرت ذلك لموسى بن طلحة فقال : كانت عائشة تقول إنما كان أولئك اليهود "

أخرجه مسلم . قال الزين بن المنير : أنكر عمر على صهيب بكاءه لرفع صوته بقوله وا أخاه ، ففهم منه أن إظهاره لذلك قبل موت عمر يشعر باستصحابه ذلك بعد وفاته أو زيادته عليه فابتدره بالإنكار لذلك والله أعلم [[..

ما علاقة هذا التفسير بصريح صياغة الرواية المُفسَّرة ؟!!!! .. لننظر في الرواية التالية :

البخاري (١٢٠٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ تُوْفِيَتْ ابْنَةُ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا أَوْ قَالَ جَلَسْتُ إِلَيْ أَحَدِهِمَا ثُمَّ جَاءَ الْآخَرُ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَنِيْبِي فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ أَلَا تَنْهَى عَنِ الْبُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ

صَدْرَتْ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمْرَةٍ فَقَالَ اذْهَبْ فَأَنْظُرْ مَنْ هُوَ لَاءِ الرُّكْبِ قَالَ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا صُهَيْبٌ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ادْعُهُ لِي فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ فَقُلْتُ ارْتَحِلْ فَالْحَقَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ وَآخَاهُ وَآصَاحِبَاهُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَابِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ لَيُعَذَّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ حَسْبُكُمْ الْقُرْآنُ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ وَاللَّهُ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا

.. ولننظر في النصّ التالي المُقتطَع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصُّ تفسير هذا الحديث ، لنرى كيف أنّ هذه التفسيرات تُوضَع بهدف عدم الاعتراف بعدم صحّة تلك الروايات ، ليس إلّا ، وأنها مبنية على احتمالات وتأويلات تفترض مسبقاً صدق الرواية ، ومن ثمّ يتمّ البحث عن تبريرات لإثبات هذه الفرضية ، دون أيّ اعتبار لمخالفة تلك التبريرات لصياغة الرواية المُفسّرة ، ودون أيّ اعتبار للعقل والمنطق ..

]] قوله : (قال ابن عباس عند ذلك) أي عند انتهاء حديثه عن عائشة (والله هو

أضحك وأبكى) أي أن العبرة لا يملكها ابن آدم ولا تسبب له فيها فكيف يعاقب عليها فضلا عن الميت . وقال الداودي : معناه أن الله تعالى أذن في الجميل من البكاء فلا يعذب على ما أذن فيه . وقال الطيبي : غرضه تقرير قول عائشة أي أن بكاء الإنسان وضحكه من الله يظهره فيه فلا أثر له في ذلك . قوله : (ما قال ابن عمر شيئاً) قال الطيب وغيره : ظهرت لابن عمر الحجة فسكت مدعناً . وقال الزين بن المنير : سكوته لا يدل على الإذعان فلعله كره المجادلة في ذلك المقام . وقال القرطبي : ليس سكوته لشك طراً له

بعدما صرح برفع الحديث ، ولكن احتمل عنده أن يكون الحديث قابلاً للتأويل ، ولم يتعين له محمل يحمله عليه إن ذلك أو كان المجلس لا يقبل الممارسة ولم تتعين الحاجة إلى ذلك حينئذ . ويحتمل أن يكون ابن عمر فهم من استشهاد ابن عباس بالآية قبول روايته لأنها يمكن أن يتمسك بها في أن الله أن يعذب بلا ذنب فيكون بكاء الحي علامة لذلك ، أشار إلى ذلك الكرمانى .]]

.. هذه الاحتمالات المتناقضة ما بين العبارة : [] ظهرت لابن عمر الحجة فسكت

مذعناً [] ، وبين العبارة : [] ليس سكوته لشك طراً له بعدما صرح برفع الحديث [] ، ما بين هاتين العبارتين احتمالات وتأويلات تم إخراجها من الجيوب ، لا تلامس صياغة نص الرواية بشيء ، فضلاً عن أنها تأويلات لا تُقيم وزناً لحقيقة دلالات كتاب الله تعالى ، التي تؤكد بصريح العبارة تقيض ما تحمله هذه الروايات ..

.. وفي المسألة ذاتها نرى رواية تأخذ منحى آخر لا يقل وضعا عن هذه الروايات :

مسلم (١٥٤٦) :

و حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ هِشَامٍ وَأَبُو الرَّبِيعِ الرَّهْرَانِيُّ جَمِيعًا عَنْ حَمَادٍ قَالَ خَلْفٌ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَتْ رَحِمَ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَحْفَظْهُ إِنَّمَا مَرَّتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَازَةٌ يَهُودِيٌّ وَهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ

.. كم هو الفارق بين العبارات : [] أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ

لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ [] ، ، [] عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ

بِمَا نَبِحَ عَلَيْهِ [] ، التي رأيناها في الروايات السابقة ، وبين العبارة : [] أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ

لَيُعَذَّبُ [] !!!؟ .. أليست تأويلاتهم قفزاً فوق قواعد اللغة العربية وحدود العقل والمنطق

!!!؟ .. لننظر في الرواية التالية وشرحها ..

مسلم (١٥٣٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ بَشْرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ الْعَيْدِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ مَهَلًا يَا بَنِيَّةُ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ

هذا الحديث :

[] قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) وفي رواية (ببعض بكاء أهله عليه) وفي رواية (ببكاء الحي) وفي رواية (يعذب في قبره بما نوح عليه) وفي رواية (من يبكي عليه يعذب) وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وأنكرت عائشة ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، واحتجت بقوله تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } قالت : وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم في يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها يعني تعذب بكفرها في حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء . واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكي عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته ، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم ؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه . قالوا فأما من بكى عليه وأهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } .. **[]**

أليس القول بأنَّ عذاب الميت ببكاء أهله عليه (المعنى في هذه الروايات) هو لمن :

[] وصى بأن يبكي عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته ، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم ؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه . **[]** ، أليس هذا القول هو خروجٌ فاضحٌ على دلالات هذه الروايات التي لا تحمل تأويلهم لا من قريب ولا من بعيد ؟!!!!!! .. لماذا لا نرى مجرد إشارة لتأويلاتهم هذه في صياغة هذه الروايات ؟!!!! .. وهل تأويلاتهم هذه لها

آية علاقة بالقول الذي يفترونه على الرسول ﷺ بأنه قال **[[الْمَيِّتُ يُعَدَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ]]** !!؟ ..

الأدهى والأمر أنهم يتهموننا نحن بالقفز فوق قواعد اللغة العربية ، وذبنا أننا نأبي أن نُطلقَ عقولنا ونُصدِّقَ تأويلاتهم التي يأتون بها من جيوبهم .. وهنا نسأل السؤال التالي : من منا الذي يقفز فوق قواعد اللغة العربية في فهمه لنصوص هذه الروايات ... نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف أن رجلاً لم يقتنع بالقول : **[[الْمَيِّتُ يُعَدَّبُ**

بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ]] ، كيف أنه يُتهم بمخالفة السنّة الشريفة .. فهذا الرجل - كما في صياغة هذه الرواية ودون أن نُضيف لها معاني من جيوبنا - لم يقل بأنه لا يصدّق النبي ﷺ ، ولم يقل بأنه يُنكر السنّة الشريفة ، إنّما يعبر عن عدم اقتناعه بما يُفترى في هذه المسألة على كتاب الله تعالى وعلى السنّة الشريفة ذاتها ..

النسائي (١٨٣١) :

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ أَنْبَأَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَنْبَأَنَا مَنْصُورٌ هُوَ ابْنُ زَادَانَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَدَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَأَيْتَ رَجُلًا مَاتَ بِخُرَّاسَانَ وَنَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا أَكَانَ يُعَدَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ قَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَبْتَ أَنْتَ

أحمد (٢٣١٦٧) :

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ أَنْبَأَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَنْبَأَنَا مَنْصُورٌ هُوَ ابْنُ زَادَانَ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ الْمَيِّتُ يُعَدَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ أَرَأَيْتَ رَجُلًا مَاتَ بِخُرَّاسَانَ وَنَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا أَكَانَ يُعَدَّبُ بِنِيَاحَةِ أَهْلِهِ قَالَ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَذَبْتَ أَنْتَ

.. ولننظر إلى التناقض الفاضح بين الروايات التالية ، وكيف أنه لا يمكن لأي عقلٍ

سليم أن يستطيع التوفيقَ بينها ، أو أن يُقرَّ بصحّتها جميعها ..

مسلم (٥٢٩) :

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ قَارِظٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَجَدَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ عَلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ إِنَّمَا اتَّوَضَّأُ مِنْ أَنْوَارٍ أَقِطُ أَكَلْتُهَا لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّأُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ

مسلم (٥٣١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ

البخاري (٥٠٣٦) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنِ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ فَقَالَ لَا قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلٌ إِلَّا أَكْفْنَا وَسَوَاعِدْنَا وَأَقْدَامَنَا ثُمَّ نَصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ

مسلم (٥٣٠) :

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ وَأَنَا أُحَدِّثُهُ هَذَا الْحَدِيثَ أَنَّهُ سَأَلَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ عَنِ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ فَقَالَ عُرْوَةُ سَمِعْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ

الترمذي (٧٤) :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ تُوْرٍ أَقِطٍ قَالَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْتَوَضَّأُ مِنَ الدُّهْنِ أَنْتَوَضَّأُ مِنَ الْحَمِيمِ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَبِي طَلْحَةَ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَبِي مُوسَى

قَالَ أَبُو عِيْسَى وَقَدْ رَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْوُضُوءَ مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْوُضُوءِ مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ

النسائي (١٧١) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا إِسْمَاعِيلُ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالََا حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ

أحمد (٢٣٣٢) :

حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَطَاءِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْقُرَشِيِّ قَالَ دَخَلْنَا بَيْتَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْنَا فِيهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَذَكَرْنَا الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مِمَّا مَسَّتْهُ النَّارُ ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا أَنْتَ رَأَيْتَهُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنَيْهِ فَقَالَ بَصَرَ عَيْنَيَّ

أحمد (٧٢٨٧) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ قَالَ مَرَرْتُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ أَتَدْرِي مِمَّا أَتَوَضَّأُ مِنْ أَثْوَارِ أَقِطٍ أَكَلْتُهَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَوَضَّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ

أحمد (٢٥٢١٤) :

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ فَاطِمَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكَلَ عَرَقًا فَجَاءَ بِلَالٌ بِالْأَدَانِ فَقَامَ لِيُصَلِّيَ فَأَخَذْتُ بِنُؤْبِهِ فَقُلْتُ يَا أَبَهَ أَلَا تَتَوَضَّأُ فَقَالَ مِمَّ أَتَوَضَّأُ يَا بُنَيَّةُ فَقُلْتُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ فَقَالَ لِي أَوْلَيْسَ أَطَيْبُ طَعَامِكُمْ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ

.. إن لم يكن هذا تناقضاً ، فما هو التناقضُ إذاً .. كيف يُمكنُ لمثلِ هذه الروايات المتناقضة أن تُبنى عليها أحكامٌ تشريعيةٌ تأخذُ صلاحيةً تخصّيصٍ مُطلقٍ كتاب الله تعالى ، أو تأخذُ صلاحيةً إطلاقٍ المُخصّص في كتاب الله تعالى ، أو تأخذُ صلاحيةً نسخٍ أحكامِ كتاب الله تعالى ، كما يزعمُ عابدو أصنامِ التاريخِ !!!؟ .. ألا نحسُّ من هذه الروايات أن كلاماً كان يُلقَقُ على لسان النبي ﷺ فقط من أجل عصبيةٍ إثبات الذات .. وفي العبارات الواردة في هذه الأحاديث : [] فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْتَوَضَّأُ مِنَ الدُّهْنِ أَنْتَوَضَّأُ مِنَ الْحَمِيمِ قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا سَمِعْتَ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَضْرِبْ لَهُ مَثَلًا [] ، في هذه العبارات ، ألا نحسُّ أن ابن عباس إنما قال ذلك تكديماً لأبي هريرة ..

.. وكيف يُمكنُ لعاقلٍ أن يتصوّرَ مصداقيةَ الروایتين التاليتين في الوقتِ ذاته :

أحمد (٢٥٤٨٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَوْنٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَوْ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَرْوَانَ فَقَالَ مَا أَدْرِي مَنْ نَسَأُ كَيْفَ وَفِينَا أَرْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَنِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَحَدَّثْتَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَتَنَاوَلَ عَرْفًا فَانْتَهَسَ عَظْمًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ

أحمد (٢٥٤٩٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَحْلَاءَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي سَلَمَةَ إِنَّ ظَنُّكَ سَلِيمًا لَا يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ قَالَ فَضْرَبَ صَدْرَ سَلِيمٍ وَقَالَ أَشْهَدُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ تَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ

.. أيّ عقلٍ سليمٍ يستطيعُ من هاتين الروايتين أن يصل إلى نتيجةٍ في الوضوءِ ممّا

مسّت النار !!!؟ ، أو أن يصل إلى نتيجةٍ في موقفِ أم سلمة من هذه المسألة !!!؟ .. ففي

الرواية الأولى نرى أن أم سلمة تؤكد أن النبي ﷺ تناول عرقاً فانتَهَسَ عَظْمًا ثُمَّ صَلَّى وَكَمْ يَتَوَضَّأُ ، وفي الرواية الثانية نرى أن أم سلمة تشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ مما مسّت النار .. فهل أم سلمة في الرواية الأولى غير أم سلمة في الرواية الثانية !!!؟ .. أم أن الرسول المعني في الرواية الأولى يختلف عن الرسول المعني في الرواية الثانية !!!؟ .. أم أن العقل الذي يُميّز الإنسان عن البهائم عدو لنا لا بُدَّ من تطبيقه لكى لا نرى الحقيقة !!!؟ .. أترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ .. أترك الإجابة لمن يفهم قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. ولننظر إلى الحديث التالي كيف يُصورُ مسألة لا يقبلها عقلٌ ولا منطق .. فضلاً

عن كونها لا وجود لأيِّ إشارة لها في كتاب الله تعالى ..

البخاري (١٢٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ أَيُّ رَبِّ ثُمَّ قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْبِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ

مسلم (٤٣٧٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهِ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَجِبْ رَبِّكَ قَالَ

فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا قَالَ فَارْجِعَ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ الْحَيَاةَ تُرِيدُ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَنْتَنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً قَالَ ثُمَّ مَهْ قَالَ ثُمَّ تَمُوتُ قَالَ فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ أَمِئْتَنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ

مسلم (٤٣٧٤) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ عَبْدُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَرْسَلَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَّأَ عَيْنَهُ فَارْجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَنْتَنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً قَالَ أَيُّ رَبِّ ثُمَّ مَهْ قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، لنرى

كيف يُتَّهَمُ مَنْ يستعملُ عقله في فهم النصوص بأنه من الملاحدة ، وكيف تُخترَعُ الحِيلُ ، وكيف تُخترَعُ التبريرات لتأويل هذا الحديث :

]] وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث ، وأنكر تصويره ، قالوا كيف يجوز على

موسى فقاء عين ملك الموت ؟ قال : وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة : أحدها أنه لا يمتنع أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ، ويكون ذلك امتحانا للملطوم ، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ، ويمتحنهم بما أراد .

والثاني أن هذا على المجاز ، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة ، ويقال : فقاً فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة ، ويقال : عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصا قال : وفي هذا ضعف لقوله صلى الله عليه وسلم : " فرد الله عينه " فإن قيل : أراد رد حجته كان بعيدا . والثالث أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يعلم أنه ملك من عند الله ، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه ، فدافعه عنها ، فأدت المدافعة إلى فقاء عينه ، لا أنه قصدها بالفقاء ، وتؤيده رواية (صكه) ، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري والقاضي عياض ، قالوا : وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقاء عينه ، فإن قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت ، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت ، فاستسلم بخلاف المرة الأولى . والله أعلم . [] ..

.. كيف يأذنُ اللهُ تعالى بلطمِ ملك الموتِ وَقَفَّيْ عينه على يد موسى عليه السلام امتحاناً لملك الموت ، كما يُخترَع في هذه التبريرات التي لا تقلُّ سوءاً ومخالفةً لمنهج الله تعالى عن سوء الرواية ذاتها ؟ .. فهل الملائكةُ كائناتٌ مُكلَّفةٌ وبالتالي مُمتَحَنَةٌ كعالمي الجن والإنس ؟ .. وكيف يكون فقاً عين ملك الموت الوارد في الرواية مجازاً يعني الغلبة بالحجة ، والرواية ذاتها تقول بأنَّ الله تعالى قد أعاد عينَ ملك الموت له ؟!!! ..

.. وكيف يظنَّ موسى عليه السلام أنَّ ملك الموت رجلٌ يُريدُ نفسَ موسى عليه السلام ، في الوقت الذي يقولُ فيه ملك الموت لموسى : [[أَجِبْ رَبِّكَ]] ، فهل إجابةُ النبيِّ لربه تكون بلطمٍ من يطلب منه ذلك لطمَةً تُفقاً بها عينه ؟!!! .. وهذا التأويل الذي لا وجودَ له إلا في مخيلةِ بعضِ عابدي أصنام التاريخ ، ينقضه نصُّ هذه الرواية من أساسه .. ففي نصِّ هذه الرواية الموضوعة يُفتري على الله تعالى وعلى موسى عليه السلام ، بأنَّ الله تعالى خاطبَ ملك الموت خطاباً يؤكدُ فيه أنَّ موسى إنما فقاً عين ملك الموت عن علم بحقيقته ، ولأنَّ موسى يريد الحياة ولا يريد الموت ، وليس لسببٍ آخر :

[[فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ فَفَقَّأَهَا قَالَ فَرَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَّأَ عَيْنِي قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ الْحَيَاةُ تُرِيدُ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً]] ..

.. هذا النصُّ يُسْقِطُ هذا التأويل من أساسه بأن موسى عليه السلام ظنَّ ملك الموت رجلاً قصده يريد نفسه ، كما يُلبسون ويدرّون الرماد في العيون بغية الإيهام بصحة رواية لا يقتنع بصحتها عاقل ... فالعبرة : **[[الْحَيَاةُ تُرِيدُ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً]]** .. تحملُ اتِّهَاماً لموسى عليه السلام بأنه يريد الحياة ولا يريد الموت ، ولأنه كذلك ، يعرض الله تعالى عليه أن يضع يده على مَتْنِ ثَوْرٍ فيعيش من السنين عدداً مساوياً لما تَوَارَتْ يَدُهُ مِنْ شَعْرَةٍ .. وبالتالي - حسب هذه الرواية الموضوعية - فالمسألة ليست مسألة رجلٍ قصد موسى عليه السلام يريد نفسه ، كما يُخترع في تأويلاتهم التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ثم من قال إنَّ ملك الموت يدخل البيوت كدخول البشر ، وله عينٌ ماديةٌ كأعين البشر يتم فقؤها بلطمة من البشر ؟!!! .. ألم يتوجَّس إبراهيم عليه السلام خيفةً من الملائكة الذين أتوا إليه وقدم لهم الطعام ، لأنه رأى أن أيديهم لا تصل إليه ؟ .. يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ ﴿٦١﴾ فَأَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : ٧٠]

.. ألا نفهم من ذلك أن أولئك الملائكة الذين أتوا إلى إبراهيم عليه السلام ، قد أتوه بصورة البشر ، ولكنها صورةٌ غيرُ ماديةٍ لا تتفاعل مع مادّة الدنيا كالطعام وغيره .. وإلاً

كيف بنا أن نفهم العبارة القرآنية : ﴿ فَأَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ ..

.. ألم يُبَيِّنُ اللهُ تعالى أنه حينما أرسل الروح الأمين إلى مريم عليها السلام ، ليهب لها غلاماً زكياً .. ألم يُبَيِّنُ لنا أن الروح الأمين قد تمثّل لها بشراً سوياً :

﴿ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

[مريم : ١٧]

.. فالعبارة القرآنية : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ تعني أن الروح الأمين قد تمثّل

الصورة البشرية تمثلاً كصورة ، ولا تعني أبداً أنه أصبح بشراً من دمٍ ولحمٍ وعينٍ تُفْقَأُ بلطمة كأعين البشر ..

.. كيف يُصَوِّرون ملك الموت كأبي رجلٍ من رجال الدنيا ، من دمٍ ولحمٍ وعينٍ مادية تُفْقَأُ بلطمة كأعين البشر ؟ .. وقول بعضهم بأن العين التي فُقمت ليست عين ملك الموت ، إنما هي عين الصورة التي تمثّل بها ملك الموت ، وذلك كمحاولة للخروج من المأزق الذي تضعهم به هذه الرواية الموضوعية ، هذا القول لا يُحمِلُ على أيّ قيمة ، فمن جهة الصورة لا تُفْقَى عينها لأنها صورة ، ومن جهة أخرى فإن العبارات الواردة في متن هذه الرواية الموضوعية [[فَقَالَ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي قَالَ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ]] ، هذه العبارات تردّ هذا التصوّر من أساسه .. فالذي فُقِيَ هو

عين ملك الموت والذي رُدّ هو عين ملك الموت ، هكذا تنطق العبارات التي نراها .. كيف بنا أن نُطلِّقَ عقلنا ونقبلَ بتبريراتٍ لا وجودَ لها في صياغة النصّ المؤوّل ، وتناقضُ ثوابتِ القرآن الكريم والعقل والمنطق ؟ !!! .. كلُّ هذه التأويلات والتبريرات يُسمونها علم تأويل مختلف الحديث .. وهانحن نرى كيف أنها لا تتكئ على شيءٍ يمتُّ للعلم بصلة ..

.. ولننظر إلى التناقض الجلي بين الروايات التالية ..

مسلم (٥٢٧) :

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ قَالَا حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عِيَاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أُمِّ كَلْثُومٍ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يُجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يَكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا وَهَذِهِ ثُمَّ تَغْتَسِلُ

أحمد (٢٠١٧٥) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ أَخْبَرَنَا أَبِي أَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ أَبِيَا حَدَّثَهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ الرَّجُلُ يُجَامِعُ أَهْلَهُ فَلَا يُنْزَلُ قَالَ يَغْتَسِلُ مَا مَسَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ

مسلم (٥٢٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزُّهْرَانِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادٌ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الرَّجُلِ يُصِيبُ مِنَ الْمَرْأَةِ ثُمَّ يَكْسِلُ فَقَالَ يَغْتَسِلُ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْمَرْأَةِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي

مسلم (٥٢٥) :

و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو غَسَّانَ الْمِصْمَعِيُّ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالُوا حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ وَمَطَرٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ وَفِي حَدِيثٍ مَطَرٍ وَإِنْ لَمْ يُنْزَلْ قَالَ زُهَيْرٌ مِنْ بَيْنِهِمْ بَيْنَ أَشْعُبَيْهَا الْأَرْبَعِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ

بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ ثُمَّ اجْتَهَدَ وَلَمْ يَقُلْ وَإِنْ لَمْ يُنْزَلْ

البخاري (١٧٣) :

حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ أَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُمْنِ قَالَ عُمَانُ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ قَالَ عُمَانُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَأَبِي بَنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ

.. أي تأويلٍ يستطيع إزالة التناقض الذي نراه بين هذه الروايات ؟!!! .. هم عادة يضعون - دون أي معيار - شماعة اسمها النسخ ، يُعلقون عليها تأويلاتهم للإيهام بعدم وجود تناقض بين الروايات .. ولكن .. أليست العبارات في حديث البخاري : [[أَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ فَلَمْ يُمْنِ قَالَ عُمَانُ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ قَالَ عُمَانُ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَأَبِي بَنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ]] .. أليست هذه العبارات تُفسد عليهم أي تأويلٍ على شماعة النسخ ، فمتن هذه الرواية يُصورُ حكماً يتم تداوله ما بعد وفاة النبي ﷺ ، ويُنسبُ للنبي ﷺ ، ولا يُعقلُ أن تُنسخَ الأحكام بعد وفاة النبي ﷺ .. هذا فضلاً عن أن مسألة النسخ شماعة تحمل من التلفيقات بما لا يقلُّ عما نراه في هذه الروايات المتناقضة وتأويلاتها ..

.. وهنا يحقُّ لنا أن نسأل السؤال التالي : من الذي يُدافع عن السنّة الشريفة ؟ .. هل هو من يُقرُّ مثل هذه الروايات ويُقرُّ بمثل هذه التبريرات ، ويعتبرُ مثل هذه الروايات وأمثالها ناسخةً لأحكام كتاب الله تعالى ومقيّدةً له .. أم هو الذي يدعو إلى معايرة كل هذه الروايات على كتاب الله تعالى ، وذلك عند كل أبناء الأمة من أقصى السنّة إلى أقصى الشيعة ، وبحيث يكون المعيار هو كتاب الله تعالى ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، مدرّكاً دلالاتِ قوله تعالى ..

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[الجاثية : ٦]

.. ألا ينهانا الله تعالى في هذه الآية الكريمة وفي غيرها ، من أن نرفع أي نص خارج نصوص القرآن الكريم إلى درجة الإيمان الذي نؤمن به بكتاب الله تعالى ؟ .. هم يخافون من معايرة هذه الروايات على كتاب الله تعالى ، لأنهم يعلمون أن الكثير منها سيتبين فساده وستبين الحقيقة التي لا يريدون ظهورها .. فلو كانت هناك معايرة حقيقية على كتاب الله تعالى ، ولو كان هناك اعتبار للمتن ، ولو كان هناك اعتبار لقواعد اللغة العربية .. لو كان ذلك .. هل كان من الممكن أن تصل إلينا مثل هذه الروايات ، وهل كان من الممكن أن نرى مثل هذه التأويلات والتبريرات التي نراها ؟ ..

.. يضللون الناس فيقولون لهم : إننا بكلامنا هذا الذي نريد به أن نضع هذه الروايات في ميزان كتاب الله تعالى ، إنما ندعو لهدم السنة تمهيداً لهدم كتاب الله تعالى .. وكأن هذه الروايات صحيحة وتوافق كتاب الله تعالى ، وكأن كتاب الله تعالى يحتوي مثل هذه المتناقضات .. ولو وقف هؤلاء على حقيقة الأمر لعلموا أن مثل هذه الروايات إنما وضعت لهدم المنهج من أساسه ، فهي من جهة تثير الشك حتى في كتاب الله تعالى كما رأينا سابقاً ، ومن جهة أخرى تفرض أحكاماً تناقض أحكام كتاب الله تعالى ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٦٢٨٥) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقْطَعُ يَدَهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتَقْطَعُ يَدَهُ قَالَ الْأَعْمَشُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ وَالْحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ

ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما

يخص هذا الحديث :

]] وقال عياض : لا ينبغي أن يلتفت لما ورد أن البيضة بيضة الحديد والحبل حبل السفن لأن مثل ذلك له قيمة وقدر ، فإن سياق الكلام يقتضي ذم من أخذ القليل لا الكثير ، والخبر إنما ورد لتعظيم ما جنى على نفسه بما تقل به قيمته لا بأكثر ، والصواب تأويله على ما تقدم من تقليل أمره وتهجين فعله وأنه إن لم يقطع في هذا القدر جرت عادته إلى ما هو أكثر منه]]

.. ولننظر في النصوص التالية التي تحمل ذات المعنى ..

البخاري (٦٣٠١) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ

مسلم (٣١٩٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ حَشْرَمٍ كُلُّهُمْ عَنْ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ عَنِ الْأَعْمَشِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ يَقُولُ إِنْ سَرَقَ حَبْلًا وَإِنْ سَرَقَ بَيْضَةً

النسائي (٤٧٩٠) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْمُحَرَّمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ح وَأَنْبَاءَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ

ابن ماجه (٢٥٧٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ

أحمد (٧١٢٧) :

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ .. إذا .. السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده .. بعد ذلك

نرى روايات تنفي القطع عن المختلس والمنتهب والخائن .. لننظر في الأحاديث التالية ..

النسائي (٤٨٨٩) :

أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ رُوْحِ الدَّمَشْقِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ وَلَا الْمُنتَهَبِ وَلَا خَائِنٍ قَطْعٌ

سنن ابن ماجه (٢٥٨١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَقْطَعُ الْخَائِنُ وَلَا الْمُنتَهَبُ وَلَا الْمُخْتَلِسُ

سنن الدارمي (٢٢٠٧) :

أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ قَالَ جَابِرٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى الْمُنتَهَبِ وَلَا عَلَى الْمُخْتَلِسِ وَلَا عَلَى الْخَائِنِ قَطْعٌ

كيف لا يكون أخذ الأموال عبر النهب والاختلاس والخيانة ليس من السرقة !!!؟ ..
أليس أخذ الأموال من الناس اختلاساً وسلباً وخيانةً وجحد هذه الأموال وعدم إعادتها لهم ، أليس هو سرقة بكل المقاييس !!!؟ .. لننظر في الحديث التالي ..

الترمذي (١٣٦٨) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَشْرَمٍ حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُوْنُسَ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنِ جَابِرِ

عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ وَلَا مُنْتَهَبٍ وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَدْ رَوَاهُ مُغِيرَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَمُغِيرَةَ بْنِ مُسْلِمٍ هُوَ بَصْرِيُّ أَخُو عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَسَمِيِّ كَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ .. ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي فيما يخصُّ هذا الحديث :

[[..... قال النووي في شرح مسلم : قال القاضي عياض : شرع الله تعالى إيجاب القطع على السارق ولم يجعل ذلك في غيرها كالاختلاس والانتهاج والغصب ، لأن ذلك قليل بالنسبة إلى السرقة ، ولأنه يمكن استرجاع هذا النوع بالاستغاثة إلى ولاة الأمور وتسهيل إقامة البينة عليه بخلافها ، فيعظم أمرها ، واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها انتهى]]

[[..... قال الشوكاني في النيل : قد ذهب إلى أنه لا يقطع المختلس والمنتهب والخائن العترة والشافعية والحنفية ، وذهب أحمد وإسحاق وزفر والخوارج إلى أنه يقطع ، وذلك لعدم اعتبارهم الحرز انتهى . قلت : والراجح هو قول الشافعية والحنفية . لأحاديث الباب وهي بمجموعها صالحة للاحتجاج .]]

.. وحتى لو سلمنا لقولهم الموضوع على النبي ﷺ بأنه لا قطع على المنتهب والمختلس والخائن ، فكيف بنا أن نفهم - بناء على ذلك - الأحاديث التالية ..

مسند أحمد (٢٤١٣٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً مَخْزُومِيَّةً تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ يَدَهَا فَاتَى أَهْلَهَا أُسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَ أُسَامَةَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أُسَامَةَ لَا أَرَاكَ تُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ حَطِيبًا فَقَالَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بَأَنَّهُ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقَطَعْتُ يَدَهَا فَقَطَعَ يَدَ المَخْزُومِيَّةِ

النسائي (٤٨٠٥) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ مَتَاعًا عَلَى السِّنَةِ جَارَاتِهَا وَتَجَحُّدُهُ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا

سنن أبي داود (٣٨٢١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ قَالَ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ كَانَ عُرْوَةُ يُحَدِّثُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَعَارَتْ امْرَأَةٌ تَعْنِي حُلِيًّا عَلَى السِّنَةِ أَنَسٌ يُعْرِفُونَ وَلَا تُعْرَفُ هِيَ فَبَاعَتْهُ فَأَخَذْتُ فَأَتَيْتُ بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهَا وَهِيَ التِّي شَفَعَ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَقَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ المَتَاعَ وَتَجَحُّدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا وَقَصَّ نَحْوَ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ عَنْ اللَّيْثِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ زَادَ فَقَطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهَا

أحمد (٦٠٩٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَتْ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ المَتَاعَ وَتَجَحُّدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا

نصوص صريحة وبيّنة بأن سبب قطع يد هذه المرأة هو أنها كانت تستعير المتاع وتجحده ، وكل ذلك لا يخرج عن مفاهيم الاختلاس والنهب والخيانة .. فكيف يكون لا قطع على المنتهب والمختلس والخائن في الوقت الذي تُقَطَعُ فيه يد هذه المرأة نتيجة

بحودها للمتاع الذي كانت تستعيره؟!!!.. ولننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٣١٩٧) :

و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَاللَّفْظُ لِحَرَمَلَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوْنَ وَجَهَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَطَبَ فَأَنْتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَطَعَتْ يَدَهَا قَالَ يُونُسُ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَحَسَنْتُ تَوْبَتَهَا بَعْدَ وَتَزَوَّجْتُ وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً مَخْزُومِيَّةً تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُقَطَعَ يَدُهَا فَأَتَى أَهْلَهَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَكَلَّمُوهُ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ اللَّيْثِ وَيُونُسَ

ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص هذا

الحديث ، لنرى كيف يتم الالتفاف على الدلالات الواضحة لصياغة هذه الروايات :

[] قوله : (كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي صلى الله عليه

وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة فكلموه) الحديث ، قال العلماء : المراد أنها قطعت

بالسرقة ، وإنما ذكرت العارية تعريفاً لها ووصفاً لها ، لا أنها سبب القطع . وقد ذكر مسلم هذا الحديث في سائر الطرق المصرحة بأنها سرقت وقطعت بسبب السرقة ، فيتعين حمل هذه الرواية على ذلك جمعاً بين الروايات ، فإنها قضية واحدة ، مع أن جماعة من الأئمة قالوا : هذه الرواية شاذة : فإنها مخالفة لجماهير الرواة ، والشاذة لا يعمل بها .. [[..

ولننظر في الرواية التالية ..

سنن أبي داود (٣٨٠٢) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبِ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّقَفِيُّ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أُسَامَةُ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاحْتَطَبَ فَقَالَ إِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالََا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَتْ امْرَأَةً مَخْزُومِيَّةً تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا وَقَصَّ نَحْوَ حَدِيثِ اللَّيْثِ قَالَ فَقَطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى ابْنُ وَهْبٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ يُونُسَ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ فِيهِ كَمَا قَالَ اللَّيْثُ إِنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ وَرَوَاهُ اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِإِسْنَادِهِ فَقَالَ اسْتَعَارَتْ امْرَأَةً وَرَوَى مَسْعُودُ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا الْخَبَرِ قَالَ سَرَقَتْ قَطِيفَةً مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَوَاهُ أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فَعَادَتْ

بِرِّيْنَبَ بِنْتِ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما

يخصُّ هذا الحديث :

[[..... ولا تنافي بين ذكر جحد العارية وبين السرقة ، فإن ذلك داخل في اسم

السرقة . فإن هؤلاء الذين قالوا : " أنها جحدت العارية وذكروا أن قطعها لهذا السبب

، قالوا : " إنها سرقت " فأطلقوا على ذلك اسم السرقة . فثبت لغة أن فاعل ذلك سارق

، وثبت شرعاً أن حده قطع اليد . وهذه الطريقة أولى من سلوك طريقة القياس في اللغة :

فيثبت كون الخائن سارقاً لغة ، قياساً على السارق ، ثم يثبت الحكم فيه]]

.. إذا كان الخائن سارقاً لغةً ، فلماذا رأينا في روايات عديدة أنه لا قطع عليه ؟!!!

.. وكيف بنا أن نفصل الدلالات اللغوية للنصوص عن الأحكام المحمولة بهذه النصوص

عبر دلالات صياغتها اللغوية ؟!!! .. ولننظر في الرواية التالية كيف أن القطع كان نتيجةً

لاستعارة المتاع وجحوده ..

النسائي (٤٨٠٤) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ

أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ أَمْرَأَةً مَخْزُومِيَّةً كَانَتْ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ فَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا

ولننظر في شرح سنن النسائي للسندي فيما يخصُّ هذا الحديث :

[[قوله (تستعير المتاع) قيل ذكرت العارية تعريفاً لحالها الشنيعة لا لأنها

سبب القطع وسبب القطع إنما كان السرقة لا جحد العارية ، قال الجمهور لا قطع على

من جحد العارية ، وقال أحمد وإسحق بالقطع ، قلت قول الراوي فأمر بالفاء ظاهر في

قول أحمد وآب عن تأويل الجمهور وقد جاء في بعض الروايات ما هو كالصريح في ذلك

وما جاء من لفظ السرقة في بعض الروايات فيحتمل التأويل والله تعالى أعلم]]

أليست العبارة **[[كَانَتْ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ فَتَجْحَدُهُ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَطْعِ يَدِهَا]]** واضحة جليّة في أنّ القطع كان بسبب أنّ هذه المرأة كانت **[[تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ فَتَجْحَدُهُ]]** !!!؟ ..

.. ولننظر في النصّ التالي في موطأ مالك فيما يخصّ هذه المسألة ..

موطأ مالك :

قَالَ مَالِكٌ وَالْأَمْرُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَنَا فِي اعْتِرَافِ الْعَبِيدِ أَنَّهُ مَنْ اعْتَرَفَ مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِشَيْءٍ يَبْعُ الْحَدُّ فِيهِ أَوْ الْعُقُوبَةُ فِيهِ فِي جَسَدِهِ فَإِنَّ اعْتِرَافَهُ جَائِزٌ عَلَيْهِ وَلَا يُنْتَهَمُ أَنْ يُوقَعَ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا قَالَ مَالِكٌ وَأَمَّا مَنْ اعْتَرَفَ مِنْهُمْ بِأَمْرٍ يَكُونُ غُرْمًا عَلَى سَيِّدِهِ فَإِنَّ اعْتِرَافَهُ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى سَيِّدِهِ قَالَ مَالِكٌ لَيْسَ عَلَى الْأَجِيرِ وَلَا عَلَى الرَّجُلِ يَكُونَانِ مَعَ الْقَوْمِ يَخْدُمَانِهِمْ إِنْ سَرَقَاهُمْ قَطَعُ لَأَنَّ حَالَهُمَا لَيْسَتْ بِحَالِ السَّارِقِ وَإِنَّمَا حَالُهُمَا حَالُ الْخَائِنِ وَلَيْسَ عَلَى الْخَائِنِ قَطْعُ قَالَ مَالِكٌ فِي الَّذِي يَسْتَعِيرُ الْعَارِيَةَ فَيَجْحَدُهَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ قَطْعٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ دَيْنٌ فَجَحَدَهُ ذَلِكَ فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيمَا جَحَدَهُ قَطْعُ قَالَ مَالِكٌ الْأَمْرُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَنَا فِي السَّارِقِ يُوجَدُ فِي الْبَيْتِ قَدْ جَمَعَ الْمَتَاعَ وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ قَطْعٌ وَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَمْرًا لِيَشْرَبَهَا فَلَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ حَدٌّ وَمَثَلُ ذَلِكَ رَجُلٌ جَلَسَ مِنْ أَمْرَأَةٍ مَجْلِسًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَهَا حَرَامًا فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ مِنْهَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ أَيْضًا فِي ذَلِكَ حَدٌّ قَالَ مَالِكٌ الْأَمْرُ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ عِنْدَنَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْخُلْسَةِ قَطْعٌ بَلَّغَ ثَمَنَهَا مَا يُقَطَعُ فِيهِ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ

ولننظر في الحديث التالي كيف أنّ سبب قطع يد هذه المرأة هو أنّها كانت تستعير

الحلي وأنها لم تتب ولم تعد ما أمسكته إلى أصحابه ..

النسائي (٤٨٠٧) :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَلِيلِ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَسْتَعِيرُ الْحَلِيَّ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَعَارَتْ مِنْ ذَلِكَ حَلِيًّا

فَجَمَعْتُهُ ثُمَّ أَمْسَكْتُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَتَّبِعَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَتُوَدِّي مَا عِنْدَهَا مِرَارًا فَلَمْ تَفْعَلْ فَأَمَرَ بِهَا فَقَطِعَتْ

.. متناقضات لا يجمع بينها جامع ، ومردُّ كلِّ هذا الوضع على الرسول ﷺ هو عدم

التدبر الحقيقي لكتاب الله تعالى ، فقوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا

جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٨] نرى فيه كلمة ﴿

أَيْدِيَهُمَا ﴾ وليس (يديهما) ، ونرى فيه كلمتي ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ﴾ بصيغة اسم

الفاعل المعرف بأل التعريف .. وفي كتاب الله تعالى نرى أن دلالات كلمتي [] ﴿

فَاقْطَعُوا ﴾ ، ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [] ككلمتين كلٌّ منهما متفرعة عن جذرها اللغوي ، تتدرج

ما بين الدلالات الحسيّة والمعنويّة المجردة ، وقد بينا ذلك بشكلٍ مفصّلٍ في كتبٍ أُخرى ،

ولا مجال في هذا السياق لإعادة ما قلناه .. وما نريد قوله هو أن التحايل على إخفاء

التناقض ما بين الروايات هو جريمة أكبر حتى من جريمة وضع تلك الروايات ، فبدلاً من

تدبر نصوص هذه الروايات ومعايرتها على دلالات كتاب الله تعالى بمركب العقل والعلم

والمنطق لمعرفة الصحيح منها ، بدلاً من ذلك يتمّ ذرّ الرماد في الأعين والالتفاف على

دلالات عباراتها قفزاً فوق قواعد اللغة العربيّة وثوابت العقل والمنطق .. وفوق كلِّ ذلك

يصفون من يحترم قواعد اللغة العربيّة بأنّه يقفز فوق هذه القواعد ، وإنّ عليه أن يُطلق عقله

ويغض عينيه عن هذه المتناقضات ، وإلاّ يُتهم بإنكار السنّة ، ويُوصف بالكافر ..

.. وفي المحطّة القادمة سنرى - إن شاء الله تعالى - مزيداً من الروايات التي وُضعت

بهدف الإساءة لمنهج الله تعالى ، وبهدف تشتيت فكر الأمة ما بين متناقضاتٍ لا رابطَ بينها

..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الرابعة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. ذروة الخروج على منهج الله تعالى ، هو سوق الناس من عواطفهم نحو عصبيات تُقدّم على أنها عين المنهج .. فالله تعالى لا يُريدُ من الناس أن يُساقوا إليه كالقطيع ، إنما يُريدُ منهم أن يأتوه بإرادتهم الحرّة المستقلّة ، وأن يعبدوه وهم يعقلون هذه العبادة .. أليس تُجَارُ العصبِيّات المذهبيّة والطائفيّة الذين يسعون لبيع عقل الأمة وكرامتها ، في سبيلِ أهوائهم وعصبِيّاتهم ، أليس هؤلاء غارقين في مُستنقع الصفة التي يبينها الله تعالى لنا في الآية الكريمة التالية ..

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥]

.. كلُّ بناءٍ يُبنى فوق الرواياتِ الباطلةِ مآله الانهيار ، مهما توهمه الناسُ عالياً ومتيناً ، فعالمُ الأمرِ الذي ينتمي إليه منهجُ الله تعالى ، لا يقبلُ المتناقضات .. ألم يقل الله تعالى في وصفِ كتابه الكريم : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتَلَفْنَا كَثِيرًا [النساء : ٨٢] .. ألا يعني ذلك أن كل ما يحمل الاختلاف هو ليس من عند الله تعالى .. فكيف إذا يرون التناقضات بأمر أعينهم ، ثم يخترعون لها التبريرات والتأويلات لينسبوها إلى الله سبحانه وتعالى !!!؟ ..

.. يُعَلِّمُنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ ، وَهَذَا يَشْمَلُ الْآيَاتِ الَّتِي تُنْقَلُ بِهَا الرِّسَالَاتُ عَبْرَ الْأَجْيَالِ .. فَلَمَّا كَانَتْ آيَاتُ نَقْلِ الْمَنَاهِجِ السَّابِقَةِ وَالْحَدِيثِ لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهِيَ إِذَا يُوجَدُ فِيهَا اخْتِلَافٌ .. وَلِذَلِكَ لَمْ يَتْرِكِ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَ مَنَهْجِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ لِلْبَشَرِ وَالْآيَاتِ عُلُومِهِمُ الْوَضْعِيَّةَ ، إِثْمًا تَعَهَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ رِسْمًا وَقِرَاءَةً .. يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ [القيامة : ١٧] .. وَالسُّنَّةُ الْحَقُّ مَحْتَوَاةٌ فِي أَعْمَاقِ هَذَا النَّصِّ الْمَحْفُوظِ ، وَتُسْتَنْبَطُ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَاقِ ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ مَحْفُوظَةٌ كَالنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْمَحْفُوظِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى ، يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .. وَبِالنَّاتِلِي فَهَذِهِ السُّنَّةُ الْحَقُّ لَيْسَتْ مَتْرُوكَةٌ لِرَحْمَةِ رَجَالَاتِ التَّارِيخِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلَى مَنَهْجِ تَغْيِيبِ الْعَقْلِ وَجَعْلِ نِصُوصِ التَّارِيخِ بِدَرَجَةِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ كَمَا يُرِيدُ عَابِدُو أَصْنَامِ التَّارِيخِ ..

.. لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ حُرًّا مَالِكًا لِإِرَادَتِهِ صَادِقًا بِإِيمَانِهِ ، إِلَّا عِنْدَمَا يَتَحَرَّرُ مِنَ الضَّغْطِ السَّلْبِيِّ لِلْأَفْكَارِ الْمُسَبِّقَةِ الصَّنْعِ ، الَّتِي تَدْفَعُهُ بِأَتْجَاهِهَا حِينَمَا يُرِيدُ إِدْرَاكَ مَا لَمْ يُدْرِكْهُ سَابِقًا .. فَالْتَجَرُّدُ حَتَّى عَنْ عَصَبِيَّةِ الذَّاتِ مَسْأَلَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا لِإِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تُخَالَفُ مَا يَرِثُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَفْكَارٍ يَحْسِبُهَا عَيْنَ الْحَقِيقَةِ ..

.. مَادَّةُ التَّارِيخِ وَاسْتِثْنَائَاتُهُ لَا تُنْتِجُ إِلَّا حُدُودًا فِكْرِيَّةً مُبْهَمَةً وَعَقِيدَةً تَرَاتِيَّةً لَا عُمُقَ لَهَا .. مَادَّةُ التَّارِيخِ وَاسْتِثْنَائَاتُهُ لَا تَصْنَعُ إِلَّا عَصَبِيَّاتٍ يَتِمَّاهَا فِيهَا الْغَثُّ بِالسَّمِينِ .. كُلُّ ذَلِكَ هُوَ نَتِيجَةُ الْإِبْتِعَادِ عَنْ مَنَهْجِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقْدِيمِ التَّارِيخِ وَرَجَالَاتِهِ وَرَوَايَاتِهِ مَنَهْجًا بَدِيلًا عَنِ مَنَهْجِ اللَّهِ تَعَالَى ، تَحْتَ شِعَارَاتٍ بَرَّاقَةٍ هَدَفَهَا تَضْلِيلُ النَّاسِ وَسَوْقِهِمْ مِنْ عَوَاطِفِهِمُ الْمَوْجَاءِ نَحْوُ مُرَادِ بَعْضِ رَجَالَاتِ التَّارِيخِ ..

.. وإلا كيف بنا أن نفهم زعم عابدي أصنام التاريخ أن نقد الروايات التي يُزعمُ نسبها إلى الرسول ﷺ والتي تخالف صريح القرآن الكريم ، وبديهيات العقل والمنطق والعلم ، أن هذا النقد إنكارٌ للسنة الشريفة ، وكفرٌ وغير ذلك من الألقاب التي لا يدركون حتى معانيها؟! .. أليس قولهم هذا دليلٌ أتباعٍ أعمى وحراسةٍ جاهلةٍ لموروثات تاريخية تُقدم على أنها عين المنهج ؟ ..

.. كلُّ عاقلٍ يدرك الحد الأدنى من قواعد اللغة العربية ، يفهم من الحديث التالي أن الصلاة بعد العصر منهيٌّ عنها ..

البخاري (٥٥١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ الْجُنْدَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفَعَ الشَّمْسُ وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ

.. ومع ذلك .. نرى التأويل التالي الذي نقتطعه من كتاب فتح الباري بشرح

صحيح البخاري :

[[..... وحكى أبو الفتح اليعمري عن جماعة من السلف أنهم قالوا : إن النهي

عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر إنما هو إعلام بأنهما لا يتطوع بعدهما ، ولم يقصد الوقت بالنهي كما قصد به وقت الطلوع ووقت الغروب ، ويؤيد ذلك ما رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تصلوا بعد الصبح ولا بعد العصر ، إلا أن تكون الشمس نقية " وفي رواية " مرتفعة " ، فدل على أن المراد بالبعدية ليس على عمومها ، وإنما المراد وقت الطلوع ووقت الغروب ما قاربهما والله أعلم

[[

.. وهذا التأويل الذي لا وجودٌ لأيِّ تعلقٍ به في عبارات هذه الرواية ، هذا التأويل لا

تُسعفه الرواية التالية ..

البخاري (٥٥٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلَاةً لَقَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيُهَا وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا يَعْنِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ .. إذا معاوية في هذه الرواية يُبَيِّنُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا الرَّسُولَ ﷺ يَصَلِّي تِلْكَ الرُّكْعَتَيْنِ ، لَا تَطَوُّعًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ نَهَى عَنْهُمَا .. وَهَذَا مَا نَرَاهُ - أَيْضًا - فِي الرَّوَايَةِ التَّالِيَةِ ..

مسلم (١٣٦٨) :

و حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُوسُفُ بْنُ ابْنِ شَهَابٍ أَخْبَرَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ

.. وفي كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، وفيما يخصُّ هذا الحديث ، نرى إجماعاً على كراهية الصلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس :

[[..... وأجمعت الأمة على كراهة صلاة لا سبب لها في هذه الأوقات ، واتفقوا

على جواز الفرائض المؤداة فيها ، واختلفوا في النوافل التي لها سبب كصلاة تحية المسجد . وسجود التلاوة والشكر وصلاة العيد والكسوف وفي صلاة الجنابة وقضاء الفوائت ، ومذهب الشافعي وطائفة جواز ذلك كله بلا كراهة . ومذهب أبي حنيفة وآخرين أنه داخل في النهي لعموم الأحاديث]]

.. فلو لم تكن قراءتنا صحيحةً لمتون تلك الروايات ، لماذا اختلفَ في هذه المسألة

كما نرى ؟!!! .. والحديث التالي واضحٌ وصریحٌ بأنَّه لا صلاة بعد العصر حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ وَالشَّاهِدُ هُوَ النَّجْمُ ..

مسلم (١٣٧٢) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ خَيْرِ بْنِ نُعَيْمٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ بِالْمُحَمَّصِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَعُوهَا فَمَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ وَلَا صَلَاةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ وَالشَّاهِدُ النُّجْمُ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ خَيْرِ بْنِ نُعَيْمٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ السَّبَائِيِّ وَكَانَ ثِقَةً عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ عَنْ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَصْرَ بِمِثْلِهِ

.. بعد كل ذلك نرى مجموعة من الروايات تؤكد أن النبي ﷺ لم يدع هاتين

الركعتين بعد العصر قط ، وأنه كان يصليهما دائماً .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (١٣٨١) :

و حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ وَمَسْرُوقٍ قَالَا نَشْهَدُ عَلَى عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ مَا كَانَ يَوْمَهُ الَّذِي كَانَ يَكُونُ عِنْدِي إِلَّا صَلَّاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي تَعْنِي الرُّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ

.. ولننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٥٦) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَتْ عَائِشَةُ ابْنَةُ أَخْتِي مَا تَرَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّجْدَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ عِنْدِي قَطُّ

.. ولننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٥٧) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ رَكَعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُهُمَا سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً رَكَعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْعَصْرِ

.. التناقض واضحٌ وجليٌّ لكلِّ من لم يُطلقْ عقله مُدركاً الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيَّة .. وهنا يأتي دور ما يُسمَّى بعلمِ تأويلِ مختلفِ الحديثِ ، لنسمع تأويلاً لا يتعلَّقُ بنصِّ هذه الرواية لا من قريب ولا من بعيد لنقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري النصَّ التالي الذي وُضع لتأويل التناقض الذي نراه ..

[[..... قول عائشة " ما تركهما حتى لقي الله عز وجل " وقولها " لم يكن يدعهما " وقولها " ما كان يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلى ركعتين " مرادها من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ، ولم ترد أنه كان يصلي بعد العصر ركعتين من أول ما فرضت الصلوات مثلاً إلى آخر عمره ، بل في حديث أم سلمة ما يدل على أنه لم يكن يفعلهما قبل الوقت الذي ذكرت أنه قضاهما فيه .]]

.. هل في نصِّ هذه الرواية ما يُشيرُ مُجرَّدَ إشارةٍ إلى أن الرسول ﷺ كان يُشغلُ دائماً وأبداً عن صلاة الركعتين بعد الظهر فيؤخِّرهما إلى ما بعد العصر ؟!!! .. ولو قُدِّرَ لعائشة أن تخرج من قبرها وتسمع مثل هذه التأويلات ، فهل سترضى أن تُنسبَ إليها نصوصٌ تُؤوِّلُ بنصوصٍ يؤتى بها من الجيوب ؟!!! .. هل هذا تأويل أم تلبيس على الحقائق لهدفٍ وحيد هو طمر التناقض الجلي بين هذه الروايات ؟!!! .. أليست الرواية التالية تُظهرُ هذا التناقضَ بشكلٍ جليٍّ ؟ ..

البخاري (٥٥٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ قَالَتْ وَالَّذِي دَهَبَ بِهِ مَا تَرَكَهُمَا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ وَمَا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى ثَقُلَ عَنِ الصَّلَاةِ وَكَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا مِنْ صَلَاتِهِ قَاعِدًا تَعْنِي الرُّكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيهِمَا وَلَا يُصَلِّيهِمَا فِي الْمَسْجِدِ مَخَافَةَ أَنْ يُثَقَّلَ عَلَى أُمَّتِهِ وَكَانَ يُحِبُّ مَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ

.. وهنا أتوجه إلى الذين يضلُّون الناس بقولهم أنه لولا روايات الأحاديث التي يسمونها بالسنة ، لولا هذه الروايات لَمَا عَرَفْنَا عددَ ركعات كلِّ فريضة .. أتوجه إليهم بالسؤال التالي : هل تُجمع رواياتكم على سنة من سنن الصلاة ؟!!! .. ولو كان تحديده عدد ركعات الفرائض متروكاً لرواياتكم التي تُوهمون الناس بأنه لولاها لما عرفنا عدد ركعات الفرائض .. لو كان ذلك .. فهل كنا مُجمعين - الآن - من أقصى السنة إلى أقصى الشيعة على عدد ركعات فريضة واحدة من هذه الفرائض ؟!!! ..

.. أليس إجماع الأمة على عدد ركعات الفرائض من أقصى السنة إلى أقصى الشيعة دليلاً على أن عدد ركعات الفرائض وصلنا حياةً تعبديةً أباً عن جد من الرسول ﷺ إلى الآن إلى قيام الساعة ، بعيداً عن روايات السنة والشيعة التي جمعت بعد قرون من موت النبي ﷺ ؟!!! .. أتوجه بهذه الأسئلة إلى عابدي أصنام التاريخ ، ولا أنتظر منهم أيَّ إجابة .. وما أنتظره من إجابة ، هو من الباحثين عن الحقيقة ، الذين لا يقفون ما ليس لهم به علم ..

.. والتناقض الذي رأيناه ما بين الروايات المصوّرة لهذه المسألة ، نرى مثيلاً له في الروايات المصوّرة لمسألة صيام يوم عاشوراء .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (١٨٦٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ

.. وفق هذه الرواية نرى أن النبي ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء قبل أن يُفرض صيام رمضان ، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه .. هكذا يُفهم من هذه الرواية دون أن تُضيف إليها تأويلاً من جيوننا .. وهذا ما نفهمه أيضاً من الرواية التالية :

البخاري (١٧٥٩) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ
صَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ وَكَانَ عَبْدُ
اللَّهِ لَا يَصُومُهُ إِلَّا أَنْ يُوَافِقَ صَوْمَهُ

.. بعد فهمنا هذا ، وهو أن صيام يوم عاشوراء مسألة يعلمها النبي ﷺ قبل قدومه
المدينة ، وأنه كان يُمارسُ هذا الصيام ، وحتى قريش كانت تصومه في الجاهلية .. بعد هذا
الفهم نرى في صحيح البخاري ذاته روايات يفهم منها أن علم النبي بصيام يوم عاشوراء
وأمره للمسلمين بصيامه ، إنما كان بعد قدومه ﷺ إلى المدينة ، وبعد علمه بأن اليهود
يصومون هذا اليوم !!! ..

البخاري (٣١٥٤) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ عَنْ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ
وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا يَعْنِي عَاشُورَاءَ فَقَالُوا هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى
وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ فَقَالَ أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ

البخاري (١٨٦٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ
أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى
الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ

.. العبارة الواردة في هذا الحديث : **[[فَقَالَ مَا هَذَا]]** تُصوِّرُ عدم علم الرسول ﷺ

بصيام هذا اليوم .. وبعد أن أُخبر بأنه يوم صالح بعد ذلك صامه وأمر بصيامه كما تقول
هذه الرواية دون أن تُضيف إليها معاني من جيوبنا : **[[فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ]]** ، وهذا
يعني أنه لم يكن ﷺ قد صامه قبل قدومه إلى المدينة ، وإلا لكان نص الرواية : ((فاستمر

على صيامه وأمر بصيامه)) .. ولننظر إلى النصّ التالي المُقتطَع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري لنرى كيف تتمُّ عمليةُ تبرير هذا التناقض :

[[..... ليس في الخبر أنه ابتداء الأمر بصيامه ، بل في حديث عائشة التصريح بأنه كان يصومه قبل ذلك ، فغاية ما في القصة أنه لم يحدث له بقول اليهود تجديدُ حكم ، وإنما هي صفةُ حال وجواب سؤال ، ولم تختلف الروايات عن ابن عباس في ذلك ، ولا مخالفة بينه وبين حديث عائشة " إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه " كما تقدم إذ لا مانع من توارد الفريقين على صيامه مع اختلاف السبب في ذلك ، قال القرطبي : لعل قريشا كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم ، وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج ، أو أذن الله له في صيامه على أنه فعل خير ، فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه وأمر بصيامه احتمل ذلك أن يكون ذلك استئلافاً لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ، ويحتمل غير ذلك . وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فإنه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه]]

.. وهذا التأويل الذي لا وجود له في صياغة هذه الروايات ، لا من قريب ولا من بعيد ، يظهر فسادُه عندما ننظر في الرواية التالية ، التي تنقضُ كلَّ الروايات السابقة ..

مسلم (١٩١٦) :

و حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا غَطَفَانَ بْنَ طَرِيفٍ الْمُرِّيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولًا حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ النَّاسِعَ قَالَ فَلَمَّ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. العبارة الواردة في هذه الرواية : **[[حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ]]** ، بهذه الصياغة ، يُفهم منها أن دلالات العبارة : **[[فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ]]** ، إنما كانت حينَ صَامَ النَّبِيُّ ﷺ يومَ عاشوراء وأمرَ بصيامه ، وهذا كان حسب الروايات السابقة حين قدوم النبي ﷺ إلى المدينة .. ولكن تُفاجأ بالعبارة : **[[قَالَ فَلَمَّ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ، التي يُفهم منها أن أمرَ النبي ﷺ بصومِ عاشوراء إنما كان قبل وفاته بفترة لا تتجاوز العام الواحد ..

.. وفي هذه الرواية نرى أن صومَ الرسول ﷺ ليومِ عاشوراء وأمره بصيامه إنما كان قبلَ علمه بتعظيم اليهود له : **[[حِينَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعْظَمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى]]** ، بينما في الروايات السابقة رأينا عكس ذلك تماماً .. فقد رأينا كيف أن الرسول ﷺ أمرَ بصيامه بعدَ علمه بصيام اليهود له ..

البخاري (١٨٦٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى قَالَ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ ..

.. وكنا قد رأينا أن ذلك قد أوّل بأنه استتلافٌ لليهود .. وهنا يظهرُ التناقضُ واضحاً جلياً لا يغيب إلاَّ عمّن عميت بصيرته .. فوفق بعض الروايات نرى أن الرسول ﷺ صام يومَ عاشوراء قبل أن يُتوفى بعام ، ووفق بعضها الآخر نرى أن الأمرَ بصومِ يومِ عاشوراء إنما كان حينما قدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدينة ورأى اليهودَ تصومُ يومَ عاشوراء ، وما بين دلالات هذه الروايات المتناقضة مُدَّةٌ زمنيةٌ تقاربُ معظمَ ليله ﷺ بالمدينة .. أليس هذا تناقضاً لا يقبله عقلٌ أو منطقٌ !!!؟ ..

.. من جهةٍ أُخرى رأينا في بعضِ هذه الروايات أن الرسول ﷺ قد تُوِّفِي وحكمُ صومِ يومِ عاشوراء ما زال قائماً ، بدليل أنه تُوِّفِي ﷺ قبل أن يُتمَّ ما ألزم نفسه به وما أمرَ بفعله .. بعد أن نفهم ذلك ، نرى رواياتٍ أُخرى تُبَيِّنُ لنا أنه لا أمرَ للنبي ﷺ بصومِ يومِ عاشوراء ، فبعد فرضِ صيامِ رمضان ، من شاء أن يصومَ يومَ عاشوراء فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ ..

البخاري (١٤٨٩) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ هُوَ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانُوا يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ وَكَانَ يَوْمًا تُسْتَرَفِيهِ الْكَعْبَةُ فَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ رَمَضَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَهُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ

البخاري (٤١٤٣) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَشْعَثُ وَهُوَ يَطْعَمُ فَقَالَ الْيَوْمَ عَاشُورَاءُ فَقَالَ كَانَ يُصَامُ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ رَمَضَانُ فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ فَادُنْ فَكُلْ

.. لا يمكننا أن نتخيّل توافقاً بين هذه الروايات إلا بعد أن نُطَلِّقَ عقولنا ، أو أن نتخيّل نزولَ فرضِ صيامِ شهرِ رمضان بعد وفاة النبي ﷺ ، وفي هذا الحال نكون أيضاً قد طلقنا عقولنا .. ثم كيف تُوفِّقُ بين الرواية الأخيرة التي تُؤكِّدُ أن فرضَ صيامِ يومِ عاشوراء قد انتهى بتزولِ فرضِ صيامِ رمضان ، وبين الرواية التالية :

البخاري (١٨٢٤) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ دَكْوَانَ عَنْ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِراً فَلْيُتِمِّمْ

بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدَ وَنُصُومِ صَبِيَانَنَا وَنَجْعَلُ لَهُمُ
اللُّعْبَةَ مِنَ الْعَهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ
.. كيف بنا أن نفهم قول الراوي : **[[قَالَتْ فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدَ وَنُصُومِ صَبِيَانَنَا]]**

.. فماذا تعني كلمة **[[بَعْدُ]]** .. وماذا نقول لمن يفهما على أنها تعني بعد وفاة النبي ﷺ
!!!؟ .. طبعاً تأويل هذه الرواية حسب منهج علم تأويل مختلف الحديث ، هذا التأويل
يحتاج إلى إضافة عبارات من جيوبنا لنصّ الرواية ..

.. والتناقض بين الروايات الخاصة بهذه المسألة نرى شبيهاً له في الروايات الخاصة

بصيام تسع ذي الحجة .. لننظر في الحديث التالي :

أبو داود (٢٠٨١) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْحُرِّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ
بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ
تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلِ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْحَمِيسِ

أحمد (٢٥٢٦٣) :

حَدَّثَنَا عَفَّانٌ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا الْحُرُّ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ
بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ
تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلِ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَحَمِيسَيْنِ

.. وفق هذا الحديث كان الرسول ﷺ يصوم تسع ذي الحجة .. لننظر الآن في

الحديث التالي لنرى نقيض ذلك ..

سنن أبي داود (٢٠٨٣) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ

أحمد (٢٤٣٩٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَسَنَّهُ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْأَسْوَدِ
مسلم (٢٠١١) :

و حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ .. ولننظر في صحيح مسلم بشرح النووي لنرى التأويلات والتبريرات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان :

[[..... وهذا مما يتأول فليس في صوم هذه التسعة كراهة ، بل هي مستحبة استحباباً شديداً لا سيما التاسع منها ، وهو يوم عرفة ، وقد سبقت الأحاديث في فضله ، وثبت في صحيح البخاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل منه في هذه " - يعني : العشر الأوائل من ذي الحجة - . فيتأول قولها : لم يصم العشر ، أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما ، أو أنها لم تره صائماً فيه ، ولا يلزم عن ذلك عدم صيامه في نفس الأمر]]

.. هل العبارة المنسوبة إلى عائشة في هذه الرواية : [[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ]] ، وهل العبارة المنسوبة إلى عائشة : [[مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَائِماً الْعَشْرَ قَطُّ]] ، هل هاتان العبارتان تحملان من قريب أو بعيد تأويلهم : [[أنه لم يصمه لعارض مرض أو سفر أو غيرهما]] ؟!!! .. فهل كان الرسول ﷺ دائماً مريضاً أو مسافراً ؟!!! ..

.. وإذا كانت روايات الأحاديث ناقصةً وبحاجةٍ لعباراتٍ تُكملها من جيوبنا دون أيِّ تعلق بصياغة تلك الروايات ، وإذا كانت المسألة التي نريدها ونضع لها عبارات من جيوبنا ، يتم وضعها دون أيِّ تعلقٍ بحيثيات صياغة الرواية .. إذا كان ذلك .. فلماذا لا يحتمل التأويل أوجهاً أخرى قد تصل إلى نقيض ما يُؤوّلون ؟!!! .. ولماذا يُعطى تأويلهم هذا

قُدسيَّةٌ موازيةٌ لقُدسيَّةِ المنهج ذاته ؟!!! .. فما دام ما نريده من أحكام نُفصّل له عبارات من جيوبنا ونضيفه لنصّ الرواية ، فما هي الحاجة للرواية ؟!!! ..

.. وهنا وعندَ هذه النقطة بالذات نُدرِكُ سبباً من أسبابِ تقدّسِ رجالات التاريخ ، وذلك لإعطاءِ رواياتِهِم وتأويلاتِهِم وتفسيراتِهِم بُعداً مُقدّساً يُمنَعُ معه نقدُ هذه الروايات وهذه التأويلات والتفسيرات التي لا يقبلُها من يؤمن بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. لا تُخترَقُ الحُجُبُ إلّا بالغوُصِ عمودياً باتّجاهِ جوهرِ الحقيقة .. أمّا الدوران أفقيّاً في مدارات الحقيقة دونَ الغوُصِ عمودياً باتّجاهِ جوهرها فلا يُفيدُ إلّا كمدّمةٍ تَهْدِفُ إلى تحديدِ النقطةِ المناسبةِ للغوُصِ نحوِ الجوهر .. ولو عُدنا إلى مُعظمِ الدراساتِ المحسوبةِ على الفكرِ الإسلامي ، لرأيناها بالاتّجاهِ الأفقي الذي يدور في مداراتِ رواياتِ تاريخيةٍ متناقضة ، وأيُّ غوُصٍ عموديٍّ باتّجاهِ استنباطِ الحقائق انطلاقاً من هذه الجزئيات التاريخية لا يُؤدّي إلى أيِّ حقيقةٍ يُمكنُ للأمة أن تُجمعَ عليها .. وبالتالي نرى أن الكثيرَ من جوانبِ الفكرِ التراثي الجمعي تجعلُ من القرآن الكريم عربةً تقودُها العواطفُ الهوجاءُ باتّجاهِ منحدراتِ العصبيةِ التاريخية ، وبالتالي يتمُّ السيرُ في الزمنِ المادّي نحو الأمام وعيوننا متّجهةٌ نحو الخلف ، ويتوقّفُ الزمنُ الفكريُّ للأمة عند عتبةٍ فكريّةٍ لا تتجاوزُ السقفَ الفكريّ لمن وضعَ تلك الجزئيات التاريخية ومعاييرها ..

.. ولكن .. حينما نجعلُ القرآنَ الكريمَ معياراً للتاريخ برواياته ورجالاته وتفاسيره ، فحينَ ذلك نجعلُ القرآنَ الكريمَ هدفاً أماناً ، نتّجهُ إليه بعقولنا ، مدفوعينَ بقوةِ البحثِ عن الحقيقة ، مُستنيرينَ بنورِ كتابِ الله تعالى ، وبالتالي نسيرُ في الزمنِ المادّي نحو الأمام وعيوننا متّجهةٌ نحو الأمام ، ولا يتوقّفُ الزمنُ الفكريُّ للأمة عند عتبةٍ سقفٍ مُحدّدٍ ، بل يكونُ السقفُ الفكريُّ لكلِّ جيلٍ أعلى من أسقفِ جميعِ الأجيالِ السابقة له ..

.. ولناخذُ مسألةً أخرى .. إنَّ الفوارقَ بين البشر في كينونتهم الجسدية ، وفي قدراتهم الجنسية ، لها حدود ، وليست مفتوحةً كما هو الحال في خيالِ كُتّابِ أفلامٍ بعضِ

الرسوم المتحركة .. فهل يُعقل أن رجلاً من البشر يطوفُ على مائة امرأة في ليلة واحدة .. هذا ما نراه في الرواية التالية :

البخاري (٤٨٤١) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ فَأَطَافَ بِهِنَّ وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً نِصْفَ إِنْسَانٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ

.. ولو صدقنا أنه بإمكان رجلٍ من البشر أن يطوفَ على مائة امرأة في ليلة واحدة .. فكيف يُمكننا أن نتصوّر طولَ تلك الليلة حتى يتمكنَ فيها ذلك الرجل من طوافه هذا .. وهناك قضيةٌ أخرى وهي أن هناك روايةً أخرى تصفُ هذه الحالة بأن عدد النساء اللاتي طاف بهنَّ سليمانُ عليه السلام في ليلة واحدة هو تسعون امرأة وليس مائة ، فلربّما حسَّ أبو هريرة أو من روى عنه أن هذا الرقم كبير ، وبالتالي من الصعب تصديقه ، ولذلك لا بُدَّ من تخفيضه ..

البخاري (٦١٤٨) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزُّنَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سُلَيْمَانُ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ وَأَيْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ

.. وربّما حسَّ أبو هريرة أو من روى عنه أن هذا الرقم كبير ومن الصعب تصديقه ، ولا بُدَّ من تخفيضه ، ولذلك نرى روايةً أخرى عن أبي هريرة ذاته ، وفي صحيح البخاري ذاته ، نرى فيها أن عدد تلك النساء هو سبعون ، وليس تسعين امرأة ..

البخاري (٣١٧١) :

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا مَغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَمْ يَقُلْ وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شَقِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ شُعَيْبُ وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ تِسْعِينَ وَهُوَ أَصْحَبُ

.. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ذاته وفي صحيح البخاري ذاته ، نُفَاجَأُ أَنْ عَدَدَ

نساء سليمان عليه السلام هو ستون امرأة فقط ..

البخاري (٦٩١٥) :

حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً فَقَالَ لَأُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي فَلْتَحْمِلَنَّ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلْتَلِدَنَّ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ شِقًّا غُلَامًا قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

.. هذه التناقضات بين هذه الروايات ، وهذه القصة التي لا يقبلها عقل ولا منطق ،

نرى ما هو أغرب منها .. إنه تأويلهم لهذه التناقضات .. لننظر في النص التالي المقتطع من

كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخص تأويل هذه التناقضات ..

]] فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسعون ومائة ،

والجمع بينها أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس ، وأما

السبعون فللمبالغة ، وأما التسعون والمائة فكان دون المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون

ألغى الكسر ومن قال مائة جبره ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر ، وأما قول بعض

الشراح : ليس في ذكر القليل نفي الكثير وهو من مفهوم العدد وليس بحجة عند

الجمهور فليس بكاف في هذا المقام ، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين والله أعلم
[[.....]]

.. لننظر في الكلمتين : [[أو بالعكس]] في الجملة : [[أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس]]. .. فالْمَوْوَلُون يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا لَنَا أَنَّهُ رَبُّمَا كَانَ الستون حرائر وما زاد عليهن سراري ، وربُّمَا كَانَ الستون سراري وما زاد عليهن حرائر .. ألا يدلُّ ذلك على استخفافٍ بعقولنا .. ألا يدلُّ ذلك أنَّ المسألة من أساسها مسألة اختراعات يُؤْتَى من جيوبٍ مخترعيها دون أيِّ منهجية علمية؟! ..

.. أليست العبارة الواردة في هذه الأحاديث : [[أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً]] أليست تعني الحرائر والسراري معاً؟! .. وإن كانت تعني الحرائر دون السراري ، أو السراري دون الحرائر ، فكيف إذا يقولون [[أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس]]؟! .. أليست العبارة [[أو بالعكس]] تعني تماثلاً ما بين الحرائر والسراري وذلك في مدلولات العبارة : [[كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً]]؟! .. ألا يعني ذلك أنَّ مجموع نسائه هو ستون امرأة حسب رواياتهم الموضوعية وحسب وتأويلاتهم التي يأتون بها من جيوبهم؟! .. أليس تأويلهم متناقضاً لدرجة لا يقبلها عقلٌ أو منطق ، ولا يقلُّ تناقضه عن تناقض الروايات ذاتها؟! ..

.. ثمَّ كيف نفهمُ العبارات : [[وأما السبعون فللمبالغة ، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة جبره]] ، وما هو الدليل على هذه التأويلات التي لم تُوضَع إلا لذرِّ الرماد في العيون من أجل تغطية هذه التناقضات .. هذه التأويلات أُستخدمت لتبرير رواياتٍ متناقضة في مسألة لبث النبي ﷺ في مكّة .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٤٤٩) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ رَيْبَعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ

الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِاللَّامِ وَاللَّيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ وَلَا بِالسَّبِطِ بَعَثَهُ
اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَلَى
رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً وَلَا يَسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ

.. وفق هذه الرواية ، مكث النبي ﷺ بمكةَ عشرَ سنينَ وبالمدينةَ عشرَ سنينَ ..
وذلك لا يحتاجُ إلى أيِّ تأويلٍ وفي الرواية التالية نرى المسألة مختلفةً تماماً ..

مسلم (٤٣٣٥) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رُوحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ بْنُ
إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ بِمَكَّةَ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَتُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ

.. هنا نرى أن النبي ﷺ مكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ وتُوفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ .. إذا
تختلف الروايتان بمقدار ثلاث سنوات في مدة لبث النبي ﷺ بمكةَ ..
.. من الرواية التالية نفهم أن النبي ﷺ مكث بمكةَ خمسَ عشرةَ سنةً لأنه تُوفِّيَ وهو
ابنُ خمسٍ وستينَ ، وذلك من رواية مروية عن ابن عباس ذاته ..

مسلم (٤٣٤٠) :

و حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ يَعْنِي ابْنَ مُفَضَّلٍ حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءُ حَدَّثَنَا عَمَّارُ
مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوفِّيَ وَهُوَ ابْنُ
خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيَّةَ عَنْ خَالِدِ بْنِ إِسْنَادٍ
.. وفي الرواية التالية نرى أن عُرْوَةَ يُحْطَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ وَيَتَّهَمُهُ بِأَنَّهُ أَخَذَ قَوْلَهُ
مِنَ الشَّاعِرِ ، وَيُعْفَرُهُ نَتِيجَةَ خَطِيئَتِهِ هَذِهِ ..

مسلم (٤٣٣٤) :

و حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو قَالَ قُلْتُ لِعُرْوَةَ كَمْ لَبِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ قَالَ عَشْرًا قُلْتُ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ بَضَعَ عَشْرَةَ قَالَ فَعَفَّرَهُ وَقَالَ إِنَّمَا
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ

.. وتأويلُ المؤولين بأنه لا تعارضَ بين هذه الروايات ، بأن لبث النبي ﷺ بمكة إثمًا كان ثلاثةَ عشرة سنةً ، وأن من قال بالعشر سنين فقد اقتصر على العقود وألغى الكسر ، وهو ثلاثُ سنين ، ومن قال لبث ﷺ بمكةَ خمسَ عشرة سنةً فقد تأوّل جبرَ الكسر .. مثل هذه التأويلات التي لا وجود لها في صياغة تلك الروايات ، تنقضها الروايةُ التالية من جذورها ..

مسلم (٤٣٤١) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ أَخْبَرَنَا رَوْحُ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمَارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً يَسْمَعُ الصَّوْتَ وَيَرَى الضُّوْءَ سَبْعَ سِنِينَ وَلَا يَرَى شَيْئًا وَثَمَانَ سِنِينَ يُوحَى إِلَيْهِ وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرًا

.. في هذه الرواية نرى أن مدة لبث النبي ﷺ بمكة هي خمسَ عشرة سنةً بالضبط ليست متأولةً عن شيء ، فهذه المدة تنقسم إلى قسمين : منها سبعُ سنين يسمع ﷺ صوت الهاتف به من الملائكة ويرى نورَ الملائكة ونورَ آياتِ الله تعالى ، والباقي وهو ثمان سنين يُوحى إليه .. فهذه الرواية تنفي أيَّ تأويلٍ من أساسه ، كونها تفرز الخمسةَ عشرة سنة إلى سبع سنين وثمان سنين .. فكلُّ العقلاء في العالم يعلمون أن : [١٥ = ٨ + ٧] ، أما أن نجعل المعادلة على الشكل : [١٣ = ٨ + ٧] ، ونسمي ذلك علمَ تأويل مختلف الحديث ، فهذا يعني أننا قد رُفِعَ عنا التكليف ، لأننا طلقنا مناطَ التكليف فينا ..

.. ولنأخذ مسألةً أخرى .. يُبينُ الله تعالى في كتابه الكريم وبعدهِ نصوصٍ صريحة أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ... من هذه النصوص قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨]

.. بعد هذا البيان القرآني الصريح ، نرى في صحيح مسلم أن الأمر غير ذلك .. وأن

الخلق استغرق سبعة أيام وليس ستة .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٤٩٩٧) :

حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَا حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا الْبُسْطَامِيُّ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِيْسَى وَسَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ بَنْتٍ حَفْصٍ وَغَيْرُهُمْ عَنْ حَجَّاجٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ

.. أبو هريرة ينسب في هذا الحديث قولاً للرسول ﷺ ، يُخالف مخالفةً صريحةً كتابَ الله تعالى ، وذلك في مسألة كونية لا تنفع معها التأويلات ولا التخريجات .. فالأيام السبعة الواردة في هذه الرواية ، والتي يُزعمُ أنَّه تمَّ فيها الخلق ، والتي تبدأ بيوم السبت وتنتهي بيوم الجمعة ، يُبينها أبو هريرة يوماً يوماً ، ويبينُ ماذا خُلِقَ في كلِّ يومٍ من هذه الأيام السبعة ..

.. الخلق - في هذه الرواية - بدأ يوم السبت ، وانتهى في يوم الجمعة ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة .. فالיום السابع - عند أبي هريرة - والذي هو يوم الجمعة ، هو يومٌ من أيام الخلق ، بدليل قوله : **[[وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ]]** .. فقوله : **[[فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ]]** ، يُبينُ أنَّ خلقَ آدمَ عليه السلام كان في آخر الخلق ، أي أنَّ آخرَ الخلق كان في يوم الجمعة ..

.. ولا يمكن اعتبار يوم الجمعة خارج أيام الخلق ، لأنَّ الرواية تقول : **[[مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ]]** .. وليست على الشكل : **[[مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ أَيَّامِ الْخَلْقِ]]**

، فالعبارة **[[فِي آخِرِ الْخَلْقِ]]** تُؤكِّدُ أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَمَّ فِيهِ آخِرُ الْخَلْقِ الْمَعْنِيِّ بِهَذِهِ الرَّوَايَةِ ، وبالتالي هو من أيام الخلق السبعة ..

.. وقوله : **[[يَوْمِ الْجُمُعَةِ]]** في هذه الرواية **[[مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ]]** ، هذا القول ، يُؤكِّدُ - أيضاً - أَنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هُوَ الْيَوْمُ السَّابِعُ وَالْآخِرُ مِنْ أَيَّامِ الْخَلْقِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا .. فقوله **[[يَوْمِ الْجُمُعَةِ]]** لا يختلفُ ، في سياقِ صياغةِ هذه الرواية ومن حيث تعداده لأيام الخلق ، لا يختلفُ عن قوله : **[[يَوْمِ السَّبْتِ]]** ، ولا يختلفُ عن قوله : **[[يَوْمِ الْأَحَدِ]]** ، ولا يختلفُ عن قوله : **[[يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ]]** ، ولا يختلفُ عن قوله : **[[يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ]]** ، ولا يختلفُ عن قوله : **[[يَوْمِ الْخَمِيسِ]]** ... بل إنَّ أبا هريرة يخصُّ الخلقَ في يومِ الجمعةِ بتفصيلٍ لم يذكره في باقي أيام الخلق .. فقوله : **[[فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ]]** .. هذا القول .. إضافة إلى أنَّه تأكيدٌ على أنَّ يومَ الجمعةِ من أيام الخلق ، هو تفصيلٌ في أيِّ ساعةٍ من ساعاته خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

.. وكلُّ تأويلٍ لإظهارِ صحَّةِ هذا الحديث ، وبأنَّ أيامَ الخلقِ في هذا الحديثِ ستَّةٌ وليست سبعة ، هو استخفافٌ بعقولنا ، وذرٌّ للرمادِ في العيونِ الباحثةِ عن الحقيقةِ ، فضلاً عن كونه خروجاً على قواعد اللغةِ العربيَّةِ التي لا نفهمُ كتابَ الله تعالى ذاته إلاَّ بها ..

.. وفي الحديثِ إشكاليَّةٌ أُخرى تُظهِرُ أنَّه موضوع ، وذلك بمخالفةِ متنه للقرآن الكريم .. فالأيامُ السبعةُ المذكورةُ في هذا الحديثِ تُبَيِّنُ خَلْقَ أُمُورٍ تَمَحُّورُ فِي الْأَرْضِ ، دونِ ذِكْرِ أيِّ شيءٍ خاصٍّ بخلقِ السماوات .. بمعنى أنَّ خَلْقَ ما فِي الْأَرْضِ اسْتَمَرَ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ حَيْثُ خُلِقَتِ التُّرْبَةُ ، إِلَى يَوْمِ الْخَمِيسِ حَيْثُ بَثَّ اللَّهُ تَعَالَى الدَّوَابَّ فِي الْأَرْضِ : **[[خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ]]**

.. إِذَا خُلِقَ ما فِي الْأَرْضِ - حسبَ هذه الروايةِ الموضوعية - اسْتَمَرَ ستَّةَ أَيَّامٍ .. ولكنَّ كتابَ الله تعالى يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ خَلْقَ كُلِّ ما يَتَعَلَّقُ بِالْأَرْضِ لا يَتَجَاوَزُ الْأَيَّامَ الْأَرْبَعَةَ

الأولى من أيام الخلق الستة ، وأنَّ اليومين الأخيرين من أيام الخلق إنّما خُصِّصت لخلق السماوات .. يقولُ تعالى :

﴿ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴿١٣﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٤﴾ [فصلت : ٩ - ١٢]

.. وإن قال قائلٌ إنَّ خلقَ الدوابِّ ليس جزءاً من الخلقِ المعني بالأيام الستة المذكورة في كتابِ الله تعالى ، كون الدوابِّ ليست من المكوّنات الماديّة للأرض .. نقول : لماذا - إذا - وُضِع لها يومٌ من أيام الخلق في قلب أيام الخلق المذكورة في الرواية !!!؟ فإن كان خلقُ الدواب من أيام الخلق ، فأيام الخلق سبعة ، وأيامُ خلق الأرض وما فيها ستة ، وهذان الأمران ينقضهما كتاب الله تعالى كما نرى .. وإن كان خلقُ الدواب ليس من أيام الخلق ، فلماذا خُصِّصَ لها يومٌ من أيام الخلق وهو يوم الخميس !!!؟ ..

.. وفي الحديث إشكاليّةٌ أُخرى تُظهر أنّه موضوع ، وذلك بمخالفةٍ منته للقرآن الكريم .. ففي متن الحديث نرى أنّ النور خُلِقَ يوم الأربعاء [وَخُلِقَ النُّورُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ] ، بمعنى أنّ النور تعلّق - في هذه الرواية - بالخلق .. ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنّ النور جُعِلَ جعلاً ، ولم يُخلَقْ خلقاً كخلق السماوات والأرض .. وفي الآيات الكريمة التالية برهانٌ لمن يملك ذرةً إرادةً لمعرفة الحقيقة ..

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿١﴾ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٢﴾ [الأنعام : ١]

﴿ أَوْ كُظِّمْتَ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَتْ
بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِنْ نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠]

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلَهُ فِي
الظُّلْمَةِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :
١٢٢]

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ
وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴾ [الشورى : ٥٢]

﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨]

.. فكيف إذا يُوصَفُ النور بأنه مخلوق ؟!!! .. وكيف يُوصَفُ المكروه بأنه مخلوق ؟!!!
: [[وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ]] .. أليست الآية
الكريمة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١] .. أليست صريحة بأن النور جعل جعلاً ،
ولم يُخلَقْ خلقاً كخلقِ مادّةِ السماوات والأرض ، وأنَّ جَعَلَ النور إنما أتى في عبارة
خلفَ العبارة التي تُبَيِّنُ خَلْقَ السماوات والأرض ؟!!! .. من أيِّ زاوية ننظر منها إلى
هذه الرواية ، نراها موضوعة ، ومخالفةً بشكلٍ صريحٍ لكتابِ الله تعالى ..

ولنأخذ مسألةً أخرى .. الله تعالى يقول لنا في كتابه الكريم : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ

إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] ، مبيّناً لنا أنّ الإنسان أيّ إنسان لا يُجازى إلا على سعيه
في حياته الدنيا ، وبالتالي فالله تعالى لا يُجازي الإنسان بسعي غيره أو فعلٍ غيره .. وهذه

الحقيقة نراها أيضاً في قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس : ٥٤] .. ونراها أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] ..
بعد هذا البيان القرآني الواضح ، نرى روايات تقول غير ذلك .. لننظر في الحديث التالي :

مسلم (٤٩٧١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شَدَّادُ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا أَحْسَبُ أَنَا قَالَ أَبُو رَوْحٍ لَأُؤَدِّي مِمَّنْ الشُّكُّ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَعَمْ

.. ولننظر في النص التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص تفسير

هذا الحديث :

[[قوله : (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) فمعناه : أن الله تعالى

يغفر تلك الذنوب للمسلمين ، ويسقطها عنهم ، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم ، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ، ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : { ولا تزر وازرة وزر أخرى } وقوله : (ويضعها) مجاز والمراد : يضع عليهم مثلها بذنوبهم كما ذكرناه لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم ، وأبقى على الكفار سيئاتهم ، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي ، وهو إثمهم ، ويحتمل أن يكون المراد آثاما كان للكفار سبب فيها ، بأن سنوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ، ويوضع على الكفار مثلها ، لكونهم سنوها ، ومن

سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها . والله أعلم [[

.. إذا كانت رواية الحديث تقول : **[[يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى]]** .. فالذنوب التي تُوضَعُ على اليهود والنصارى هي ذاتها الذنوب التي مثلُ أمثالِ الجبال والتي اقترفها المسلمون ، وذلك بدليل الضمير المتصل في كلمة **[[وَيَضَعُهَا]]** ، أي يضع الذنوب ذاتها التي تمَّ غفرانها .. فما يتعلَّقُ به هذا الضمير هو ذاته ما يتعلَّقُ به الضمير المتصل في كلمة **[[فَيَغْفِرُهَا]]** .. هكذا يُدركُ كُلُّ من يملك حدًّا أدنى من إدراكِ قواعد اللغة العربية .. فالعبارة الواردة في هذا الحديث **[[فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى]]** ، تعني الذنوبَ ذاتها ولا تعني أبداً ما نراه في تفسير هذه الرواية ..

.. والعبارة الواردة في تأويلهم : **[[ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)]]** ، كان من المفروض أن تكون على الشكل : **[[ولا بُدَّ من القولِ بعدمِ صحَّةِ هذه الرواية إيماناً واحتراماً لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾]]** ..

.. والعبارة الواردة في شرحهم : **[[ولا بد من هذا التأويل]]** ، تُبينُ بما لا يقبل الشك من أن تأويلاتهم هذه والتي يسمونها علماً تضع نتيجةً مُسبقةً الصنع ، هي أن هذه الروايات صحيحة ، مهما بلغت مخالفتها لكتاب الله تعالى ولثوابت العلم والعقل والمنطق ، ومهما بلغت درجة التناقض بينها ، وأنه ما على تأويلهم إلا خلق التبريرات لإيهام الناس أنّها كلّها صحيحة .. فالعبارة الواردة في تأويلهم : **[[ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾]]** ، تؤكدُ أنّ المؤول ذاته يعلم - في نفسه - أنّ هذه الرواية تناقضُ كتابَ الله تعالى ..

.. ولو طلقنا عقلاً وقبلنا بتأويلهم هذا .. فلماذا اليهود والنصارى دون غيرهم **[[فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى]]** ، لماذا لا تُوزَعُ ذنوبنا على الجوس والبوذيين وغيرهم من أصحاب الديانات الوضعية .. فهل لا يُحاسبُ يومَ القيامة إلا نحن

واليهود والنصارى ؟!!! .. طبعاً المسألة مسألة روايات لا أساس لها من الصحة ،
ووضعت لهدف واحد هو الإساءة لمنهج الله تعالى ...
.. هذه الحقيقة تتأكد معنا حينما نسمع الرواية التالية :

مسلم (٤٩٦٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ
أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَكَ مِنَ النَّارِ

.. وهذا نصٌ مقتطعٌ من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص تفسير هذا

الحديث :

[[فالؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره . معنى

(فِكَأَكَ مِنَ النَّارِ) أنك كنت معرضاً لدخول النار ، وهذا فِكَأَكَ ؛ لأن الله تعالى قدر لها

عددا يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفِكَأَكَ للمسلمين]]

.. كيف يكون معنى العبارات : **[[إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ**

مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَأَكَ مِنَ النَّارِ]] ، ما نراه من تأويل لا علاقة له

بمعنى هذه الرواية لا من قريب ولا من بعيد ؟!!! .. أليست العبارة المُفتراة على الرسول ﷺ

: **[[إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ]]** ، تعني كل مسلم ، وبالتالي تشمل جميع المسلمين .. وهل جميع

المسلمين يقومون بالذنوب والمعاصي نتيجة إملاء عليهم من اليهود والنصارى ؟!!! ..

وحتى لو طلقنا عقولنا وتصورنا مثل هذه الأوهام ، فهل المسلمون - في هذه الحالة المُتخيَّلة

- هل تسقط عنهم تلك الذنوب ويخرجون أبرياء على الرغم من قيامهم بذنوبهم تلك

.. ؟!!!

.. من الواضح وضوح الشمس وسط النهار أن تأويلاتهم لا تهدف إلا إلى ذر الرماد

في العيون ، لتغطية الحقيقة الجلية التي يدركها كل مؤمن بكتاب الله تعالى وبعده الله تعالى

باحثاً عن الحقيقة ، وهي أن مثل هذه الروايات موضوعة .. وهذا ما يتأكد لدينا في الرواية التالية :

مسلم (٤٩٧٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ عَوْنًا وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدَخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا قَالَ فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَلَفَ لَهُ قَالَ فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ أَنَّهُ اسْتَحْلَفَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيَّ عَوْنٌ قَوْلَهُ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَفَّانَ وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عُثْبَةَ

.. إننا نرى في هذه الرواية أن عمر بن عبد العزيز يستحلف الراوي ثلاث مرات ، وفي هذا بيان لكل باحث عن الحقيقة أن عمر بن عبد العزيز كان شاكاً في هذه الرواية من أساسها .. أما المؤولون الذين تعنيهم هذه الروايات أكثر بكثير مما يعنيهم كتاب الله تعالى ، فلا شك أنهم سيؤولون غير ذلك .. لننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص تفسير هذا الحديث :

[[قوله : (فاستحلفه عمر بن عبد العزيز أن أباه حدثه) إنما استحلفه لزيادة

الاستيثاق والطمأنينة ، ولما حصل له من السرور بهذه البشارة العظيمة للمسلمين أجمعين ، ولأنه إن كان عنده فيه شك وخوف غلط أو نسيان أو اشتباه أو ذلك أمسك عن اليمين ، فإذا حلف تحقق انتفاء هذه الأمور ، وعرف صحة الحديث ، وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز والشافعي - رحمهما الله - أنهما قالا : هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم ، وتعميم الفداء والله الحمد

[[

.. العبارة : **[[فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** ، من الحديث ، أولوها بأن ذلك الاستحلاف كان لما حصل له من السرور بهذه البشارة العظيمة للمسلمين أجمعين .. وبدلاً من القول بأن متن هذه الرواية يُخالفُ كتابَ الله تعالى ومبدأ العدالة الإلهية والعقل والمنطق ، وأن هذا الاستحلاف إنما كان نتيجة شك في هذه الرواية ، بدلاً من ذلك قالوا : **[[هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين ، وهو كما قالوا لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم ، وتعميم الفداء والله الحمد]]** .. إذاً .. فله الحمد .. كلُّ مُسلم مهما فعل من الذنوب والمعاصي سيفديه الله تعالى بيهودي أو نصراني ، محملاً ذنوبه على ذلك اليهودي أو النصراني !!! .. هكذا تقول هذه الرواية المفتراة على الرسول ﷺ .. وهذا نموذج يُظهر كيف تحل الروايات مكان دلالات كتاب الله تعالى في فكر الكثيرين ، وفي عقيدتهم .. ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الحديث التالي ، كيف يحمل خلطاً في صياغته ..

البخاري (٦٠٣٠) :

حَدَّثَنِي صَدَقَةُ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْأَعْرَابِ جُفَاءً يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسْأَلُونَهُ مَتَى السَّاعَةُ فُكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ إِنْ يَعِشُ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ قَالَ هِشَامٌ يَعْنِي مَوْتَهُمْ

.. في هذا الحديث يسأل الأعراب عن الساعة وليس عن موتهم ، وتكون الإجابة المفتراة على النبي ﷺ بأن الساعة لا تتجاوز أصغر رجل منهم .. أما قول هشام بأن القول المنسوب إلى النبي ﷺ : **[[إِنْ يَعِشُ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ]]** ، هو : إِنْ يَعِشُ هَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَمُوتُوا .. فهذا لا دليل عليه على الإطلاق ، ويحمل إساءة لا تقل عن الإساءة التي يحملها الحديث ذاته ، فالسؤال المزعوم هو عن الساعة ... ومن جهةٍ أخرى فإن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم متى يموت الناس ،

وتأويل هشام يقتضي أنّ النبي ﷺ يعلم متى يموت كل من أولئك الأعراب ، وهذا ينقضه القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً ..

.. وفي الرواية ذاتها دليل على أنه ﷺ لم يكن يعلم حتى عمر من كان يقول عنه : **[[إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم]]** ، فكلمة **[[إن]]** تؤكد أنه ﷺ لم يكن يجزم أصلاً أنّ الغلام المعني سيعيش أم لا ، فكيف يعلم إذاً أعمار كل أفراد ذلك القرن وبأنهم سيموتون قبل أن يدرك الهرم ذلك الغلام !!!؟ .. وهذا ينسف تأويلهم من أساسه .. فالافتراء عليه ﷺ بأنه كان يعلم متى يموت الناس هو مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى ، الذي نقرأ فيه :

﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا

يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف : ٩]

.. والروايات التالية تؤكد أنّ هذه المسألة مُفتراء على النبي ﷺ ، فصياغتها اللغوية لا تُسعف تأويلهم الذي وُضع بهدف عدم الاعتراف بعدم صحّة هذه الروايات ..
مسلم (٥٢٥١) :

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ مَرَّ غُلامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يُؤَخَّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

مسلم (٥٢٤٩) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَعِنْدَهُ غُلامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَعِشَ هَذَا الْغُلامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

أحمد (١٣٣٤٧) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فَقَالَ إِنْ يَعِشْ هَذَا فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ

.. في هذه الروايات نرى صياغة أكثر وضوحاً ، فالعبرة : **[[فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى**

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ]] ..

هذه العبارة نرى فيها كلمة **[[السَّاعَةُ]]** ، التي تعني قيام الساعة ، لا أي أمر آخر ..

.. إننا نرى بأم أعيننا كيف أن الأحاديث المروية هي ظنية الثبوت ، وليست يقينية

الثبوت كما هو القرآن الكريم ، والتعامل مع الظني لا يكون بالتسليم الكامل الذي نُسلم به للنص القرآني .. أي أن التعامل مع الروايات لا يكون بالاتباع دون أي معايرة على كتاب الله تعالى .. وكل أتباع أعمى للروايات التاريخية دون معايرة حقيقية على كتاب الله تعالى هو ضلال وإبعاد عن منهج الله تعالى .. هذا ما نقرؤه في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦]

.. مثل هذه الروايات المتناقضة فيما بينها والمناقضة لكتاب الله تعالى ولثوابت العلم

والعقل والمنطق ، هي عبارة عن وقر في الأذان وغشاوة على الأبصار وأكثة على القلوب ، تحول دون فقه دلالات كتاب الله تعالى ، ودون سماع نداء الحق فيه ، ودون رؤية الحقيقة التي أنزل كتاب الله تعالى من أجلها .. وبالتالي فإن إقحام مثل هذه الروايات إلى ساحة المقدس يشوه صورة الدين الإسلامي في نفوس متبعيه وغيرهم على حد سواء ، ويُعطي للآخرين حيثيات مهاجمته ووصفه بالضعف والتناقض ..

.. إن أي خطاب ديني لا يستمد مادته من الحقيقة القرآنية والعلمية والمنطقية ، هو

تهريج يسقط سامعيه في مستنقعات الاختلاف والتناحر والافتتال ، مما يجعل فكر أفراد المجتمع ووعيهم شبيهاً بعلاقة أفراد مجتمع الصراصير ، كلُّ يُعني على ليلاه ، في حين أن الخطاب الديني المنطلق من الحقيقة القرآنية والعلمية والمنطقية ، يجعل فكر أفراد المجتمع

ووعيهم كعلاقة أفرادٍ مُجتمع النحل الذين يدورون في مداراتٍ هدفٍ واحدٍ يسعى إليه الجميع ، ولا يجيّد عن سبيل الله تعالى ..

.. وفي المحطّة القادمة سنتابع - إن شاء الله تعالى - معايرة روايات الأحاديث في ميزان كتاب الله تعالى ، على ضوء العلم والعقل والمنطق ، لنرى كيف أنّ نسب بعض هذه الروايات إلى الدين هو إساءة متعمّدة لمنهج الله تعالى ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الخامسة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. ما رأينا من رواياتٍ مُتناقضةٍ فيما بينها من جهةٍ ، ومناقضةٍ لكتابِ الله تعالى ولثوابِ العقل والمنطق من جهةٍ أُخرى ، وما رأينا من تأويلاتٍ ما أنزلَ اللهُ تعالى بها من سلطانٍ .. كلُّ ذلك يجعلُ من هذه الرواياتِ وتأويلها معاولَ هدمٍ في أيِّ بناءٍ يمكنُ بناؤه من مادةٍ تلك الرواياتِ ... عندما نرى تأويلاً لبعضِ الرواياتِ بنسخِ حكمٍ ما ، دون أن نرى مُجرّدَ إشارةٍ إلى هذا النسخِ في صياغةِ الروايةِ ، فهذا يعني أنّها ما للرواةِ بأنهم ينقلون أحكاماً لا يعيشونها كحياةٍ تعبديةٍ وكشعائرِ عباداتٍ في حياتهم ، فكيف ينقلون - بعدَ عصرِ النبوةِ - أحكاماً أُبطلتْ في عصرِ النبوةِ ولا يذكرون ذلك في رواياتهم ، بل ما هي الفائدة من ذكر أحكامٍ ملغيةٍ لا يُعملُ بها ؟!!! ..

.. أليست مواضعُ تلك الرواياتِ أخذت من أفواه الرجالِ بعدَ النبيِّ ﷺ ، ألم يكتملُ التشريعُ بعصرِ النبيِّ ﷺ ، فكيف إذا اخترعون تأويلاتٍ يُعلّقونها على شتماعاتِ النسخِ وغيرِ النسخِ ؟!!! .. ثم كيف تبقى تلك الرواياتِ قروناً من الزمن دون تأويلٍ ودون تبريرٍ ودون

شرح لتخرج علينا بعد ذلك تبريرات ما أنزلَ اللهُ تعالى بها من سلطان .. أليس كلُّ ذلك دليلاً على أن هذه التأويلات لا تتكئُ على أيِّ معيارٍ علميٍّ منهجيٍّ ، ولا تهدفُ إلى معرفة الحقيقة ؟ ..

.. إنَّ فرضَ تصحيحِ فردٍ لرواياتٍ تاريخيَّةٍ ، واعتبارَ هذا التصحيحِ عينَ المنهجِ ، وفرضَ ذلكَ على الأمةِ ، واعتبارَهُ سقفاً لفكرِ الأمةِ إلى قيامِ الساعةِ ، هو في الحقيقةِ وَضْعُ ذلكَ التصحيحِ سقفاً لتدبُّرِ كتابِ اللهِ تعالى ، وسقفاً لتفاعلِ الأمةِ مع المعطياتِ الحضاريَّةِ المُستجدَّةِ ، بحيثُ تحلُّ تلكَ الرواياتِ التاريخيَّةِ وتلكَ التأويلاتِ مكانَ التدبُّرِ الحقيقيِّ لكتابِ اللهِ تعالى ..

.. وهذا هو حالُ الفكرِ المحسوبِ على الإسلامِ منذ جيلِ جمعِ تلكَ الرواياتِ وإدخالها إلى إطارِ المقدَّسِ تحتِ شعاراتٍ برّاقةٍ تخطفُ أبصارَ العوامِ ، بحيثُ تُستخدَمُ هذه الشعاراتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ كمانعةٍ صواعقٍ للحيلولةِ دونِ انهيارِ ظلامِ المنهجِ التراثيِّ الجمعيِّ الوضعيِّ أمامِ نورِ الحججِ والبراهينِ الساطعةِ المُستنبطةِ من كتابِ اللهِ تعالى ..

.. أليستِ المادَّةُ المحسوسةُ الموجودةُ بين أيدينا ، أليستِ هي ذاتها عبرَ العصورِ ، وما يتغيَّرُ هو إدراكنا لصفاتها عبرَ تلكَ العصورِ .. كم فرضيَّةٍ من فرضياتِ العلومِ الكونيَّةِ تمَّ إبطالُها نتيجةَ اكتشافاتٍ لاحقةٍ في سبرِ خواصِّ المادَّةِ لأجلِ ذلكَ هناكَ مناهجُ بحثٍ علميَّةٍ تمَّ التعارفُ عليها ، وهناكَ تجاربٌ حسيَّةٌ تمَّ الجزمُ بصحتها نتيجةَ وضعِ مادَّةِ الكونِ تحتِ المجهرِ ، وبالتالي فالعلومُ الكونيَّةُ تتطوَّرُ مع الزمنِ ، على الرغمِ من ثباتِ المادَّةِ التي تتناولُها هذه العلومُ .. وبالتالي هناكَ مختصِّونَ في العلومِ الكونيَّةِ يُرجَعُ إليهمُ في فهمِ خواصِّ مادَّةِ الكونِ ، وهؤلاءِ المختصِّونَ يبنونَ معرفتهمُ على آخرِ الاكتشافاتِ العلميَّةِ ..

.. ولو فرضنا جدلاً أنَّ العلومَ الكونيَّةَ تمَّ وضعُ سقفٍ تدبريٍّ لمادَّتها عندِ عتبةِ عصرِ من العصورِ .. لو فرضنا ذلكَ .. هل كُنَّا سنصلُ في علومنا الكونيَّةِ إلى ما نحنُ عليه الآنَ !!!؟ .. لو فرضنا جدلاً أنَّ علومَ الطبِّ وُضِعَ لها سقفٌ عندِ عتبةِ الاكتشافاتِ العلميَّةِ في القرنِ الثالثِ الهجريِّ ، وأنَّه لا يجوزُ تجاوزُ تلكَ العتبةِ .. لو فرضنا ذلكَ .. فهل كانتِ البشريَّةُ ستصلُ إلى ما وصلتِ إليه الآنَ من اكتشافاتٍ في هذا المجالِ !!!؟ .. وما هي

الفائدة التي سنجنيها في ذهابنا إلى طبيبٍ لا تتجاوزُ معرفته الطبيّة النّاتجَ العلميّ للقرن الثالث الهجري؟!!!! .. وهل اختصاصه الطّبيّ المبنيّ على علوم القرن الثالث الهجري ، هل يُمكننا حملُه على أيّ محمّلٍ ذي قيمةٍ علميّةٍ مقارنةً مع طبيبٍ مختصٍّ يبني اختصاصه على آخر اكتشافاتِ علومِ عصرنا؟!!!! ..

.. ولو عدنا إلى العلوم التي يُطلقون عليها اسمَ العلوم الشرعيّة ، لرأينا أنّها - في حقيقتها - لا تتجاوزُ السقفَ المعرفيَّ للقرن الثالث الهجري ، وأنّ مُعظمَ الدراسات المحسوبة على الفكر الإسلامي منذ ذلك العصر الذي تمّ فيه جمع الروايات التاريخيّة ، لا تخرجُ عن كونها عمليةً مكياجٍ لتلك الروايات ورجالاتها وأئمتها ، ولا تخرجُ عن كونها عمليةً إغماضٍ للأعين عن حقيقةٍ ما تحملُ هذه الروايات التاريخيّة من تناقضٍ ومخالفةٍ لكتاب الله تعالى .. وبالتالي فالمختصُّ في العلوم الشرعيّة هو من يحفظ عن ظهر قلب ما قاله السابقون وما تمّ تأطيره فكرياً في ذلك العصر ، وهو بذلك لا يختلفُ - أبداً - عن الطبيب الذي لا تتجاوزُ معرفته الطبيّة عتبةَ العلوم الطبيّة في القرن الثالث الهجري ..

.. إذاً .. مقولة الاختصاص في العلوم الشرعيّة ، ومقارنتها مع الاختصاص في العلوم الكونيّة ، ليست صحيحةً على الإطلاق .. وشأن الذهاب إلى مختصٍّ في العلوم الشرعيّة لا يختلف عن ذهابنا إلى طبيبٍ لا تتجاوزُ معرفته الطبيّة عتبةَ العلوم الطبيّة في القرن الثالث الهجري .. فكما أنّ مادّة الكون ثابتة وما يتغيّر هو إدراكنا لصفاتها عبر البحث المستمر في هذه المادّة ، كذلك فإنّ النصّ القرآنيّ ثابتٌ ومحفوظٌ من قبلِ الله تعالى ، وما يتغيّر هو إدراكنا لدلالاته ، والتي يريدُ الله تعالى منّا أن ندرّكها بشكلٍ تصاعديٍّ مع الزمن ..

﴿ سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

.. ولو نظرنا إلى حقيقة المبدأ الذي يدعو إليه عابِدو أصنام التاريخ ، ممّن يُقدّمون القرآن الكريم على أنّ دلالاته لا تتجاوزُ فهم رجال القرون الأولى .. لو نظرنا إلى ذلك من منظارٍ حقيقةٍ كتاب الله تعالى ، لرأينا أنّ التحطيمَ الفكريّ لمبدأ الصنميّة التاريخيّة ، هو ضرورةٌ لا بُدَّ منها لرؤية ما يحملُ كتابُ الله تعالى من أدلّةٍ وأحكامٍ يُريدها الله تعالى لكلِّ

عصرٍ من العصور ... وربما يكون ذلك مشابهاً إلى درجةٍ كبيرةٍ لما فعله إبراهيم عليه السلام في خطوته الأولى حينما حطّم أصنامَ قومه كخطوةٍ لا بُدَّ منها لفسح المجال أمام رؤيةٍ ما لم تُمكن رؤيته بوجود تلك الأصنام ..

.. نحن نعلم أنّ الكثيرين من أبناء الأمة سيتهموننا بالتطرّف الفكري حينما يسمعون منّا هذا الكلام ، ولكنّ الباحثين عن الحقيقة منهم سيعلمون أنّنا ننطقُ بالحقيقة عندما يرونَ كيف تُفرضُ على منهجِ الله تعالى رواياتٌ تاريخيّة تتعارضُ مع ثوابتِ العلم التي أجمعت عليها البشريّة وباتت من المسلمّات ..

.. معلومٌ أنّ تحديدَ جنسِ المولود ، ذكراً أم أنثى ، إنّما يتحدّد لحظة التلقيح بين النطفة والبويضة ، فهناك نوعان من النطاف ، نوعٌ يتعلّق بالذكورة ، ونوعٌ يتعلّق بالأنوثة ، ويكون المولود ذكراً أم أنثى حسب انتماء النطفة الملقحة للبويضة إلى أيٍّ من هاتين الساحتين .. هذا هو قول العلم .. والقرآن الكريم يُبيّن هذه الحقيقة قبل اكتشاف العلم لها بقرون ، فقوله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٦﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [النجم : ٤٥ -

[٤٦

.. فَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ النُّطْفَةِ ، في اللحظة التي تُصوّرُها العبارة القرآنيّة : ﴿ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ ، بمعنى حين تُمنى .. وفي هذا السياق لا تُريد الإسهاب في هذه المسألة ، فهذه الصورة القرآنيّة تُصوّرُ الحقيقة العلميّة المتعلّقة بتحديد جنس المولود ، والتي اكتشفها العلمُ بعدَ قرونٍ من نزولِ القرآنِ الكريم ..

.. بعد كلّ هذا البيان .. وبدلاً من استنباط هذه الحقيقة من كتابِ الله تعالى .. بدلاً من ذلك .. نرى أحاديث فيما يُسمّى بالصحاح ، تحملُ دلالاتٍ تناقضُ هذه الحقيقة القرآنيّة العلميّة .. لننظر في الأحاديث التالية التي تُوكّد صياغتها اللغويّة أنّ تحديد جنس المولود ، بالذكورة والأنوثة ، إنّما يكون بعد شهورٍ من دخول النطفة إلى الرحم ..

البخاري (٣٠٧) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ فَيَكْتُبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

البخاري (٣٠٨٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو التُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ يَا رَبِّ عَلَقَةٌ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

البخاري (٦١٠٦) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٌ أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٌ أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٌ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ أَيُّ رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَمَا الرِّزْقُ فَمَا الْأَجَلُ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ

مسلم (٤٧٨٣) :

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَائِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيٌّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ حُدَيْفَةُ بْنُ أَبِي الْعَفْصِ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ وَكَيْفَ يَشَقِي رَجُلٌ بغيرِ عَمَلٍ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا

شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلِكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَانَ النَّوْفَلِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَقُولًا وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ

مسلم (٤٧٨٤) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ أَبُو خَيْثَمَةَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ أَنَّ عِكْرِمَةَ بْنَ خَالِدٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَرِيحَةَ حَدِيفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِي هَاتَيْنِ يَقُولُ إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلِكُ قَالَ زُهَيْرٌ حَسْبُهُ قَالَ الَّذِي يَخْلُقُهَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَوْ أُنْثَى فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَسْوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ مَا أَجَلُهُ مَا خُلُقُهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا رَبِيعَةُ بْنُ كَلْثُومٍ حَدَّثَنِي أَبِي كَلْثُومٌ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ حَدِيفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالرَّحِمِ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللَّهِ لِيَضَعَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ

أحمد (٣٣٧٢) :

حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ النُّطْفَةَ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى حَالِهَا لَا تَغْيِيرُ فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعُونَ صَارَتْ عِلْقَةً ثُمَّ مَضَعَةٌ كَذَلِكَ ثُمَّ عِظَامًا كَذَلِكَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُسَوِّيَ خَلْقَهُ بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا فَيَقُولُ الْمَلِكُ الَّذِي يَلِيهِ أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ أَقْصِيرُ أَمْ طَوِيلٌ أُنَاقِصُ أَمْ زَائِدٌ قُوَّتُهُ وَأَجَلُهُ أَصَحِيحٌ أَمْ سَقِيمٌ قَالَ فَيَكْتُبُ ذَلِكَ كُلَّهُ

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَيَمِّمِ الْعَمَلَ إِذْنٌ وَقَدْ فُرِغَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَالَ أَعْمَلُوا فَكُلُّ سَيُوجِهِ لِمَا خُلِقَ لَهُ

أحمد (١١٧١٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا قَالَ أَيُّ رَبِّ نُطْفَةِ أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ فَإِذَا قَضَى الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقَهَا قَالَ أَيُّ رَبِّ أَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى فَمَا الرِّزْقُ وَمَا الْأَجَلُ قَالَ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ بِمَكَّةَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَعَاذٍ عَنْ أَنَسِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ

.. في هذه الروايات نرى بوضوح أن تحديد جنس المولود إنما يكون بعد التلقيح بشهور ، ولا مجال لتأويل نصوص صريحة في هذا الأمر .. وعلم تأويل مختلف الحديث لم يتعرض إلى هذه النقطة بما هو مناسب وبالشكل الذي تتطلبه ، لأن هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة حين وضعوا تأويلاتهم لتبرير ما لا يمكن تبريره .. وعابدوا أصنام التاريخ بحاجة الآن إلى علماء تأويل مختلف الحديث حسب النموذج الذي رأيناه ، ليدروا الرماد في العيون الباحثة عن الحقيقة ، ويؤولوا لنا هذه الروايات التي تحمل دلالات ينقضها كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق .. ولا شك أن هؤلاء العلماء المفترضين بحاجة إلى حيل يففزون بها فوق قواعد اللغة العربية ، ليخرجوا دلالات نصوص هذه الروايات عن حقيقة صياغتها اللغوية ..

.. ولكن لنسأل أنفسنا السؤال التالي : كيف سيؤول العلماء المفترضون العبارات الواردة في هذه الأحاديث : **[[إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةِ يَا رَبِّ عَلَقَةٍ يَا رَبِّ مُضْغَةٍ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى]]** !!!؟ .. ألا تدل هذه العبارات إلى أن خلق الله تعالى للذكورة وللأنوثة يكون بعد خلق النطفة والعلقة والمضغة !!!؟ .. وكيف سيؤول العلماء المفترضون العبارات الواردة في هذه الأحاديث :

[[إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلِكُ]] !!!؟ .. وكيف سيؤول العلماء المفترضون العبارات الواردة في هذه الأحاديث : **[[إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَتَّصَرُّ عَلَيْهَا الْمَلَكُ قَالَ زُهَيْرٌ حَسِبْتُهُ قَالَ الَّذِي يَخْلُقُهَا فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى]]** ، أليست العبارة : **[[فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى]]** ، تؤكد مخالفة هذه الروايات للحقيقة القرآنية العلمية في هذه المسألة !!!؟ ..

.. ولو فرضنا جدلاً أن روايات الأحاديث تحمل دلالات لا علاقة لها بصياغتها اللغوية ، فما الفائدة من هذه الروايات ، وما الفائدة من تقديسها ، وما الفائدة من فرضها على الأمة على أنها نصوص من المنهج !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. معلوم في كتاب الله تعالى أن كلمة الدهر تعني مفهوم الزمن ، وبالتالي تعني مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى ، ولا يمكنها ولا بأي شكل من الأشكال أن تكون صفة لله تعالى ، أو أنها تعني الله تعالى .. وقد وردت هذه الكلمة مرتين في كتاب الله تعالى .. يقول تعالى ..

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا هُمْ

بِدَالِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤]

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١]

.. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٧١٤) :

حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُسْمُوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ وَلَا تَقُولُوا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ

.. طبعاً سيؤولون هذا الحديث ليظهره صحيحاً ، ولذلك نرى النص التالي المقتطع

من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

[[..... ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه : أحدها أن المراد بقوله " أن الله

هو الدهر " أي المدبر للأمور . ثانيها أنه على حذف مضاف أي صاحب الدهر . ثالثها

التقدير مقلب الدهر]]

.. ولننظر إلى الحديث التالي :

أحمد (٩٩٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ

مسلم (٤١٦٩) :

و حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ

.. ونرى أيضاً في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي النص التالي :

[[..... قال العلماء : وهو مجاز ، وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر

عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك ،

فيقولون : يا خيبة الدهر ، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " أي لا تسبوا فاعل النوازل ، فإنكم إذا

سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى ؛ لأنه هو فاعلها ومنزلها . وأما الدهر الذي هو

الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى . ومعنى " فإن الله هو الدهر " أي فاعل النوازل والحوادث ، وخالق الكائنات . والله أعلم]]

.. وهنا نسأل أنفسنا السؤال التالي : هل هذه التأويلات لها حيثيات وجود في صياغة الروايات المؤولة ؟!!! .. ومن جهة أخرى .. أليس العرب الذين يُنسبُ إلى بعضهم هذه الروايات ، أليسوا هم ذاهم من الذين نزلَ عليهم القرآن الكريم وينطقون اللغة ذاتها ؟!!! .. وحسب تأويلهم هذا ، هل يحقُّ للكافرين المعنيين بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا أَلْدُنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] ، هل يحقُّ لهم أن يؤوّلوا قولهم : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ ، ليكون بمعنى : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا مُدَبِّرُ الْأُمُور) ، أو : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا صَاحِبُ الدَّهْرِ) ، أو : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا مُقَلَّبُ الدَّهْرِ) ، ليكونوا حسب التأويل الذي نراه ليسوا كافرين ، بل على رأس المؤمنين ؟!!! .. وهل ينفعهم عند الله تعالى مثل هذا التأويل ؟!!! ..

.. وما هو الفارق بين تأويل الكافرين المُفترَض هذا ، وبين تأويل ما يُسمّى بعلم تأويل مُختلَف الحديث الذي نراه .. وإن كانت النصوص المنسوبة للنبي ﷺ ناقصةً وبجاجة إلى زيادة كلمات من جيوبنا كما يُزعمُ في هذه الروايات ، فأى ثقة ستبقى في تلك الروايات ؟!!! .. وأيُّ أحكامٍ يمكننا أن نستنبطها منها ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولناخذ مسألةً أخرى .. لننظر إلى التناقض البين بين الروايات التالية ..

البخاري (١٤١) :

حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ الْغَائِطُ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا

البخاري (١٤٤) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى
بْنِ حَبَّانَ عَنْ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ
حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ
الشَّمِّ

مسلم (٣٨٩) :

و حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ
زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنْ سُهَيْلٍ عَنِ الْقَعْقَاعِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا

مسلم (٣٩١) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ رَقِيتُ عَلَى بَيْتِ أُخْتِي
حَفْصَةَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا لِحَاجَتِهِ مُسْتَقْبِلَ الشَّمِّ مُسْتَدْبِرَ
الْقِبْلَةِ

أبو داود (١٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَقَ
يُحَدِّثُ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبِضَ بَعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا

ابن ماجه (٣٢٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَقَ
عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبِضَ بَعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا

أحمد (١٤٣٤٣) :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ
عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَانَا عَنْ أَنْ
نَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ أَوْ نَسْتَقْبِلَهَا بِفُرُوجِنَا إِذَا أَهْرَقْنَا الْمَاءَ قَالَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بَعَامٍ يَبُولُ
مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ

ابن ماجه (٣١٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ
خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا بِفُرُوجِهِمُ الْقِبْلَةَ فَقَالَ أَرَاهُمْ قَدْ
فَعَلُوهَا اسْتَقْبَلُوا بِمَقْعَدَتِي الْقِبْلَةَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُبَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ
الْعَزِيزِ بْنُ الْمُغْبِرَةِ عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ بِمِثْلِهِ

أحمد (٢٤٧١٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ أَنَّ عِرَاكَ
بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ بِفُرُوجِهِمْ فَقَالَ أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا حَوَّلُوا مَقْعَدِي قَبْلَ
الْقِبْلَةَ

.. في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي نرى نصاً يعكس الاختلاف الكبير بين

الأمة بالنسبة لهذه المسألة ، بناءً على تلك الأحاديث المتناقضة :

]] وأما النهي عن الاستقبال للقبلة بالبول والغائط فقد اختلف العلماء فيه على

مذاهب أحدها : مذهب مالك والشافعي – رحمهما الله تعالى – أنه يحرم استقبال القبلة
في الصحراء بالبول والغائط ، ولا يحرم ذلك في البنيان ، وهذا مروى عن العباس بن عبد
المطلب ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما والشعبي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل
في إحدى الروايتين رحمهم الله . والمذهب الثاني : أنه لا يجوز ذلك لا في البنيان ولا في

الصحراء ، وهو قول أبي أيوب الأنصاري الصحابي رضي الله عنه ومجاهد وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وأبي ثور وأحمد في رواية . والمذهب الثالث : جواز ذلك في البنيان والصحراء جميعا ، وهو مذهب عروة بن الزبير وربيعة شيخ مالك رضي الله عنهم ، وداود الظاهري . والمذهب الرابع : لا يجوز الاستقبال لا في الصحراء ، ولا في البنيان ، ويجوز الاستدبار فيهما ، وهي إحدى الروايتين عن أبي حنيفة وأحمد - رحمهما الله تعالى - ، واحتج المانعون مطلقا بالأحاديث الصحيحة الواردة في النهي مطلقا كحديث سلمان المذكور ، وحديث أبي أيوب وأبي هريرة وغيرهما قالوا : ولأنه إنما منع لحرمة القبلة ، وهذا المعنى موجود في البنيان والصحراء ، ولأنه لو كان الحائل كافيا لجاز في الصحراء ، لأن بيننا وبين الكعبة جبالا وأودية وغير ذلك من أنواع الحائل ، واحتج من أباح مطلقا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما المذكور في الكتاب أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مستقبلا بيت المقدس مستدبر القبلة ، وبحديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن أناسا يكرهون استقبال القبلة بفروجهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أو قد فعلوها حولوا بمقعدي " أي إلى القبلة . رواه أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه وإسناده حسن ، واحتج من أباح الاستدبار دون الاستقبال بحديث سلمان . واحتج من حرم الاستقبال والاستدبار في الصحراء وأباحهما في البنيان بحديث ابن عمر رضي الله عنهما المذكور في الكتاب ، وبحديث عائشة الذي ذكرناه . []

.. إن لم يكن هناك تناقض بين هذه الروايات ، فلماذا يختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب أربعة تشمل كل الاحتمالات الممكنة !!!؟ .. فلو كانوا - هم ذاتهم - يعتقدون بالتأويلات والتخریجات التي تُوضع لتبرير هذه المتناقضات لما كان بينهم اختلاف !!! .. ثم أين هو الإجماع الذي يتحدثون عنه !!!؟ .. إذا كُنَّا في مسألة كهذه المسألة نرى

مذاهب متناقضة لا يُوجدُ بينها جامع ، فكيف إذا نتحدّث عن إجماع في الدوائر الأوسع
.. !!!؟

.. حسب هذه التفاسير .. أليس المذهبُ الأوّلُ في هذه المسألة هو : **[[أنه يحرم استقبال القبلة في الصحراء بالبول والغائط ، ولا يحرم ذلك في البنيان]]** ، أليس المذهب الثاني هو : **[[أنه لا يجوز ذلك لا في البنيان ولا في الصحراء]]** ، أليس المذهبُ الثالثُ هو : **[[جواز ذلك في البنيان والصحراء جميعاً]]** ، أليس المذهبُ الرابعُ هو : **[[لا يجوز الاستقبال لا في الصحراء ، ولا في البنيان ، ويجوز الاستدبار فيهما]]** ، أليست هذه المذاهب يقفُ خلفَ كلِّ منها مجموعة من علماء الأمة وصحابتها ؟!!! .. فأبي إجماعٍ يمكننا تصوُّره إذا تمَّ الاختلاف في مسألة كهذه على أوجهٍ تدورُ من النقيضِ إلى نقيضه ؟!!! .. أم أنّ المسألة مسألة خطاباتٍ وشعاراتٍ تُلقى على العوام لتجيشهم كجنود في محاربة متدبّري كتابِ الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. لننظر في الأحاديث التالية :

مسلم (٣٧٧٥) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَمْرَةَ أَخْبَرَنِي أَبُو غَطَفَانَ الْمُرِّي أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ

البخاري (٥١٨٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ شَرِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا مِنْ زَمَزَمَ

مسلم (٣٧٧٣) :

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَبِي عَيْسَى السُّوَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا

البخاري (٥١٨٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنِ النَّزَّالِ قَالَ أَتَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَابِ الرَّحْبَةِ فَشَرِبَ قَائِمًا فَقَالَ إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ أَحَدَهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ

أحمد (١٢٧٥٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا

ابن ماجه (٣٤١٣) :

حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسَهَّرٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَقَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ قَائِمًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعِكْرَمَةَ فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا فَعَلَ

مسلم (٣٧٧٤) :

و حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِرُهَيْبٍ وَابْنِ الْمُثَنَّى قَالُوا حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَبِي عَيْسَى الْأُسْوَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا

أحمد (٩٢٣) :

حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَشَجَعِيِّ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ سُفْيَانَ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَعَا بِكُوزٍ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ أَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الشُّرْبَ قَائِمًا قَالَ فَأَخَذَهُ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءًا خَفِيفًا وَمَسَحَ عَلَى نَعْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا وَضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلطَّاهِرِ مَا لَمْ يُحْدِثْ

أحمد (٧٢١٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ يُونُسَ بَعْنِي ابْنَ عُبَيْدٍ عَنِ الصَّلْتِ بْنِ غَالِبِ الْهَجِيمِيِّ عَنْ مُسْلِمٍ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا قَالَ يَا ابْنَ أَخِي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلَ رَاحِلَتَهُ وَهِيَ مُنَاخَةٌ وَأَنَا آخِذٌ بِخَطَامِهَا أَوْ زِمَامِهَا وَاضِعًا رِجْلِي عَلَى يَدِهَا فَجَاءَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَامُوا حَوْلَهُ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ثُمَّ نَاولَ الَّذِي يَلِيهِ عَنْ يَمِينِهِ فَشَرِبَ قَائِمًا حَتَّى شَرِبَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ قِيَامًا

الترمذي (١٨٠٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا فَقِيلَ الْأَكْلُ قَالَ ذَلِكَ أَشَدُّ قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

أحمد (١١٧٤٠) :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الدُّسْتُوَائِيُّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا

مسلم (٣٧٧١) :

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا

.. بعد الاطلاع على كل هذه الروايات المتناقضة ، نرى كيف أنه من المستحيل أن نصل إلى أي نتيجة منها ، ونرى أن التناقض لا يخفى حتى عن أعين الأطفال وحتى بعض العلماء أشكل عنده الأمر لدرجة أنه قال فيها أقوالاً باطلة ، أمّا بعضهم الآخر فقد لجأ كالعادة إلى عملية تأويل لا وجود لها إلا في جيوبه .. لننظر في النص التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص هذه المسألة ..

]] اعلم أن هذه الأحاديث أشكل معناها على بعض العلماء حتى قال فيها

أقوالاً باطلة ، وزاد حتى تجاسر ورام أن يضعف بعضها ، وادعى فيها دعاوي باطلة لا

غرض لنا في ذكرها ، ولا وجه لإشاعة الأباطيل والغلطات في تفسير السنن ، بل نذكر الصواب ، ويشار إلى التحذير من الاغترار بما خالفه ، وليس في هذه الأحاديث بحمد الله تعالى إشكال ، ولا فيها ضعف ، بل كلها صحيحة ، والصواب فيها أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه . وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائماً فبيان للجواز ، فلا إشكال ولا تعارض ، وهذا الذي ذكرناه يتعين المصير إليه ، وأما من زعم نسخاً أو غيره فقد غلط غلطا فاحشاً ، وكيف يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع بين الأحاديث لو ثبت التاريخ وأني له بذلك . والله أعلم . فإن قيل : كيف يكون الشرب قائماً مكروهاً وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فالجواب : أن فعله صلى الله عليه وسلم إذا كان بياناً للجواز لا يكون مكروهاً ، بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم]]

.. أي تدبر لكتاب الله تعالى تستطيع عقولنا القيام به إن هبطت هذه العقول إلى درجة قبول مثل هذه المتناقضات ؟!!! .. إذا كانت هذه الروايات قد أشكلت على بعض العلماء ، لدرجة أنهم قالوا فيها أقوالاً باطلة ، وهذا ما رأيناه في شروحاتهم : [اعلم أن هذه الأحاديث أشكل معناها على بعض العلماء حتى قال فيها أقوالاً باطلة ، وزاد حتى تجاسر ورام أن يضعف بعضها ، وادعى فيها دعاوي باطلة لا غرض لنا في ذكرها ، ولا وجه لإشاعة الأباطيل والغلطات في تفسير السنن] ..

.. إذا كان ذلك .. فلماذا الإصرار على عدم الاعتراف بعدم صحة بعضها ، على الرغم من ظهور التناقض بينها ، لدرجة لا تخفى على من يملك حداً أدنى من الإدراك ؟!!! ..

.. ثم كيف بنا أن ندرك تأويلهم [أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه . وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائماً فبيان للجواز] ، كيف بنا أن نفهم هذا التأويل الذي أخرجوه من جيوبهم مع القول الذي يفترى في هذه الروايات على الرسول ﷺ [لَأَ يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ] [!!!? .. إن كان الأمر كما يؤولون وأنه

ﷺ شرب قائماً لبيان جواز الشرب أثناء القيام ، فماذا يؤولون لنا العبارة المفتراة على الرسول ﷺ بأنه قال **[[فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيْ]]** ؟!!! .. أليس القول المفتري عليه ﷺ **[[فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيْ]]** هو أمرٌ لا يحتل أيّ توافقٍ مع تأويلهم الذي لا وجود له على الإطلاق في نصوص هذه الروايات ؟!!! .. كيف يكون الشرب أثناء الوقوف جائزاً في الوقت الذي يؤمر فيه الشارب واقفاً بأن يستقيء ؟!!! .. ولماذا يستقيء إن كان يجوز له أن يشرب واقفاً ؟!!! .. أليست العبارة **[[فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيْ]]** تنسف تأويلهم وأما شربه صلى الله عليه وسلم قائماً لبيان للجواز **[[من أساسه ؟!!!]]** ..

.. هل تأويلهم الذي نراه هو شرح لنصوص هذه الروايات ، أم هو ذر للرماد في الأعين حتى يتمّ التلبيس على الحقيقة ويتمّ خداع الناس بصحة جميع هذه الروايات المتناقضة في الوقت ذاته ؟ .. وهل يخدمون السنّة الشريفة حينما يصرون على تقديم الروايات المتناقضة والملفقة على الرسول ﷺ على أنها نصوص من المنهج ؟!!! .. ألا نرى في الإصرار على صحّة جميع هذه الروايات في الوقت ذاته .. ألا نرى حقيقة ما ذهبنا إليه من أنّ ما يُسمّى بعلم تأويل مختلف الحديث ، هو صناعة بشرية مبنية على تغييب العقل والمنطق ، ومبنية على اعتبار جميع الروايات صحيحة ، مهما بلغت درجة التناقض بينها ، ومهما بلغت درجة مخالفتها لكتاب الله تعالى ، ولثواب العلم والعقل والمنطق ..

.. أليست هذه المسألة مسألةً طبيّةً لا علاقةً للسنّة ولا للدين بها ؟ ، أليس الدين مع كلّ ما هو في صالح الإنسان ؟ ، ألم يكن من الأولى أن يُصرفَ جهدُ التأويل بين مثل هذه الروايات المتناقضة ، أن يُصرفَ إلى تدبّر كتاب الله تعالى ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. النواظم الفطرية المجردة المشتركة بين البشر ، والتي فطر الله تعالى الناس عليها والتي تُعدّ المنظارَ السليم الذي يُفترضُ أن يُنظرَ منه إلى منهج الله تعالى .. هذه النواظم .. تُطمّر وتُشوّه نتيجة الاعتقاد ببعض ما يُلفق على منهج الله تعالى ، فنرى ما نراه من تطرفٍ وكُرهٍ

وَقَتْلُ بِاسْمِ الدِّينِ .. ونرى ما نراه من تشويهٍ لمنهج التفكير السليم الذي تلتقي فيه الفطرةُ النقيّةُ مع كتاب الله تعالى ..
.. ولنأخذ مسألةً أُخرى .. لننظر في الرواية التالية ..

مسلم (١٩٣٥) :

و حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيَّهُ

البخاري (١٨١٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيَّهُ تَابَعَهُ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرٍو وَرَوَاهُ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصُّ هذا الحديث ، لنرى جزءاً بسيطاً من الخلافات التي ترتبت على هكذا روايات ..

]] وأما الحنفية فاعتلوا لعدم القول بهذين الحديثين بما روي عن عائشة

أنها " سئلت عن امرأة ماتت وعليها صوم ، قالت : يطعم عنها " . وعن عائشة قالت " لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم " أخرجه البيهقي ، وبما روي عن ابن عباس " قال في رجل مات وعليه رمضان قال يُطعم عنه ثلاثون مسكيناً " أخرجه عبد الرزاق ، وروي النسائي عن ابن عباس قال " لا يصوم أحد عن أحد " قالوا فلما أفتى ابن عباس وعائشة بخلاف ما روياه دل ذلك على أن العمل على خلاف ما روياه ، وهذه قاعدة لهم معروفة .. [[..

.. كيف بنا أن نفهم العبارة [] فلما أفتى ابن عباس وعائشة بخلاف ما رواه دل ذلك على أن العمل على خلاف ما رواه [] ؟!!!!!! .. كيف يتم الإفتاء بخلاف الروايات التي يُخطب علينا ليل نهار بأن من خالف أمراً منها هو منكر للسنة الشريفة ؟!!!!!! .. ولننظر في الرواية التالية ..

مسلم (١٩٣٨) :

و حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَأَبْنُ أَبِي خَلْفٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ جَمِيعًا عَنْ زَكَرِيَّاءَ بِنِ عَدِيٍّ قَالَ عَبْدُ حَدَّثَنِي زَكَرِيَّاءُ بِنِ عَدِيٍّ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي أَنَيْسَةَ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَتِيْبَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمٌ نَذِرٌ أَفَأَصُومُ عَنْهَا قَالَ أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ أَكَانَ يُؤَدِّي ذَلِكَ عَنْهَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ فَصُومِي عَنْ أُمِّكَ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص

هذا الحديث ..

[] اختلف العلماء فيمن مات وعليه صوم واجب من رمضان ، أو قضاء أو نذر أو غيره ، هل يقضي عنه ؟ وللشافعي في المسألة قولان مشهوران : أشهرهما : لا يصام عنه ، ولا يصح عن ميت صوم أصلاً . والثاني : يستحب لوليه أن يصوم عنه ، ويصح صومه عنه ويبرأ به الميت ، ولا يحتاج إلى إطعام عنه ، وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقه ، وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة ، وأما الحديث الوارد " من مات وعليه صيام أطعم عنه " فليس بثابت ، ولو ثبت أمكن الجمع بينه وبين هذه الأحاديث بأن يحمل على جواز الأمرين ، فإن من يقول بالصيام يجوز عنده الإطعام ، فثبت أن الصواب المتعين تجويز الصيام ، وتجويز الإطعام ، والولي مخير بينهما [] ..

.. لماذا يختلف العلماء إن كانوا مقتنعين بهذه الروايات ؟!!!!!! .. وما قيمة هذه الروايات إن لم تُعطِ حُكماً جلياً في المسألة التي رُوِيَتْ لأجلها ؟ .. وما هو المعيار العلمي الذي يجعل العلماء لا يختلفون على أيِّ رواية ؟!!!!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..
ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الحديثين التاليين ..

البخاري (٤٩٩١) :

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَبَّاسِ الْجَرِيرِيِّ عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ تَمْرًا فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ سَبْعَ تَمْرَاتٍ فَأَعْطَانِي سَبْعَ تَمْرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ حَشْفَةٌ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ تَمْرَةٌ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهَا شَدَّتْ فِي مَضَاغِي

البخاري (٥٠٢١) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَبَّاسِ الْجَرِيرِيِّ عَنْ أَبِي عُمَانَ قَالَ تَضَيَّفْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ سَبْعًا فَكَانَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ يَعْتَقِبُونَ اللَّيْلَ أَثْلَاثًا يُصَلِّي هَذَا ثُمَّ يُوقِظُ هَذَا وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ تَمْرًا فَأَصَابَنِي سَبْعَ تَمْرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ حَشْفَةٌ

.. في هاتين الروايتين نرى أن نصيب أبي هريرة هو سبع تمرات بعد ذلك ...

لننظر في الحديث التالي من البخاري ذاته ..

البخاري (٥٠٢٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي عُمَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَنَا تَمْرًا فَأَصَابَنِي مِنْهُ خَمْسٌ أَرْبَعُ تَمْرَاتٍ وَحَشْفَةٌ ثُمَّ رَأَيْتُ الْحَشْفَةَ هِيَ أَشَدُّهُنَّ لِيْضْرَبِي

هنا نصيب أبي هريرة هو خمس تمرات ، وليس سبع تمرات .. وبغض النظر عن كون

المسألة لا تحمل حكماً ولا حكمةً ولا معلومةً ولا شيئاً له علاقة بالمنهج الذي أنزله الله

تعالى على رسوله ﷺ ، ولا بأيّ منهجٍ كان .. بغض النظر عن ذلك ، نقول : إذا كان هناك اختلافٌ وتناقضٌ في مثل هكذا مسألة ، فكيف إذا تُعدُّ مثل هذه الروايات نصوصاً مقدّسةً يحمل بعضها صلاحية نسخ بعض أحكام كتاب الله تعالى ، كما يزجر عابدها أصنام التاريخ ؟!!! ..

وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويلٍ من جيبه ، مثل إعادة كلِّ رواية إلى حادثة مستقلة ، وذلك هروباً من الاعتراف بالتناقض الذي لا يمكن إغماض الأعين عنه ، قبل ذلك نقول : إن جريمة ذرّ الرماد في الأعين الباحثة عن الحقيقة لإيهامها بمصدقية هكذا روايات ، هي أكبر حتى من جريمة واضع هذه الروايات ، ولسنا مستعدين لأن نطلق عقولنا فنقبل تأويلاً لا وجود له إلا في مخيلات الآخرين ، ولا تحمله صياغة هذه الروايات لا من قريب ولا من بعيد .. وإذا كانت هذه الروايات ناقصة الصياغة ، ولا بدّ من إضافة عبارات لها حتى يتم إدراك دلالاتها ، فما الفائدة منها ؟!!! .. وحين ذلك أليس من الممكن أن يُحمّلها كلُّ دلالات من جيبه ، حسب ما تهوى نفسه ؟!!! ..

.. ولناخذ مسألةً أخرى ..

.. طلبُ الكافرين من مُحمّدٍ ﷺ بأن يأتيهم بآية كونية كآيات الكونية التي آتاها الله تعالى للرسل السابقين عليهم السلام .. هذا الطلبُ يجيبُ الله تعالى عليه بقوله ..

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَنْتُ أَحْلِمِ بَلِ افْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥ - ٦]

.. الكافرون قالوا : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴾ وهذا يحتمل آيةً كونيةً كانشقاق القمر .. فماذا كانت إجابةُ الله تعالى على طلبهم هذه .. كانت الإجابة قولَ الله تعالى : ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ..

.. ألم يُبَيِّنُ اللهُ تعالى لنا في كتابه الكريم أنه لم يُؤَيِّدْ منهجَ الرسالةِ الخاتمةِ بمعجزةٍ كونيةٍ كما أُيِّدَ منهاجُ الرسالاتِ السابقةِ ، بسببِ تكذيبِ أصحابِ تلكِ الرسالاتِ بالمعجزاتِ الكونيةِ التي أُيِّدَ بها رُسُلُهُم عليهم السلام .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء : ٥٩]

.. ألم يُبَيِّنُ اللهُ تعالى لنا أن اقترابَ الوعدِ الحقِّ الذي هو اقترابُ الساعةِ ، سيكون بعدَ أن تُفْتَحَ يأجوج ومأجوج ..

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ حَتَّىٰ ٢ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٦﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَتَوَلَّوْنَآ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ [الأنبياء : ٩٥ - ٩٧]

.. ألم يُبَيِّنُ اللهُ تعالى أن انشقاقَ القمرِ سيكون عند اقترابِ الساعةِ ، كآيةٍ من آياتِ اقترابِ الساعةِ .. ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١]

.. بعد كلِّ هذا البيانِ الإلهي الواضح ، نرى أحاديثَ تُصَوِّرُ لنا انشقاقَ القمرِ حادثةً في عصرِ الرسولِ ﷺ ، كمعجزةٍ مؤيِّدةٍ لمنهجِ الرسالةِ الخاتمةِ ، ونتيجةً طَلَبِ الكافرين لها .. !!!

البخاري (٣٣٦٥) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ

أحمد (١٢٨٢٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةَ فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ
مسلم (٥٠١٣) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةَ فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ

.. هذا الفكر التراثي الجمعي الذي لا ينصاعُ لأيِّ منهجٍ تدبيري ، لا سبيلٍ عند أتباعه في محاجة الآخرين إلا بالتكفير والإخراج من الملة .. هذا ديدنهم في كلِّ زمانٍ ومكان ... لننظر في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ هذا الحديث ، لنرى كيف أنَّ المتدبرَ لكتابِ الله تعالى ولقوانين الكون يُوصفُ بأنه مُلحدٌ وأعمى القلب ومُخالفٌ للملة ..

[[قال القاضي : انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد رواها عدة من الصحابة - رضي الله عنهم - مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها ، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة ، وذلك لما أعمى الله قلبه ، ولا إنكار للعقل فيها ؛ لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء ، كما يفنيه ويكوره في آخر أمره . وأما قول بعض الملاحدة : لو وقع هذا لنقل متواترا ، واقريخ أهل الأرض كلهم في معرفته ، ولم يختص بها أهل مكة ، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ، ومعظم الناس نيام غافلون ، والأبواب مغلقة ، وهم متغطون بثيابهم ، فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر]]

.. إذا .. حتى يستقيم التأويل الذي نراه ، وحتى تكون الرواية صحيحة ، وحتى لا نُتهم بأننا من [[المبتدعة المضاهين المخالفي الملة]] ، لا بُدَّ من أن نُنومَ معظمَ الناس ، وأن نجعلهم غافلين ، ولا بُدَّ أن نُغلقَ الأبوابَ عليهم حتى لا يخرجوا من بيوتهم ، ولا بُدَّ

أَنْ نُغْطِيَهُمْ بِثِيَابِهِمْ ، وَلَا بُدَّ أَنْ نَحْظَرَ عَلَيْهِمَ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالتَّفَكُّرَ فِيهَا .. وَالْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ نُطَلِّقَ عَقُولَنَا مُعْرَضِينَ عَنْ حَقِيقَةِ دَلَالَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .. وَإِلَّا كَيْفَ بِنَا أَنْ نَفْهَمَ تَأْوِيلَهُمْ : [] فَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّ هَذَا الْإِنْشِقَاقَ حَصَلَ فِي اللَّيْلِ ، وَمَعْظَمُ النَّاسِ نِيَامٌ غَافِلُونَ ، وَالْأَبْوَابُ مَغْلُقَةٌ ، وَهُمْ مَتَغَطُّونَ بِثِيَابِهِمْ ، فَقَلَّ مَنْ يَتَفَكَّرُ فِي السَّمَاءِ أَوْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا إِلَّا الشَّاذَّ النَّادِرَ [] .. نَتْرُكُ الْفَصْلَ فِي ذَلِكَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. وَلِنَأْخُذَ مَسْأَلَةً أُخْرَى .. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْقِفَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ النَّاسُ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ، هُوَ فِي زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ ، أَيْ فِي آخِرِ لِحْظَاتِ الدُّنْيَا وَبَدَايَةِ قِيَامِ السَّاعَةِ .. يَقُولُ تَعَالَى ..

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿ [الحج : ١ - ٢]

.. هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي لَا خِلَافَ فِيهَا ، نَرَى فِي صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مَا يُنَاقِضُهَا فَيَصَوِّرُ وَضْعَ الْحَامِلِ لِحْمَلِهَا هُوَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَيْ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي يَقِفُ فِيهَا الْبَشَرُ - بِمَا فِيهِمْ آدَمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قِيَامًا يَنْظُرُونَ ..

الْبُخَارِيِّ (٤٣٧٢) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ يَقُولُ لِبَيْتِكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعَثْنَا النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّورِ الْأَبْيَضِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّورِ الْأَسْوَدِ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَقَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ وَقَالَ جَرِيرٌ وَعَيْسَى بْنُ يُونُسَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ سَكَرَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى

البخاري (٦٠٤٩) :

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُ يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعَثُ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعَثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ قَالَ أَبْشَرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَالَ فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَّمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّورِ الْأَسْوَدِ أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

فيما يخص شرح هذا الحديث :

[[..... ظاهره أن ذلك يقع في الموقف وقد استشكل بأن ذلك الوقت لا حمل فيه

ولا وضع ولا شيب ومن ثم قال بعض المفسرين إن ذلك قبل يوم القيامة لكن الحديث يرد عليه وأجاب الكرمانى بأن ذلك وقع على سبيل التمثيل والتهويل وسبق إلى ذلك النووي فقال : فيه وجهان للعلماء فذكرهما وقال : التقدير أن الحال ينتهي إلى أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت كما تقول العرب " أصابنا أمر يشيب منه الوليد " وأقول يحتمل أن يحمل على حقيقته فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا

والمرضع مرضعة والطفل طفلاً فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجع ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى وقبل النفخة الثانية ويكون خاصاً بالموجودين حينئذ]]

.. ألا نرى أن السوية الفكرية لواضعي تلك الأحاديث هشة لدرجة أنها لا تصمد أمام الحد الأدنى من تدبر كتاب الله تعالى؟ .. ألا نرى أيضاً أن السوية الفكرية لشارحي تلك الروايات ليست بأفضل حال من سوية واضعها .. كيف يشرحون العبارة الواردة في هذه الروايات : [[فحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا]] ، كيف يشرحونها بالعبارة : [[التقدير أن الحال ينتهي أنه لو كانت النساء حينئذ حوامل لوضعت]] ؟ .. وكيف نفهم العبارات الواردة في شرح هذه الرواية : [[كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملاً والمرضع مرضعة والطفل طفلاً فإذا وقعت زلزلة الساعة وقيل ذلك لآدم ورأى الناس آدم وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجع ما يسقط معه الحمل ويشيب له الطفل وتذهل به المرضعة]] .. أي حمل وأي إسقاط وأي تأويل هذا الذي نراه ؟!!! .. أليست زلزلة الساعة ووضعت كل ذات حمل حملها يكون حين الزلزلة ، حيث الدنيا في نهايتها ؟!!! .. أليس خروج الناس للبعث - بما فيهم آدم عليه السلام - لا يكون إلا بعد النفخة الثانية ؟!!! .. يقول تعالى ..

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ

نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨]

.. أليست هذه الروايات موضوعة وضعاً يخالف دلالات كتاب الله تعالى ، ولا وظيفة لها إلا أن تكون حاجزاً بين الأمة وبين تدبرها لكتاب الله تعالى ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..
.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

أحمد (٢٢٩٤) :

حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ

الترمذي (١٣٧٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو السَّوَّاقُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ فَيَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا شَأْنُ الْبَهِيمَةِ قَالَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا وَلَكِنْ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ كَرِهَ أَنْ يُؤْكَلَ مِنْ لَحْمِهَا أَوْ يُنْتَفَعَ بِهَا وَقَدْ عَمِلَ بِهَا ذَلِكَ الْعَمَلُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ لَمْ نَعْرِفْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي فيما يخص

هذا الحديث ..

[[(فاقتلوه) قال القاري أي فاضربوه ضرباً شديداً أو أراد به وعيداً أو تهديداً)

واقتلوا البهيمة (قيل لئلا يتولد منها حيوان على صورة إنسان ، وقيل كراهة أن يلحق صاحبها الخزي في الدنيا لإبقائها . وفي شرح المظهر قال مالك والشافعي في أظهر قوليه وأبو حنيفة وأحمد إنه يعزر . وقال إسحاق : يقتل إن عمل ذلك مع العلم بالنهى ، والبهيمة قيل إن كانت مأكولة تقتل وإلا فوجهان القتل لظاهر الحديث وعدم القتل

للنهى عن ذبح الحيوان إلا لأهله]]

.. ولننظر في الحديث التالي ..

سنن أبي داود (٣٨٧١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّفِيلِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي

عَمْرُو عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَتَى بِهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوهَا مَعَهُ قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا شَأْنُ الْبَهِيمَةِ قَالَ مَا أَرَاهُ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُؤْكَلَ لَحْمُهَا وَقَدْ عُمِلَ بِهَا ذَلِكَ الْعَمَلُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَيْسَ هَذَا بِالْقَوِيِّ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخصّ هذا الحديث :

[[وقال السندي نقلاً عن السيوطي : قيل حكمة قتلها خوف أن تأتي بصورة قبيحة يشبه بعضها الآدمي وبعضها البهيمية . وأكثر الفقهاء كما حكاها الخطابي على عدم العمل بهذا الحديث فلا يقتل البهيمية ومن وقع عليها ، وإنما عليه التعزير ترجيحاً لما رواه الترمذي عن ابن عباس قال " من أتى بهيمة فلا حدّ عليه " قال الترمذي : هذا أصح من الحديث الأول ، والعمل على هذا عند أهل العلم انتهى .]]

.. والحديث التالي يحمل المسألة ذاتها ..

سنن ابن ماجه (٢٥٥٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحُصَيْنِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَقَعَ عَلَى ذَاتِ مَحْرَمٍ فَاقْتُلُوهُ وَمَنْ وَقَعَ عَلَى بِهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من شرح سنن ابن ماجه للسندي فيما يخصّ هذا الحديث :

[[(واقتلوا البهيمية) زاد الترمذي فقيلاً لابن عباس ما شأن البهيمية فقال ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كره أن يؤكل من لحمها أو ينتقع بها وقد عمل بها ذلك العمل وقيل حكمة قتلها خوف أن تأتي بصورة قبيحة يشبه بعضها الآدمي وبعضها البهيمية وأكثر الفقهاء كما حكاها الخطابي على عدم العمل بهذا الحديث فلا تقتل البهيمية ومن وقع عليها وإنما عليه التعزير ترجيحاً لما رواه الترمذي عن ابن

عباس قال من أتى بهيمة فلا حد عليه قال الترمذي هذا أصح من الحديث الأول والعمل على هذا عند أهل العلم كذا ذكره السيوطي في حاشية الكتاب [] ..

.. أرى أنه لا حاجة للتعليق على هكذا رواية تنسب للنبي ﷺ أنه قال [] مَنْ وَجَدْتُمُوهُ وَقَعَ عَلَىٰ بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ [] .. ولكن .. كيف لنا أن نفهم العبارات التالية في شرح هذه الروايات ، والتي يبررون بها قتل البهيمة التي وقع عليها الإنسان : [] حكمة قتلها خوف أن تأتي بصورة قبيحة يشبه بعضها الآدمي وبعضها البهيمة [] ، ، [] لئلا يتولد منها حيوان على صورة إنسان [] !!!؟ .. أترك التعليق على الرواية وشرحها لكل إنسان يحترم عقله معتقداً أن منهج الله تعالى لا يختلف مع النواميس الكونية التي خلقها الله تعالى ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٥٢١٢) :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ يَعْنِي ابْنُ مُفَضَّلٍ عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَابْنِ صَائِدٍ مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ قَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ صَدَقْتَ

هنا النبي ﷺ يسأل ابن صائد عن تربة الجنة فيجيبه ابن صائد [] دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ

يَا أَبَا الْقَاسِمِ [] ويرد النبي ﷺ عليه [] صَدَقْتَ [] .. بينما في الحديث التالي نرى المسألة معكوسة ..

مسلم (٥٢١٣) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ

ولننظر في النص التالي من صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص هذا الحديث :

]] وذكر مسلم الروایتين في أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، أو ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم . قال القاضي : قال بعض أهل النظر : الرواية الثانية أظهر . [[..

ما دامت الرواية الثانية أظهر ، فكيف إذا تكون الرواية الأولى صحيحة !!!؟ .. ولماذا لا يكون هناك احتمالٌ في أن الروایتين غير صحيحتين !!!؟ ..

.. بعد رؤية ما رأينا من روايات وتأويلات .. أعتقد أن كل من يملك حداً أدنى من إدراك قواعد اللغة العربية ، وحداً أدنى من العقل والمنطق ، أصبح يدرك كيف أن ما يُسمى بعلم تأويل مختلف الحديث ، لا يُلامس العلم ولا موضوعية البحث بأي شيء ، إنما هو محاولات لذر الرماد في العين حتى يُقطع الطريق على كل من يتجه نحو إدراك الحقيقة ..

.. في هذه الروايات وشرحها .. ألا نرى قفزاً فوق دلالات كتاب الله تعالى ، ألا نرى قفزاً فوق حقائق التاريخ ، ألا نرى قفزاً فوق قواعد اللغة العربية ، ألا نرى قفزاً فوق ثوابت العقل والمنطق .. كل ذلك من أجل عدم الاعتراف بعدم صحة روايات لا تزيد الأمة إلا تفرقةً وابتعاداً عن كتاب الله تعالى .. فكل ما يمكننا أن نحصد من هذه الروايات وعلومها هو الإعراض عن كتاب الله تعالى ، وتفرقة الأمة مذاهب وطوائف متناحرة ، لا يجمعها إلا الإعراض عن حقيقة تدبر كتاب الله تعالى ، وهذا ما سنبيته — إن شاء الله تعالى — في المحطة القادمة ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة السادسة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

العقل مناط التكليف في الإنسان ، وهو أحد أمرين أيُّ منهما ينقذ الإنسان من الدخول في أصحاب السعير ..

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ

فَسُحِقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك : ١٠ - ١١]

فحرف العطف ﴿ أَوْ ﴾ [وليس الحرف (وَ)] بين السماع والتعقل ﴿ نَسْمَعُ أَوْ

نَعْقِلُ ﴾ يؤكد أن التعقل لوحده يُنجي .. وقوله تعالى ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ ﴾ بهذه الصيغة

﴿ بِذَنبِهِمْ ﴾ كصيغة مفرد ، يبين لنا أن عدم السماع أو عدم التعقل ﴿ نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾

هو ذنب ، وبالتالي فإنَّ تغييب العقل ﴿ نَعْقِلُ ﴾ هو ذنب يؤدِّي بصاحبه إلى الدخول في

﴿ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ..

.. وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [١٤٦] وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥ - ٤٦] ، نرى أن السياق كله متعلق بالقرآن الكريم ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ... والعبارة القرآنية ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ﴾ نرى فيها تأخير كلمة ﴿ وَحْدَهُ ﴾ حلف كلمتي ﴿ فِي الْقُرْآنِ ﴾ ، فالله تعالى لم يقل (وإذا ذكرت ربك وحده في القرآن) إنما يقول ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ﴾ ... ومن جهة أخرى نرى في العبارة ﴿ ذَكَرْتَ رَبَّكَ ﴾ ورود كلمة ﴿ ذَكَرْتَ ﴾ دون أي صياغة أخرى ، بمعنى الدعوة بالعزة والشأن والرفعة لله تعالى ومنهجه ، فالمسألة ليست مجرد تلاوة لاسم الله تعالى أثناء تلاوة القرآن الكريم ، إنما هي مسألة دعوة لله تعالى ولمنهجه عبر القرآن الكريم وحده ، دون أي أمر آخر ..

فذكرُ الله تعالى عبر الدعوة لمنهجه مع أمرٍ آخر غير القرآن ، يجعلهم لا يولّون على أديبارهم نفوراً ، كما يولّون حينما يكون الذكر عبر القرآن الكريم وحده .. وبالتالي فهؤلاء الذين يُشركون مع كتاب الله تعالى أي أمرٍ آخر ، تحت مسميات براءة تحطف أبصار الكثيرين ، مثل مسمى السنّة ، أو مسمى الإجماع ، أو يتصفون بما تحمله بداية الآية الكريمة : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ، وبالتالي يولّون على أديبارهم نفوراً حينما تكون الدعوة عبر كتاب الله تعالى وحده دون أي إشراك بما هو دونه ، وهؤلاء يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ ..

.. وهؤلاء يتصفون بالصفات المحمولة بالعبارات القرآنية التالية ..

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥]

﴿ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا ۗ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ

الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر : ١٢]

.. من هنا نرى كيف يستبشرون بالروايات على حساب الدلالات الواضحة الجلية التي يحملها كتاب الله تعالى ، ويخلقون تبريرات لا يقبلها عقل ولا منطق للجمع بين متناقضات لا يمكن الجمع بينها إلا بتطبيق العقل من أساسه .. ونرى أنهم يولون على أديبارهم نفوراً حينما يذكر كتاب الله تعالى وحده كمرجع وأساس لمعايرة ما هو دونه ..
.. لننظر في الروايات التالية ..

النسائي (٢٩) :

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَ أَنْبَأَنَا شَرِيكٌ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِسًا

ابن ماجة (٣٠٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى السُّدِّيُّ قَالُوا حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شَرِيحٍ بْنِ هَانِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقْهُ أَنَا رَأَيْتُهُ يَبُولُ قَاعِدًا

أحمد (٢٣٨٩٤) :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقْهُ مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ قَائِمًا مُنْذُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

أحمد (٢٤٦٠٤) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَعْنَى عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا بَعْدَمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ فَلَا تُصَدِّقُهُ مَا بَالَ قَائِمًا مُنْذُ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي حَدِيثِهِ مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا مُنْذُ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانُ

أحمد (٢٤٤١٨) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ بْنِ هَانِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَتْ عَائِشَةُ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُهُ مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا مَا بَالَ مُنْذُ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

الترمذي (١٢) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا قَاعِدًا قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ وَبُرَيْدَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنَةَ قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ عَائِشَةَ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَصَحُّ وَحَدِيثُ عُمَرَ إِثْمًا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبُولُ قَائِمًا فَقَالَ يَا عُمَرُ لَا تَبُلْ قَائِمًا فَمَا بُلْتُ قَائِمًا بَعْدُ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَإِنَّمَا رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْمُخَارِقِ وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ضَعْفُهُ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ وَتَكَلَّمَ فِيهِ وَرَوَى عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بُلْتُ قَائِمًا مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْكَرِيمِ وَحَدِيثُ بُرَيْدَةَ فِي هَذَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ وَمَعْنَى النَّهْيِ عَنِ الْبَوْلِ قَائِمًا عَلَى التَّأْدِيبِ لَا عَلَى التَّحْرِيمِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِنَّ مِنْ الْجَفَاءِ أَنْ تَبُولَ وَأَنْتَ قَائِمٌ

.. روايات صريحة في أن النبي ﷺ ما بال قائماً منذ أنزل عليه القرآن ، بل وفيها

عبارات تؤكد - بصيغة مطلقة لا تحمل أي خصوصية - نقض كل رواية تزعم أن النبي

ﷺ قد بال قائماً : [[مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَ قَائِماً فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا جَالِساً]] ..

فما نراه في هذه الروايات هو أحكامٌ عامّة ، وليست أحكاماً ناتجة عن مشاهدات فردية ، فالقول المنسوب لعائشة في هذه الروايات [[مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَ قَائِماً فَلَا تُصَدِّقْهُ مَا بِالَ رَسُولُ اللَّهِ قَائِماً مُنْذُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ]] هو قول صريح ، فعائشة - في هذه الرواية - لم تقل [[حسب معرفتي ومشاهدتي لم أر النبي ﷺ يبول قائماً]] ، إنما نرى عبارات ترسم صورة حكمٍ عامٍّ وليس صورة مشاهدة فردية ، وهذا ما نراه أيضاً في العبارات التالية التي رأيناها في هذه الروايات [[عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ عُمَرَ قَالَ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبُولُ قَائِماً فَقَالَ يَا عُمَرُ لِمَ تَبُولُ قَائِماً فَمَا بُولُ قَائِماً بَعْدُ]] ..

وبالتالي فإنّ الذهاب إلى أنّ قول عائشة في هذه الروايات يُحمل على مشاهدتها الفردية وليس على مبدأ عام ، وذلك هروباً من تصادم هذه الروايات مع الروايات التالية ، هو قولٌ تردّه صياغة هذه الروايات جملةً وتفصيلاً ..
بعد ذلك لننظر في الروايات التالية ..

أحمد (١٨٤٤٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ جَرِيرًا بِالَ قَائِماً ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَيْنِ وَصَلَّى فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ

أحمد (١٧٤٤٨) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ وَحَمَّادُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى عَلَى سُبَّاطَةَ بَنِي فُلَانٍ فَبَالَ قَائِماً قَالَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ فَفَحَّجَ رَجُلِيهِ

مسلم (٤٠٣) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ أَبُو مُوسَى يُشَدِّدُ فِي الْبُولِ وَيَبُولُ فِي قَارُورَةٍ وَيَقُولُ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ جِلْدَ أَحَدِهِمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ بِالْمَقَارِيضِ فَقَالَ حُدَيْفَةُ لَوِدِدْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لَا يُشَدِّدُ هَذَا التَّشْدِيدَ فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَمَاشَى فَأَتَى سُبَابَةَ خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ فَبَالَ فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُ فَقَمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ

البخاري (٢١٧) :

حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبَابَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ

البخاري (٢١٨) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَتَمَاشَى فَأَتَى سُبَابَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ فَبَالَ فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ فَقَمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ

البخاري (٢١٩) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرَعَةَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي الْبُولِ وَيَقُولُ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ فَقَالَ حُدَيْفَةُ لَيْتَهُ أَمْسَكَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبَابَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

فيما يخص شرح هذا الحديث ، لنرى كيف يتم تبرير هذه التناقضات باحتمالات تدور من النقيض إلى نقيضه ، فضلاً عن كونها لا علاقة لها بصياغة نصوص الروايات التي بين أيدينا ، لا من قريب ولا من بعيد ..

]] قوله : (لَيْتَهُ أَمْسَكَ) للإسماعيلي " لو ددت أن صاحبكم لا يشدد هذا

التشديد " ، وإنما احتج حذيفة بهذا الحديث لأن البائل عن قيام قد يتعرض للرشاش ، ولم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الاحتمال فدل على أن التشديد مخالف

للسنة ، واستدل به مالك في الرخصة في مثل رعوس الإبر من البول ، وفيه نظر لأنه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة لم يصل إلى بدنه منه شيء ، وإلى هذا أشار ابن حبان في ذكر السبب في قيامه قال : لأنه لم يجد مكاناً يصلح للقعود ، فقام لكون الطرف الذي يليه من السبابة كان عالياً فأمن أن يرتد إليه شيء من بوله . وقيل لأن السبابة رخوة يتخللها البول فلا يرتد إلى البائل منه شيء . وقيل إنما بال قائماً لأنها حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريباً من الديار . ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال " البول قائماً أحصن للدبر " . وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي وأحمد أن العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك ، فلعله كان به . وروى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال " إنما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً لجرح كان في مابضه " والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة ، فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود ، ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ، لكن ضعفه الدارقطني والبيهقي ، والأظهر أنه فعل ذلك لبيان الجواز ، وكان أكثر أحواله البول عن قعود والله أعلم . وسلك أبو عوانة في صحيحة وابن شاهين فيه مسلكاً آخر فزعم أن البول عن قيام منسوخ واستدلا عليه بحديث عائشة الذي قدمناه " ما بال قائماً منذ أنزل عليه القرآن " وبحديثها أيضاً " من حدثكم أنه كان يبول قائماً فلا تصدقوه ، ما كان يبول إلا قاعداً " والصواب أنه غير منسوخ ، والجواب عن حديث عائشة إلى مستند إلى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت ، وأما في غير البيوت فلم تطلع هي عليه ، وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة ، وقد بينا أن ذلك كان بالمدينة فتضمن الرد على ما نفتته من أن ذلك لم يقع بعد نزول القرآن . وقد ثبت عن عمر وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم أنهم بالوا قياماً ، وهو دال على الجواز من غير كراهة إذا أمن الرشاش ، والله أعلم . ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عنه شيء كما بينته في أوائل شرح الترمذي . والله أعلم . [] ..

إننا نرى في شرح هذا الحديث تناقضاً واحتمالات لا يجمع بينها جامع ، فمن التبرير بأنه ﷺ بال قائماً لأنه : **[[لم يجد مكاناً يصلح للعود]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً لأن : **[[الطرف الذي يليه من السباطة كان عالياً فأمن أن يرتد إليه شيء من بوله]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً لأن : **[[السباطة رخوة يتخللها البول فلا يرتد إلى البائل منه شيء]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً لأنه أراد : **[[حالة يؤمن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريباً من الديار]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً لأن : **[[العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك ، فلعله كان به]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً : **[[لجرح كان في مابضه]]** ، إلى القول بأنه بال قائماً لأنه : **[[فعل ذلك لبيان الجواز]]** ، إلى القول بأن : **[[البول عن قيام منسوخ]]** ، إلى القول : **[[والصواب أنه غير منسوخ]]** نرى تبريرات وتصورات لا وجود لها إلا في مخيلات من لا يريد الاعتراف بالتناقض الجلي بين هذه الروايات ، زاعماً أن هذه التبريرات المتناقضة علم مقدس اسمه : علم تأويل مختلف الحديث .. ففي هذه التأويلات المتناقضة التي لا وجود لها في صياغة عبارات هذه الأحاديث المتناقضة ، في هذه التأويلات أكبر دليل على أن المؤولين ذاهم لم يصلوا إلى نتيجة محددة في الجمع بين هذه الروايات المتناقضة ، وذلك مهما بلغت درجة القفز فوق الصياغة اللغوية لهذه الروايات ، ومهما بلغت درجة تطبيق العقل في ذلك .. ولذلك من الطبيعي أن يتم الاختلاف حتى في هذه الجزئية .. لننظر في الحديث التالي ، وفي النص الذي يليه ، المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص هذا الحديث :

مسلم (٤٠٢) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْتَهَى إِلَيَّ سُبَّاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا فَتَنَحَّيْتُ فَقَالَ إِنَّهُ فَدَنَوْتُ حَتَّى قُمْتُ عِنْدَ عَقْبِيهِ فَتَوَضَّأَ فَمَسَحَ عَلَيَّ خُفِّيهِ

]] قال ابن المنذر في الإشراق : اختلفوا في البول قائماً فثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت وابن عمر وسهل بن سعد أنهم بالوا قياماً ، قال وروي ذلك عن أنس وعلي وأبي هريرة رضي الله عنهم . وفعل ذلك ابن سيرين وعروة بن الزبير ، وكرهه ابن مسعود والشعبي وإبراهيم بن سعد ، وكان إبراهيم بن سعد لا يجيز شهادة من بال قائماً ، وفيه قول ثالث : أنه كان في مكان يتطاير إليه من البول شيء فهو مكروه ، فإن كان لا يتطاير فلا بأس به . وهذا قول مالك قال ابن المنذر : البول جالساً أحب إلي وقائماً مباح]] ..

وعلى الرغم من تحفظنا على هذه المسألة من أساسها ، وأنها تصوّر مسألة لا تليق بمن يصفه الله تعالى بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، وعلى الرغم من أن تفعيل العقل الذي يأمر الله تعالى به في الكثير من آياته الكريمة كان من المفترض أن يتناول آيات كتاب الله تعالى التي لم يُضف في تفسيرها ما له قيمة منذ أكثر من (١٢) قرناً ، على الرغم من ذلك ، هل من الممكن الوقوف على حقيقة في هذه المسألة ، سواء في الروايات ، أم في شروحها التي لا تقل تناقضاً عنها ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٦٢٨١) :

حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْجَعْفِيِّ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حُصَيْفَةَ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ كُنَّا نُؤْتَى بِالشَّارِبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِمْرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ فَنَقُومُ إِلَيْهِ بِأَيْدِينَا وَنَعَالِنَا وَأُرْدِيَتَنَا حَتَّى كَانَ آخِرُ إِمْرَةِ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ حَتَّى إِذَا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ

نص صريح بأن شارب الخمر في عهد الرسول ﷺ وإمرة أبي بكر وفي صدر خلافة عمر كان يُقام إليه بالأيدي والنعال ، واستمر ذلك إلى آخر إمرة عمر حيث جلد عمر شارب الخمر أربعين جلدة ، وبعد ذلك جلد عمر ثمانين ، بمعنى أن الجلد لم يكن حتى

آخر إمرة عمر **[[حَتَّى كَانَ آخِرُ إِمْرَةٍ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ حَتَّى إِذَا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ]]** .. هكذا يفهم من هذه الرواية كلُّ عاقل يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيَّة بعد ذلك نرى حديثاً يحمل خلافاً لذلك ..

مسلم (٣٢١٩) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَدَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ ثُمَّ جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرَّيْفِ وَالْقُرَى قَالَ مَا تَرَوْنَ فِي جَلَدِ الْخَمْرِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخْفِ الْحُدُودِ قَالَ فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ هِشَامٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَضْرِبُ فِي الْخَمْرِ بِالنَّعَالِ وَالْجَرِيدِ أَرْبَعِينَ ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمَا وَلَمْ يَذْكُرِ الرَّيْفَ وَالْقُرَى هُنَا النَّبِيُّ ﷺ كَانَ **[[يَضْرِبُ فِي الْخَمْرِ بِالنَّعَالِ وَالْجَرِيدِ أَرْبَعِينَ]]** ، وأبو بكر جلد أربعين **[[جَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ]]** ، بعد ذلك استشار عمر في ذلك عبد الرحمن بن عوف فأشار إلى جعلها ثمانين ، وبناء على ذلك جلد ثمانين **[[فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ وَدَنَا النَّاسُ مِنَ الرَّيْفِ وَالْقُرَى قَالَ مَا تَرَوْنَ فِي جَلَدِ الْخَمْرِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا كَأَخْفِ الْحُدُودِ قَالَ فَجَلَدَ عُمَرُ ثَمَانِينَ]]** ..

ولننظر في النصِّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ هذا

الحديث :

[[..... قوله : (فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقري) الريف :

المواضع التي فيها المياه ، أو هي قريبة منها ، ومعناه : لما كان زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفتحت الشام والعراق وسكن الناس في الريف ومواضع الخصب وسعة العيش وكثرة الأعناب والثمار أكثروا من شرب الخمر ، فزاد عمر في حد الخمر تغليظاً

عليهم وزجراً لهم عنها] [..

إذا الأحكام والحدود تختلف إذا دنا الناس من الريف والقرى ، والقاضي - حسب هذا الشرح - يزيد في الحدود تغليظاً وزجراً ... بعد ذلك نرى حديثاً يبين لنا أن جلد شارب الخمر لم يسئته الرسول ﷺ .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٦٢٨٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَبُو حَاصِبٍ سَمِعْتُ عُمَيْرَ بْنَ سَعِيدِ النَّخَعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ مَا كُنْتُ لِأَقِيمَ حَدًّا عَلَى أَحَدٍ فَيَمُوتَ فَأَجِدَ فِي نَفْسِي إِلَّا صَاحِبَ الْخَمْرِ فَإِنَّهُ لَوْ مَاتَ وَدَيْتُهُ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْنَهُ

كيف نفهم العبارة [[أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْنَهُ]] مقارنة مع العبارة [[أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَضْرِبُ فِي الْخَمْرِ بِالنَّعَالِ وَالْجَرِيدِ أَرْبَعِينَ]] من الحديث السابق !!!؟ ولننظر في الأحاديث التالية ..

البخاري (٦٣٤٢) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

مسلم (٣٢٢١) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهَالٍ الضَّرِيرُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي حَاصِبٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ مَا كُنْتُ أَقِيمُ عَلَى أَحَدٍ حَدًّا فَيَمُوتُ فِيهِ فَأَجِدُ مِنْهُ فِي نَفْسِي إِلَّا صَاحِبَ الْخَمْرِ لِأَنَّهُ إِنْ مَاتَ وَدَيْتُهُ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْنَهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

مسلم (٣٢٢٢) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيْسَى حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ إِذْ جَاءَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَابِرٍ فَحَدَّثَهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا سُلَيْمَانٌ فَقَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَابِرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ هذا الحديث ، لنرى أنّ الروايات المتناقضة لا ينتج عنها إلا الاختلاف ..

]] واختلف العلماء في التعزير هل يقتصر فيه على عشرة أسواط فما دونها ولا يجوز الزيادة أم تجوز الزيادة ؟ فقال أحمد بن حنبل وأشهب المالكي وبعض أصحابنا : لا تجوز الزيادة على عشرة أسواط ، وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى جواز الزيادة ، ثم اختلف هؤلاء ، فقال مالك وأصحابه وأبو يوسف ومحمد وأبو ثور والطحاوي : لا ضبط لعدد الضربات ، بل ذلك إلى رأي الإمام ، وله أن يزيد على قدر الحدود ، قالوا : لأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وضرب من نقش على خاتمه مائة ، وضرب صبيّاً أكثر من الحد . وقال أبو حنيفة - رضي الله عنه - : لا يبلغ به أربعين ، وقال ابن أبي ليلى : خمسة وسبعون ، وهي رواية عن مالك وأبي يوسف ، وعن عمر لا يجاوز به ثمانين ، وعن ابن أبي ليلى رواية أخرى هو دون المائة ، وهو قول ابن شبرمة ، وقال ابن أبي ذئب وابن أبي يحيى : لا يضرب أكثر من ثلاثة في الأدب ، وقال الشافعي وجمهور أصحابه : لا يبلغ بتعزير كل إنسان أدنى حدوده ، فلا يبلغ بتعزير العبد عشرين ، ولا بتعزير الحر أربعين ، وقال بعض أصحابنا : لا يبلغ بواحد منهما أربعين ، وقال بعضهم : لا يبلغ بواحد منهما عشرين ، وأجاب أصحابنا عن الحديث بأنه منسوخ ، واستدلوا بأن الصحابة - رضي الله عنهم - جاوزوا عشرة أسواط ، وتأوله أصحاب مالك على أنه كان ذلك مختصاً بزمن النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يكفي الجاني منهم هذا القدر ، وهذا التأويل ضعيف والله أعلم

.. [[

ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الروايات التالية ..

الترمذي (١٤٠٦) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا مَنصُورُ بْنُ زَادَانَ وَيُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنِ الْحَسَنِ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ
الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَجَابِرِ
وَأَبِي رَافِعٍ وَأَبِي أَيُّوبَ قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
وَيُرْوَى فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ شَيْطَانٌ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ الْبَهِيمُ الَّذِي لَا
يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ صَيْدَ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ

الترمذي (١٤١٠) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ أَسْبَاطٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ
عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ قَالَ إِنِّي لَمِمَّنْ يَرْفَعُ أَغْصَانَ الشَّجَرَةِ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا
مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَرْتَبِطُونَ كَلْبًا إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قَيْرَاطٍ إِلَّا
كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ كَلْبَ غَنَمٍ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا
الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

النسائي (٤٢٠٦) :

أَخْبَرَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ قَالَ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ
لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ وَأَيُّمَا قَوْمٍ اتَّخَذُوا كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ حَرْثٍ أَوْ صَيْدٍ
أَوْ مَاشِيَةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قَيْرَاطٍ

.. روايات صريحة في قتل الكلب الأسود الخالص ، مع الإبقاء على سواه من الكلاب ..
 .. فالعبارة **[[لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا]]** تبين أنه ﷺ لم يأمر بقتلها ،
 وما أمر بقتله من الكلاب تبينه العبارة **[[فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ]]** ..
 بعد ذلك نرى روايات تحمل خلافاً لذلك ..

مسلم (٢٩٣٦) :

و حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ أُمَيَّةَ
 عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَتَنْبَعِثُ
 فِي الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا فَلَا نَدْعُ كَلْبًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ حَتَّى إِنَّا لَنَقْتُلُ كَلْبَ الْمُرِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ
 يَتَّبِعُهَا

أحمد (٦٠٣٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أُنْبَأَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُنَا فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ فَيَأْمُرُنَا أَنْ لَا نَدْعَ كَلْبًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ
 حَتَّى نَقْتُلَ الْكَلْبَ لِلْمُرِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ

.. ما بين القول المنسوب للنبي ﷺ **[[لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا
 فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ]]** ، وبين القول **[[كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَتَنْبَعِثُ فِي الْمَدِينَةِ وَأَطْرَافِهَا فَلَا نَدْعُ كَلْبًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ حَتَّى إِنَّا لَنَقْتُلُ
 كَلْبَ الْمُرِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَتَّبِعُهَا]]** ، مسافة شاسعة يدركها كلُّ من يملك الحدَّ
 الأدنى من قواعد اللغة العربية .. فكيف بنا إذاً أن نتصور صحة جميع هذه الروايات في
 الوقت ذاته ؟!!! ..

وبعد أن رأينا ما نسبوه للنبي ﷺ بأنه كان يأمر بقتل الكلاب والألأ يدعوا كلباً إلا
 قتلوه ، بعد ذلك .. لننظر في الرواية التالية ..

البخاري (١٦٨) :

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ النَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرَوَاهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَأَدَخَلَهُ الْجَنَّةَ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَتْ الْكِلَابُ تَبُولُ وَتَقْبَلُ وَتُدْبِرُ فِي الْمَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُونُوا يَرِشُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ

فما بين قتل أي كلب وألا يُترك كلبٌ دون قتل ، وبين الدخول في الجنة بسبب سقاية كلب ، مسافة شاسعة من التناقض والاختلاف ، لا بدَّ لإغماض الأعين عنها من تطبيق العقل ... ثم كيف بنا أن ندرك العبارات الأخيرة في هذا الحديث [كَانَتْ الْكِلَابُ تَبُولُ وَتَقْبَلُ وَتُدْبِرُ فِي الْمَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] !!؟؟ .. والأغرب من ذلك هو تبريرها وشرحها في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فبدلاً من القول بأن هذه المهانة لا تليق بمسجد النبي ﷺ وأن هذا القول موضوع ، بدلاً من ذلك نرى تبريراً لا علاقة له بصياغة هذه العبارات :

[..... وقال المنذري : المراد أنها كانت تبول خارج المسجد في مواطنها ثم تقبل وتدبر في المسجد ، إذ لم يكن عليه في ذلك الوقت غلق . قال : ويبعد أن تترك الكلاب تنتاب المسجد حتى تمتهنه بالبول فيه . وتعقب بأنه إذا قيل بطهارتها لم يمتنع ذلك كما في الهرة ، والأقرب أن يقال : إن ذلك كان في ابتداء الحال على أصل الإباحة ثم ورد الأمر بتكريم المساجد وتطهيرها وجعل الأبواب عليها] .. والأغرب من كل ذلك ، هو الأحاديث التالية التي تنسب لني من أنبياء الله تعالى فعلاً لا يفعله أي إنسان فيه ذرة من حياء ..

البخاري (٢٧٩٦) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ

قَرَصَتْ نَمْلَةً نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ
أَحْرَقَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ

مسلم (٤١٥٧) :

حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ
شَهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ فَأَوْحَى
اللَّهُ إِلَيْهِ أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ

النسائي (٤٢٨٣) :

أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ بَيَّانٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ
سَعِيدِ وَأَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرِيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ قَدَ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ
أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ تُسَبِّحُ

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣٥٩٨) :

حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ
بْنِ صَعَصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةٍ أُسْرِيَ بِهِ
بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرَبِّمَا قَالَ فِي الْحَجْرِ مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ
فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِهِ قَالَ مِنْ تُغْرَةَ نَحْرِهِ
إِلَى شِعْرَتِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي ثُمَّ أَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ دَهَبٍ
مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا فَعُغِسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبُغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ
فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ قَالَ أَنَسُ نَعَمْ يَضَعُ حَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلَتْ
عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قِيلَ
وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا

خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْبَابِنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ قَالَ هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا فَسَلَّمَتْ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ قَالَ هَذَا يُوسُفُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَأَوْقَدُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ هَذَا هَارُونُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ مَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ هَذَا مُوسَى فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى قَيْلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ قَالَ أَبُوكِ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قَيْلَ مَنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَيْلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ قَيْلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَيْلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعِمَّ الْمَجِيءُ جَاءَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ هَذَا أَبُوكَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ مَرْحَبًا بِالْبَابِنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبُفُّهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ وَإِذَا

وحديث ابن مسعود موقوف ، كذا قال ، ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض . قلت : ولا يعارض قوله إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة لأنه يحمل على أن أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة ، وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها [] ..

ما نراه في هذا الحديث هو النقاط التالية ..

.. القصة المذكورة في هذا الحديث هي ليلة أُسري به ﷺ ..

.. تم استخراج قلب النبي ﷺ من صدره ، وتم غسل قلبه وحشوه ، ثم أُعيد

مكانه ..

.. أُتي بالبراق وهو دابة دون البغل وفوق الحمار ..

.. حُمِل النبي ﷺ على البراق فانطلق حتى أُتي السماء الدنيا ، وفيها آدم عليه

السلام ، ثم السماء الثانية وفيها يحيى وعيسى عليهما السلام ، ثم السماء الثالثة وفيها يوسف عليه السلام ، ثم السماء الرابعة وفيها إدريس عليه السلام ، ثم السماء الخامسة وفيها هارون عليه السلام ، ثم السماء السادسة وفيها موسى عليه السلام ..

.. عندما تجاوز النبي ﷺ موسى عليه السلام بكى موسى لأن غلاماً بُعث بعده

سيدخل من أمته الجنة أكثر ممن يدخلها من أمة موسى ..

.. صُعد بالنبي ﷺ إلى السماء السابعة ، وفيها إبراهيم عليه السلام ..

.. بعد كل ذلك رُفعت سدرة المنتهى للنبي ﷺ ، وإذا أربعة أثمار ، نهران باطنان

هما في الجنة ، ونهران ظاهران هما النيل والفرات ..

.. بعد ذلك رُفع للنبي ﷺ البيت المعمور ..

.. بعد ذلك أُتي بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل وأخذ اللبن ..

.. بعد ذلك فُرضت عليه الصلوات خمسين صلاة كل يوم ..

.. بعد ذلك رجع فمرَّ بموسى عليه السلام وأخبره بذلك وأشار عليه موسى

عليه السلام بأن يرجع إلى الله تعالى وأن يسأله التخفيف ، وتكرَّر الرجوع بين الله تعالى وموسى عليه السلام إلى أن وصل عدد الصلوات خمس صلوات في اليوم ..

بعد ذلك أشار موسى عليه السلام على النبي ﷺ بأن يرجع ليمتد التخفيف إلى ما هو أقل من خمس صلوات باليوم ، ولكن النبي ﷺ استحى ورضي بخمس صلوات ..
.. هذه هي الخطوط العريضة للأحداث المحمولة بهذه الرواية ..
.. لننظر الآن في الرواية التالية ..

البخاري (٦٩٦٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ
أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ
جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوْلَهُمْ أَيُّهُمْ هُوَ فَقَالَ
أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ فَقَالَ آخِرُهُمْ خُذُوا خَيْرَهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةَ
أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ
فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بئرِ زَمْزَمَ فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ
نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَعَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَعَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ ثُمَّ أَتَى
بَطَسَتْ مِنْ دَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ دَهَبٍ مَحْشُورًا إِيْمَانًا وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَعَايِدَهُ يَعْنِي
عُرُوقَ حَلْقِهِ ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضْرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَتَادَاهُ أَهْلُ
السَّمَاءِ مِنْ هَذَا فَقَالَ جِبْرِيلُ قَالُوا وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مَعِيَ مُحَمَّدٌ قَالَ وَقَدْ بُعِثَ قَالَ نَعَمْ قَالُوا
فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ
حَتَّى يُعَلِّمَهُمْ فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا بَابِنِي نَعَمْ الْبَابُ أَنْتَ فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا
بِنَهْرَيْنِ يَطْرُدَانِ فَقَالَ مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا النَّيْلُ وَالْفِرَاتُ عُنْصُرُهُمَا ثُمَّ
مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ فَضْرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ
مِسْكٌ أَذْفَرُ قَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى مِنْ هَذَا قَالَ جِبْرِيلُ قَالُوا وَمَنْ مَعَكَ
قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ نَعَمْ قَالُوا مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا ثُمَّ عَرَجَ

به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يُرفع عليّ أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سِدْرَةُ الْمُنتَهَى ودنا للجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيرُهُ في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضته عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه أرجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا قال

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ
قَالَ فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ وَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ

في هذه الرواية نرى اختلافاً مع الرواية السابقة في الكثير من النقاط ، وسنقف عند بعضها ..

✎ .. النيل والفرات هنا هما في السماء الدنيا ، بينما في الرواية السابقة هما في سدرة المنتهى فوق السماء السابعة .. وفي هذه الرواية نرى في السماء الدنيا نهرًا آخر هو نهر الكوثر الذي حبأه الله تعالى للنبي ﷺ ..

✎ .. إدريس عليه السلام في الرواية السابقة كان في السماء الرابعة ، بينما في هذه الرواية نراه في السماء الثانية ..

✎ .. هارون عليه السلام في الرواية السابقة كان في السماء الخامسة ، بينما هنا نراه في السماء الرابعة ..

✎ .. إبراهيم عليه السلام كان في الرواية السابقة في السماء السابعة ، بينما في هذه الرواية نراه في السماء السادسة ..

✎ .. موسى عليه السلام كان في الرواية السابقة في السماء السادسة ، بينما في هذه الرواية نراه في السماء السابعة ..

✎ .. موسى عليه السلام يبكي في الرواية السابقة لأنَّ غلاماً بُعث بعده يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمة موسى عليه السلام ، وهنا موسى عليه السلام لم يكن يظن أن يُرفع عليه أحدٌ إشارة إلى رفع النبي ﷺ فوقه ..

✎ .. في هذه الرواية ربُّ العزة سبحانه وتعالى عمَّا يُفترى عليه في هذه الروايات

الموضوعة ، هو المعنيُّ بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٨ - ٩] ، والعبارة في الحديث [[وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى]] واضحة وجلية ..

✎ .. هنا بعد أن يُشير موسى عليه السلام على النبي ﷺ للرجوع إلى الله تعالى من

أجل تخفيف عدد الصلوات في اليوم ، يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام في ذلك ويأخذ الموافقة منه ..

✎ .. هنا النبي ﷺ لا يستحي من الرجوع إلى الله تعالى لتخفيف عدد الصلوات لأقل من خمس صلوات في اليوم ، ويعود إلى الله تعالى من أجل تخفيفها لأقل من خمس صلوات ، ولكن رب العزة سبحانه وتعالى عمّا يفترون عليه في روايات يسمونها سنة شريفة ، لا يخفّض تحت هذا العدد ويقول : **[[لا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ كَمَا فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ قَالَ فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَثَرٍ أُمَّثَلَهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمَّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ]]** ..

✎ .. بعد ذلك يشير موسى عليه السلام على النبي ﷺ أن يعود إلى رب العزة جلا وعلا عمّا يفترون ليخفف أيضاً أكثر من ذلك ، وهنا في هذه الرواية يستحي النبي ﷺ من العودة ..

✎ .. بعد هذا مباشرة نرى في هذه الرواية يهبط النبي ﷺ ويستيقظ وهو في المسجد الحرام ..

ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث :

[[..... قوله (ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى (في رواية ميمون المذكورة " فدنا ربك عز وجل فكان قاب قوسين أو أدنى " قال الخطابي ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما ، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل ، قال : فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعاً عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاره ما رد الحديث من أصله]] ..

]] ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك ، الأول : أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أول " كتاب الصلاة " ، والثاني : كون المعراج قبل البعثة وقد سبق الجواب عن ذلك ، وأجاب بعضهم عن قوله : قبل أن يوحى ، بأن القبلية هنا في أمر مخصوص وليست مطلقة واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلاً أي أن ذلك وقع بغتة قبل أن يندر به ، ويؤيده قوله في حديث الزهري : فرج سقف بيتي ، الثالث : كونه مناماً وقد سبق الجواب عنه أيضاً بما فيه غنية ، الرابع : مخالفته في محل سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله ، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم ، الخامس : مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما من تحت سدرة المنتهى ، السادس : شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره كما بينت ذلك في شرح رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة ، وقد أشرت إليه أيضاً هنا ، السابع : ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا ، والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدم التنبيه عليه ، الثامن : نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه ، التاسع : تصريحه بأن امتناعه صلى الله عليه وسلم من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة ، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة ، العاشر : قوله " فعلا به الجبار فقال وهو مكانه " وقد تقدم ما فيه ، الحادي عشر : رجوعه بعد الخمس ، والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع كما سألناه ، الثاني عشر : زيادة ذكر التور في الطست ، وقد تقدم ما فيه فهذه أكثر من عشرة مواضع في هذا الحديث لم أرها مجموعة في كلام أحد ممن تقدم ، وقد بينت في كل واحد إشكال من استشكله

والجواب عنه إن أمكن وبالله التوفيق ، وقد جزم ابن القيم في الهدى بأن في رواية شريك عشرة أوهام لكن عد مخالفته لمحال الأنبياء أربعة منها وأنا جعلتها واحدة فعلى طريقته تزيد العدة ثلاثة وبالله التوفيق [[..

ولو أردنا تفنيد ما ورد في هاتين الروايتين بوضعهما في معيار كتاب الله تعالى بما يحمل من دلالات جليّة ، لفنّدنا كلّ ما ورد فيهما ، فعلى سبيل المثال لو أخذنا العبارة الأخيرة من الحديث الثاني [[قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ قَالَ فَاهْبُطْ بِاسْمِ اللَّهِ قَالَ وَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ]] ، لرأينا أنّ الهبوط تمّ مباشرةً إلى المسجد الحرام ، وأنّ النبيّ ﷺ استيقظ من هذه الرحلة وإذا هو في المسجد الحرام .. مع أنّ كتاب الله تعالى يبيّن لنا أنّ الرحلة تتكوّن من إسرائٍ ابتدأ من المسجد الحرام وانتهى في المسجد الأقصى ، وتمّ فيه إسرائٍ النبيّ ﷺ نفساً وجسداً ، أي إسرائٍ يقظة ، والرحلة الثانية هي التي كانت روحية (غير جسدية) وكانت ما بين المسجد الأقصى والسماء (ذهاباً وإياباً) ، وبالتالي فإنّ العودة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام كانت بالنفس والجسد ، أي في اليقظة ، وهذا يتنافى مع هذه العبارة من الحديث الموضوع من أوّله إلى آخره ..

والخلافات بين الروايات لم تقف عند هذا الحد ، فالخلافات كثيرة جداً بحيث لا يمكن الجمع بينها على أيّ معيار ، ولا يمكن الاعتقاد بمصداقيتها إلّا بتطبيق العقل من أساسه ، فعلى سبيل المثال نرى العبارة [[فَركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء]] في مسلم (٢٣٤) ، وذلك تشبيهاً للبراق بأيّ حيوان يُربط بحلقة خوفاً من أن يهرب ، أو أن يفلت فيأكل من بساتين الآخرين وعلى سبيل المثال رأينا في الحديثين السابقين أنّ سدرّة المنتهى فوق السماء السابعة ، وفي الحديث التالي هي في السماء السابعة ..

أحمد (١٢٢١٢) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنتَهَى فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ وَوَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ يَخْرُجُ مِنْ سَاقِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالْنَّيْلُ وَالْفُرَاتُ

بينما في الروايات التالية نراها في السماء السادسة ..

الترمذي (٣١٩٨) :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ عَنْ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى قَالَ انْتَهَى إِلَيْهَا مَا يَعْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقٍ قَالَ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا لَمْ يُعْطِهِنَّ نَبِيًّا كَانَ قَبْلَهُ فَرَضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ حَمْسًا وَأَعْطِي حَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَعُفْرَ لِأُمَّتِهِ الْمُفْحِمَاتُ مَا لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى قَالَ السُّدْرَةُ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قَالَ سُفْيَانُ فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ فَأَرَعَدَهَا وَقَالَ غَيْرُ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ إِلَيْهَا يَنْتَهِي عِلْمُ الْخَلْقِ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

سنن النسائي (٤٤٧) :

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ عَنْ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا عُرِجَ بِهِ مِنْ تَحْتِهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا أُهْبِطَ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا حَتَّى يُقْبِضَ مِنْهَا قَالَ إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى قَالَ فَرَأَشُ مِنْ ذَهَبٍ فَأَعْطِي ثَلَاثًا الصَّلَوَاتُ الْحَمْسُ وَحَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَيُغْفَرُ لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِهِ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا الْمُفْحِمَاتُ

أحمد (٣٤٨٣) :

حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ طَلْحَةَ عَنْ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَعْرُجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبِضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُهْبِطُ بِهِ

مِنْ فَوْقَهَا فَيَقْبِضُ مِنْهَا قَالَ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى قَالَ فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَأَعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ

مسلم (٢٥٢) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِعْوَلٍ ح وَ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَالْفَاظِمُ مِتْقَابَرَةَ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِعْوَلٍ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ طَلْحَةَ عَنْ مَرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبِضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقَهَا فَيَقْبِضُ مِنْهَا قَالَ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى قَالَ فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأَعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ

.. والطامة الكبرى تكمن فيمن جند نفسه للدفاع عن هذه المتناقضات ، ليدرّ الرماد في الأعين الباحثة عن الحقيقة بأن هذه الروايات المتناقضة فيما بينها والمتناقضة لكتاب الله تعالى ، هي صحيحة ، كون بعض السابقين قال بأنها صحيحة .. لننظر في النصّ التالي المقطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ الحديث الأخير :

]] قوله : (انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) كذا هو

في جميع الأصول (السادسة) وقد تقدم في الروايات الأخر من حديث أنس أنها فوق السماء السابعة . قال القاضي : كونها في السابعة هو الأصح . وقول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى ، وتسميتها بالمنتهى . قلت : ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة فقد علم أنها في نهاية من العظم . وقد قال الخليل - رحمه الله - : هي سدرة في السماء السابعة قد أظلت السموات والجنة . وقد تقدم ما حكيناه عن القاضي عياض - رحمه الله - في قوله : إن مقتضى خروج النهرين الظاهرين

النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى أن يكون أصلها في الأرض فإن سلم له هذا أمكن حملة على ما ذكرناه] ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٢١) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً قَالَ وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرَدَلٍ مِنْ خَيْرِ

البخاري (٦٠٧٥) :

حَدَّثَنَا مُوسَى حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرَجُوهُ فَيُخْرَجُونَ قَدْ امْتَحَشُوا وَعَادُوا حُمَمًا فَيَلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَوْ قَالَ حَمِيَّةِ السَّيْلِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً

من الواضح أن من يوجد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان يدخل النار ، بدليل أنه يخرج منها بعد أن اسود وعاد حمماً فيها .. بعد ذلك نرى حديثاً يبين لنا أن هذا الرجل الذي في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان لا يدخل النار أصلاً ..

مسلم (١٣٢) :

حَدَّثَنَا مُنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُسَهَّرٍ قَالَ مُنْجَابٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسَهَّرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ

كيف لهذا الإنسان أن يدخل النار في الحديثين السابقين ويسود فيها ويعود فيها حمماً ، ثم بعد ذلك يخرج من النار ويلقى في نهر الحياة فينبت كما تنبت الحبة في حمية السيل ، وكيف له هو ذاته أن لا يدخل النار أصلاً في الحديث الأخير ؟ !!! ..

ثم كيف بنا أن نسقط على أرض الواقع دلالات العبارات الأخيرة من حديث مسلم **[[قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءٍ]]** ؟ .. ألا يعني ذلك أن معظم الناس لا يدخلون في النار ولا في الجنة ؟ !!! .. ولذلك نرى التبرير التالي في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص هذا الحديث ، والذي لا علاقة له بصياغة هذه الرواية ..

[[..... وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة

من خردل من إيمان) فالمراد به دخول الكفار وهو دخول الخلود .]] ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

الترمذي (٢٧٢٠) :

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ جَرَّهَدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخْدِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطَّ فَخْدَكَ فَإِنَّهَا مِنَ الْعَوْرَةِ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

أحمد (١٥٣٦١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ زُرْعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَرَّهَدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ كَاشِفٌ عَنْ فَخْدِهِ فَقَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخْدَ عَوْرَةٌ

أحمد (١٥٣٦٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ ابْنِ جَرَّهَدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا كَاشِفٌ فَخِذِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطَّهَا فَإِنَّهَا مِنَ الْعَوْرَةِ

.. بعد ذلك .. لننظر في الرواية التالية ..

مسلم (٤٤١٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَيَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حَرْمَلَةَ عَنْ عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَيْ يَسَارٍ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذِي أَوْ سَاقِيهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَّى ثِيَابَهُ قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ فَقَالَ أَلَا اسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من شرح هذا الحديث في كتاب صحيح مسلم

بشرح النووي :

[[قولها : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيته ، كاشفاً عن

فخذيته أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر ، فأذن له ، وهو على تلك الحال إلى آخره) هذا

الحديث مما يحتج به المالكية وغيرهم ممن يقول : ليست الفخذ عورة . ولا حجة فيه ؛

لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أم الفخذان ؟ فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف

الفخذ . [[..

كيف يكون الفخذان (أو الساقان) عورة أمام عثمان ، ولا يكونان عورة أمام أبي بكر وعمر ؟!!! .. وهل هذه الرواية هي مدح أم ذم لعثمان ؟!!! .. وكيف بنا أن نستنبط حكماً من هذه الرواية ؟!!! ..

.. إن النظر في التناقضات الجلية بين الروايات يجعلنا ندرك أن فوضى الفتاوى التي نراها ليست مسألة طارئة في عصرنا الحديث كما يُسوّقُ بعضهم ، إنما هي مسألة قديمة قدم الروايات التاريخية التي نُسبت للنبي ﷺ ، فالفتاوى تتكئ على تلك الروايات ، وتلك الروايات تحمل الكثير من التناقضات فيما بينها .. وحتى الفقهاء أفتوا فتاوى متناقضة فيما بينهم للمسألة الواحدة ، وذلك تبعاً لروايات متناقضة .. الجديد في فوضى الفتاوى هو الثورة الإعلامية التي ألفت الضوء على تلك الروايات ونبشتها من بين ركام التاريخ وغباره ..

إن القول بأن السنة الشريفة وصلتنا عبر الأحاديث ، وأنه لا سنة خارج تلك الأحاديث ، هو قولٌ ينقضه المفهوم الحق للسنة الشريفة كما رأينا ، وتنقضه كتب الحديث ذاتها .. لننظر في النص التالي المقتبس من كتاب : مقدمة ابن الصلاح ..

[[قال (البخاري) : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح . وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المتكررة . وقد قيل : إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث]]

.. إن كانت الأحاديث الصحيحة التي يحفظها البخاري هي مائة ألف حديث ، ولم يذكر في كتابه وحسب شروطه إلا بضعة آلاف منها ، فهذا يعني أن معظم الأحاديث الصحيحة حسب رأيه هو ، هي ليست صحيحة حسب شروطه .. من هنا نرى أن معايير الصحة وعدم الصحة هي معايير بشرية ، بدليل الاختلاف بين كتب الحديث ، وبدليل تناقض الكثير من الروايات فيما بينها ، وبدليل تناقض الكثير منها مع كتاب الله تعالى .. وكنا قد رأينا في محطات سابقة كيف أن ما يسمّى بعلوم الحديث هو صناعة بشرية محضه ، نسب الخطأ والنسيان والكذب والهوى فيها ليست أقل من نسب الصدق والتجرد

فمن الطبيعي أن تكون الروايات متناقضة فيما بينها ، ومن الطبيعي أن يكون الكثير منها متناقضاً مع كتاب الله تعالى ، فالكتاب الوحيد الذي لا يحوي أيّ تناقض وأيّ اختلاف وأيّ خطأ هو كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) فقط و فقط لا غير ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢]

ونحن في عرضنا لهذه التناقضات بين الروايات التي يرفعونها إلى مستوى كتاب الله تعالى ، إنما نخدم الحقيقة ، ونخدم السنة الشريفة بإزالة كل الشوائب التي تمّ إلقاؤها عليها ، ولذلك سنتعرّض في المحطّة القادمة إلى مزيدٍ من هذه الروايات ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة السابعة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

الجهل اعتقادٌ خاطئٌ يجهل حقيقته صاحبه ، وبالتالي يدافع عنه بجهالة .. والتقليد أتباعٌ لا يعلم صاحبه حقيقته ، وبالتالي يسيرُ خلفه منقاداً بعواطفه الهوجاء .. والعلم نورٌ يملك صاحبه برهانه ، وبالتالي يسير به باتجاه نور الحق وخشية الله تعالى ﴿ إِنَّمَا تَخْشَىٰ

اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ..

المنهج التراثي الجمعي مبنيٌ على جمع الروايات والدفاع عنها على حساب العقل المجرد في تدبره لكتاب الله تعالى ، وبالتالي فالمعيار في هذا المنهج هو كثرة الجمع ... من هنا أصبح تغييب المنطق والعقل والمنطق من جهة ، ومحاولة تقزيم الأحكام التي يحملها كتاب الله تعالى من جهة أخرى ، وذلك للإيهام بوجود حالة من التوازن مع رواياتهم الجمعية ، أصبح ذلك هدفاً لا بد منه كي يُسوّقوا - عند العامة - منهجهم الجمعي ..

ومع الزمن يتم الانطلاق بهذا الاتجاه ، فنتيجة ما وصل إليه الآباء هي مقدمة انطلاق للأبناء ، والحاصل هو تغييب دلالات كتاب الله تعالى ، ومحاربة كل من يحاول تفعيل عقله ، وبالتالي الاتجاه نحو النتيجة التي يشكونها بها الرسول ﷺ في الآخرة ..

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

ومع الزمن يبدأ الترخيص والتساهل باتجاه جعل الروايات حجةً ويقين حتى على ما يدركه العقل المجرد من كتاب الله تعالى ، ومع الزمن تتصاعد وتيرة تقديس رجالات التاريخ ، عبر تضخيمهم ، والإعراض عن السقطات التي بين أيدينا من ذات الكتب التي يعتمدونها عابدين أصنام التاريخ .. ومع الزمن تزداد وتيرة التفوق المذهبي والطائفي ، ومع الزمن يزداد التشطبي الفكري والثقافي ، ومع الزمن يتمّ الابتعاد أكثر عن حقيقة ما يحمله كتاب الله تعالى لكل عصر ..

هناك إرهاب فكري يمارسه الكثيرون تحت شعار إنكار السنّة الشريفة ، بهدف التضليل وإطفاء كلّ ومضة نور يمكنها أن تولد خارج رحم الموروث ، وذلك يشبه مسألة عداء السامية ، التي باتت تُستخدم كوسيلة لحجب أيّ نور يمكنه إضاءة الحقيقة ..

وما يطلع به علينا الكثيرون بدعاوى الاختصاص وضرورة التخرّج من المؤسسات والتلمذ على أيدي المشايخ ، هذه الدعاوى هي بهدف منع التدبّر الحقيقي لكتاب الله تعالى ، فتلك المؤسسات تمّ تأطير فكرها ضمن حدود بعض أجزاء الموروث ، بحيث لا يتجاوز دارسوها جزئيات ذلك الموروث ، وبحيث لا يكون الدارس والعالم فيها أكثر من وعاء يتمّ ملؤه ببعض تلك الجزئيات ، وبحيث يُحصّن تحصيناً متيناً ضد التفكير الحقيقي والتعقل الحقيقي ، وبحيث يُحصّن تحصيناً متيناً ضد إمكانية استخدام عقله في معايرة ذلك الموروث على دلالات كتاب الله تعالى ، وبالتالي تنتج هذه المؤسسات صوراً مستنسخة ، الفارق فيما بين دارسيها ومدّرسيها على حدّ سواء ، هو فارق كميّ وليس نوعياً ..

.. أقول لهؤلاء .. مؤسساتكم التي تطلبون منّا أن لا نتجاوز فكرها ، مبنية على المبدأ

الذي يصفه الله تعالى بقوله : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ

مُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢] .. بينما ما ندعو إليه من تدبّر مجرد لكتاب الله تعالى على

ثوابت اللغة والعقل والمنطق ، هو التزام منّا بقوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [النمل : ٦٤]

.. نقول لهؤلاء .. لو كان منهجكم التراثي الجمعي سليماً لحمل في بنيويته إمكانية تقويم الأخطاء ، وبالتالي لما وصلت إلينا هذه الروايات المتناقضة .. لو كان منهجكم التراثي الجمعي سليماً لما تمزقت الأمة إلى مذاهب وطوائف متناحرة الكثير منها يكفر الآخرين .. ثم عن أي صنفٍ من المؤسسات تطلبون منا الانصياع لفكرها ، أليس لكل مذهب مؤسساته المختلفة مع مؤسسات الآخرين ، لدرجة التناقض الذي لا يقبله عقل أو منطق !!!؟ ..

.. لتتابع النظر في الروايات المتناقضة التي هي أساس الفكر عند كل المؤسسات المختلفة ، لنرى كيف أن هذه الروايات لا تنتج إلا مزيداً من التمزق والتشردم ، لأنها متناقضة لا يجمع بين الكثير منها جامع .. لننظر في الأحاديث التالية ..

النسائي (٨٥١) :

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حُسَيْنِ الْمُعَلَّمِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ مَوْلَى مَيْمُونَةَ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ جَالِسًا عَلَى الْبَلَاطِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ قُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا لَكَ لَا تُصَلِّي قَالَ إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُعَادُ الصَّلَاةُ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ

سنن أبي داود (٤٩١) :

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ يَعْنِي مَوْلَى مَيْمُونَةَ قَالَ أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ عَلَى الْبَلَاطِ وَهُمْ يُصَلُّونَ فَقُلْتُ أَلَا تُصَلِّي مَعَهُمْ قَالَ قَدْ صَلَّيْتُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُصَلُّوا صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ

أحمد (٤٧٥٢) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا حُسَيْنُ بْنُ ذُكْوَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ مَوْلَى مَيْمُونَةَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُصَلُّوا صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ

.. كلُّ من يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيَّة يفهم من هذه الروايات أنَّ الصلاة لا تُعاد في يومٍ مرَّتين ، فالعبارات الواردة في هذه الروايات : **[[لا تُعادُ الصَّلَاةُ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]]** ، **[[لا تُصَلُّوا صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]]** ، واضحة وصريحة وجليَّة في أنَّ الصلاة - أيَّ صلاة - لا تُعاد في يومٍ واحدٍ مرَّتين .. فورود كلمة **[[صَلَاةً]]** بصيغة النكرة في العبارة **[[لا تُصَلُّوا صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]]** يدلُّ على أنَّ المقصود هو أيَّ صلاة ، سواء كانت جماعة أو فداً .. بعد ذلك نرى رواياتٍ أخرى تحمل صياغتها اللغويَّة نقيض ذلك .. لننظر في الروايات التالية ..

النسائي (٨٤٨) :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ يُقَالُ لَهُ بُسْرُ بْنُ مِحْجَنٍ عَنْ مِحْجَنٍ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَجَعَ وَمِحْجَنُ فِي مَجْلِسِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الْسُّنْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي كُنْتُ قَدْ صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جِئْتَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ

أحمد (١٥٧٩٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ بُسْرِ بْنِ مِحْجَنٍ عَنْ أَبِيهِ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ بُسْرِ بْنِ مِحْجَنٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقِيمْتُ الصَّلَاةَ فَجَلَسْتُ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ لِي الْسُّنْتَ بِمُسْلِمٍ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ النَّاسِ قَالَ قُلْتُ صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي قَالَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَلَوْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ فِي أَهْلِكَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ بُسْرِ بْنِ مِحْجَنٍ الدَّيْلِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي فَأَقِيمْتُ الصَّلَاةَ فَذَكَرَ مَعْنَى حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

موطأ مالك :

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ يُقَالُ لَهُ بُسْرُ بْنُ مِحْجَنَ عَنْ أَبِيهِ مِحْجَنَ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُذِنَ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى ثُمَّ رَجَعَ وَمِحْجَنُ فِي مَجْلِسِهِ لَمْ يُصَلِّ مَعَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ النَّاسِ أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَقَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جِئْتَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ

وفي الحديث التالي ما يؤكد عمق هذا التناقض بين الروايات الخاصة بهذه المسألة ..

البخاري (٦٧٠) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو النُّعْمَانِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمْ

البخاري (٦٥٩) :

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَوْمُ قَوْمَهُ

.. وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويل من جيبه بأن معاذ بن جبل كان يؤم قومه في

صلاة أخرى غير تلك التي صلاها مع النبي ﷺ ، لننظر في النص التالي المقتطع من كتاب :

فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

[[..... قوله (ثم يرجع فيؤم قومه) في رواية منصور المذكورة " فيصلي بهم

تلك الصلاة " وللمصنف في الأدب " فيصلي بهم الصلاة " أي المذكورة ، وفي هذا رد على

من زعم أن المراد أن الصلاة التي كان يصليها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير الصلاة

التي كان يصليها بقومه]]

.. أمّا التأويل التالي للعبارة : [[لا تُعَادُ الصَّلَاةُ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]] ، التي رأيناها في

سنن النسائي حديث : (٨٥١) ، وذلك في شرح سنن النسائي للسندي :

[[..... قال البيهقي إن صح هذا الحديث يحمل على ما إذا صلاها مع الإمام فلا يعيد قلت وإلى هذا التأويل أشار المصنف في الترجمة بل زاد عليه أن تكون الصلاة مع الإمام في المسجد قال البيهقي وفي رواية لا تصلوا مكتوبة في يوم مرتين فالمراد أي كلتاهما على وجه الفرض ويرجع ذلك إلى أن الأمر بالإعادة اختيار وليس بحتم عليه وعند كثير من العلماء إذا صلى مع الإمام وقد صلى قبل ذلك في البيت ينوي مع الإمام نافلة]]

.. والتأويل التالي للعبارة : [[لا تُصَلُّوا صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]] ، التي رأيناها في

سنن أبي داود حديث : (٤٩١) :

[[..... معنى قوله صلى الله عليه وسلم " لا تصلوا صلاة في يوم مرتين " أن ذلك أن يصلي الرجل صلاة مكتوبة عليه ثم يقوم بعد الفراغ منها فيعيدها على جهة الفرض أيضا ، وأما من صلى الثانية مع الجماعة على أنها نافلة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أمره بذلك فليس ذلك من إعادة الصلاة في يوم مرتين ، لأن الأولى فريضة والثانية نافلة ، فلا إعادة حينئذ]]

.. هذه التأويلات لا علاقة لها على الإطلاق بالصياغة اللغوية للأحاديث المتناقضة

التي رأيناها ، فمن أين أتوا بمقولة كون الإعادة الممنوعة هي على جهة الفرض ؟!!! .. ولماذا لا نرى هذه التأويلات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان في روايات الأحاديث ذاتها ، وإذا كانت صياغة الروايات التي نسبها - ظلماً - للنبي ﷺ ناقصة إلى درجة حملها للمتناقضات في الوقت ذاته ، فأبيّ تشریح من الممكن بناؤه عليها ؟!!! ..

.. ألا تعني العبارة : [[لا تُعَادُ الصَّلَاةُ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]] ، والعبارة : [[لا تُصَلُّوا

صَلَاةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ]] ، أن أي صلاة مفروضة يجب ألا تعاد في اليوم الواحد مرتين ، سواء كان ذلك على أي وجه كان ؟!!! .. وما الفائدة من الروايات إن كانت صياغتها اللغوية لا علاقة لها بالدلالات المحمولة بها ؟!!! .. وكيف بنا أن نستنبط أحكاماً من

روايات نضيف لعباراتها - من جيوبنا - عبارات لا وجود لإشارة لها على الإطلاق في صياغة تلك الروايات !!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٣٩٨٣) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنِ الرُّكَيْنِ عَنِ أَبِيهِ عَنْ سَمُرَةَ وَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ الرُّكَيْنَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ أَفْلَحَ وَرَبَاحٍ وَيَسَارٍ وَنَافِعٍ

مسلم (٣٩٨٤) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الرُّكَيْنِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُسَمِّ غُلَامَكَ رَبَاحًا وَلَا يَسَارًا وَلَا أَفْلَحَ وَلَا نَافِعًا

أحمد (١٩٢٢٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ عَنْ رَبِيعِ بْنِ عَمِيَلَةَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُسَمِّ غُلَامَكَ أَفْلَحَ وَلَا نَجِيحًا وَلَا يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ أَتَمَّ هُوَ أَوْ أَتَمَّ فَلَنْ قَالُوا لَا

أحمد (١٩٢٧٩) :

حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ سَمِعْتُ الرُّكَيْنَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمُرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُسَمِّيَ رَقِيقَكَ أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ أَفْلَحَ وَيَسَارًا وَنَافِعًا وَرَبَاحًا

سنن الترمذي (٢٧٦٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ عَمِيَلَةَ الْفَزَارِيِّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا

تُسَمُّ غُلَامَكَ رَبَّاحٌ وَلَا أَفْلَحُ وَلَا يَسَارٌ وَلَا نَجِيحٌ يُقَالُ أَثَمَّ هُوَ فَيُقَالُ لَأَ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

سنن ابن ماجه (٣٧٢٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ الرُّكَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيْقَنَا أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ أَفْلَحُ وَنَافِعٌ وَرَبَّاحٌ وَيَسَارٌ

سنن الدارمي (٢٥٨٠) :

أَخْبَرَنَا زَكْرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ الرُّكَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ نُسَمِّيَ أَرْقَاءَنَا أَرْبَعَةَ أَسْمَاءٍ أَفْلَحُ وَنَافِعٌ وَرَبَّاحٌ وَيَسَارٌ

روايات صريحة بيّنة في أن النبي ﷺ نهي نهيًا قاطعًا عن أن يُسَمَّى بالأسماء المذكورة ، فالعبارات [[نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]] ، [[لَا تُسَمُّ غُلَامَكَ]] ، [[نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]] هي عبارات واضحة وصريحة ولا تحتل التأويل .. بعد ذلك نرى روايات تحمل خلافًا لذلك ..

مسلم (٣٩٨٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْهَى عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِيَعْلَى وَبِبَرَكَةَ وَبِأَفْلَحٍ وَبِيسَارٍ وَبِنَافِعٍ وَبِنَحْوِ ذَلِكَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ سَكَتَ بَعْدَ عَنهَا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ثُمَّ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ تَرَكَهُ

سنن أبي داود (٤٣٠٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْهَى أُمَّتِي أَنْ يُسَمُّوا نَافِعًا وَأَفْلَحًا وَبِرَكَةَ قَالَ الْأَعْمَشُ وَلَا أَدْرِي ذَكَرَ نَافِعًا أَمْ لَا فَإِنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ إِذَا جَاءَ أَثَمَّ بَرَكَةٌ

فَيَقُولُونَ لَا قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ لَمْ يَذْكُرْ بَرَكَةَ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب : عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخصّ هذا الحديث لنرى كيف يؤوّل المؤوّلون تأويلاً لا يحمله النصّ المؤوّل لا من قريب ولا من بعيد ..

[[..... (إن عشت الحديث) : ولفظ مسلم أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن

ينهي عن أن يسمى ببعلي وببركة وبأفلق وببيسار وبنافع وبنحو ذلك ثم رأيتته سكت بعد عنها ثم قبض ولم ينه عن ذلك . قال النووي : معناه أراد أن ينهي عنها نهى تحريم ، وأما النهي الذي هو بکراهة التنزيه فقد نهى عنه في الأحاديث الباقية انتهى

[[

تناقضات بيّنة لا تخفى على كل إنسان يدرك الحدّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة .. وتأويلات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان .. والطامة الكبرى تكمن في من يذهب إلى أنّ كلّ هذه الروايات صحيحة في الوقت ذاته .. من هنا نرى سبب محاربة هؤلاء للعقل والتدبّر والالتزام بإدراك دلالات هذه الروايات وفق صياغتها ، وحسب قواعد اللغة العربيّة ..

.. ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الروايات التالية ..

مسلم (٦٨٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ فَقَالَ عَلْقَمَةُ أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَلِكَ لَيْلَةَ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ فَقُلْنَا اسْتَطِيرَ أَوْ اغْتَبِيلَ قَالَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءَ مِنْ قَبْلِ حِرَاءِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَا فَطَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ

أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ قَالَ فَاَنْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الرَّادَ فَقَالَ لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَسَأَلُوهُ الرَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِ الشَّعْبِيِّ مُفَصَّلًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْلِهِ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ

الترمذي (٣١٨١) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ صَحِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَالَ مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ وَلَكِنْ قَدْ افْتَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَقُلْنَا اغْتِيلَ أَوْ اسْتُطِيرَ مَا فَعَلَ بِهِ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا أَوْ كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءَ قَالَ فَذَكَرُوا لَهُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَقَالَ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَاتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ فَاَنْطَلَقَ فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَسَأَلُوهُ الرَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ فَقَالَ كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادَ إِخْوَانِكُمْ الْجِنِّ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

الترمذي (٣٢١٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ وَاقِدٍ أَبُو مُسْلِمٍ السَّعْدِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ فَبَائِي

آلَاءِ رَبِّكُمْ مَا تُكَدِّبَانِ قَالُوا لَا بَشِيءٌ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكُذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ ابْنُ حَنْبَلٍ كَانَ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الَّذِي وَقَعَ بِالشَّامِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يُرَوَى عَنْهُ بِالْعِرَاقِ كَأَنَّهُ رَجُلٌ آخَرٌ قَبِلُوا اسْمَهُ يَعْنِي لِمَا يَرَوُونَ عَنْهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ أَهْلُ الشَّامِ يَرَوُونَ عَنْ زُهَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَنَاقِبَ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يَرَوُونَ عَنْهُ أَحَادِيثَ مُقَابَرَةً

أحمد (٣٩٣٥) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنَا دَاوُدُ وَابْنُ أَبِي زَائِدَةَ الْمَعْنَى قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ مَسْعُودٍ هَلْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَقَالَ مَا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ وَلَكِنَّا قَدْ فَدَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقُلْنَا اغْتِيلَ اسْتُطِيرَ مَا فَعَلَ قَالَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ أَوْ قَالَ فِي السَّحَرِ إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَكَّرُوا الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَقَالَ إِنَّهُ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَاتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانِي آثَارَهُمْ وَأَثَارَ نِيرَانِهِمْ قَالَ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ سَأَلُوهُ الزَّادَ قَالَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ قَالَ عَامِرٌ فَسَأَلُوهُ لَيْلَتَيْدِ الزَّادِ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ فَقَالَ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنِّ

أحمد (٤١٢٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ خَطَّ حَوْلَهُ فَكَانَ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ مِثْلُ سَوَادِ النَّخْلِ وَقَالَ لِي لَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ فَأَقْرَأَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا رَأَى الزُّطَّ قَالَ كَأَنَّهُمْ هَوْلَاءُ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَعَكَ مَاءٌ قُلْتُ لَا قَالَ أَمَعَكَ نَبِيذٌ قُلْتُ نَعَمْ فَتَوَضَّأَ بِهِ

مسلم (٦٨٣) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي مَعْشَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَيْلَةَ الْجِنِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَدِدْتُ

أَنْتِ كُنْتُ مَعَهُ

روايات صريحة تبين لنا أمرين :

❖ الأمر الأول : يقول ابن مسعود : في ليلة الجن لم يصحب النبيَّ أحدٌ من الصحابة .. وهو بالذات لم يكن مع النبيِّ ﷺ ، ويتمنى لو أنه كان معه ..

❖ الأمر الثاني : هو أن النبيَّ ﷺ أتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ القرآن على الجن ، وبين للصحابة آثارهم وآثار نيرانهم ..

ولننظر في الرواية التالية لنرى أن النبيَّ ﷺ لم يقرأ على الجن ولم يرههم ..

مسلم (٦٨١) :

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَاهُمْ أَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا مَا لَكُمْ قَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانطَلَقُوا يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَمَرَّ النَّفْرُ الَّذِينَ أَحَدُوا نَحْوَ تِهَامَةَ وَهُوَ يَدْخُلُ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ وَقَالُوا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ

ولننظر في النصِّ التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ هذا

الحديث ..

]] (أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن) قال العلماء :

هما قضيتان ، فحديث ابن عباس في أول الأمر وأول النبوة حين أتوا فسمعوا قراءة { قل

أوحى { واختلف المفسرون هل علم النبي صلى الله عليه وسلم استماعهم حال استماعهم بوحى أوحى إليه ؟ أم لم يعلم بهم إلا بعد ذلك ؟ وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى جرت بعد ذلك بزمان الله أعلم بقدره ، وكان بعد اشتهاار الإسلام]] ..

تأويلات لا علاقة لها بنصوص الروايات المؤولة لا من قريب ولا من بعيد .. فالعبارة المنسوبة لابن عباس [] مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِنِّ وَمَا رَأَهُمْ [] واضحة وصريحة في مسألة ليست مخصصة بمحادثة دون غيرها .. ونرى في الحديث الأخير أنهم هم سمعوا القرآن ولم يذهب النبي ﷺ معهم ، ولم ير أحداً آثارهم وآثار نيرانهم .. ومن أين أتوا بالتأويل [] وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى جرت بعد ذلك بزمان الله أعلم بقدره ، وكان بعد اشتهاار الإسلام [] ..

.. ثم كيف يمكننا أن نتصور الحادثة الملقفة بأن النبي ﷺ ذهب مع الجن ، وانطلق بالصحابة فأراهم آثار الجن وآثار نيرانهم ، والله تعالى يقول ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [الجن : ١] ، فالعبارة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ تؤكد أنه ﷺ لم ير الجن أبداً ، فما أعلمه الله تعالى عن الجن هو عن طريق الوحي ، وهذا يؤكد أن عالم الجن هو عالم غيبي ..

.. وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] ، لا يحمل أي إشارة إلى أن النبي ﷺ رأى الجن ..

لقد رأينا في الروايات السابقة أن ابن مسعود الذي أكد في أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن ، لا هو ولا غيره .. لننظر في الرواية التالية لنرى خلافاً لذلك ..

سنن الترمذي (١٨) :

حَدَّثَنَا هَنَادٌ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ عُلْقَمَةَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسْتَنْجُوا بِالرُّوثِ وَلَا بِالْعِظَامِ

فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَلْمَانَ وَجَابِرٍ وَابْنِ عُمَرَ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرُهُ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَسْتَنْجُوا بِالرُّوثِ وَلَا بِالْعِظَامِ فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَكَانَ رِوَايَةَ إِسْمَاعِيلَ أَصْحَحُ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فالعبرة [[عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ]]

واضحة وصريحة في مناقضتها للعبارات الواردة في الأحاديث السابقة .. وهنا يأتي دور الذين لا مهمة لهم إلا ذر الرماد في الأعين للإيهام بأنه لا يوجد تعارض على الإطلاق ، عبر تغييب العقل ، والقفز فوق قواعد اللغة العربية ، واختراع التخريجات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان .. لننظر في الحديث التالي ..

سنن أبي داود (٧٨) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ عَنْ دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَقَالَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَّا أَحَدٌ

ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب : عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخص هذا الحديث ..

[[..... قال البيهقي في دلائل النبوة : قد دلت الأحاديث الصحيحة على أن ابن

مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، وإنما كان معه حين انطلق به ، وبغيره يريهم آثارهم وآثار نيرانهم . قال : وقد روى أنه كان معه ليلته . ثم قال الزيلعي : فقد تلخص لحديث ابن مسعود سبعة طرق ، صرح في بعضها أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مخالف لما في صحيح مسلم أنه لم يكن معه ، وقد جمع بينهما بأنه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم حين المخاطبة ، وإنما كان بعيداً منه ،

ومن الناس من جمع بينهما بأن ليلة الجن كانت مرتين ، ففي أول مرة خرج إليهم لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود ولا غيره كما هو ظاهر حديث مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره في أول سورة الجن من حديث ابن جريج . والله أعلم . [] ..

تأويلات وتخريجات لا تعرف سقفاً في الخروج على ثوابت العقل والمنطق والالتزام بصياغة نصوص الروايات .. والطامة الكبرى أن هذه التخريجات التي لا وجود لها إلا في مخيلات من لم ولن ينصاعوا لحقيقة ، ولا لمنهج ، ولا لعقل ، ولا لأي التزام حقيقي بكتاب الله تعالى ، يُطلق عليها اسم علم تأويل مختلف الحديث !!! ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لنظر في الحديثين التاليين ..

أحمد (١٠٢١) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى رَحْمَتَهُ وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَبُو مَعْمَرٍ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ قَالُوا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَزِيدَ الْأَصَمُّ قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ مَوْلَى قُرَيْشٍ قَالَ أَخْبَرَنِي السُّدِّيُّ وَقَالَ رَحْمَتُهُ فِي حَدِيثِهِ قَالَ سَمِعْتُ السُّدِّيَّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضِيِّ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا تُوِّفِيَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ قَدْ مَاتَ قَالَ أَذْهَبَ فَوَارِهِ وَلَا تُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي فَوَارِيَّتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ أَذْهَبَ فَاغْتَسِلْ وَلَا تُحَدِّثُ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَدَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسْرُنِي بِهِنَّ حُمْرُ النَّعَمِ وَسُودَهَا وَقَالَ ابْنُ بَكَّارٍ فِي حَدِيثِهِ قَالَ السُّدِّيُّ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ رِضِيِّ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا غَسَلَ مِيئًا اغْتَسَلَ

سنن أبي داود (٢٧٤٩) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي ذُنَبٍ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ غَسَلَ الْمَيْتَ فَلْيَغْتَسِلْ وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ سَفْيَانَ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ إِسْحَاقَ مَوْلَى زَائِدَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَاهُ

قَالَ أَبُو دَاوُدَ هَذَا مَنسُوحٌ وَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسُئِلَ عَنِ الْغُسْلِ مِنْ غَسْلِ الْمَيِّتِ فَقَالَ يُجْزِيهِ الْوُضُوءُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ أَذْخَلَ أَبُو صَالِحٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَعْنِي إِسْحَاقَ مَوْلَى زَائِدَةَ قَالَ وَحَدِيثٌ مُصْعَبٍ ضَعِيفٌ فِيهِ خِصَالٌ لَيْسَ الْعَمَلُ عَلَيْهِ

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من تفسير الحديث (٢٧٤٩) من سنن أبي داود :

[[..... ويشبه أن يكون الأمر في ذلك على الاستحباب وقد يحتمل أن يكون

المعنى فيه أن غاسل الميت لا يكاد يأمن أن يصيبه نضح من رشاش الغسل ، وربما كان على بدن الميت نجاسة فإذا أصابه نضح وهو لا يعلم مكانه كان عليه غسل جميع بدنه ليكون الماء قد أتى على الموضع الذي أصابه النجس من بدنه (ومن حملة فليتوضأ) : قد قيل في معناه أي ليكون على وضوء ليتهاهيا له الصلاة على الميت والله أعلم]]

هل فعل الأمر [[فليغتسل]] في العبارة [[مَنْ غَسَلَ الْمَيِّتَ فَلْيَغْتَسِلْ]] في

الحديث ، يحمل من قريب أو بعيد تأويلهم [[الأمر في ذلك على الاستحباب]] ؟!!! .. وهل الاحتمالات المختلفة التي نراها في تأويل هذا الحديث لها أيّ تعلق بصياغة هذه الرواية ؟!!! .. وهل العبارة [[وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ]] تحمل من قريب أو بعيد تأويلهم [[أي ليكون على وضوء ليتهاهيا له الصلاة على الميت]] ؟!!! .. أليس الوضوء في هذه العبارة [[وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ]] هو نتيجة للحمل وليس مقدّمة ، فكيف إذا نفهم معنى هذه العبارة : [[أي ليكون على وضوء ليتهاهيا له الصلاة على الميت]] ؟!!! ..

.. هذا التناقض الواضح والصريح والبيّن ، هو أمرٌ طبيعيٌّ ، فحينما يكون معظم الاهتمام بالسند وبتزكية الرجال لبعضهم فإن التناقض والاختلاف هو نتيجة حتمية ، لننظر إلى النصّين التاليين المقتطعين من شرح هذا الحديث لنرى ذلك بأمّ أعيننا :

[[..... حدثنا أبو شيببة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن عمرو بن

عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس عليكم في غسل ميتكم غسل إذا غسلتموه إن ميتكم يموت طاهراً وليس ينجس فحسبكم أن تغسلوا أيديكم

قال البيهقي : هذا ضعيف والحمل فيه على أبي شيبة ، قلت : أبو شيبة هو إبراهيم بن أبي بكر بن أبي شيبة . احتج به النسائي ووثقه الناس ومن فوقه احتج بهم البخاري . وأبو العباس الهمداني هو ابن عقدة حافظ كبير إنما تكلموا فيه بسبب المذهب ولأمور أخرى ولم يضعف بسبب المتن أصلاً ، فالإسناد حسن]]

]] وقال الرافعي : لم يصح علماء الحديث في هذا الباب شيئاً مرفوعاً . قال الحافظ : قد حسنه الترمذي وصححه ابن حبان وله طريق أخرى من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رفعه " من غسل ميتاً فليغتسل " ذكره الدارقطني وقال فيه نظر . قال الحافظ : رواه موثقون . وقال ابن دقيق العيد في الإمام : حاصل ما يعتل به وجهان أحدهما من جهة الرجال ولا يخلو إسناد منها من متكلم فيه ثم ذكر ما معناه أن أحسنها رواية سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وهي معلولة وإن صححها ابن حبان وابن حزم فقد رواه سفيان عن سهيل عن أبيه عن إسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة . قال الحافظ : إسحاق مولى زائدة أخرج له مسلم ، فينبغي أن يصحح الحديث . قال ابن دقيق العيد : وأما رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة فإسناد حسن إلا أن الحفاظ من أصحاب محمد بن عمرو روه عنه موقوفاً انتهى . وفي الجملة هو بكثرة طرقه أسوأ أحواله أن يكون حسناً ، فإنكار النووي على الترمذي تحسينه معترض . وقد قال الذهبي في مختصر البيهقي . طرق هذا الحديث أقوى من عدة أحاديث احتج بها الفقهاء ولم يعلوها بالوقف ، بل قدموا رواية الرفع انتهى .]]

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

البخاري (١٤٩) :

حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامُ هُوَ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسُّ ذِكْرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَمَسَّحُ بِيَمِينِهِ

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ..

]] وهذا النهي للتأدب لإرادة المبالغة في النظافة ، إذ قد يخرج مع النفس

بصاق أو مخاط أو بخار رديء فيكسبه رائحة كريهة فيتقذر بها هو أو غيره عن شربه

.....]]

فالعبرة الواردة في هذا الحديث **]] إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ]]**

واضحة ويّنة وتحملُ أمراً جليلاً هو عدم التنفّس في الإناء ، ومهما كانت الحكمة والهدف

من هذا الأمر فإنّ التنفّس في الإناء - حسب صياغة هذه الرواية - أمرٌ ممنوع .. بعد ذلك

نرى في البخاري ذاته نقيض ذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٢٠٠) :

حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ وَأَبُو نُعَيْمٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بِنُ ثَابِتٍ قَالَ أَخْبَرَنِي ثُمَامَةُ بِنُ عَبْدِ اللَّهِ

قَالَ كَانَ أَنَسُ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا

ولننظر في العبارات التالية المقتطعة من شرح هذا الحديث في كتاب : فتح الباري

بشرح صحيح البخاري :

]] وقول أنس " يتنفّس في الشرب ثلاثاً " قد جعله بعضهم معارضاً للنهي

، وحمل على بيان الجواز ، ومنهم من أوماً إلى أنه من خصائصه لأنه كان لا يتقذر منه

شيء]]

تعارض واضح وصريح بين هذين الحديثين .. فالأمر المحمول في الحديث الأوّل **]]**

إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ]] يتعارض تعارضاً تاماً مع العبارة في الحديث

الثاني **]] كَانَ أَنَسُ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

كَانَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا]] .. وكلُّ محاولات التوفيق بين هذين الأمرين المتناقضين لا تجد لها

طريقاً عند من يحترم عقله ويدرك قواعد اللغة العربيّة .. فمهما أولّوا معنى التنفّس في الإناء

، فإنّ الحديث الثاني يحمل النقيض لذلك ، لأنّ عباراته تحمل ذات الصياغة ، وبالتالي فكلّ

تأويل لمعنى التنفس يُؤتى به من الجيوب ، لا بد أن ينسحب على الحديثين ، وبالتالي لا يزول التناقض ..

وإن كان الأمر في عدم التنفس هو على الجواز كما يقولون ، فلماذا لا نرى ذلك في صياغة الأحاديث ذاتها ، وكيف يستقيم معنى الجواز مع الأمر المنسوب للنبي ﷺ [] إذا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ [] !!! ..

وهذه المسألة ذاتها بوجهيها المتناقضين نراها عند مسلم ..

مسلم (٣٧٨٠) :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ

مسلم (٣٧٨١) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ عَزْرَةَ بِنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ ثُمَامَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا

مسلم (٣٧٨٢) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ ح وَ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عِصَامٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرَوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرًا قَالَ أَنَسُ فَأَنَا أَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ هِشَامِ الدَّسْتَوَائِيِّ عَنْ أَبِي عِصَامٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ وَقَالَ فِي الْإِنَاءِ

ولننظر في الأحاديث التالية لنرى هذا التناقض بشكل جلي ..

سنن الترمذي (١٨١١) :

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

سنن النسائي (٤٨) :

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَأَنْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ

سنن ابن ماجه (٣٢٧٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُخُ فِي طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ

سنن ابن ماجه (٣٤٠٧) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَسٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا

سنن ابن ماجه (٣٤١٨) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ ثُمَّ لِيَعُدَّ إِنْ كَانَ يُرِيدُ

مسند أحمد (٢٤٤٧) :

حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا عِيْسَى بْنُ يُوْنُسَ عَنْ رِشْدِينَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ

مسند أحمد (١١٧٤١) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ أَبِي عِصَامٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ هَذَا أَهْنَأُ وَأَمْرًا وَأَبْرَأُ

مسند أحمد (١٨٦٠٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنِ الْحَجَّاجِ عَنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ وَإِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ فَلَا يَتَمَسَّحُ بِيَمِينِهِ وَإِذَا بَالَ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ

مسند أحمد (٢١٤٨٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنِ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ

الدارمي (٢٠٢٨) :

أَخْبَرَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ كَانَ أَنَسُ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا

الدارمي (٢٠٣٠) :

أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمَسُّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلَا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ

.. متناقضات لا يُسَعِّفُهَا أَيُّ تَأْوِيلٍ تُحْتَرَمُ فِيهِ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَثَوَابِتُ الْعَقْلِ

والمنطق ..

ولنأخذ مسألة أُخْرَى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣١٧٨) :

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ عَنْ هِشَامٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةٌ

إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِيكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] واضحٌ وجليلٌ في أن مريم عليها السلام اصطفاها الله تعالى على نساء العالمين ، على الإطلاق ، وكلمة ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ نفهم دلالاتها من كتاب الله تعالى وليس من الروايات ، هذا إضافة إلى أن اسم ﴿ مَرْيَمَ ﴾ هو اسم الأنثى الوحيد الذي ذكر في كتاب الله تعالى ..

ولذلك فالعبارة الواردة في هذا الحديث [[خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ]] يبين حقيقة قرآنية جليلة .. والعبارة الواردة في هذا الحديث [[وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةٌ]] هو عطف على العبارة الأولى ، وهو يعني خصوصية خديجة في نساء الأمة ، وبأنها أفضلهن على الإطلاق ودون منازع .. وهذا ما نراه في النص التالي المقتطع من كتاب : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما يخص هذا الحديث ..

[[..... قوله : (وخير نساؤها خديجة) أي نساء هذه الأمة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : خديجة أفضل نساء الأمة مطلقاً لهذا الحديث ، وقد تقدم في آخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم وآسية وهو يقتضي فضلها على غيرها من النساء ، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة ، وكأنه لم يتعرض في الحديث الأول لنساء هذه الأمة حيث قال : ولم يكمل من النساء أي من نساء الأمة الماضية ، إلا إن حملنا الكمال على النبوة فيكون على إطلاقه . وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس " أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية " وعند الترمذي بإسناد صحيح عن أنس " حسبك من نساء العالمين " فذكرهن .. [[.....]]

إذاً .. حسب هذه الرواية المنقولة عن علي فإن خديجة (أم زوجته فاطمة) هي أفضل نساء الأمة .. وهذا ما نراه أيضاً في الحديث التالي ..

مسلم (٤٤٥٨) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو أُسَامَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَوَكَيْعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ وَاللَّفْظُ حَدِيثُ أَبِي أُسَامَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا بِالْكُوفَةِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ وَأَشَارَ وَكَيْعٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

.. بعد ذلك نرى رواياتٍ أخرى تحمل غير ذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣٤٨٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ

هنا في الحديث المنقول عن أنس نرى أن عائشة هي أفضل النساء ، أو على الأقل هي أفضل نساء الأمة ، وليس خديجة .. وفي هذا اختلاف بين عما رأيناه في الحديثين السابقين .. وفي الحديث التالي نرى ذكراً لمريم بنت عمران ولاسية امرأة فرعون ، ولا نرى ذكراً لخديجة !!!؟ .. وما نراه هو ذكر لعائشة وبأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ..

مسلم (٤٤٥٩) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ جَمِيعًا عَنْ شُعْبَةَ ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُرَّةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرِيَمَ بِنْتُ عِمْرَانَ وَأَسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ

الطَّعام

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ هذا

الحديث ..

]] قوله صلى الله عليه وسلم : (وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد

على سائر الطعام) قال العلماء : معناه أن الثريد من كل الطعام أفضل من المرق ، فثريد

اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد ، وثرديد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه ، والمراد بالفضيلة

نفعه ، والشبع منه ، وسهولة مساعه ، والالتذاز به ، وتيسر تناوله ، وتمكن الإنسان

من أخذ كفايته منه بسرعة ، وغير ذلك ، فهو أفضل من المرق كلاً ، ومن سائر الأطعمة

وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة . وليس في هذا

تصريح بتفضيلها على مريم وآسية ؛ لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة .

.. [[

تناقض صريح وبيّن ، لا يمكن أن يكون قد صدر عن النبي ﷺ .. ولذلك نرى في

تفسير الحديث التالي خلطاً ناتجاً عن الخلط ما بين هذه الروايات المتناقضة ..

البخاري (٣٤٨٥) :

حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ مُرَّةَ عَنْ

أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَلَ مِنَ

الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَفَضْلُ عَائِشَةَ

عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، فيما

يخصّ هذا الحديث ..

]] وتقرير أن قوله : " وفضل عائشة إلخ " لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة

، وقد أشار ابن حبان إلى أن أفضليتها التي يدل عليها هذا الحديث وغيره مقيدة بنساء

النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يدخل فيها مثل فاطمة عليها السلام جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث " أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة " الحديث [[.. كيف يُفسَّر معنى العبارة الواردة في هذا الحديث [[وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ التَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ]] بأنه [[لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة]] !!!؟ .. وكيف تُقَيَّد الأفضلية بنساء النبي ﷺ وذلك هروباً من مواجهة استحقاق التناقض بين هذا الحديث وغيره [[حديث " أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة]] !!!؟ ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

النسائي (١٨٣) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَحَدَّثْتَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَصُومُ وَحَدَّثَنَا مَعَهُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَرَّبَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُنْبًا مَشُوبًا فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ

سنن ابن ماجه (١٦٩٤) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ قَالَ سَأَلْتُ أُمَّ سَلَمَةَ عَنْ الرَّجُلِ يُصْبِحُ وَهُوَ جُنْبٌ يُرِيدُ الصَّوْمَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنَ الْوَقَاعِ لَا مِنْ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيُتِمُّ صَوْمَهُ

أحمد (٢٤٦٦٩) :

حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ عَنْ شَرِيكِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ وَرَأْسُهُ يَقَطُرُ مِنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ ثُمَّ يُتِمُّ صَوْمَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ

أحمد (٢٤٧٣٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيُتِمُّ صَوْمَهُ

نصوص واضحة وصريحة في أن النبي ﷺ كان يُصْبِحُ جُنْبًا مِنَ الْوَقَاعِ لَا مِنْ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيُتِمُّ صَوْمَهُ .. بعد ذلك نرى حديثاً يُقَسِّمُ فِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ بَرَبَ الْبَيْتِ جَلَّ وَعَلَا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ **[[مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ جُنْبًا فَلْيُفْطِرْ]]** ، وذلك بنقيض ما رأينا في الروايات السابقة ..

أحمد (٧٠٨٣) :

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيَّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا أَنَا قَلْتُ مَنْ أَصْبَحَ جُنْبًا فَلَا يَصُومُ مُحَمَّدٌ وَرَبِّ الْبَيْتِ قَالَهُ مَا أَنَا نَهَيْتُ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُحَمَّدٌ نَهَى عَنْهُ وَرَبِّ الْبَيْتِ

أحمد (٧٥٠٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَا أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْقَارِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا أَنَا نَهَيْتُ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَكِنْ مُحَمَّدٌ نَهَى عَنْهُ وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا أَنَا قَلْتُ مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ جُنْبًا فَلْيُفْطِرْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي حَدِيثِهِ إِنْ يَحْيَى بْنُ جَعْدَةَ أَخْبَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْقَارِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ

ولكنَّ أبا هريرة الذي أقسم برب البيت جلَّ وَعَلَا بِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ **[[مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ وَهُوَ جُنْبٌ فَلَا يَصُومَنَّ يَوْمَيْهِ]]** ، يتلون وجهه فيما بعد ، ويتراجع عمَّا نسبته للنبي ﷺ ، ويكفُّ عن مقولته هذه ، ناسباً هذه المقولة إلى الفضل بن عباس ، لننظر في الأحاديث التالية ..

أحمد (٢٤٦٢٧) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ بَلَغَ مَرْوَانَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ وَهُوَ جُنُبٌ فَلَا يَصُومَنَّ يَوْمَئِذٍ فَأَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ فَانْطَلَقَتْ مَعَهُ فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَصُومُ فَرَجَعَ إِلَى مَرْوَانَ فَحَدَّثَهُ فَقَالَ الْقَاقُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَحَدَّثَهُ فَقَالَ إِنَّهُ لِحَارِي وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقْبِلَهُ بِمَا يَكْرَهُ فَقَالَ أَعَزُّمُ عَلَيْكَ لَتَلْقَيْنَهُ قَالَ فَلَقِيَهُ فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقْبِلَكَ بِمَا تَكْرَهُ وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ عَزَمَ عَلَيَّ قَالَ فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ حَدَّثَنِيهِ الْفَضْلُ

أحمد (٢٥٤١٢) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ جُنُبًا فَلَا صَوْمَ لَهُ قَالَ فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبِي فَدَخَلْنَا عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَعَائِشَةَ فَسَأَلْنَاهُمَا عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَتَانَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ فَلَقِينَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَحَدَّثَهُ أَبِي فَتَلَوْنَا وَجْهَ أَبِي هُرَيْرَةَ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ وَهَنْ أَعْلَمُ

أحمد (٢٥٠٩٥) :

حَدَّثَنَا عبيدة قال حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فَلَا صَوْمَ لَهُ فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ أَبُو بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا فَقَالَتْ لَهَا إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فَلَا صَوْمَ لَهُ فَقَالَتْ عَائِشَةُ قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجْنِبُ ثُمَّ يَتِمُّ صَوْمَهُ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُجْنِبُ ثُمَّ يَتِمُّ صَوْمَهُ فَكَفَّ أَبُو هُرَيْرَةَ

مسلم (١٨٦٤) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُصُّ يَقُولُ فِي قِصَصِهِ مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنْبًا فَلَا يَصُمُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ لِأَبِيهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَأَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ ذَلِكَ قَالَ فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ قَالَ فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى مَرْوَانَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ مَرْوَانُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا دَهَبَتْ إِلَيَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ قَالَ فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبُو بَكْرٍ حَاضِرٌ ذَلِكَ كُلُّهُ قَالَ فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَهْمَا قَالَتَاهُ لَكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ هُمَا أَعْلَمُ ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَرَجَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذَلِكَ قُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ أَقَالَتَا فِي رَمْضَانَ قَالَ كَذَلِكَ كَانَ يُصْبِحُ جُنْبًا مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصّ الحديث الأخير ، لنرى بأمّ أعيننا كيف أن عدم الاعتراف بالمتناقضات هو هدف يُطلَق في سبيله العقل ، ويتمّ في سبيله القفز فوق ثوابت اللغة والمنطق ..

]] فلعل سبب رجوعه أنه تعارض عنده الحديثان فجمع بينهما ، وتأول

أحدهما وهو قوله : (من أدركه الفجر جنباً فلا يصم) ، وفي رواية مالك : (أفطر) فتأوله على ما سنذكره من الأوجه في تأويله - إن شاء الله تعالى - فلما ثبت عنده أن حديث عائشة وأم سلمة على ظاهره وهذا متأول رجوع عنه ، وكان حديث عائشة وأم سلمة أولى بالاعتماد ؛ لأنهما أعلم بمثل هذا من غيرهما ، ولأنه موافق للقرآن ، فإن الله

تعالى أباح الأكل والمباشرة إلى طلوع الفجر ، قال الله تعالى : { فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر } والمراد بالمباشرة : الجماع ، ولهذا قال الله تعالى : { وابتغوا ما كتب الله لكم } ومعلوم أنه إذا جاز الجماع إلى طلوع الفجر لزم منه أن يصبح جنباً ، ويصح صومه ؛ لقوله تعالى : { أتموا الصيام إلى الليل } وإذا دل القرآن وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جواز الصوم لمن أصبح جنباً ؛ وجب الجواب عن حديث أبي هريرة عن الفضل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجوابه من ثلاثة أوجه . أحدها : أنه إرشاد إلى الأفضل ، فالأفضل أن يغتسل قبل الفجر ، فلو خالف جاز ، وهذا مذهب أصحابنا ، وجوابهم عن الحديث . فإن قيل : كيف يكون الاغتسال قبل الفجر أفضل ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه ؟ فالجواب : أنه صلى الله عليه وسلم ؛ فعله لبيان الجواز ، ويكون في حقه حينئذ أفضل ؛ لأنه يتضمن البيان للناس ، وهو مأمور بالبيان ، وهذا كما توضح مرة مرة في بعض الأوقات بيانا للجواز ، ومعلوم أن الثلاث أفضل ، وهو الذي واظب عليه ، وتظاهرت به الأحاديث . وطاف على البعير لبيان الجواز ، ومعلوم أن الطواف ساعياً أفضل ، وهو الذي تكرر منه صلى الله عليه وسلم ، ونظائره كثيرة . والجواب الثاني : لعله محمول على من أدركه الفجر مجامعاً فاستدام بعد طلوع الفجر عالماً ، فإنه يفطر ولا صوم له . والثالث : جواب ابن المنذر فيما رواه عن البيهقي أن حديث أبي هريرة منسوخ ، وأنه كان في أول الأمر حين كان الجماع محرماً في الليل بعد النوم ، كما كان الطعام والشراب محرماً ثم نسخ ذلك ، ولم يعلمه أبو هريرة ، فكان يفتي بما علمه حتى بلغه الناسخ فرجع إليه ، قال ابن المنذر : هذا أحسن ما سمعت فيه . والله أعلم .. [[

كيف بنا أن نفهم تأويلهم [[أنه إرشاد إلى الأفضل ، فالأفضل أن يغتسل قبل الفجر ، فلو خالف جاز ، وهذا مذهب أصحابنا]]] ؟!!! .. كيف يستطيع عاقل أن

يُوفَّقُ بَيْنَ هَذَا التَّأْوِيلِ وَبَيْنَ مَا كَانَ يُقْسَمُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ قَالَه [[مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ جُنُبًا فَلْيُفْطِرْ]] ، [[مَنْ أَدْرَكَهُ الصُّبْحُ وَهُوَ جُنُبٌ فَلَا يَصُومَنَّ يَوْمَئِذٍ]] !!؟ .. وهل تُحَلُّ المشكلة وتنتهي بالقول : إنَّ أبا هريرة أعاد هذا القول الذي أقسم بنسبه للرسول ﷺ ، إلى الفضل بن عباس !!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ .. نترك الإجابة لكل إنسان فيه ذرة من عقل أو منطق ..

.. ولننظر في الحديث التالي لنرى كيف أنَّ أبا هريرة كان يفتي للناس بما كان يظن ويحسب ..

أحمد (٢٤٣٣٤) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ قَالَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فَلَا صَوْمَ لَهُ قَالَ فَأَرْسَلَنِي مَرْوَانَ بْنُ الْحَكَمِ أَنَا وَرَجُلًا آخَرَ إِلَى عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ نَسَأَلُهُمَا عَنِ الْجُنُبِ يُصْبِحُ فِي رَمَضَانَ قَبْلَ أَنْ يَغْتَسِلَ قَالَ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصْبِحُ جُنُبًا ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَتِمُّ صِيَامَ يَوْمِهِ قَالَ وَقَالَتْ الْآخَرَى كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْتَلِمَ ثُمَّ يَتِمُّ صَوْمَهُ قَالَ فَرَجَعَا فَأَخْبَرَا مَرْوَانَ بِذَلِكَ فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبِرْ أَبَا هُرَيْرَةَ بِمَا قَالَتَا فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَذَا كُنْتُ أَحْسَبُ وَكَذَا كُنْتُ أَظُنُّ قَالَ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ بِأَظُنُّ وَبِأَحْسَبُ تُفْتِي النَّاسَ

وهذا يذكرنا بالحديث التالي ..

البخاري (٤٩٣٦) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنَى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي وَيَقُولُ الْإِبْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدْعُنِي فَقَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا هَذَا مِنْ كَيْسِ أَبِي هُرَيْرَةَ

وهذا يذكرنا بالحديث التالي الذي رأيناه في محطاتٍ سابقة ..

مسلم (٣٩١٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنْ
الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ خَرَجَ إِلَيْنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ فَقَالَ أَلَا إِنَّكُمْ
تَحَدِّثُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَهْتَدُوا وَأَضِلَّ أَلَا وَإِنِّي أَشْهَدُ
لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا انْقَطَعَ شَيْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى
حَتَّى يُصْلِحَهَا وَحَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ
أَبِي رَزِينٍ وَأَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِذَا الْمَعْنَى
وهذا ما نراه أيضاً في الحديث التالي ..

النسائي (٥٢٧٥) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ
رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ تَزْعُمُونَ أَنِّي أَكْذِبُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا
انْقَطَعَ شَيْعُ نَعْلٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا
.. إذا كان الخلط موجوداً في الجيل الأول حول عودة الأحكام إلى الرسول ﷺ ،
وإذا كان بعض رجالات الجيل الأول يُتهمون بالكذب على الرسول ﷺ ، وبأنهم يفتون
بالظن ، كما تحمل الروايات ذاتها ، فكيف يكون الأمر بعد قرون من الفتن والافتتال
الذي مزَّق جسد الأمة وأحرق الأخضر واليابس !!!؟ ..
.. ولنأخذ مسألة أخرى ..

يبين لنا الله تعالى أن العذاب يكون بعد بعث الرسل وإقامة الحجّة والدليل ..

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥]

ومعلوم أن أمّ النبي ﷺ تُوفيت قبل بعثه ، وأنّها لم تعلم أيّ علم عن منهج الرسالة
الخاتمة .. وبالتالي فإنّ الجزم على أنّها في النار لأنّها لم تتبّع منهج الله تعالى الذي أنزله على
رسوله ، هو هراءٌ ينقضه القرآن الكريم والعقل والمنطق .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (١٦٢٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ زَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ فَقَالَ اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ

أحمد (٢١٩٣٩) :

حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ جَابِرٍ عَنْ سِمَاكِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بَوْدَانَ قَالَ مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ فَانْطَلِقَ ثُمَّ جَاءَنَا وَهُوَ سَقِيمٌ فَقَالَ إِنِّي آتَيْتُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ فَسَأَلْتُ رَبِّي الشَّفَاعَةَ فَمَنْعَنِيهَا وَإِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَكُلُوا وَأَمْسِكُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْأَشْرِبَةِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فَاشْرَبُوا فِيمَا بَدَأَ لَكُمْ

النسائي (٢٠٠٧) :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ زَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ وَقَالَ اسْتَأذَنْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأذَنْتُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْمَوْتَ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من شرح سنن النسائي للسندي فيما يخص هذا

الحديث :

]] لكن من يقول بنجاة الوالدين لهم ثلاث مسالك في ذلك ، مسلك أنهما ما

بلغتهما الدعوة ولا عذاب على من لم تبلغه الدعوة لقوله تعالى { وما كنا معذبين } إلخ ،

فعل من سلك هذا المسلك يقول في تأويل الحديث أن الاستغفار فرع تصوير الذنب وذلك

في أوان التكليف ولا يعقل ذلك فيمن لم تبلغه الدعوة فلا حاجة إلى الاستغفار لهم فيمكن

أنه ما شرع الاستغفار إلا لأهل الدعوة لا لغيرهم وإن كانوا ناجين ، وأما من يقول بأنهما أحياها له صلى الله تعالى عليه وسلم فأما به فيحمل هذا الحديث على أنه كان قبل الإحياء ، وأما من يقول بأنه تعالى يوفقهما للخير عند الامتحان يوم القيامة فهو يقول بمنع الاستغفار لهما قطعاً فلا حاجة له إلى تأويل ، فاتضح وجه للحديث على جميع المسالك والله تعالى أعلم . [] ..

ما هي الذنوب والمعاصي التي ارتكبتها أم النبي ﷺ حتى يدخلوها النار ، وماذا تُفيد التأويلات والتخریجات مع الحديثين التاليين ..

أحمد (٣٥٩٨) :

حَدَّثَنَا عَارِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَكَمِ الْبُنَائِيُّ عَنْ عُمَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ جَاءَ ابْنًا مُلَيْكَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أُمَّنَا كَانَتْ تُكْرِمُ الرَّوْجَ وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَلَدِ قَالَ وَذَكَرَ الضَّيْفَ غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ وَأَدَّتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ أُمُّكُمْ فِي النَّارِ فَادْبَرَا وَالشَّرُّ يَرَى فِي وُجُوهُمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَدًّا فَرَجَعَا وَالشُّرُورُ يَرَى فِي وُجُوهُمَا رَجِيًّا أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ شَيْءٌ فَقَالَ أُمِّي مَعَ أُمُّكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَمَا يُغْنِي هَذَا عَنْ أُمَّهِ شَيْئًا وَنَحْنُ نَطَأُ عَقْبِيهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَمْ أَرِ رَجُلًا قَطُّ أَكْثَرَ سُؤَالَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ وَعَدَكَ رَبُّكَ فِيهَا أَوْ فِيهِمَا قَالَ فَظَنَّ أَنَّهُ مِنْ شَيْءٍ قَدْ سَمِعَهُ فَقَالَ مَا سَأَلْتُهُ رَبِّي وَمَا أَطْمَعَنِي فِيهِ وَإِنِّي لَأَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ وَمَا ذَاكَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودُ قَالَ ذَاكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ عُرَاءَ حُفَاةٍ غُرْلًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَكْسَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ اكْسُوا خَلِيلِي فَيُؤْتَى بِرِبِطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ فَلْيَلْبِسْهُمَا ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ ثُمَّ أُوتِيَ بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسُهَا فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي يَغْبِطُنِي بِهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ قَالَ وَبُفْتُحْ نَهْرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُ مَا جَرَى مَاءٌ قَطُّ إِلَّا عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ قَالَ حَالُهُ الْمَيْسُ وَرَضْرَاضُهُ التُّومُ قَالَ الْمُنَافِقُ لَمْ أَسْمَعْ كَالْيَوْمِ قَلَّمَا جَرَى مَاءٌ قَطُّ عَلَى حَالٍ أَوْ رَضْرَاضٍ إِلَّا كَانَ لَهُ نَبْتَةٌ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَهُ نَبْتُ قَالَ نَعَمْ

قُضِبَانُ الذَّهَبِ قَالَ الْمُنَافِقُ لَمْ أَسْمَعْ كَالْيَوْمِ فَإِنَّهُ قَلَّمَا نَبَتَ قَضِيبٌ إِلَّا أَوْرَقَ وَإِلَّا كَانَ لَهُ ثَمَرٌ
 قَالَ الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ ثَمَرٍ قَالَ نَعَمْ أَلْوَانُ الْجَوْهَرِ وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ
 وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ إِنْ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَشْرَبًا لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ وَإِنْ حُرِمَهُ لَمْ يَرَوْ بَعْدَهُ

أحمد (١٥٦٠٠) :

قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ وَكَيْعِ بْنِ عُدُسٍ عَنْ
 أَبِي رَزِينٍ عَمِّهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أُمِّي قَالَ أُمُّكَ فِي النَّارِ قَالَ قُلْتُ فَأَيْنَ مَنْ مَضَى
 مِنْ أَهْلِكَ قَالَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أُمُّكَ مَعَ أُمِّي قَالَ أَبِي الصَّوَابُ حَدُّسٌ

سنتابع إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة مزيداً من تبيين التناقض بين بعض الروايات ،
 وكيف أن فرضها على الأمة على أنها جميعها صحيحة هو أكبر إساءة للسنة الشريفة
 ولنهج الله تعالى ..

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة الثامنة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

إنّ وفاءنا وحبنا للذين حملوا - من الأجيال الأولى - على عاتقهم رسالة الإسلام إلى البشرية ، لا يكون بتحويلهم إلى أصنام ، ولا بتحنيط مستقبل فكر الأمة بمادة خصوصياتهم التاريخية ، بل يكون بالعمل على تحقيق ما يريد الله تعالى ، وفق ما يحمله كتابه الكريم لحضارتنا التي نعيشها .. ولو قدّر لهم أن ينهضوا من قبورهم ويعيشوا في هذا العصر ، فسيروا في القرآن الكريم ما لم يروه في عصرهم ، وسيكونون أول من يُحاربُ جعلَ تاريخهم واجتهاداتهم وراهم منهجاً بديلاً عن منهج الله تعالى ..

.. علينا أن نسأل أنفسنا السؤال التالي : هل صبغنا أنفسنا بصبغة الإسلام الذي يحمله القرآن الكريم ، أم أننا صبغنا مفهومنا للإسلام والإيمان بسواد ذاتيتنا السلبية ؟ .. هل نعتنق منهج الله تعالى كما يريد الله تعالى ، أم أننا نرسم صورته بألوان عصبياتنا القبليّة ، لنتمزق مذاهب لا نهاية لها ؟ ..

حينما يُكوّر كلُّ مذهبٍ فكريٍّ في هذه الأمة الفكر الإسلاميّ في قلبه الخاصّ به ، ويطبعه بألوانه المذهبيّة التي تميّزه ، حين ذلك لن يكون الفكر الإسلاميُّ أكثرَ من كرة قدمٍ

، في مباراةٍ لاعبوها المذاهبُ ذاتها ، وحكامُها أعداءُ الأمة ، والخاسرُ فيها هو هذه الأمة

..

إنَّه التاريخُ ذاته .. إنَّهم الرجالُ ذاتهم ، إنَّها السننُ ذاتها .. وما يتبدَّل - مع الزمان والمكان - هو إرادةُ التغيير ، وصدقُ أتباعِ المنهج ، وقوَّةُ العزيمة في العمل الصادق .. علينا أن نعلمَ ماذا نريد من عواطفنا الجياشة ، هل نبحت عن صنمٍ نربطه بالتاريخ لينهض بنا فكراً وحضارةً ، معتقدين أنَّ التغييرَ لن يكونَ إلَّا بالرجل المنتظر الذي يقرب - بلحظةٍ ما - الهزيمة إلى نصرٍ ، والتخلُّفَ الحضاريَّ إلى سبقٍ نتجاوز به الأمم .. أم أننا نبحت عن فكرٍ سليمٍ مستمدٍّ من منهجِ الله تعالى ، يسمو بأنفسنا إلى التغيير المنشود ، تطبيقاً لقول الله تعالى .. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ١١ ﴾ [الرعد : ١١]

إنَّ السننَ الكونيَّةَ لا تتغيَّر ، ونحن بعواطفنا الهوجاء نبحت عن تغييرٍ لهذه السنن ، بدلاً من البحث عن تغييرٍ في نفوسنا ، عبر التدبُّر السليم لكتاب الله تعالى ، وعبر العمل الصادق ، وعبر الأخذ بسنن الانبعاث الحضاري ..

إذا كان كلامُ الله تعالى وقوله (القرآن الكريم) يأمرنا الله تعالى بتدبُّره ، فكيف يُحظرُ علينا تدبُّرُ أحداثٍ تاريخيَّةٍ وقعت مع بشرٍ يخطئون ويصيبون؟! .. أليس هذا الحظرُ دليلاً على أنَّ هؤلاء - في معيار من ينادي بحظر قراءة التاريخ مجردة - أصنامٌ تاريخيَّة .. !!؟

وإذا كان التدبُّر المجرَّد للتاريخ سيقودنا إلى الفتنة ، كما يزعم الذين ينادون بحظر هذا التدبُّر ، فنحن كأمةٍ - بمنظارهم - أقلُّ من أن نكون أصحابَ عقول ، وبالتالي لا ننتهي لأمةٍ يأمرها الله تعالى بالتعقل والتفكير والتدبُّر في الكثير من آيات كتابه الكريم ..

.. ألم يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ ومن بعده كلَّ حاملٍ لمنهج الله تعالى ، بقوله :

﴿ **وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَنَنْ تَجِدَ مِنْ**

دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٧ ﴾ [الكهف : ٢٧]

إن أقرب كلمة إلى كلمة **﴿ مُلْتَحِدًا ﴾** هي كلمة مرجع .. ولو عدنا إلى جميع مشتقات الجذر (ل ، ح ، د) في كتاب الله تعالى ، لرأينا ذلك واضحاً جلياً ..

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ ۝٤٣﴾

سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأعراف : ١٨٠]

فالعبرة **﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ ﴾** تعني : يرجعون عن الحق في أسمائه جلّ وعلا انحرافاً عنها .. وبالتالي فالإلحاد يحمل معنى الرجوع .. وهذا المعنى لمشتقات هذا الجذر اللغوي نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ۖ

أَعْجَمِي ۗ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿ [النحل : ١٠٣]

فالعبرة القرآنية **﴿ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾** تحمل معنى يرجعون إليه في قصدهم .. وهذا المعنى لمشتقات هذا الجذر اللغوي نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ

يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ [فصلت : ٤٠]

فالعبرة القرآنية **﴿ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾** تعني : يرجعون منحرفين عن الحق .. وهذا

المعنى نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿

[الحج : ٢٥]

فالعبرة القرآنية **﴿ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ﴾** تعني : يُرِدْ فِيهِ بِالرَّجُوعِ عَنِ الْحَقِّ

وَالْقَصْدِ بِظُلْمٍ .. وَهَذَا الْمَعْنَى نَرَاهُ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ..

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الجن : ٢٢]

فكلمة ﴿ مُلْتَحَدًا ﴾ تعني : مرجعاً يتم اللجوء إليه والاحتراز فيه .. وهذا هو المعنى

ذاته الذي نراه في الآية الكريمة ..

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ

دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

فإذا كان النبي ﷺ ذاته ليس له مرجع يلجأ إليه إلا كتاب الله تعالى ، فماذا لنا نحن

من بعده ؟!!! .. من هنا نرى كيف أن رفع الروايات المتناقضة - وغير المتناقضة - إلى

مستوى كتاب الله تعالى ، هو اعتبار هذه الروايات ﴿ مُلْتَحَدًا ﴾ يحول بيننا وبين كتاب

الله تعالى .. فالتناقض الذي تحمله الروايات يُصبح منظاراً لكتاب الله تعالى ، فتضيع

الحقيقة ، ويصبح التليس منهجاً يتم فرضه على الأمة ، وتزداد وتيرة تقديسه مع الزمن

على حساب كتاب الله تعالى ..

.. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (١١٥١) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ

وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي

ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ فِي حَدِيثٍ وَكَيْعٍ قَالَ

قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ لِمَ فَعَلَ ذَلِكَ قَالَ كَيْ لَا يُحْرَجَ أُمَّتُهُ وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ قِيلَ لِابْنِ

عَبَّاسٍ مَا أَرَادَ إِلَى ذَلِكَ قَالَ أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرَجَ أُمَّتُهُ

مسلم (١١٥٤) :

و حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الرَّهْرَانِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْخَرِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

شَقِيقٍ قَالَ خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَبَدَتِ النُّجُومُ وَجَعَلَ

النَّاسُ يَقُولُونَ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَا يَفْتَرُ وَلَا يَنْتَنِي الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ
فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَتَعَلَّمَنِي بِالسُّنَّةِ لَا أُمَّ لَكَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ فَحَاكَ فِي صَدْرِي مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ فَأَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فَسَأَلْتُهُ فَصَدَّقَ مَقَالَتَهُ

سنن الترمذي (١٧٢) :

حَدَّثَنَا هَنَادٌ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَبَيْنَ
الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ قَالَ فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا أَرَادَ بِذَلِكَ قَالَ
أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرَجَ أُمَّتُهُ وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ قَدْ رُوِيَ
عَنْهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيُّ وَقَدْ رُوِيَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ هَذَا

سنن أبي داود (١٠٢٥) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ
عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرِ
وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ فَقِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا أَرَادَ إِلَى
ذَلِكَ قَالَ أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرَجَ أُمَّتُهُ

ولننظر في النص التالي من كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخص هذا

الحديث :

]] وتأوله بعضهم على أن يكون ذلك في حال المر ح . قال ابن المنذر : ولا

معنى لحمل الأمر فيه على عذر من الأعداء لأن ابن عباس قد أخبر بالعلة فيه وهو قوله

: " أراد أن لا يحرج أمتة " وقد اختلف الناس في ذلك فرخص فيه عطاء بن أبي رباح

للمريض في الجمع بين الصلاتين ، وهو قول مالك وأحمد بن حنبل . وقال أصحاب

الرأي : يجمع المريض بين الصلاتين إلا أنهم أباحوا ذلك على شرطهم في جمع المسافر بينهما ، ومنع ذلك الشافعي في الحضر إلا للممطور [] ..
.. ولتتابع النظر في الأحاديث التي تذهب هذا المذهب ..

مسند أحمد (١٨٥٢) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِالْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَرٍ قَبِيلَ لِبْنِ عَبَّاسٍ وَمَا أَرَادَ إِلَيَّ ذَلِكَ قَالَ أَرَادَ أَنْ لَا يُخْرِجَ أُمَّتَهُ

مسند أحمد (٣٠٦٥) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي صَالِحٌ مَوْلَى النَّوَّامَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي غَيْرِ مَطَرٍ وَلَا سَفَرٍ قَالُوا يَا أَبَا عَبَّاسٍ مَا أَرَادَ بِذَلِكَ قَالَ التَّوَسُّعَ عَلَى أُمَّتِهِ

مسند أحمد (٣٢٢٣) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَنْبَاءَنَا لَيْثٌ عَنْ طَاوُسٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ

.. أحاديث كثيرة تحمل حكماً واضحاً جلياً لا يمكن تأويله خارج دلالاته الواضحة ، وهو أن النبي ﷺ جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في السفر والحضر ، وفي غير مطر ، وفي غير خوف ، وذلك توسعة على الأمة .. بعد ذلك نرى حديثاً يحمل خلافاً لذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

سنن أبي داود (١٦٥٠) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ أَنَّ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زِيَادٍ وَأَبَا عَوَانَةَ وَأَبَا مُعَاوِيَةَ حَدَّثُوهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ عِمَارَةَ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا لَوْقَتِهَا إِلَّا بِجَمْعٍ فَإِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ وَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنَ الْغَدِ قَبْلَ وَقْتِهَا

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من شرح هذا الحديث ، وذلك في عون المعبود في

شرح سنن أبي داود :

]] وقد يحتج أصحاب أبي حنيفة بهذا الحديث على منع الجمع بين

الصلاتين في السفر لأن ابن مسعود من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبره أنه ما رآه يجمع إلا في هذه الليلة . ومذهب الجمهور جواز الجمع في جميع الأسفار المباحة التي يجوز فيها القصر ، والجواب عن هذا الحديث أنه مفهوم ، وهم لا يقولون به ، ونحن نقول بالمفهوم ولكن إذا عارضه منطوق قدمناه على المفهوم ، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بجواز الجمع ثم هو متروك الظاهر بالإجماع في صلاتي الظهر والعصر بعرفات . انتهى كلامه]] ..

.. ولننظر - أيضاً - في الحديثين التاليين ..

الترمذي (١٧٣) :

حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلْفِ الْبَصْرِيِّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَدَّثَنَا عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ فَقَدْ أَتَى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْكِبَائِرِ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَحَدَّثَنَا هَذَا هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّحْبِيُّ وَهُوَ حُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ ضَعْفُهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِلَّا فِي السَّفَرِ أَوْ بِعَرَفَةَ وَرَخَّصَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ لِلْمَرِيضِ وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي الْمَطَرِ وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَلَمْ يَرَ الشَّافِعِيُّ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ

سنن النسائي (٦٠٤) :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ عُمَارَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ

عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ صَلَاتَيْنِ إِلَّا بِجَمْعٍ وَصَلَّى

الصُّبْحَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ وَقْتِهَا

وهنا نسأل السؤال التالي : هل هذه الروايات المتناقضة يستطيع أيُّ إنسانٍ عاقلٍ يحترم عقله مدركا الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيَّة ، أن يصل من خلالها إلى نتيجة ؟!!! .. فمن هذه المتناقضات نُدرِك السببَ الأوَّل في تشرذم الأمة إلى مذاهب وطوائف ، كلُّ منها يتمترس خلف مجموعة من هذه الروايات ، ليختلف مع غيره المتمترس خلف روايات أُخرى مناقضة .. وبالنتيجة تغييب دلالات كتاب الله تعالى ولنأخذ مسألة أُخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

سنن ابن ماجة (١١٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّ كَانَ الْمُؤَدِّنُ لِيُؤَدِّنَ عَلِيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَى أَنَّهَا الْإِقَامَةُ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ فَيُصَلِّي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ

أحمد (١٣٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ الْمُؤَدِّنُ إِذَا أَتَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ حَتَّى يَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ كَذَلِكَ يَعْنِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَدَانِ وَالْإِقَامَةِ إِلَّا قَرِيبٌ

أحمد (١٣٤٩٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلِيَّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ إِنَّ كَانَ الْمُؤَدِّنُ لِيُؤَدِّنَ عَلِيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَى أَنَّهَا الْإِقَامَةُ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ فَيُصَلِّي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ

روايات صريحة في صلاة الركعتين قبل المغرب .. والرواية التالية تؤكد ذلك ..

النسائي (٥٧٨) :

أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُفَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ

عَيْسَى قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ أَبَا الْخَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيَّ قَامَ لِيَرْكَعَ رُكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ فَقُلْتُ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ انْظُرْ إِلَى هَذَا أَيَّ صَلَاةٍ يُصَلِّي فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَرَأَاهُ فَقَالَ هَذِهِ صَلَاةٌ كُنَّا نُصَلِّيهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. فالعبارة [[هَذِهِ صَلَاةٌ كُنَّا نُصَلِّيهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]

تبيّن أنّ الركعتين قبل المغرب كانت تُصَلَّى على عهد النبي ﷺ .. بينما في الرواية التالية نرى تراجعاً في متنها ما بين أنّها كانت تُصَلَّى على عهد النبي ﷺ وبين أنّها كانت تُصَلَّى ولكن ليس على عهده ﷺ ..

أحمد (١١٨٦١) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي فَزَّارَةَ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا عَنْ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ قَالَ كُنَّا نَبْتَدِرُهُمَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شُعْبَةُ ثُمَّ قَالَ بَعْدُ وَسَأَلْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فَقَالَ كُنَّا نَبْتَدِرُهُمَا وَلَمْ يَقُلْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. وفي الرواية التالية نرى أنّ النبي ﷺ لم يأمر بهاتين الركعتين ولم ينه عنهما ..

سنن أبي داود (١٠٩٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْبَرَّازُ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ صَلَّيْتُ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ لِأَنَسٍ أَرَأَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ رَأَانَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا

.. وفي الرواية التالية نرى أنّه لم يكن أحداً يصلّيها على عهد النبي ﷺ ..

سنن أبي داود (١٠٩٢) :

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ سُئِلَ ابْنُ عَمْرٍو عَنْ الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيهِمَا وَرَخَّصَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ هُوَ شُعَيْبٌ يَعْنِي وَهُمْ شُعْبَةٌ فِي اسْمِهِ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب : عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما

يخصّ هذا الحديث :

[[..... وقال ابن حزم : سنده لا يصح لأنه عن أبي شعيب أو شعيب ولا يدري

من هو انتهى . وعندني أن هذا الحديث وهم من شعيب الراوي عن طاووس ، وتفرد

بروايته عن طاووس ، وكيف تصح هذه الرواية وقد روى جماعة من الصحابة كعبد الله

بن مغفل وأنس وعقبة بن عامر وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أن في ذلك لمن

أراد أن يصلي وفعل في عهده بحضوره فلم يبه عنه . وقد روى عن جماعة من الصحابة

والتابعين أنهم كانوا يصلون قبل المغرب ركعتين]]

.. ولننظر في الرواية التالية لنرى كيف اختلفوا في هذه المسألة ..

الترمذي (١٧٠) :

حَدَّثَنَا هَنَادٌ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ كَهْمَسِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

مُغْفَلٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ بَيْنَ كُلِّ أَدَانَيْنِ صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ

اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ اِخْتَلَفَ

أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ يَرِ بَعْضُهُمُ الصَّلَاةَ قَبْلَ

الْمَغْرِبِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا

يُصَلُّونَ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ الْأَدَانِ وَالْإِقَامَةِ وَقَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ إِنْ صَلَّاهُمَا

فَحَسَنٌ وَهَذَا عِنْدَهُمَا عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي فيما

يخصّ هذا الحديث :

[[..... وفي الصحيحين عن عبد الله بن مغفل قال . قال النبي صلى الله عليه

وسلم : صلّوا قبل صلاة المغرب ركعتين . قال في الثالثة لمن شاء كراهية أن يتخذها الناس سنة كذا في المشكاة . والحديث دليل على جواز الركعتين بعد أذان المغرب وقبل صلاته وهو الحق ، والقول بأنه منسوخ مما لا التفات إليه فإنه لا دليل عليه]]

.. ولننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٨٩) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ عَابِرِ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ الْمُؤَدِّنُ إِذَا أَدَّنَ قَامَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْتَذِرُونَ السَّوَارِيَّ حَتَّى يَخْرُجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ كَذَلِكَ يُصَلُّونَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْمَغْرَبِ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ شَيْءٌ قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جَبَلَةَ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ شُعْبَةَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا قَلِيلٌ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب : فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث :

]] وقال القرطبي وغيره : ظاهر حديث أنس أن الركعتين بعد المغرب وقبل صلاة المغرب كان أمراً أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عليه وعملوا به حتى كانوا يستبقون إليه ، وهذا يدل على الاستحباب ، وكأنّ أصله قوله صلى الله عليه وسلم : " بين كل أذنين صلاة " . وأما كونه صلى الله عليه وسلم لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب ، بل يدل على أنهما ليستا من الرواتب . وإلى استحبابهما ذهب أحمد وإسحاق وأصحاب الحديث ، وروى عن ابن عمر قال : ما رأيت أحداً يصليهما على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء الأربعة وجماعة من الصحابة أنهم كانوا لا يصلونهما . وهو قول مالك والشافعي ، وادّعى بعض المالكية نسخهما فقال : إنما كان ذلك في أوّل الأمر حيث نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، فبيّن لهم بذلك وقت الجواز ، ثم ندب إلى المبادرة إلى المغرب في أوّل وقتها ، فلو استمرت المواظبة على الاشتغال

بغيرها لكان ذلك ذريعة إلى مخالفة إدراك أول وقتها . وتعقب بأن دعوى النسخ لا دليل عليها [] ..

.. ولننظر في الحديث التالي ..

مسلم (١٣٨٢) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ فَضِيلٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ مُحْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ التَّطَوُّعِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَقَالَ كَانَ عُمَرُ يَضْرِبُ الْأَيْدِيَّ عَلَى صَلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَكُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَقُلْتُ لَهُ أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّاهُمَا قَالَ كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا

.. ولننظر في صحيح مسلم بشرح النووي لنرى الاختلاف الناتج عن هذه الروايات

في الركتين بين المغرب وصلاة المغرب :

[] وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب . وفي

المسألة وجهان لأصحابنا أشهرهما : لا يستحب ، وأصحهما عند المحققين ، يستحب لهذه الأحاديث . وفي المسألة مذهبان للسلف واستحبهما جماعة من الصحابة والتابعين من المتأخرين أحمد وإسحاق ، ولم يستحبهما أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وآخرون من الصحابة ومالك وأكثر الفقهاء . وقال النخعي : هي بدعة . وحجة هؤلاء أن استحبابهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها قليلا . وزعم بعضهم في جواب هذه الأحاديث أنها منسوخة ، والمختار استحبابها لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة ، وفي صحيح البخاري عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب ، قال في الثالثة : لمن شاء) وأما قولهم : يؤدي إلى تأخير المغرب فهذا خيال منابذ للسنة فلا يلتفت إليه ، ومع هذا فهو زمن يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها ، وأما من زعم النسخ فهو مجازف ؛ لأن النسخ لا يصار

إليه إلا إذا عجزنا عن التأويل والجمع بين الأحاديث وعلمنا التاريخ ، وليس هنا شيء من ذلك . والله أعلم . []

.. ألا نرى في هذا التأويل ذاته تناقضاً واختلافاً أكبر من التناقض والاختلاف بين الروايات ذاتها؟! .. أيُّ إجماع يتحدثون عنه بخطابات رنانة يقذفونها كالصواعق على أدمغة العوام لسوقهم إلى عبادة أصنام التاريخ ، وذلك في العبارات من هذا التأويل : [] وفي المسألة وجهان لأصحابنا أشهرهما : لا يستحب ، وأصحهما عند المحققين ، يستحب لهذه الأحاديث []؟! .. ألا تبين لنا هذه التأويلات أن هناك اختلافاً بين الصحابة ذاتهم على هذه الجزئيات؟! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. وهنا نسأل السؤال التالي : هل من الممكن لأيِّ فقيه يعتبر - في الوقت ذاته - كلُّ هذه الروايات صحيحة ، هل من الممكن أن يصل إلى أيِّ أمرٍ بين في هذه المسألة؟! .. من هنا نرى سبب التشرذم إلى مذاهب وطوائف مختلفة ، كلٌّ منها يأخذ ببعض هذه الروايات المتناقضة ، والتي يؤخذ بنقيضها مذهبٌ آخر مخالف ، وهكذا تتشردم الأمة بناءً على هذه الروايات المتناقضة ، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون .. ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الروايات التالية ..

الترمذي (٦٥٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْمُحَارَبِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثٌ لَا يُفْطِرُنَ الصَّائِمَ الْحِجَامَةُ وَالْقِيَاءُ وَالْحَاتِلَامُ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ حَدِيثٌ غَيْرٌ مَحْفُوظٌ وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ وَغَيْرٌ وَاحِدٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ مَرْسَلًا وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ السَّجْزِيَّ يَقُولُ سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فَقَالَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ لَأَبَسَ بِهِ قَالَ وَ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا

يَذُكُرُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيِّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ثِقَةٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ضَعِيفٌ قَالَ مُحَمَّدٌ وَلَا أُرْوِي عَنْهُ شَيْئًا

رواية صريحة في أن الحجامة لا تفتطر الصائم .. بعد ذلك نرى رواية تحمل أمرين

متناقضين تماماً بالنسبة لهذه المسألة ..

الترمذي (٧٠٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعِ النَّيْسَابُورِيُّ وَمَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ وَيَحْيَى بْنُ مُوسَى قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَارِظٍ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَسَعْدِ وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَثُوبَانَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَعَائِشَةَ وَمَعْقِلَ بْنِ سِنَانَ وَيُقَالَ ابْنُ يَسَارٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي مُوسَى وَبِلَالٍ وَسَعْدِ قَالَ أَبُو عِيْسَى وَحَدِيثُ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَذَكَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ وَذَكَرَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ أَصَحُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ ثُوبَانَ وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ لِأَنَّ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ رَوَى عَنْ أَبِي قَلَابَةَ الْحَدِيثَيْنِ جَمِيعًا حَدِيثَ ثُوبَانَ وَحَدِيثَ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَقَدْ كَرِهَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمُ الْحِجَامَةَ لِلصَّائِمِ حَتَّى أَنْ بَعْضَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ احْتَجَمَ بِاللَّيْلِ مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَأَبْنُ عُمَرَ وَبِهَذَا يَقُولُ ابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ أَبُو عِيْسَى سَمِعْتُ إِسْحَقَ بْنَ مَنْصُورٍ يَقُولُ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ مَنْ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ فَعَلِيهِ الْقَضَاءُ قَالَ إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَهَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَقُ حَدَّثَنَا الزُّعْفَرَانِيُّ قَالَ وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ قَدْ رَوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ وَرَوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ وَلَا أَعْلَمُ وَاحِدًا مِنْ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ ثَابِتًا وَلَوْ تَوَقَّى رَجُلٌ الْحِجَامَةَ وَهُوَ صَائِمٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ وَلَوْ احْتَجَمَ صَائِمٌ لَمْ أَرِ ذَلِكَ أَنْ يُفْطَرَهُ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَكَذَا كَانَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ بِيَعْدَادَ وَأَمَّا بِيَصْرَ فَمَالَ إِلَى الرُّخْصَةِ وَلَمْ يَرَ بِالْحِجَامَةِ لِلصَّائِمِ بَأْسًا وَاحْتَجَّ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ فِي حَجَّةٍ

الْوَدَاعِ وَهُوَ مُحْرِمٌ صَائِمٌ

تناقض صريح وبيّن ولا تنفع معه التأويلات .. ولذلك من الطبيعي أن يتم الاختلاف في هذه المسألة .. لننظر في الروايات التالية ..

مالك (٥٨٦) :

و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَحْتَجِمُ وَهُوَ صَائِمٌ ثُمَّ لَا يُفْطِرُ قَالَ وَمَا رَأَيْتُهُ احْتَجَمَ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ صَائِمٌ

مالك (٥٨٤) :

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَحْتَجِمُ وَهُوَ صَائِمٌ قَالَ ثُمَّ تَرَكَ ذَلِكَ بَعْدَ فَكَانَ إِذَا صَامَ لَمْ يَحْتَجِمَ حَتَّى يُفْطِرَ

ولننظر في النصّ التالي من المنتقى شرح موطأ مالك فيما يخصّ هذا الحديث :

[[قوله أنه كان يحتجم وهو صائم ذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور

الفقهاء إلى جواز ذلك وأنه لا يفسد الصوم ، وقال أحمد بن حنبل من احتجم وهو صائم بطل صومه وعليه القضاء دون الكفارة وحكي عن عطاء عليه الكفارة والدليل على ما نقله حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم وهذا نص ودليلنا من جهة القياس أن هذه جراحة فلم يجب بها الفطر للصائم كالفصاد وقد قال الداودي إن ترك الحجامة للصائم أحوط لما رأى في المنع من ذلك من أدلة المخالف وهذا ميل منه إلى قول أحمد والصحيح ما عليه الجمهور]]

.. ولننظر في الروايات التالية ..

أحمد (١٦٤٩٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَفْطَرَ الْحَاجِمِ وَالْمَحْجُومِ

أبو داود (٢٠٢١) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى عَلَى رَجُلٍ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ يَحْتَجِمُ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدَيْ لِنِّمَانٍ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَرَوَى خَالِدُ الْحَدَّاءُ عَنْ أَبِي قَلَابَةَ بِإِسْنَادِ أَيُّوبَ مِثْلَهُ

سنن ابن ماجه (١٦٦٩) :

حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّقِيُّ وَدَاوُدُ بْنُ رَشِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَمَّرُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ

أبو داود (٢٠٢٠) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ هِشَامِ ح وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى عَنْ أَبِي قَلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ يَعْنِي الرَّحْبِيَّ عَنْ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ قَالَ شَيْبَانُ أَخْبَرَنِي أَبُو قَلَابَةَ أَنَّ أَبَا أَسْمَاءَ الرَّحْبِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو قَلَابَةَ الْجَرْمِيُّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ

ولننظر في النصّ التالي من عون المعبود شرح سنن أبي داود فيما يخصّ هذا الحديث ، لنرى بأمّ أعيننا كيف أنّ هذه الروايات المتناقضة لا ينتج عنها إلا التشرذم والاختلاف ، والتمذهب عبر مذاهب متناقضة ، ولنرى بأمّ أعيننا كيف يتمّ الالتفاف على النصوص للإيهام بعدم وجود تناقض بينها ..

]] (قال أفطر الحاجم والمحجوم) : قال الخطابي : اختلف الناس في

تأويل هذا الحديث ، فذهب طائفة من أهل العلم إلى أن الحجامة تفتقر الصائم قولاً بظاهر

الحديث ، هذا قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وقالوا عليهما القضاء وليست عليهما الكفارة . وعن عطاء قال من احتجم وهو صائم في شهر رمضان فعليه القضاء والكفارة . وروي عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يحتجمون ليلاً منهم ابن عمر وأبو موسى الأشعري وأنس بن مالك رضي الله عنهم . وكان مسروق والحسن وابن سيرين لا يرون للصائم أن يحتجم . وكان الأوزاعي يكره ذلك . وقال ابن المسيب والشعبي والنخعي إنما كرهت الحجامة للصائم من أجل الضعف . وممن كان لا يرى بأساً بالحجامة للصائم سفيان الثوري ومالك ابن أنس والشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه . وتأول بعضهم الحديث فقال معنى قوله " أفطر الحاجم والمحجوم أي تعرضاً للإفطار " أما المحجوم فللضعف الذي يلحقه من ذلك إلى أن يعجز عن الصوم ، وأما الحاجم فلا بد من أن يصل إلى جوفه من طعام الدم أو من بعض أجزائه إذا ضم شفتيه على قصب الملازم . وهذا كما يقال للرجل يتعرض للمهالك قد هلك فلان وإن كان باقياً سالماً ، وإنما يراد به قد أشرف على الهلاك . وكقوله صلى الله عليه وسلم " من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين " يريد أنه قد تعرض للذبح ، وقيل فيه وجه آخر وهو أنه مرَّ بهما مساءً فقال أفطر الحاجم والمحجوم كأنه عذرهما بهذا القول إذا كانا قد أمسيا ودخلا في وقت الإفطار ، كما يقال أصبح الرجل وأمسى وأظهر إذا دخل وقت هذه الأوقات وأحسبه قد روى في بعض هذا الحديث . وقال بعضهم هذا على التغليظ لهما والدعاء عليهما كقوله فيمن صام الدهر لا صام ولا أفطر ، فمعنى قوله " أفطر الحاجم والمحجوم " على هذا التأويل أي بطل أجر صيامهما ، فكأنما صارا مفطرين غير صائمين . وقيل أيضاً معناه جاز لهما أن يفطرا ، كقولك أحصد الزرع إن حان أن يحصد ، وأركب المهر إذا حان أن يركب انتهى

.. [[

.. لماذا يتم التمسك بهذه الروايات المتناقضة والمختلف فيها ، في الوقت الذي يبيِّن

الله تعالى فيه في كتابه الكريم أن الصوم هو امتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء ،

وكل ذلك لا علاقة له بالحجامة لا من قريب ولا من بعيد ..

﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ بَشِيرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنِكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (١٥٩١) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سَهِيلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اتَّبَعْتُمْ جَنَازَةً فَلَا تَجْلِسُوا حَتَّى تُوَضَعَ .. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص هذا الحديث ، لنرى الاختلاف والتناقض فيما يخص هذه المسألة ..

]] قال القاضي : اختلف الناس في هذه المسألة ؛ فقال مالك وأبو حنيفة

والشافعي : القيام منسوخ . وقال أحمد وإسحاق وابن حبيب وابن الماجشون المالكيان : هو مخير ، قال : واختلفوا في قيام من يشيعها عند القبر . فقال جماعة من الصحابة والسلف : لا يقعد حتى توضع ، قالوا : والنسخ إنما هو في قيام من مرت به ، وبهذا قال الأوزاعي وأحمد وإسحاق ومحمد بن الحسن ، قال : واختلفوا في القيام على القبر حتى تدفن ، فكرهه قوم وعمل به آخرون]]

تناقضات واختلافات تدور من النقيض إلى نقيضه .. وهذا أمر طبيعي فالركض خلف روايات تاريخية جمعت بعد موته ﷺ بقرون ورفعت هذه الروايات إلى درجة المقدس ، لا ينتج عنه إلا اختلاف وتناقض .. ولننظر في الأحاديث التالية ..

سنن ابن ماجه (١٤٧١) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهَيْشَامُ بْنُ عَمَّارٍ وَسَهْلُ بْنُ أَبِي سَهْلٍ قَالُوا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ
الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ
أَمَامَ الْجَنَازَةِ

أحمد (٤٣١١) :

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ

ابن ماجه (١٤٧٣) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ
عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ
وَعُثْمَانُ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ

.. وفق هذه الروايات كان ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان يمشون أمام الجنائز .. بعد

ذلك لتنظر في الروايات التالية ..

أحمد (٣٥٤٧) :

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى الْجَابِرُ أَبُو الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ أَنَّ أَبَا مَاجِدٍ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ حَدَّثَهُ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ سَأَلْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنِ السَّيْرِ بِالْجَنَازَةِ فَقَالَ السَّيْرُ مَا دُونَ الْخَبَبِ فَإِنْ يَكُ خَيْرًا تُعَجَّلُ إِلَيْهِ أَوْ قَالَ لِتُعَجَّلَ
إِلَيْهِ وَإِنْ يَكُ سُوءًا فَبَعْدًا لِأَهْلِ النَّارِ الْجَنَازَةُ مَتْبُوعَةٌ وَلَا تَتَّبِعُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَقَدَّمَهَا

أحمد (٣٧٤٣) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ أَخْبَرَنَا زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ يَحْيَى التَّمِيمِيِّ عَنْ أَبِي مَاجِدٍ
الْحَنَفِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّيْرِ بِالْجَنَازَةِ فَقَالَ السَّيْرُ
مَا دُونَ الْخَبَبِ فَإِنْ يَكُ خَيْرًا يُعَجَّلُ أَوْ تُعَجَّلُ إِلَيْهِ وَإِنْ يَكُ سُوءًا فَبَعْدًا لِأَهْلِ النَّارِ

الْجِنَازَةُ مُتَّبِعَةٌ وَلَا تَتَّبِعُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَقَدَّمَهَا

أحمد (٣٧٨١) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ يَحْيَى الْجَابِرِ عَنْ أَبِي الْمَاجِدِ الْحَنْفِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّيْرِ بِالْجِنَازَةِ فَقَالَ السَّيْرُ دُونَ الْخَبَبِ فَإِنْ يَكُ خَيْرًا تُعْجَلُ إِلَيْهِ وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَبَعْدًا لِأَهْلِ النَّارِ الْجِنَازَةُ مُتَّبِعَةٌ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَقَدَّمَهَا

أحمد (٣٩٠١) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا حَسَنٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي مَاجِدِ الْحَنْفِيِّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّيْرِ بِالْجِنَازَةِ فَقَالَ مَا دُونَ الْخَبَبِ الْجِنَازَةُ مُتَّبِعَةٌ وَلَيْسَتْ بِتَابِعٍ

وفق هذه الروايات الجنازة متبوعة وليست بتابع .. بعد ذلك نرى روايات تحمل خلافاً لكل ذلك .. لننظر في الروايات التالية ..

سنن ابن ماجه (١٤٧٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ سَمِعَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الرَّكِبُ خَلْفَ الْجِنَازَةِ وَالْمَاشِي مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ

أحمد (١٧٤٥٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ الْحَدَّادُ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ الثَّقَفِيُّ عَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرِ عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّكِبُ خَلْفَ الْجِنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطُّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ

أحمد (١٧٤٦٨) :

حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ قَالَ أَخْبَرَنِي زِيَادُ بْنُ جُبَيْرٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرَّكِبُ خَلْفَ الْجِنَازَةِ وَالْمَاشِي

أَمَامَهَا قَرِيبًا عَنْ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا وَالسَّقَطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ
وَالرَّحْمَةِ

أحمد (١٧٤٩٧) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ وَرَوْحٌ قَالَا حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ قَالَ رَوَى بَنُ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ
حَدَّثَنِي عَمِّي زِيَادُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَالَ وَكَيْعٌ عَنْ زِيَادِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ
شُعْبَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّكِبُ خَلْفَ الْجِنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ
مِنْهَا وَالطُّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ

متناقضات لا يمكن من خلالها الوصول إلى حكمٍ بينٍ في هذه المسألة ..
ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

ابن ماجه (١٥٠٦) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ ابْنِ أَبِي ذُنُبٍ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جِنَازَةً فِي الْمَسْجِدِ فَلَيْسَ لَهُ
شَيْءٌ

أحمد (١٠١٥٧) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي ذُنُبٍ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جِنَازَةً فِي الْمَسْجِدِ فَلَا شَيْءَ لَهُ

أحمد (٩٣٥٣) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُنُبٍ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جِنَازَةً فِي الْمَسْجِدِ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ

روايات واضحة صريحة في أن من صَلَّى على جنازة في المسجد فليس له شيء ..
وحينما نقرأ هذه الروايات - وغيرها - إنما نفهم دلالاتها من خلال صياغتها اللغوية
وليس من خلال ما يتم تأويله بكلام لا وجود له إلا في جيوب من لم ولن ينصاعوا لحق
.. بعد ذلك نرى روايات تحمل خلافاً لذلك .. لننظر في الروايات التالية ..

أحمد (٢٤١٨٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ
بْنِ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا أُرْسِلَتْ هِيَ وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ
سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ مَرُّوا بِهِ عَلَيْنَا فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى عَلَيْهِ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَأَتَكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنَ النَّاسِ حِينَ يُنْكَرُونَ هَذَا
فَوَاللَّهِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَهْلِ بْنِ بَيْضَاءٍ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ

النسائي (١٩٤١) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ
الوَاحِدِ بْنِ حَمْرَةَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَهِيلِ ابْنِ بَيْضَاءٍ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ

سنن أبي داود (٢٧٧٤) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَجَلَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبَّادٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَهِيلِ ابْنِ الْبَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ

سنن ابن ماجه (١٥٠٧) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ صَالِحِ
بْنِ عَجَلَانَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَهِيلِ ابْنِ بَيْضَاءٍ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ قَالَ ابْنُ مَاجَةَ حَدِيثُ عَائِشَةَ أَقْوَى

أحمد (٢٣٣٥٨) :

حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ
عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا تُوِّفِيَ سَعْدٌ وَأَتَى بِجِنَازَتِهِ أَمَرَتْ بِهِ عَائِشَةُ أَنْ يَمُرَّ بِهِ عَلَيْهَا فَشَقَّ بِهِ فِي

الْمَسْجِدِ فَدَعَتْ لَهُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى الْقَوْلِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنِ بَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ
أحمد (٢٣٨٦٥) :

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ عَجَلَانَ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّادٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَمَرَتْ بِجِنَازَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ تَمُرَّ عَلَيْهَا فِي الْمَسْجِدِ فَبَلَّغَهَا أَنْ قِيلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى الْقَوْلِ وَاللَّهِ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ
أحمد (٢٥٠٤٤) :

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ قَالَ أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ عَنْ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ
موطأ مالك (٤٨٤) :

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا أَمَرَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمَسْجِدِ حِينَ مَاتَ لِتَدْعُوَ لَهُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَقَالَتْ عَائِشَةُ مَا أَسْرَعَ النَّاسَ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ
مسلم (١٦١٥) :

و حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ قَالَ عَلِيُّ حَدَّثَنَا وَقَالَ إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ حَمْرَةَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَمَرَتْ أَنْ يَمُرَّ بِجِنَازَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْمَسْجِدِ فَتُصَلَّى عَلَيْهِ فَأَنْكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ مَا أَسْرَعَ مَا نَسِيَ النَّاسُ مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ هذا الحديث لنرى التناقضات والاختلافات الناتجة عن الروايات المختلفة والمتناقضة في متونها :

]] وفي هذا الحديث دليل للشافعي والأكثرين في جواز الصلاة على الميت في المسجد ، وممن قال به أحمد وإسحاق ، قال ابن عبد البر : ورواه المدنيون في الموطأ عن مالك ، وبه قال ابن حبيب المالكي ، وقال ابن أبي ذئب وأبو حنيفة ومالك على المشهور عنه : لا تصح الصلاة عليه في المسجد بحديث في سنن أبي داود (من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له) ودليل الشافعي والجمهور حديث سهيل بن بيضاء ، وأجابوا عن حديث سنن أبي داود بأجوبة . أحدها : أنه ضعيف لا يصح الاحتجاج به ، قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف تفرد به صالح مولى التوأمة ، وهو ضعيف . والثاني : أن الذي في النسخ المشهورة المحققة المسموعة من سنن أبي داود " ومن صلى على جنازة في المسجد فلا شيء عليه " ولا حجة لهم حينئذ فيه . الثالث : أنه لو ثبت الحديث وثبت أنه قال : " فلا شيء " لوجب تأويله على " فلا شيء عليه " ليجمع بين الروايتين وبين هذا الحديث وحديث سهيل بن بيضاء ، وقد جاء (له) بمعنى (عليه) ، كقوله تعالى : { وإن أسأتم فلها } . الرابع : أنه محمول على نقص الأجر في حق من صلى في المسجد ورجع ولم يشيعها إلى المقبرة لما فاتته من تشييعه إلى المقبرة وحضور دفنه . والله أعلم .. **[[.....**

.. حتى يتمّ ذرّ الرماد في الأعين لعدم الاعتراف بأنّ هذه الروايات متناقضة ، لم يجدوا بديلاً عن القول بأنّ كلمة **]] (له) بمعنى (عليه) [[** ، ولم يجدوا بديلاً عن إغماض الأعين عن التناقض بين القول **]] والأكثرين في جواز الصلاة على الميت في المسجد [[** وبين القول **]] وقال ابن أبي ذئب وأبو حنيفة ومالك على المشهور عنه : لا تصح الصلاة عليه في المسجد بحديث في سنن أبي داود (من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له)** ودليل الشافعي والجمهور حديث سهيل بن بيضاء **[[..** متناقضات لا يجمع بينها جامع

.. !!!

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الروايات التالية ..

مسلم (٣٢٠٦) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا دَاوُدُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُ مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ فَاِحِشَةً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ فَرَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَارًا قَالَ ثُمَّ سَأَلَ قَوْمَهُ فَقَالُوا مَا نَعْلَمُ بِهِ بِأَسَا إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ شَيْئًا يَرَى أَنَّهُ لَا يُخْرِجُهُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يُقَامَ فِيهِ الْحَدُّ قَالَ فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرْنَا أَنْ نَرْجُمَهُ قَالَ فَاِنطَلَقْنَا بِهِ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ قَالَ فَمَا أَوْثَقْنَاهُ وَلَا حَفَرْنَا لَهُ قَالَ فَرَمَيْنَاهُ بِالْعَظْمِ وَالْمَدْرِ وَالْخَرْفِ قَالَ فَاشْتَدَّ وَاشْتَدَدْنَا خَلْفَهُ حَتَّى أَتَى عَرْضَ الْحَرَّةِ فَاِنْتَصَبَ لَنَا فَرَمَيْنَاهُ بِجَلَامِيدِ الْحَرَّةِ يَعْنِي الْحِجَارَةَ حَتَّى سَكَتَ قَالَ ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاطِبِيًّا مِنَ الْعَشِيِّ فَقَالَ أَوْ كَلَّمَا اِنطَلَقْنَا غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَخَلَّفَ رَجُلٌ فِي عِيَالِنَا لَهُ نَيْبِبٌ كَنْبِيبِ النَّيْسِ عَلَيَّ أَنْ لَا أُوتَى بِرَجُلٍ فَعَلَّ ذَلِكَ إِلَّا نَكَلْتُ بِهِ قَالَ فَمَا اسْتَغْفَرَ لَهُ وَلَا سَبَّهُ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا بِهِزُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَ مَعْنَاهُ وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَشِيِّ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ إِذَا غَزَوْنَا يَتَخَلَّفُ أَحَدُهُمْ عَنَّا لَهُ نَيْبِبٌ كَنْبِيبِ النَّيْسِ وَلَمْ يَقُلْ فِي عِيَالِنَا وَحَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ كِلَاهُمَا عَنْ دَاوُدَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ بَعْضَ هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ أَنْ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ فَاَعْتَرَفَ بِالزُّنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

مسلم (٣٢٠٧) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَعْلَى وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيُّ عَنْ غَيْلَانَ وَهُوَ ابْنُ جَامِعِ الْمُحَارِبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي فَقَالَ

وَيَحِكْ أَرْجِعْ فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَحِكْ أَرْجِعْ فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَ أَطَهَّرَكَ فَقَالَ مِنَ الزَّنَى فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِيهِ وَسَلَّمَ أَبَاهُ جُنُونٌ فَأَخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ أَشْرَبَ خَمْرًا فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَنْيْتَ فَقَالَ نَعَمْ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيبَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلُ مِنْ تَوْبَةِ مَا عَزِزَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ أَقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ فَلْيُثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ قَالَ ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهَّرْنِي فَقَالَ وَيَحِكْ أَرْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزِزَ بِنِ مَالِكٍ قَالَ وَمَا ذَلِكَ قَالَتْ إِنَّهَا حُبَلِي مِنَ الزَّنَى فَقَالَ أَنْتِ قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ لَهَا حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِكَ قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَآتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ الْغَامِدِيَّةَ فَقَالَ إِذَا لَا تُرْجِمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا

مسلم (٣٢٠٨) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ ح وَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَتَقَارَبَا فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ الْمُهَاجِرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ مَا عَزِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي فَرَدَّهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَتَاهُ

فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالُوا مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِي الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَ فِيمَا نُرَى فَأَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ قَالَ فَجَاءَتْ الْعَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْعُدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدُّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عَزَا فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحُبْلَى قَالَ إِمَّا لَا فَادْهَبِي حَتَّى تَلِدِي فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي حُرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ قَالَ اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ مَهَلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ

في هذه الروايات نرى أن ماعزاً هو من أتى إلى النبي ﷺ وقال له إنني أصبت فاحشة طالباً إقامة الحدِّ عليه ، وذلك في نصوص صريحة وواضحة وبيّنة .. بعد ذلك نرى في صحيح مسلم ذاته أن النبي ﷺ هو من يسأل ماعزاً عن وقوعه بالجارية .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٣٢٠٥) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ قَالََا حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ سِمَاكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ قَالَ وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي قَالَ بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلَانٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ

وفق هذه الرواية ، النبي ﷺ يسأل ماعزاً عن مسألة وقوعه بجارية ، وما نراه أن ماعزاً

لم يكن يعلم أن النبي ﷺ يعلم بهذه المسألة ، وذلك بدليل العبارة [] أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ أَحَقُّ مَا بَلَّغَنِي عَنْكَ قَالَ وَمَا بَلَّغَكَ عَنِّي قَالَ بَلَّغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلَانٍ قَالَ نَعَمْ]] ، فالعبارة التي نطق بها ماعز [[وَمَا بَلَّغَكَ عَنِّي]] جليّة في أنّ ماعزاً لم يكن يعلم عن ماذا يسأله ﷺ .. هكذا يُدرك من هذه الرواية كلّ من يُدرك الحدّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة .. وهذا نقيض ما رأيناه في الروايات السابقة .. وهنا يأتي دور من يدرّون الرماد في الأعين للإيهام بعدم وجود تناقض بين هذه الروايات .. لننظر في النصّ التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ هذا الحديث :

[[قوله صلى الله عليه وسلم لماعز : (أحق ما بلغني عنك ؟ قال : وما بلغك عني ؟

. قال : بلغني عنك أنك وقعت بجارية آل فلان ، قال : نعم ، فشهد أربع شهادات ثم أمر به فرجم) هكذا وقع في هذه الرواية ، والمشهور في باقي الروايات : أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : طهرني) ، قال العلماء : لا تناقض بين الروايات ، فيكون قد جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير استدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في غير مسلم (أن قومه أرسلوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للذي أرسله : " لو سترته بثوبك يا هزال لكان خيراً لك " ، وكان ماعز عند هزال ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لماعز بعد أن ذكر له الذين حضروا معه ما جرى له : أحق ما بلغني عنك ؟) إلى آخره .]] ..

كيف يقولون : [[لا تناقض بين الروايات ، فيكون قد جيء به إلى النبي صلى الله

عليه وسلم من غير استدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم]] !!!؟ ، فإن جيء به إلى النبي ﷺ من غير استدعاء فلماذا نرى العبارات [[مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ فَاحِشَةً فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ فَرَدَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَاراً]] ، ، [[جَاءَ مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ]] ، [[أَنَّ مَا عَزُ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ وَإِنِّي

أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي فَرَدَّهُ [[!!!؟ .. وكيف بنا أن نوفق بين هذه العبارات وبين العبارة الواردة في الحديث الأخير] [أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ قَالَ وَمَا بَلَغَكَ عَنِّي قَالَ بَلَغَنِي أَنَّكَ وَقَعْتَ بِجَارِيَةِ آلِ فُلَانٍ قَالَ نَعَمْ] [!!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لننظر في الروايات التالية ..

مسلم (٣٥٨٣) :

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي نَافِعٌ وَسَالِمٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

البخاري (٣٨٩٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

مسلم (٣٥٨٢) :

و حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كِلَاهُمَا عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا ثَعْلَبَةَ قَالَ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لُحُومَ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

البخاري (٣٩٠١) :

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ أَخْبَرَنَا عَاصِمٌ عَنْ عَامِرٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ أَنْ نُلْقِيَ الْحُمْرَ الْأَهْلِيَّةَ نِيئَةً وَنَضِيجَةً ثُمَّ لَمْ يَأْمُرْنَا بِأَكْلِهِ بَعْدُ

روايات صريحة في تحريم لحوم الحمر الأهلية ، والعبارة [[ثُمَّ لَمْ يَأْمُرْنَا بِأَكْلِهِ بَعْدُ]]

في الحديث الأخير تبين لنا أن هذا التحريم قد استمر ..

وفي الروايات التالية نرى أن هذا التحريم هو لأنها هي بماهيتها محرمة ..

مسلم (٣٥٩٠) :

و حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ
أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُلْقِيَ لُحُومَ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ نَيْئَةً وَنَضِيجَةً ثُمَّ لَمْ
يَأْمُرْنَا بِأَكْلِهِ وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ عَنْ عَاصِمٍ بِهِذَا
الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

البخاري (٢٩٢٢) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي
أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لِيَالِي خَيْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي
الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَانْتَحَرْنَاهَا فَلَمَّا غَلَّتِ الْقُدُورُ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَكْفُوا الْقُدُورَ فَلَا تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمْرِ شَيْئًا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقُلْنَا إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنَّهَا لَمْ تُخَمَّسْ قَالَ وَقَالَ آخَرُونَ حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ وَسَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ
فَقَالَ حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ

البخاري (٥١٠٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ جَاءً فَقَالَ أَكَلْتِ الْحُمْرُ ثُمَّ
جَاءَهُ جَاءً فَقَالَ أَكَلْتِ الْحُمْرُ ثُمَّ جَاءَهُ جَاءً فَقَالَ أَفْنَيْتِ الْحُمْرُ فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي
النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ فَأَكْفَيْتِ الْقُدُورَ
وَإِنَّهَا لَتَفُورٌ بِاللَّحْمِ

مسلم (٣٥٨٦) :

و حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ
الشَّيْبَانِيُّ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى يَقُولًا أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لِيَالِي خَيْبَرَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ
خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَانْتَحَرْنَاهَا فَلَمَّا غَلَّتْ بِهَا الْقُدُورُ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَكْفُوا الْقُدُورَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمْرِ شَيْئًا قَالَ فَقَالَ نَاسٌ إِنَّمَا

نَهَى عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهَا لَمْ تُخَمَّسْ وَقَالَ آخَرُونَ نَهَى عَنْهَا أَلْبَيْتَةَ
 فالعبارة الواردة في الحديث الأخير **[[نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنْ أَكْفَنُوا الْقُدُورَ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ لُحُومِ الْحُمْرِ شَيْئًا]]** وذلك في قوم أصابتهم مجاعة ،
 وإلقاء هذه اللحوم نيئة وناضجة ، والعبارة **[[إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانَكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ
 الْأَهْلِيَّةِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ فَأُكْفِنَتْ الْقُدُورَ وَإِنَّهَا لَتَنْفُورٌ بِاللَّحْمِ]]** في الحديث قبل الأخير بأنها
 رِجْسٌ ، كل ذلك يدل على أن التحريم هو لكونها في ماهيتها مُحَرَّمَةٌ ..
 وفي الحديث التالي وشرحه لأكبر دليل ..

البخاري (٣٨٩٣) :

حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي أَسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ وَسَالِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ وَعَنْ
 لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ نَهَى عَنْ أَكْلِ الثُّومِ هُوَ عَنْ نَافِعٍ وَحَدَّثَهُ وَلُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ عَنْ سَالِمٍ
 ولنظر في النص التالي من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخص هذا
 الحديث ..

**[[..... ويستفاد من الجمع بين النهي عن أكل الثوم ولحوم الحمر جواز
 استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، لأن أكل الحمر حرام وأكل الثوم مكروه ، وقد جمع
 بينهما بلفظ النهي . فاستعمله في حقيقته وهو التحريم ، وفي مجازه هو الكراهة]]** ..
 وفي الأحاديث التالية نرى تحريم لحوم الحمر الأهلية وتحليل لحوم الخيل ..

البخاري (٣٨٩٧) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرٍو عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ
 لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَرَخَّصَ فِي الْخَيْلِ

مسلم (٣٥٩٥) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى قَالَ يَحْيَى

أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْأَخْرَانِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَأَذِنَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ

الدارمي (١٩٠٩) :

أَخْبَرَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَأَذِنَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ

.. بينما في الحديثين التاليين نرى تحريماً للحوم الخيل ، وذلك بما يناقض الحديثين

السابقين ..

أحمد (١٦٢١٥) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ الْخَوْلَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْحِمَاصِيُّ عَنْ صَالِحِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمِقْدَامِ عَنْ ابْنِ الْمِقْدَامِ عَنْ جَدِّهِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الصَّائِفَةَ فَقَرِمَ أَصْحَابِي إِلَى اللَّحْمِ فَقَالُوا أَتَأْذُنُ لَنَا أَنْ نَذْبَحَ رَمَكَةَ لَهُ قَالَ فَحَبَلُوهَا فَقُلْتُ مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ فَاتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ أَصْحَابِي فَقَالَ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي حَظَائِرِ يَهُودٍ فَقَالَ يَا خَالِدُ نَادِ فِي النَّاسِ أَنْ الصَّلَاةَ جَامِعَةً لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُسْلِمٌ ففَعَلْتُ فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا بِالْكُمْ أَسْرَعْتُمْ فِي حَظَائِرِ يَهُودٍ أَلَا لَأَ تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهِدِينَ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ حُمْرُ الْأَهْلِيَّةِ وَالْإِنْسِيَّةِ وَخَيْلُهَا وَبِغَالِهَا وَكُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَكُلُّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ

سنن أبي داود (٣٣١٢) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْمِقْدَامِ عَنْ جَدِّهِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ فَأَتَتْ الْيَهُودُ فَشَكَّوْا أَنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْرَعُوا إِلَيَّ

حَظَائِرِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا لَأَ تَحِلُّ أَمْوَالُ الْمُعَاهِدِينَ إِلَّا بِحَقِّهَا
وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ حُمْرُ الْأَهْلِيَّةِ وَخَيْلُهَا وَبِغَالِهَا وَكُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبَاعِ وَكُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ
الطَّيْرِ

فالعبرة الأخيرة في هذا الحديث [] وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ حُمْرُ الْأَهْلِيَّةِ وَخَيْلُهَا وَبِغَالِهَا وَكُلُّ
ذِي نَابٍ مِنْ السَّبَاعِ وَكُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ [] واضحة وصريحة في تحريم لحوم الخيل ،
ولا تنفع معها التأويلات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ..
وفي الروایتين التاليتين يشكّ ابن عباس في سبب تحريم لحوم الحمر الأهلية ..

البخاري (٣٩٠٢) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ عَاصِمٍ عَنْ عَائِشَةَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَا أَدْرِي أُنْهِيَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ حَمُولَةَ النَّاسِ فَكْرَهُ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ أَوْ حَرَمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ لِحَمِّ
الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

مسلم (٣٥٩١) :

و حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْبُزْجَنِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ
عَاصِمٍ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَا أَدْرِي إِذَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ حَمُولَةَ النَّاسِ فَكْرَهُ أَنْ تَذْهَبَ حَمُولَتُهُمْ أَوْ حَرَمَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ لِحَمِّ
الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

.. بينما في الرواية التالية يأبى ابن عباس رافضاً هذا التحريم ، معيداً المسألة إلى كتاب

الله تعالى ..

البخاري (٥١٠٣) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرُو قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ حُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ قَدْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو
الْغِفَارِيُّ عِنْدَنَا بِالْبَصْرَةِ وَلَكِنْ أَبِي ذَلِكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ

مُحَرَّمًا

فالعبرة الواردة في هذه الرواية [] وَلَكِنَّ أَبِي ذَاكَ الْبَحْرُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَرَأَ قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا [] صريحة في أن ابن عباس أنكر كل ما نسب من تحريم للحوم الحمر الأهلية ، محتجاً بقوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥]

.. وفي الرواية التالية نقرأ ما يشعر بأن تحريم الحمر الأهلية كان نتيجة أن الحمر الأهلية قد أُنفيت ، وذلك بعد أن أبلغ النبي ﷺ ثلاث مرّات ..

البخاري (٣٨٧٨) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ جَاءَ فَقَالَ أَكَلْتُ الْحُمْرُ فَسَكَتَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ أَكَلْتُ الْحُمْرُ فَسَكَتَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ أَفْنَيْتَ الْحُمْرُ فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَأُكْفِيتَ الْقُدُورُ وَإِنَّهَا لَتَقُورُ بِاللَّحْمِ

.. بعد كل ما رأيناه نرى حديثاً صريحاً في عدم تحريم لحوم الحمر الأهلية .. لننظر في

الحديث التالي ..

سنن أبي داود (٣٣١٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ عُبَيْدِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ غَالِبِ بْنِ أَبِي جَعْرَةَ قَالَ أَصَابْتَنَا سَنَةٌ فَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِي شَيْءٌ أُطْعَمُ أَهْلِي إِلَّا شَيْءٌ مِنْ حُمْرٍ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ لُحُومَ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فَاتَّيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابْتَنَا السَّنَةُ وَلَمْ يَكُنْ فِي مَالِي مَا

أَطْعِمُ أَهْلِي إِلَّا سِمَانُ الْحُمُرِ وَإِنَّكَ حَرَمْتَ لَحُومَ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ فَقَالَ أَطْعِمُ أَهْلَكَ مِنْ سَمِينِ حُمُرِكَ فَإِنَّمَا حَرَمْتُمُهَا مِنْ أَجْلِ جَوَالِ الْقَرْيَةِ يَعْنِي الْجَلَّالَةَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا هُوَ ابْنُ مَعْقِلٍ قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَوَى شُعْبَةُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عُبَيْدِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْقِلٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشْرٍ عَنْ نَاسٍ مِنْ مُزَيْنَةَ أَنَّ سَيِّدَ مُزَيْنَةَ أَبَجَرَ أَوْ ابْنَ أَبَجَرَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ مَعْقِلٍ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَحَدُهُمَا عَنْ الْأَخْرِ أَحَدُهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُوَيْمٍ وَالْأَخْرُ غَالِبُ بْنُ الْأَبَجَرَ قَالَ مِسْعَرٌ أَرَى غَالِبًا الَّذِي أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهنا أتوجه إلى كل عاقل يدرك الحد الأدنى من دلالات اللغة العربية فأقول له : هل من الممكن أن نصل إلى نتيجة من اعتبار صحة جميع هذه الروايات في الوقت ذاته ؟!!! .. وأعود لأذكر بما ذكرناه في محطة سابقة ، كيف أن احتجاجهم ببعض الروايات على أن النبي ﷺ يحرم ما لم يحرمه كتاب الله تعالى ، هو احتجاج باطل ، لأن الروايات التي يحتجون بها هي روايات موضوعة تم افتراؤها على النبي ﷺ ، فقد رأينا - في تلك المحطة - كيف أن بعضها يحمل هذا الخلط في تحريم لحوم الحمر الأهلية .. لننظر إلى الحديثين التاليين من جملة تلك الأحاديث ..

أحمد (١٦٥٤٦) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ أَخْبَرَنَا حَرِيزٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْجَرَشِيِّ عَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا إِنِّي أُوتَيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتَيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْتَنِي شَبَعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاحْلُوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ أَلَا وَلَا لُقْطَةٌ مِنْ مَالٍ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ

سنن أبي داود (٣٩٨٨) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ كَثِيرٍ بْنُ دِينَارٍ عَنْ حَرِيْزِ بْنِ عَثْمَانَ
عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ
عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاحْلُوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا
لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ وَلَا لُقْطَةٌ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِي
عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاةِ

.. سنتابع - إن شاء الله تعالى - في المحطة القادمة مزيداً من تبين حقيقة كون
الروايات مليئة بالتناقض والاختلاف مما يجعل منها ظنية الثبوت ولا يمكنها أن ترتقي إلى
مستوى كتاب الله تعالى ، ولا يمكنها أن ترتقي إلى مستوى العلم الذي لا يعرف التناقض
والاختلاف ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة التاسعة عشرة

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

ما بين الروايات والصراعات التاريخية والتشردم المذهبي والطائفي ، علاقة تلازمٍ كاملٍ تجعلُ من أيِّ منها مقدمة ونتيجة لغيرها في الوقت ذاته ، فالروايات جُمعت بعد صراعاتٍ أحرقت الأخضر واليابس ، ولا شكَّ أنَّ العصبِيَّات الناتجة عن هذه الصراعات تركت بصماتها في الروايات الملقَّة على الرسول ﷺ ، ومن جهةٍ أُخرى فإنَّ هذه الروايات كرَّست التمزُّق والتشردم ، وأطَّرت لاحقاً مذاهب وطوائف مختلفة ، مزَّقت جسد الأمة ، وساهمت في إبعادها عن حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ..

كُلُّ اكتشافٍ جديدٍ لأيِّ دلالةٍ في كتاب الله تعالى هو اكتشافٌ لتقصيرٍ في تدبُّره ، أو هو اكتشافٌ لأخطاءٍ تفسيريةٍ سابقة ، أو هو استنباطٌ نتيجة تدبُّرٍ عقليٍّ سليمٍ ، وبالتالي هو إظهارٌ للحقيقة وابتعادٌ عن الخطأ ، ومن أهم مقتضيات البحث والتدبُّر في منهج الله تعالى هي معايرة ما بين أيدينا من روايات على كتاب الله تعالى ، والاعتراف بعدم صحَّة كلِّ رواية تتناقض مع دلالات كتاب الله تعالى ومع ثوابت العقل والمنطق ، وذلك عملاً

بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦]

.. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٧٥٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ

أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ الْقُنُوتُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْفَجْرِ

.. هنا أولوا العبارة [[قَالَ كَانَ الْقُنُوتُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْفَجْرِ]] بأن ذلك كان في

أول الأمر .. وهذا ما نراه أيضاً في الحديث التالي ..

البخاري (٩٤٩) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ

قَالَ كَانَ الْقُنُوتُ فِي الْمَغْرِبِ وَالْفَجْرِ

ولننظر في النص التالي المقتطع من شرح هذا الحديث في كتاب فتح الباري بشرح

صحيح البخاري ، لنرى كيف اختلفوا في هذه المسألة :

[[..... وقد روى مسلم من حديث البراء نحو حديث أنس هذا ، وتمسك به

الطحاوي في ترك القنوت في الصبح قال : لأنهم أجمعوا على نسخه في المغرب ، فيكون في

الصبح كذلك . انتهى . ولا يخفى ما فيه . وقد عارضه بعضهم فقال : أجمعوا على أنه

صلى الله عليه وسلم قنن في الصبح ، ثم اختلفوا هل ترك ، فيتمسك بما أجمعوا عليه

حتى يثبت ما اختلفوا فيه ؟ وظهر لي أن الحكمة في جعل القنوت النازلة في الاعتدال

دون السجود مع أن السجود مظنة الإجابة كما ثبت " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو

ساجد " وثبوت الأمر بالدعاء فيه أن المطلوب من قنوت النازلة أن يشارك المأموم الإمام في

الدعاء ولو بالتأمين ، ومن ثم اتفقوا على أنه يجهر به ، بخلاف القنوت في الصبح

فاختلف في محله وفي الجهر به]] ..

ولننظر في الحديث التالي لنرى كيف اختلفوا في القنوت في صلاة الفجر ..

الترمذي (٣٦٧) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُتُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبْنِ عَبَّاسٍ وَخُفَّافِ بْنِ أَيْمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ قَالَ أَبُو عَيْسَى حَدِيثُ الْبَرَاءِ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْقُنُوتِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَرَأَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمُ الْقُنُوتَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَقَالَ أَحْمَدُ وَإِسْحَقُ لَا يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ إِلَّا عِنْدَ نَازِلَةٍ تَنْزِلُ بِالْمُسْلِمِينَ فَإِذَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ فَلِلْإِمَامِ أَنْ يَدْعُوَ لِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ

ولننظر في النصّ التالي المُقتطع من كتاب : تحفة الأحوذني شرح جامع الترمذي فيما يخصّ هذا الحديث ، لنرى بأمّ أعيننا كيف أنّ ما يُسمّى بعلم الحديث والمرتكز في معظمه على السند ، لا يعدوا كونه مقاربات تاريخيّة مليئة بالأخطاء والأهواء ..

]] عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قنت شهراً يدعو على قاتلي

أصحابه ببئر معونة ثم ترك ، فأما الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا . وأول الحديث في الصحيحين ، ولو صحّ هذا لكان قاطعاً لليراع ولكنه من طريق أبي جعفر الرازي قال فيه عبد الله بن أحمد : ليس بالقوي : وقال علي بن المديني : يخلط ، وقال أبو زرعة : يهيم كثيراً ، وقال عمرو بن علي الفلاس : صدوق سيئ الحفظ ، وقال ابن معين : ثقة لكنه يخطئ ، وقال الدوري : ثقة لكنه يغلط وحكى الساجي أنه قال : صدوق ليس بالمتقن ، وقد وثقه غير واحد ، ولحديثه هذا شاهد ولكن في إسناده عمرو بن عبيد وليس بحجة . قال الحافظ : ويعكر على هذا ما رواه الخطيب من طريق قيس بن الربيع عن عاصم بن سليمان : قلنا لأنس إن قوماً يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم

يزل يقنت في الفجر ، قال : كذبوا إنما قنت شهراً واحداً يدعو على حي من أحياء المشركين ، وقيس وإن كان ضعيفاً لكنه لم يتهم بكذب . وروى ابن خزيمة في صحيحه من طريق سعيد عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقنت إلا إذا دعا لقوم أو دعا فاختلفت الأحاديث عن أنس واضطربت فلا يقوم لمثل هذا حجة انتهى]]

وفي الحديث التالي نرى أن القنوت في الفجر شأنه شأن عدم القنوت ..

الترمذي (٣٦٨) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي يَأْ أَبَةَ إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ هَا هُنَا بِالْكَوْفَةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ أَكَاثُوا يَقْنُتُونَ قَالَ أَيُّ بُنَيِّ مُحَدَّثٍ قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إِنْ قَنَتَ فِي الْفَجْرِ فَحَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَقْنُتْ فَحَسَنٌ وَاخْتَارَ أَنْ لَا يَقْنُتَ وَلَمْ يَرِ ابْنَ الْمُبَارَكِ الْقُنُوتَ فِي الْفَجْرِ قَالَ أَبُو عَيْسَى وَأَبُو مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ

.. وفي الحديث التالي نرى أن النبي ﷺ نهي عن القنوت في الفجر ..

سنن ابن ماجه (١٢٣٢) :

حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ بَكْرِ الضَّبِّيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْلَى زُنْبُورٌ حَدَّثَنَا عَنبَسَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ

اختلاف وخلط وضبابية لا يمكن من خلالها الوصول إلى أمر صريح بين ، وهذا أمر طبيعي ، فقد بينا كيف أن هذه الروايات أتتنا عبر أدوات تاريخية مليئة بالأهواء والأخطاء عبر رجال لا يمكن تجريدتهم عن انتماءاتهم المختلفة والمتناقضة أحياناً .. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٢٤٩٤) :

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَا خَرَجَ عَلَيْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَنْزَلَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتَعُوا بِعَيْنِي مُتَعَةَ النِّسَاءِ

حديثٌ تُشيرُ صياغته الظاهرة إلى إباحة متعة النساء .. ولننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٢٥٠١) :

حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنِ الْجَحْدَرِيُّ حَدَّثَنَا بَشْرُ يَعْنِي ابْنَ مَفْضَلٍ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ أَنَّ أَبَاهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَتَحَ مَكَّةَ قَالَ فَأَقَمْنَا بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ فَأَذِنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مُتَعَةِ النِّسَاءِ فَخَرَجْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِي وَلِي عَلَيْهِ فَضْلٌ فِي الْجَمَالِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الدِّمَامَةِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا بُرْدٌ فَبُرِدِي خَلَقٌ وَأَمَّا بُرْدُ ابْنِ عَمِّي فَبُرْدٌ جَدِيدٌ غَضٌّ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَسْفَلِ مَكَّةَ أَوْ بِأَعْلَاهَا فَتَلَقَّتْنَا فَتَاةٌ مِثْلُ الْبِكْرَةِ الْعَنْطَنِطَةِ فَقُلْنَا هَلْ لَكَ أَنْ يَسْتَمْتَعَ مِنْكَ أَحَدُنَا قَالَتْ وَمَاذَا تَبْذُلَانِ فَنَشَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بُرْدَهُ فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ وَيَرَاهَا صَاحِبِي تَنْظُرُ إِلَى عِطْفِهَا فَقَالَ إِنَّ بُرْدَ هَذَا خَلَقٌ وَبُرْدِي جَدِيدٌ غَضٌّ فَتَقُولُ بُرْدُ هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ اسْتَمْتَعْتُ مِنْهَا فَلَمْ أَخْرُجْ حَتَّى حَرَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ صَخْرٍ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ بَشْرٍ وَزَادَ قَالَتْ وَهَلْ يَصْلُحُ ذَلِكَ وَفِيهِ قَالَ إِنَّ بُرْدَ هَذَا خَلَقٌ مَحٌّ

سنن ابن ماجه (١٩٥٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ عَنِ الرَّبِيعِ

بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْعُرْبَةَ قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَيْنَا قَالَ فَاسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ فَاتَيْنَاهُنَّ فَأَبَيْنَ أَنْ يَنْكِحَنَّ إِلَّا أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُنَّ أَجَلًا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ أَجَلًا فَخَرَجْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي مَعَهُ بُرْدٌ وَمَعِيَ بُرْدٌ وَبُرْدُهُ أَجْوَدُ مِنْ بُرْدِي وَأَنَا أَشْبُ مِنْهُ فَاتَيْنَا عَلَى امْرَأَةٍ فَقَالَتْ بُرْدٌ كَبِيرٌ فَتَزَوَّجْتُهَا فَمَكَثْتُ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ غَدَوْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذْنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخْلِ سَبِيلَهَا وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا

أحمد (١٤٨١٠) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَخْبَرَنِي الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَيْنَا عُمَرَتَنَا قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ قَالَ وَالِاسْتِمْتَاعُ عِنْدَنَا يَوْمَ التَّزْوِيجِ قَالَ فَعَرَضْنَا ذَلِكَ عَلَى النِّسَاءِ فَأَبَيْنَ إِلَّا أَنْ يُضْرَبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُنَّ أَجَلًا قَالَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ افْعَلُوا فَاذْهَبُوا أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي وَمَعَهُ بُرْدَةٌ وَمَعِيَ بُرْدَةٌ وَبُرْدَتُهُ أَجْوَدُ مِنْ بُرْدَتِي وَأَنَا أَشْبُ مِنْهُ فَاتَيْنَا امْرَأَةً فَعَرَضْنَا ذَلِكَ عَلَيْهَا فَأَعْجَبَهَا شَبَابِي وَأَعْجَبَهَا بُرْدُ ابْنِ عَمِّي فَقَالَتْ بُرْدٌ كَبِيرٌ قَالَ فَتَزَوَّجْتُهَا فَكَانَ الْأَجَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشْرًا قَالَ فَبِتُّ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَادِيًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْحَجَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ يَقُولُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كُنْتُ أَذْنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخْلِ سَبِيلَهَا وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا

الدارمي (٢٠٩٨) :

أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ أَنَّ

أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذِهِ النِّسَاءِ وَالِاسْتِمْتَاعُ عِنْدَنَا التَّرْوِيجُ فَعَرَضْنَا ذَلِكَ عَلَى النِّسَاءِ فَأَبَيْنَ أَنْ لَا نَضْرِبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُنَّ أَجَلًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْعَلُوا فَخَرَجْتُ أَنَا وَابْنُ عَمِّ لِي مَعَهُ بُرْدٌ وَمَعِيَ بُرْدٌ وَبُرْدُهُ أَجُودُ مِنْ بُرْدِي وَأَنَا أَشَبُّ مِنْهُ فَأَتَيْنَا عَلَى امْرَأَةٍ فَأَعْجَبَهَا شَبَابِي وَأَعْجَبَهَا بُرْدُهُ فَقَالَتْ بُرْدٌ كَبْرِدٍ وَكَانَ الْأَجَلُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشْرًا فَبِتُّ عِنْدَهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ثُمَّ غَدَوْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَدْنْتُ لَكُمْ فِي الْاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهُ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُحِلِّ سَبِيلَهَا وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنُمُوهُنَّ شَيْئًا

البخاري (٣٨٩٤) :

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَسَنِ ابْنَيْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ

مسلم (٢٥٠٧) :

و حَدَّثَنِيهِ حَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ أَخْبَرَنَا ابْنُ شَهَابٍ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ الْمُتْعَةِ زَمَانَ الْفَتْحِ مُتْعَةِ النِّسَاءِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ تَمْتَعُ بِبُرْدَيْنِ أَحْمَرَيْنِ

أحمد (١٤٧٩٦) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبرَاهِيمَ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ رَبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ

مسلم (٢٤٩٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ حَدَّثَنَا

أَبُو عُمَيْسٍ عَنِ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ
أَوْطَاسٍ فِي الْمُتَعَةِ ثَلَاثًا ثُمَّ نَهَى عَنْهَا
مسلم (٢٥٠٣) :

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ
بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْمُتَعَةِ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ ثُمَّ لَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا حَتَّى نَهَانَا عَنْهَا
أحاديث واضحة وجليّة في النهي عن المتعة أثناء وجود النبي ﷺ وقبل رحيله ..
ولننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٢٥٠٥) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَأَبْنُ نُمَيْرٍ قَالَا حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ
سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ
مسلم (٢٥٠٩) :

و حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ عَنْ ابْنِ أَبِي عَبْلَةَ عَنْ
عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْمُتَعَةِ وَقَالَ أَلَا إِنَّهَا حَرَامٌ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَانَ
أَعْطَى شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ
مسلم (٢٥١١) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبْنُ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ
زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الْحَسَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ
أَبِيهِمَا عَنِ عَلِيِّ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لُحُومِ
الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ

.. بعد ذلك نرى أحاديث تحمل خلافاً لذلك .. لننظر في الحديث التالي ..

أحمد (٣٤٧) :

حَدَّثَنَا بِهِزُ قَالَ وَحَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا هَمَامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْهَى عَنِ الْمُتَعَةِ وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِهَا قَالَ فَقَالَ لِي عَلَى يَدِي جَرَى الْحَدِيثُ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَفَّانُ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْقُرْآنُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الرَّسُولُ وَإِنِّهُمَا كَانَتَا مُتَعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا مُتَعَةُ الْحَجِّ وَالْأُخْرَى مُتَعَةُ النِّسَاءِ

فالعبرة الأخيرة [] وَإِنِّهُمَا كَانَتَا مُتَعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا مُتَعَةُ الْحَجِّ وَالْأُخْرَى مُتَعَةُ النِّسَاءِ [] ، يُفْهَمُ مِنْهَا أَنَّ مُتَعَةَ النِّسَاءِ لَمْ تُحْرَمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَقَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِتَأْوِيلٍ مِنْ جِيبِهِ ، لِنَنْظُرَ فِي الْأَحَادِيثِ التَّالِيَةِ ..

مسلم (٢٤٩٧) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ كُنَّا نَسْتَمْتَعُ بِالْقَبْضَةِ مِنَ التَّمْرِ وَالِدَّقِيقِ الْأَيَّامِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ حَتَّى نَهَى عَنْهُ عُمَرُ فِي شَأْنِ عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ

مسلم (٢٤٩٨) :

حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ اخْتَلَفَا فِي الْمُتَعَتَيْنِ فَقَالَ جَابِرٌ فَعَلْنَاهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَهَانَا عَنْهُمَا عُمَرُ فَلَمْ نَعُدْ لَهُمَا

أحمد (١٣٧٥٠) :

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا نَتَمَتَّعُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَتَّى نَهَانَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخِيرًا يَعْنِي النِّسَاءَ

أحمد (١٣٩٥٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزَهَانَا عَنْهُمَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَأَنْتَهَيْنَا

مسلم (٢١٩٢) :

حَدَّثَنِي حَامِدُ بْنُ عُمَرَ الْبَكْرَاوِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ الزُّبَيْرِ اخْتَلَفَا فِي الْمُتَعَتَيْنِ فَقَالَ جَابِرٌ فَعَلْنَاهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَهَانَا عَنْهُمَا عُمَرُ فَلَمْ نَعُدْ لَهُمَا

أحمد (١٤٣٠٥) :

حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا حَمَادٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَعَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ تَمَتَّعْنَا مُتَعَتَيْنِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَجَّ وَالنِّسَاءَ فَزَهَانَا عَنْهُمَا فَأَنْتَهَيْنَا

أحمد (١٤٣٨٧) :

حَدَّثَنَا عَفَّانٌ حَدَّثَنَا حَمَادٌ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَعَاصِمُ الْأَحْوَلُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ تَمَتَّعْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَتَيْنِ الْحَجَّ وَالنِّسَاءَ وَقَدْ قَالَ حَمَادٌ أَيْضًا مُتَعَةَ الْحَجِّ وَمُتَعَةَ النِّسَاءِ فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ نَهَانَا عَنْهُمَا فَأَنْتَهَيْنَا

تناقض بين في من حرم متعة النساء ، ففي حين رأينا في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ هو من حرمها وهو على قيد الحياة ، نرى في روايات أخرى أن متعة النساء بقيت مستمرة حتى حرمها عمر في عهده .. ولذلك من الطبيعي أن نرى الخلط التالي في الروايات التالية ، وذلك في متعتي الحج والنساء ..

النسائي (٢٦٧٤) :

أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا أَبُو عَامِرٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ حُسَيْنٍ يُحَدِّثُ عَنْ مَرْوَانَ أَنَّ عُمَانَ نَهَى عَنِ الْمُتَعَةِ وَأَنَّ يَجْمَعُ الرَّجُلُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَقَالَ عَلِيُّ لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا فَقَالَ عُمَانُ أَتَفْعَلُهَا وَأَنَا أَنْهَى عَنْهَا

فَقَالَ عَلِيٌّ لَمْ أَكُنْ لِأَدْعَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنْبَأَنَا النَّضْرُ عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

أحمد (٣٢٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ وَأَخْبَرَنِي هُشَيْمٌ عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُنَيْبَةَ عَنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هِيَ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْنِي الْمُتَعَةَ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يُعْرَسُوا بِهِنَّ تَحْتَ الْأَرَاكِ ثُمَّ يَرُوحُوا بِهِنَّ حُجَّاجًا

مسلم (٢١٥٧) :

و حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا هَمَامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْزَلْ فِيهِ الْقُرْآنُ قَالَ رَجُلٌ بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ وَحَدَّثَنِيهِ حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ تَمَتَّعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ

النسائي (٢٦٨٩) :

أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ عَنْ مُطَرِّفِ قَالَ قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَمَتَّعَ وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ قَالَ فِيهَا قَائِلٌ بِرَأْيِهِ

النسائي (٢٧٥٧) :

أَخْبَرَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ عَنْ عَبْدِ عَن ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ قَالَ سُرَاقَةُ تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَمَتَّعْنَا مَعَهُ فَقُلْنَا أَلْنَا خَاصَّةً أَمْ لِأَبَدٍ قَالَ بَلْ لِأَبَدٍ

أحمد (١٩٠٠٦) :

حَدَّثَنَا بِهِزٌ وَحَدَّثَنَا عَفَّانُ الْمَعْنَى قَالَا ثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُنزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ قَالَ عَفَّانُ وَنَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْنِهِ عَنْهَا وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ قَالَ رَجُلٌ بَرَأِيَهُ مَا شَاءَ

أحمد (١٩٠٩٣) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَادٌ أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ تَمَتَّعْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْهَنَا عَنْهَا وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهَا نَهْيٌ

مسلم (٢٥١٠) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَسَنِ ابْنِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَسْمَاءَ الضُّبَيْعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ عَنْ مَالِكٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ وَقَالَ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ لِفُلَانٍ إِنَّكَ رَجُلٌ تَائِهٌ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى عَنِ مَالِكٍ

مسلم (٢١٤٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ كَانَ عُمَيْرُ بْنُ عُمَيْرٍ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَأْمُرُ بِهَا فَقَالَ عُمَيْرُ لِعَلِيٍّ كَلِمَةً ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَا قَدْ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَجَلٌ وَلَكِنَّا كُنَّا خَائِفِينَ وَحَدَّثَنِيهِ يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ

أحمد (٣٤٧) :

حَدَّثَنَا بِهِزُ قَالَ وَحَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ حَدَّثَنَا هَمَامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَنْهَى عَنِ الْمُتَعَةِ وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِهَا قَالَ فَقَالَ لِي عَلَى يَدَيِ جَرَى الْحَدِيثِ تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَفَّانُ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْقُرْآنُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الرَّسُولُ وَإِنَّهُمَا كَانَتَا مُتَعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَاهُمَا مُتَعَةُ الْحَجِّ وَالْأُخْرَى مُتَعَةُ النِّسَاءِ

مسلم (٢٥٠٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ الْجُهَنِيُّ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذْنْتُ لَكُمْ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُحَلِّ سَبِيلَهُ وَلَا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بِهِذَا الْإِسْنَادِ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ

.. هذا الخلط نتيجة طبيعية وذلك لأمرين : فمن جهة هذه الروايات أتت عبر أدوات تاريخية مليئة بالأهواء والأخطاء ، ومن جهة أخرى لم يكن هناك تدبرٌ سليم للنص القرآني .. وقد بينا في كتاب (المعجزة الكبرى) كيف أنه بعد وقوع الطلاق هناك أحكام صارمة ، لو طبقت لما كان هناك شيء اسمه زواج متعة ، أو أي نوع من أنواع الزواج المخالفة لدلالات كتاب الله تعالى ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٢٩٣١) :

و حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ قَالَ سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ شَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ وَتَمَنُّ الْكَلْبِ وَكَسْبُ الْحَجَّامِ

سنن النسائي (٤٥٩٤) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُغِيرَةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نُعْمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ وَعَنْ تَمَنِّ الْكَلْبِ وَعَنْ عَسْبِ الْفَحْلِ

أحمد (٨٠٣٩) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةَ الْمَهْرِيُّ قَالَ قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ يَا مَهْرِيُّ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَمَنِّ الْكَلْبِ وَكَسْبِ الْحَجَّامِ وَكَسْبِ الْمُومِسَةِ وَعَنْ كَسْبِ عَسْبِ الْفَحْلِ

أحاديث صريحة في أن كَسْبَ الْحَجَّامِ خبيث ، وينهى رسول الله ﷺ عنه ، وما ينهى عنه ﷺ لا بدّ من الانتهاء عن إتيانه ، عملاً بقوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .. بعد ذلك نرى أحاديث تحمل دلالات صريحة بأن النبي ﷺ هو ذاته أعطى الحجّام أجره .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٢٩٥٢) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُرَيْدٍ وَفَتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالُوا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ فَقَالَ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْمَهُ أَبُو طَيْبَةَ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خِرَاجِهِ وَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمْ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سُئِلَ أَنَسُ عَنْ كَسْبِ الْحَجَّامِ فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ وَلَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْعَمْرِ

مسلم (٢٩٥٣) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ حَدَّثَنَا شَبَابَةُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ

أَنَسًا يَقُولُ دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا لَنَا حَجَامًا فَحَجَمَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ أَوْ مَدًّا أَوْ مُدَّيْنٍ وَكَلَّمَ فِيهِ فَخَفَّفَ عَنْ ضَرِيْبَتِهِ

مسلم (٢٩٥٤) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ح وَ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْمُخْزُومِيُّ كِلَاهُمَا عَنْ وَهَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ وَأَعْطَى الْحَجَامَ أَجْرَهُ وَاسْتَعَطَّ

سنن الترمذي (١١٩٩) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ سَأَلَ أَنَسُ عَنْ كَسْبِ الْحَجَامِ فَقَالَ أَنَسُ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَكَلَّمَ أَهْلَهُ فَوَضَعُوا عَنْهُ مِنْ خَرَجِهِ وَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحَجَامَةَ أَوْ إِنَّ مِنْ أَمْثَلِ دَوَائِكُمُ الْحَجَامَةَ قَالَ وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ قَالَ أَبُو عِيْسَى حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رَخَّصَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ فِي كَسْبِ الْحَجَامِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ

وفي الحديث الأخير نرى أن العبارة الأخيرة فيه [] وَقَدْ رَخَّصَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ فِي كَسْبِ الْحَجَامِ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ [] تعكس الاختلاف نتيجة الاختلاف والتناقض بين هذه الروايات .. ولننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٢٩٥٥) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَاللَّفْظُ لِعَبْدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا لِبَنِي بَيَاضَةَ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْرَهُ وَكَلَّمَ سَيِّدَهُ فَخَفَّفَ عَنْهُ مِنْ ضَرِيْبَتِهِ وَلَوْ كَانَ سُحْتًا لَمْ يُعْطِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. إننا نرى أن العبارة الأخيرة **[[وَلَوْ كَانَ سُحْتًا لَمْ يُعْطِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]]** تبين أن كسب الحجام ليس سُحْتًا ، وبالتالي ليس خبيثًا ، وهذا يتناقض مع الروايات التي رأيناها .. ولذلك نرى في الحديث التالي وشرحه كيف يتم التأويل الذي ما أنزل الله تعالى به من سلطان ..

مسلم (٢٩٣٢) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ الْوَزَاعِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ قَارِظٍ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ حَدَّثَنِي رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَمَنُّ الْكَلْبِ خَبِيثٌ وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ بِهِذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ حَدَّثَنَا رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِهِ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخص

هذا الحديث ..

[[..... وأما (كسب الحجام) وكونه خبيثًا ومن شر الكسب ففيه دليل لمن

يقول بتحريمه . وقد اختلف العلماء في كسب الحجام فقال الأكثرون من السلف والخلف

: لا يحرم كسب الحجام ، ولا يحرم أكله لا على الحر ولا على العبد ، وهو المشهور من

مذهب أحمد ، وقال في رواية عنه قال بها فقهاء المحدثين يحرم على الحر دون العبد

، واعتمدوا هذه الأحاديث وشبهها ، واحتج الجمهور بحديث ابن عباس رضي الله

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره . قالوا : ولو كان حراماً

لم يعطه . رواه البخاري ومسلم . وحملوا هذه الأحاديث التي في النهي على التنزيه

والارتفاع عن دنيا الأكسباب ، والحث على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور . ولو كان

حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد فإنه لا يجوز للرجل أن يطعم عبده ما لا يحل

.. [[.....]]

.. ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٢٥٢٤) :

و حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمُسَمِّيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى ح وَحَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَوَّاءٍ قَالَ جَمِيعًا حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ مَطَرٍ وَيَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

سنن ابن ماجه (١٩٥٦) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءِ الْمَكِّيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُحْرِمُ لَا يَنْكِحُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

أحمد (٣٧٨) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُحْرِمُ لَا يَنْكِحُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

أحمد (٤٦٥) :

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عُثْمَانَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يَخْطُبُ

أحمد (٥٠٣) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكِ حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُحْرِمُ لَا يَنْكِحُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

مالك (٦٧٩) :

و حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَرْسَلَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ وَأَبَانَ يُؤَمِّدُ أَبِي الرَّحْمَنِ وَأَبَانَ قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْكَحَ طَلْحَةَ بْنَ عُمَرَ بِنْتَ شَيْبَةَ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَرَدْتُ أَنْ تَحْضُرَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ أَبَانُ وَقَالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُنْكَحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

أحاديث صريحة وبينة في أن المحرم لا ينكح ولا يخطب .. بعد ذلك نرى روايات تبين لنا أن النبي ﷺ ذاته تزوج ميمونة وهو محرم .. لننظر في الأحاديث التالية ..

البخاري (١٧٠٦) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةَ عَبْدُ الْقُدُوسِ بْنُ الْحَجَّاجِ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

مسلم (٢٥٢٨) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدِ أَبِي الشَّعْنَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

النسائي (٢٧٨٨) :

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا دَاوُدُ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الشَّعْنَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

سنن الترمذي (٧٧٢) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ

.. بعد ذلك نرى روايات تبين لنا أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال ، وبني هي

حلالاً ..

مسلم (٢٥٢٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو فَرَاةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ قَالَ وَكَانَتْ خَالَتِي وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ

سنن الترمذي (٧٧٤) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ سَمِعْتُ أَبَا فَرَاةَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ عَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ وَبَنَى بِهَا حَلَالًا وَمَاتَتْ بِسَرَفٍ وَدَفَنَاهَا فِي الظُّلَّةِ الَّتِي بَنَى بِهَا فِيهَا قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَرَوَى غَيْرٌ وَاحِدٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ مُرْسَلًا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ

سنن ابن ماجه (١٩٥٤) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو فَرَاةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ قَالَ وَكَانَتْ خَالَتِي وَخَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ

.. بعد ذلك نرى روايات تبين لنا أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم ، وبني بها وهو حلال ..

البخاري (٣٩٢٦) :

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ وَمَاتَتْ بِسَرَفٍ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَزَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ وَأَبَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ

مسلم (٢٥٢٧) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَإِسْحَقُ الْحَنْظَلِيُّ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ

ابْنُ ثُمَيْرٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي الشَّعَثَاءِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ زَادَ ابْنُ ثُمَيْرٍ فَحَدَّثْتُ بِهِ الرَّهْرِيَّ فَقَالَ أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ أَنَّهُ نَكَحَهَا وَهُوَ حَالًا

بعد ذلك .. من الطبيعي أن نرى روايات تبين الاختلاف في هذه المسألة ..

سنن الترمذي (٧٧٣) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الشَّعَثَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو الشَّعَثَاءِ اسْمُهُ جَائِرُ بْنُ زَيْدٍ وَاخْتَلَفُوا فِي تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا حَالًا وَظَهَرَ أَمْرُ تَزْوِيجِهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهُوَ حَالًا بِسَرْفٍ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ وَمَاتَتْ مَيْمُونَةُ بِسَرْفٍ حَيْثُ بَنَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُفِنَتْ بِسَرْفٍ

سنن أبي داود (١٥٧١) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ وَهَمَّ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَزْوِيجِ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ

وهنا يأتي دور من مهمتهم ذر الرماد في العين للإيهام بأن كل هذه الروايات

صحيحة في الوقت ذاته .. لننظر في الحديث التالي وشرحه ..

مسلم (٢٥٢٢) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهْبٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَ طَلْحَةَ بْنَ عُمَرَ بِنْتَ شَيْبَةَ بْنِ جُبَيْرٍ فَأَرْسَلَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُمَرَ

يَحْضُرُ ذَلِكَ وَهُوَ أَمِيرُ الْحَجِّ فَقَالَ أَبَانُ سَمِعْتُ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ

.. ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصّ

هذا الحديث ..

[[..... فاختلف العلماء بسبب ذلك في نكاح المحرم ، فقال مالك والشافعي

وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم : لا يصح نكاح المحرم ، واعتمدوا

أحاديث الباب . وقال أبو حنيفة والكوفيون : يصح نكاحه لحديث قصة ميمونة ،

وأجاب الجمهور عن حديث ميمونة بأجوبة أصحابها أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما

تزوجها حلالاً هكذا رواه أكثر الصحابة . قال القاضي وغيره : ولم يرو أنه تزوجها

محرمًا إلا ابن عباس وحده ، وروت ميمونة وأبو رافع وغيرهما أنه تزوجها حلالاً ،

وهم أعراف بالقضية لتعلقهم به ، بخلاف ابن عباس ، ولأنهم أضبط من ابن عباس

وأكثر . الجواب الثاني : تأويل حديث ابن عباس على أنه تزوجها في الحرم وهو حلال

، ويقال لمن هو في الحرم محرم وإن كان حلالاً ، وهي لغة شائعة معروفة ، ومنه البيت

المشهور قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا أي في حرم المدينة . والثالث : أنه تعارض القول

والفعل ، والصحيح حينئذ عند الأصوليين ترجيح القول لأنه يتعدى إلى الغير ، والفعل

قد يكون مقصوراً عليه . والرابع جواب جماعة من أصحابنا أن النبي صلى الله عليه وسلم

كان له أن يتزوج في حال الإحرام ، وهو مما خص به دون الأمة ، وهذا أصح الوجهين

عند أصحابنا . والوجه الثاني : أنه حرام في حقه كغيره ، وليس من الخصائص

[[..

ولننظر في الحديث التالي وفي النصّ الذي يليه والمقتطع من شرح السندي للنسائي

فيما يخصّه ..

النسائي (٢٧٩٥) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُثْمَانَ يَسْأَلُهُ أَيْنَ كِحُ الْمُحْرَمِ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُثْمَانَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرَمُ وَلَا يَخْطُبُ

]] وغالب أهل الحديث والفقهاء أخذوا بهذا الحديث ورأوا أن حديث ابن

عباس وهم لما جاء عن ميمونة ورافع خلافه فرجحوا حديث ميمونة ورافع لكون ميمونة صاحبة الواقعة فهي أعلم بها من غيرها ورافع كان سفيراً بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبينها وابن عباس كان إذ ذاك صغيراً ولكون حديثهما أوفق بالحديث القولي الذي رواه عثمان رضي الله تعالى عنه وقالوا ولو سلم أن حديث ابن عباس يعارض حديث ميمونة يسقط الحديثان للتعارض ويبقى حديث عثمان القولي سالماً عن المعارضة فيؤيد به ولو سلم أن حديث ابن عباس لا يسقط ولا يعارضه حديث ميمونة ورافع فلا شك أنه حكاية فعل يحتمل الخصوص وحديث عثمان قول نص في التشريع فيؤخذ به قطعاً على مقتضى القواعد وقال بعضهم بل حديث ابن عباس أرجح سنداً فقد أخرجه الستة فلا يعارضه شيء من حديث ميمونة وراءه والأصل في الأفعال العموم فيقدم على حديث عثمان أيضاً فيؤخذ به دون غيره والله تعالى أعلم . [[..

ولننظر في الحديث التالي وشرحه التالي له والمقتطع من كتاب عون المعبود شرح سنن

أبي داود فيما يخصه ..

سنن أبي داود (١٥٦٩) :

حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيُّ عَنْ مَالِكٍ عَنْ تَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عُثْمَانَ بِنِ عَفَانَ يَسْأَلُهُ وَأَبَانُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْحَاجِّ وَهُمَا مُحْرَمَانِ إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ طَلْحَةَ بْنَ عُمَرَ ابْنَةَ شَيْبَةَ بْنِ جَبْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ تَحْضُرَ ذَلِكَ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي عُثْمَانَ بِنِ عَفَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْكِحُ الْمُحْرَمُ وَلَا يَنْكِحُ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ حَدَّثَهُمْ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ

عَنْ مَطَرٍ وَيَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ عُثْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ مِثْلَهُ زَادَ وَلَا يَخْطُبُ

]] قال الخطابي : قد ذهب إلى ظاهر الحديث مالك والشافعي ، ورأيا النكاح إذا عقد في الإحرام مفسوخاً عقده المرء لنفسه أو كان ولياً يعقده لغيره . وقال أبو حنيفة وأصحابه : نكاح المحرم لنفسه وإنكاحه لغيره جائز . واجتمعوا في ذلك بخبر ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ميمونة وهو محرم . وتأول بعضهم خبر عثمان على معنى أنه إخبار عن حال المحرم ، وأنه باشتغاله بنفسه لا يتسع بعقد النكاح ولا يفرغ له ، وقال بعضهم معنى ينكح أي أنه لا يظاً ليس أنه لا يعقد . قال الخطابي : قلت الرواية الصحيحة لا ينكح المحرم بكسر الحاء على معنى النهي لا على حكاية الحال وقصة أبان في منعه عمر بن عبيد الله من العقد وإنكاره ذلك وهو راوي الخبر دليل على أن المعنى في ذلك العقد ، فأما أن المحرم مشغول بنفسه ممنوع من الوطء فهذا من العلم العام المفروغ من بيانه اتفاق الجماعة والعام من أهل العلم انتهى]]

.. روايات متناقضة لا يمكن الجمع بينها إلا بالقفز فوق ثوابت اللغة والعقل والمنطق .. وتأويلات أكثر تناقضاً وأكثر ابتعاداً عن أي منهجية علمية .. والاعتقاد بصحة هذه الروايات جميعها وأنه لا تناقض بينها ، يحتاج إلى تغييب العقل والمنطق ، فضلاً عن تغييب دلالات كتاب الله تعالى ..

ولنأخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديثين التاليين ..

البخاري (١٨٤٥) :

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا أَبُو التَّيَّاحِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عُثْمَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِ صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ

البخاري (١١٠١) :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ سُلَيْمَانَ سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ أَتَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي مَنْزِلِهِ فَقِيلَ لَهُ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلَ الْكَعْبَةَ قَالَ فَأَقْبَلْتُ فَأَجِدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَرَجَ وَأَجِدُ بِلَالًا عِنْدَ الْبَابِ قَائِمًا فَقُلْتُ يَا بِلَالُ أَصَلَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْكَعْبَةِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَأَيْنَ قَالَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْأُسْطُوَانَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ فِي وَجْهِ الْكَعْبَةِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوْصَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَكَعَتِي الضُّحَى وَقَالَ عَثْبَانُ بْنُ مَالِكٍ غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَا أَمْتَدَّ النَّهَارُ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ

وفق هذين الحديثين ، النبي ﷺ يوصي بركعتي الضحى .. بعد ذلك نرى روايات

تحمل خلافاً لذلك ..

البخاري (١١٠٤) :

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ عَنْ تَوْبَةَ عَنْ مُورِقٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَّصَلَّى الضُّحَى قَالَ لَا قُلْتُ فَعَمْرُ قَالَ لَا قُلْتُ فَأَبُو بَكْرٍ قَالَ لَا قُلْتُ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا إِخَالَهُ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما

يخصّ هذا الحديث ..

]] وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج عن الأعرج قال

: سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال : بدعة ونعمت البدعة . وروى عبد الرزاق

بإسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال : لقد قتل عثمان وما أحد يسبّحها ، وما أحدث

الناس شيئاً أحب إلي منها وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الشعبي عن ابن عمر

قال : ما صليت الضحى منذ أسلمت ، إلا أن أطوف بالبيت . أي فأصلي في ذلك الوقت لا

على نية صلاة الضحى ، بل على نية الطواف]]

ولننظر في الحديثين التاليين ..

البخاري (١٠٦٠) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنَّ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيَفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا

البخاري (١٦٥٢) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِذَا نَاسٌ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الضُّحَى قَالَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلَاتِهِمْ فَقَالَ بَدَعَةٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَرْبَعًا إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ قَالَ وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحُجْرَةِ فَقَالَ عُرْوَةُ يَا أُمَّاهُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ مَا يَقُولُ قَالَ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ قَالَتْ يَرَحِمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةَ إِلَّا وَهُوَ شَاهِدُهُ وَمَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ

.. كيف يُوصي النبي ﷺ بصلاة الضحى ، ويصليها النبي ﷺ وأبو بكر ، في بعض

الروايات ، ولا يصليهما النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وابن عمر في رواياتٍ أخرى ؟!!! ..

نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

ولنأخذ مسألةً أخرى .. لننظر في الأحاديث التالية ..

مسلم (٩٧٨) :

و حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا مَعْنُ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَى الْأَسْوَدِ بْنِ سُفْيَانَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوْبَانَ عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا كَانَ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَذَكَرَ أَنَّ النَّارَ اشْتَكَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ
البخاري (٥٠٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُهَاجِرِ أَبِي الْحَسَنِ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَدْنَى مُؤَدِّنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ فَقَالَ أَبْرِدْ أَبْرِدْ أَوْ قَالَ انْتَظِرْ انْتَظِرْ وَقَالَ شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ التُّلُولِ
البخاري (٥٠٤) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَفِظْنَاهُ مِنَ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَاشْتَكَّتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَا رَبُّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ
البخاري (٥٠٥) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ تَابَعَهُ سُفْيَانُ وَيَحْيَى وَأَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ
البخاري (٥٠٦) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا مُهَاجِرٌ أَبُو الْحَسَنِ مَوْلَى لِبَنِي تَيْمِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَرَادَ الْمُؤَدِّنُ أَنْ يُؤَدِّنَ لِلظُّهْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْرِدْ ثُمَّ أَرَادَ

أَنْ يُؤَدِّنَ فَقَالَ لَهُ أَبْرِدْ حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ التُّلُولِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ تَتَفَيَّأُ تَتَمَيَّلُ الْبَخَارِيُّ (٥٩٣) :

حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُهَاجِرِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَرَادَ الْمُؤَدِّنُ أَنْ يُؤَدِّنَ فَقَالَ لَهُ أَبْرِدْ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُؤَدِّنَ فَقَالَ لَهُ أَبْرِدْ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُؤَدِّنَ فَقَالَ لَهُ أَبْرِدْ حَتَّى سَاوَى الظِّلُّ التُّلُولَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ الْبَخَارِيُّ (٣٠١٨) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُهَاجِرِ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهَبٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ أَبْرِدْ ثُمَّ قَالَ أَبْرِدْ حَتَّى فَاءَ الْفَيْءِ يَعْنِي لِلتُّلُولِ ثُمَّ قَالَ أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ مُسْلِمٌ (٩٧٤) :

و حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنِ الْعَلَاءِ عَنِ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ هَذَا الْحَرَّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ مُسْلِمٌ (٩٧٦) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ مُهَاجِرًا أَبَا الْحَسَنِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ وَهَبٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَذِنَ مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالظُّهْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْرِدْ أَبْرِدْ أَوْ قَالَ انْتَظِرْ انْتَظِرْ وَقَالَ إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ أَبُو ذَرٍّ حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ التُّلُولِ

روايات صريحة وواضحة وجليّة في الإبراد عن الصلاة نتيجة الحر .. بعد ذلك نرى

رواياتٍ أُخرى تحمل نقيض ذلك .. لننظر في الروايتين التاليتين ..

مسلم (٩٨٢) :

و حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ وَعَوْنُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ عَوْنٌ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ يُونُسَ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ خَبَّابٍ قَالَ أَتَيْتَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يُشَكِّنَا قَالَ زُهَيْرٌ قُلْتُ لِأَبِي إِسْحَقَ أَفِي الظَّهْرِ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ أَفِي تَعْجِيلِهَا قَالَ نَعَمْ

النسائي (٤٩٣) :

أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ خَبَّابٍ قَالَ شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فَلَمْ يُشَكِّنَا قِيلَ لِأَبِي إِسْحَقَ فِي تَعْجِيلِهَا قَالَ نَعَمْ

وهنا يأتي دور من مهمتهم ذرّ الرماد في الأعين الباحثة عن الحقيقة ، للإيهام بعدم وجود تعارض بين هذه الروايات .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٥٠٢) :

حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ حَدَّثَنَا الْأَعْرَجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَنَافِعِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث ..

]] وجمع بعضهم بين الحديثين بأن الإبراد رخصة والتعجيل أفضل ، وهو

قول من قال إنه أمر إرشاد ، وعكسه بعضهم فقال : الإبراد أفضل . وحديث خباب يدل على الجواز وهو الصارف للأمر عن الوجوب . كذا قيل وفيه نظر ، لأن ظاهره المنع من التأخير . وقيل معنى قول خباب " فلم يشكنا " أي فلم يحوجنا إلى شكوى بل أذن لنا في

الإبراد ، حكى عن ثعلب ، ويرده أن في الخبر زيادة رواها ابن المنذر بعد قوله " فلم يشكنا " وقال " إذا زالت الشمس فصلوا " وأحسن الأجوبة كما قال المازري الأول ، والجواب عن أحاديث أول الوقت أنها عامة أو مطلقة ، والأمر بالإبراد خاص فهو مقدم ، ولا التفات إلى من قال التعجيل أكثر مشقة فيكون أفضل ، لأن الأفضلية لم تنحصر في الأشق ، بل قد يكون الأخف أفضل كما في قصر الصلاة في السفر]] ..

تناقضات لا يجمع بينها جامع ، سواء في الروايات أم في تأويلها ..

.. ولناخذ مسألة أخرى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٢٠٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ وَقُتَيْبَةُ قَالََا حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ وَقَالَ إِنَّ لَهُ دَسْمًا تَابَعَهُ يُؤْنَسُ وَصَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ الزُّهْرِيِّ

ولننظر في النصّ التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث ..

]] لكن رواه ابن ماجه من طريق ابن الوليد بن مسلم قال : حدثنا الأوزاعي فذكره بصيغة الأمر " مضمضوا من اللبن " الحديث ، كذا رواه الطبري من طريق أخرى عن الليث بالإسناد المذكور ، وأخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة وسهل بن سعد مثله ، وإسناد كل منهما حسن والدليل على الأمر فيه للاستحباب ما رواه الشافعي عن ابن عباس راوي الحديث أنه شرب لبناً فمضمض ثم قال " لو لم أتمضمض ما باليت " . وروى أبو داود بإسناد حسن عن أنس " أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبناً فلم يتمضمض ولم يتوضأ " . وأغرب ابن شاهين فجعل حديث أنس ناسخاً لحديث ابن عباس ، ولم يذكر من قال فيه بالوجوب حتى يحتاج إلى دعوى النسخ .]] ..

وفي صحيح مسلم نرى الحديث نفسه ..

مسلم (٥٣٧) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضَّمْضَ وَقَالَ إِنَّ لَهُ دَسْمًا وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ وَأَخْبَرَنِي عَمْرُوحُ وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ح وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنِي يُونُسُ كُلُّهُمْ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِإِسْنَادِ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ مِثْلَهُ

وللنظر في النص التالي المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص

هذا الحديث :

[[قوله : (إن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبنا ثم دعا بماء فتمضمض وقال :

إن له دسما) فيه استحباب المضمضة من شرب اللبن . قال العلماء : وكذلك غيره من المأكول والمشروب تستحب له المضمضة ، ولئلا تبقى منه بقايا يبتلعها في حال الصلاة ، ولتنقطع لزوجته ودسمه ، ويتطهر فمه]]

أحمد (١٨٥٠) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَتَمَضَّمْضَ وَقَالَ إِنَّ لَهُ دَسْمًا وَفِي الْحَدِيثِ التَّالِي نَرَى أَمْرًا صَرِيحًا بِالْمُضْمَضَةِ ..

ابن ماجه (٤٩٢) :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ يَعْقُوبَ حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا شَرِبْتُمُ اللَّبَنَ فَمَضْمُضُوا فَإِنَّ لَهُ دَسْمًا

فالعبرة المنسوبة للنبي ﷺ في هذا الحديث : [[إِذَا شَرِبْتُمُ اللَّبَنَ فَمَضْمُضُوا]]

واضحة وصریحة وبيّنة في حملها لأمرٍ بالمضمضة بعد شرب اللبن .. وبالتالي فالقول بأن

المضمضة هي من باب الاستحباب يتنافى مع الأمر **[[إِذَا شَرِبْتُمْ اللَّبْنَ فَمَضْمُضُوا]]** ، إلا إذا كانت الصياغة اللغوية للنصوص لا علاقة لها بالدلالات المحمولة بها ..
.. بعد ذلك نرى روايات تحمل خلافاً لذلك ..

سنن أبي داود (١٦٩) :

حَدَّثَنَا عُمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ عَنْ مُطِيعِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ تَوْبَةَ الْعَنْبَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَلَمْ يَمْضُضْ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَصَلَّى قَالَ زَيْدٌ دَلَّنِي شُعْبَةُ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ

أبو داود (١٦٩) :

حَدَّثَنَا عُمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ عَنْ مُطِيعِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ تَوْبَةَ الْعَنْبَرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَلَمْ يَمْضُضْ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ وَصَلَّى قَالَ زَيْدٌ دَلَّنِي شُعْبَةُ عَلَى هَذَا الشَّيْخِ

وهنا نسأل السؤال التالي : ما هي القرائن اللغوية التي نعرف من خلالها أن الأمر المحمول بعبارات الروايات والمنسوب للنبي ﷺ هو للاستحباب أم للعمل به !!!؟ .. وما هو الحكم الشرعي الذي يمكننا أن نصل إليه من جملة هذه الروايات !!!؟ .. ومتى من الممكن اعتبار المتلقي إنساناً عاقلاً مكلفاً بتطبيق حكم الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الروايات التالية كيف تحمل تجسيدا لا ينسجم أبداً مع تزييه الذات

الإلهية الذي يحمله كتاب الله تعالى ..

أحمد (٢٤٤٩) :

حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي أَمَلَى عَلِيٍّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ

أحمد (٢٥٠٢) :

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ حَسَّانَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الدارمي (٢٠٥٦) :

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلَاجِ وَسَأَلَهُ
مَكْحُولٌ أَنْ يُحَدِّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَائِشٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى فَقُلْتُ أَنْتَ أَعْلَمُ
يَا رَبِّ قَالَ فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّْ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ تَدْيِيٍّ فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَتَلَا وَكَذَلِكَ تُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ

.. في الحديث الأخير نرى أكثر من مشكلة ، إضافة إلى رؤية الله تعالى [[رَأَيْتُ

رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ]] ، نرى تجسيدا آخر [[فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّْ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا

بَيْنَ تَدْيِيٍّ]] ، ونرى مشكلة أخرى هي الزعم بأنه ﷺ عَلِمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

[[فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]] .. وكل ذلك ينقضه القرآن الكريم جملة وتفصيلاً

.. فقول الله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ،

ينفي تماماً ما تمَّ وضعه على النبي ﷺ بأنه قال [[رَأَيْتُ رَبِّي]] ، وقول الله تعالى ﴿ قُلْ

لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَعِبْنَا إِلَّا مَا

يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام : ٥٠] ينفي تماماً ما تمَّ وضعه على النبي ﷺ بأنه قال [[فَعَلِمْتُ مَا

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]] ..

هذه الروايات التي ينقضها القرآن الكريم ، تنقضها أيضاً بعض الروايات مثل الرواية

التالية ..

البخاري (٢٩٩٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ أَنبَأَنَا الْقَاسِمُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلَقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ ..
.. ورائحة التجسيد نشمها أيضاً في الرواية التالية ..

مسلم (٥٠٧٥) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُجِيبُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ قَالَ فَذَهَبَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ

وقد ورد هذا الحديث أيضاً عند البخاري ..

البخاري (٥٧٥٩) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحْيُونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ

ولننظر في النصين التاليين المقتطعين من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

فيما يخص هذا الحديث ..

[[واختلف إلى ماذا يعود الضمير ؟ فقليل : إلى آدم أي خلقه على صورته التي

استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات ، دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى]]

]] وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه " على صورة الرحمن

" والمراد بالصورة الصفة ، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء]]

إعادة الضمير في كلمة **[[صُورَتِهِ]]** في العبارة **[[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]]** ،

إلى آدم عليه السلام هي تخريج لا تُسَعْفُه كثيراً صياغة نصّ الرواية ، فكلُّ المخلوقات التي خلقها الله تعالى خلقها على صورتها ، وليس فقط آدم عليه السلام ، وفي هذه الأحاديث الموضوعية لم نر العبارة ((خُلِقَ آدَمُ عَلَى صُورَتِهِ)) ، إنما نرى العبارة **[[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]]** ، ولذلك نرى كيف أنّ بعضهم أعاد الضمير في كلمة **[[صُورَتِهِ]]** إلى الله تعالى ..

وكيف من الممكن أن نُوفِّق بين تأويلهم لكلمة **[[صُورَتِهِ]]** بقولهم : **[[والمعنى**

أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك]] ، كيف نوفق بين هذا التأويل وبين العبارة **[[طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]]** !!!؟ ..

كيف بنا أن نربط الجملة **[[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]]** بالجملة التالية لها مباشرة

[[طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] !!!؟ .. أليس الضمير في كلمة **[[صُورَتِهِ]]** يعود - حتى

عند بعض شراح الحديث - إلى الله تعالى ؟ .. أليس الضمير في كلمة **[[طُولُهُ]]** يعود

إلى آدم المخلوق - حسب هذه الرواية - على صورة الله تعالى ؟ .. أليست العبارة **[[**

طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً]] تتعلق بشكلٍ أو بآخر - حسب هذه الرواية - بصورة الله تعالى ؟

.. ألا يسيء ذلك للذات الإلهية ويتعارض مع ما يصف الله تعالى به ذاته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ ۗ ﴾ [الشورى : ١١] ؟ ..

ولننظر إلى الحديث التالي ..

مسلم (٤٧٣١) :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ الْمُثَنَّى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ حَاتِمٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ

أحمد (١٠٣١٤) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ أَحْبَرَنَا الْمُثَنَّى عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَّقِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ

.. وهنا - أيضاً - لا بدَّ لهم من القول بأنَّ الضمير في كلمة **[[صُورَتِهِ]]** في

العبارة **[[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]]** ، لا بدَّ لهم من القول بأنَّه يعود إلى صورة المصروب ، وذلك هروباً من مواجهة الاستحقاق الذي تفرضه صياغة هكذا روايات بأنَّها موضوعة !!! ..

.. في العبارة **[[خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعاً]]** تحايل بعضهم -

كما رأينا - على دلالاتها بأنَّ الضمير في كلمة **[[صُورَتِهِ]]** يعود إلى آدم ؟!!! .. ولكن هنا في العبارة **[[إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ]]** ما مناسبة ذكر آدم عليه السلام ؟!!! .. وماذا نقول لمن يفهم هذه الرواية - ومن حقَّه أن يفهم ذلك - بأنَّها تحمل تشبيهاً تجسدياً للذات الإلهية ؟!!! .. وماذا نقول له إن قال لنا : إنَّ تأويلكم الذي تأتون به من جيوبكم تناسبه العبارة **[[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ المصروب على صورة آدم]]** ، وليس كما في تأويلكم **[[فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صورة المصروب]]** ، لأنَّ آدم عليه السلام خلقه الله تعالى قبل هذا المصروب وليس بعده ، ومن الطبيعي أنَّ المخلوق لاحقاً هو من يُخلَق على صورة المخلوق سابقاً وليس العكس ؟!!!

.. وهل نكون قد أجبناه بالحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة حينما نقول له :
 طلق عقلك واسكت حتى لا تُتهم بأنك منكرٌ للسنة الشريفة .. نترك الإجابة لمن كان له
 قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. حينما يتحوّل التاريخُ عند أمةٍ من الأمم إلى منجمٍ لصناعة الأفعنة المذهبية
 والطائفية ، وحينما يتمّ الالتفاف حتى على النصوص التي يقدّسها هؤلاء الملتفون ذاتهم لدرّ
 الرماد في الأعين انتصاراً للأهواء والعصبيات المسبقة الصنع ، فإنّ تلك الأمة تشوّه
 مفهومها لدينها ، وتقتل ذاتها ، وتحرف فكرها ، وتغرق مستقبلها في مستنقعات ماضيها
 .. وبالتالي تخرج من التاريخ كأمةٍ فاعلةٍ فكرياً وحضارياً ..

وحينما يتحوّل التاريخُ عند أمةٍ من الأمم إلى منجمٍ لصناعة معايير تقويم رؤاها
 الفكرية والحضارية ، معايرةً ما فيه على كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
 ولا من خلفه ، فإنّ هذه الأمة تعي دينها وذاتها ، وتقوم فكرها ، وتبني مستقبلها بناءً
 سليماً .. وبالتالي تدخل التاريخ كأمةٍ فاعلةٍ فكرياً وحضارياً ..

.. نقول لعابدي أصنام التاريخ ، المتاجرين بالسنة الشريفة ، الذين يشترون بآيات
 الله تعالى ثمناً قليلاً ، نقول لهم : الإفلاس الفكري وعدم امتلاك الحجج والبراهين في
 مواجهة الآخر ، مع فقدان القيمة الإنسانية الخلقية ، ينتجان حالةً تذب فيها القيم ،
 وينمو فيها الكذب على حساب الصدق ، والتهرج على حساب الفكر ..

سنتابع - إن شاء الله تعالى - في الحلقة القادمة مزيداً من تبيان التناقض ما بين
 الروايات ، خدمةً للسنة الشريفة ، بتحريها من بين ضباب الدس ، وذلك بمعايرة الروايات
 على كتاب الله تعالى ، بمركب العقل والعلم والمنطق ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

المحطة العشرون

((الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق))

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. عندما تكون منظومة الوعي دون أسسٍ سليمةٍ متكئةٍ على كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق .. وحينما يكون سمتُ الإدراك باتجاه التاريخ وأهواءِ رجالته .. وحينما يتحوّل المستمعُ إلى مُجرّدٍ مُتلقٍ دون تتبّعِ الحجّةِ والبرهان .. وحينما يتحوّل الواعظُ إلى مُجرّدٍ مُهرّجٍ لا تعنيه الأدلّةُ والبراهين .. حين ذلك .. نكون في الخندق المعادي للحقيقة ، حتّى لو ثلّيت هذه الحقيقة من أفواهنا ..

.. لو نظرنا نظرة تدبّرٍ إلى تاريخنا الفقهي والديني ، لرأينا أنّ معظم الفقهاء والعلماء كان كلّ منهم مُحارباً في عصره ، وأنهم تعرّضوا للكثير من التهم والإيذاء ، وأنّ فكرَ معظمهم لم ينتشر إلّا بعد مفارقتهم للحياة .. باختصارٍ شديد .. نرى أنّ المنظومة الفكرية التي تحكّم سمت توجّهنا الفكري ، وسمت رؤيتنا للمنهج ، تجعل من إدخال أيّ فكرٍ جديدٍ إليها مسألةً بالغة الصعوبة ، ولا يوجدُ أصعبُ منها إلّا إخراج تلك الفكرة - إن دخلت - من تلك المنظومة ..

.. أليس جعلُ التاريخ جزءاً من المنهج ، هو ذاته المشكلة التي واجهها هودٌ عليه السلام مع قومه ، حينما طلبَ منهم أن يعبدوا الله تعالى وحده ، دون التاريخ الذي جاء عن طريق الآباء :

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا

إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠]

.. أليس جعلُ فكرِ الآباءِ شريكاً لمنهجِ الله تعالى ، هو ذاته ما واجهه صالحٌ عليه السلام مع قومه :

﴿ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِنُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢]

.. أليس جعلُ فكرِ الآباءِ شريكاً لمنهجِ الله تعالى ، هو ذاته ما واجهه موسى عليه السلام :

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ

وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨]

.. أليست هذه مشكلةُ كلِّ الرسل مع أقوامهم :

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ

مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنثُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ

تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم : ١٠]

.. أليست هذه المشكلة هي المشكلة ذاتها التي واجهها النبي ﷺ في حياته ، ويواجهها - بعد وفاته - المنهجُ الذي نزلَ عليه ؟ .. أليست الآيةُ الكريمةُ التاليةُ بإطلاقها الذي تستحقّه ، والذي هو فوق التاريخ والزمان والمكان .. أليست تصفُ حالَ عابدي أصنام التاريخ ..

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولًا ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّنْ

قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُم نَصِييَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴾ [هود : ١٠٩]

.. ألم يصفُ اللهُ تعالى أصحابَ الجحيم بقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ۗ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٨﴾ فَهُمْ عَلَى

ءَاثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات : ٦٨ - ٧١]

.. هل كان الضالون خلال التاريخ يعلمون أنهم ضالون ؟!!! .. أم أنهم كانوا

يחסون أنفسهم على حق ، وأن ما ورثوه من فكرٍ عن آبائهم هو عين الحقيقة ؟!!! ...

أي تفاهمٍ وأي تعایش في أي وطنٍ يمكننا تصوُّره لو تمَّ العمل بمقتضيات الرواية التالية ..

البخاري (٢٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسَنَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو رَوْحٍ الْحَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ قَالَ حَدَّثَنَا

شُعْبَةُ عَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ

وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

البخاري (٣٧٩) :

حَدَّثَنَا نُعَيْمٌ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا

قَالُوهَا وَصَلُّوا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا وَدَبَّحُوا دَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرَمْتَ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ قَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ حَدَّثَنَا

حُمَيْدٌ حَدَّثَنَا أَنَسُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ

الْحَارِثِ قَالَ حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ قَالَ سَأَلَ مَيْمُونُ بْنُ سِبْيَاهِ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ يَا أَبَا حَمْرَةَ مَا يَحْرَمُ

دَمَ الْعَبْدِ وَمَالَهُ فَقَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ

مسلم (٣١) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّبِيِّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الدَّرَاوَرْدِيَّ عَنِ الْعَلَاءِ ح وَحَدَّثَنَا أُمِّيَّةُ بْنُ بَسْطَامٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ عَنِ أَبِيهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

.. إذا .. حسب هذه الروايات لا تُعَصَمُ دِمَاءُ النَّاسِ وَلَا أَمْوَالُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مُسْلِمِينَ وَيُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، وَيُصَلُّوا صَلَاتَنَا ، وَيَسْتَقْبِلُوا قِبَلَتَنَا ، وَيَذْبَحُوا ذَيْحَتَنَا .. وحسب صياغة هذه الروايات لا بُدَّ أَنْ يَقُومُوا بِكُلِّ هَذِهِ الْأَعْمَالِ بِمَجْتَمَعَةٍ ، بِدَلِيلِ الْعَطْفِ بِالْحَرْفِ (وَ) دُونَ الْحَرْفِ (أَوْ) بَيْنَ هَذِهِ الشَّرُوطِ الَّتِي تَعَصَمُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ : [[وَصَلُّوا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبَلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَيْحَتَنَا]] ، [[وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ]] ..

.. كَيْفَ تُعَدُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ نَصُوصًا مُقَدَّسَةً فِي الْوَقْتِ الَّذِي نَقَرُّ فِيهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩]

.. حتى آيات كتاب الله تعالى يُؤوِّلوها تأويلات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ،

فالإكراه المعنى بقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ يزعم بعضهم أنه قبل دخول الدين

فقط ، بينما بعد دخول الدين فلا صلاحية عندهم لهذه العبارة القرآنية ... وحتى لو طلقنا عقولنا وقبلنا مثل هذه التأويلات الفاسدة ، فإن الأحاديث التي ذكرناها تنسف هذا التأويل من جذوره ، فالعبارة المفضرة على الرسول ﷺ في هذه الروايات : **[[أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ]]** ، هذه العبارة المزعومة تأمر بمقاتلة من لم يؤمن بعد .. إذاً هذه الأحاديث وهذه التأويلات والتفاسير الفاسدة كلها ينقضها القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً ..

.. فكيف يفترون على كتاب الله تعالى بأن اللاإكراه المعني بقوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي

الدِّينِ ﴾ هو قبل الدخول في الدين ، ثم يعودون فيضعون روايات ينسونها للرسول ﷺ بأنه قال **[[أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ]]** !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. ولننظر في الحديث التالي :

مسلم (٣٢٨١) :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَمْرُو بْنُ النَّاقِدِ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ قَالَ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيِّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَدَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ هُمْ مِنْهُمْ

وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويل من جيبه ليذر الرماد في أعيننا ، لننظر في النص التالي

المقتطع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخص هذا الحديث :

[[..... وهذا الحديث الذي ذكرناه من جواز بياتهم وقتل النساء والصبيان في

البيات ، هو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور . ومعنى (البيات) ، ويبيتون

(أن يغار عليهم بالليل بحيث لا يعرف الرجل من المرأة والصبي . وأما (الذراري)

فتشديد الباء وتخفيفها لغتان ، التشديد أفصح وأشهر ، والمراد بالذراري هنا النساء

والصبيان . وفي هذا الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير إعلامهم بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم ، وأما في الآخرة ففيهم إذا ماتوا قبل البلوغ ثلاثة مذاهب : الصحيح : أنهم في الجنة . والثاني : في النار . والثالث : لا يجزم فيهم بشيء . والله أعلم . []

.. كيف نُوفِّقُ بينَ شرحِ هذا الحديثِ الموضوعِ على لسانِ الرسولِ ﷺ : [] وفي هذا

الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير إعلامهم بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم [] ، كيف نُوفِّقُ بين ذلك وبين قولهِ تعالى : ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .. كيف نُوفِّقُ بين هذا الحديثِ المُلَفَّقِ على الرسولِ ﷺ وشرحه ، وبين قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] ..

.. وكيف نفهم قولهم : [] أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم [] ؟ !!!

.. ما ذنب هؤلاء الأطفال الذين لم يصلوا سنَّ التكليف بعد ؟!!! .. ومن زاوية علمهم بالتكليف وبجنتهم عن الحقيقة ماذا يختلفون عن أطفالنا ؟!!! .. ألا تُعطي مثل هذه النصوص الموضوعية وتأويلاتها للمتطرفين حيثيات تطرفهم الذي ينسبونه لمنهج الله تعالى ، ومنهج الله تعالى من ذلك براء ؟ .. ألا نرى في هذه الروايات الأسس الأولى للفكر الظلامي المتطرف التكفيري الذي عانت وتعاني منه الأمة ؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

.. ولم تقتصر هذه العصبية العمياء على الأديان الأخرى ، بل تعدت ذلك إلى نسب

نصوص إلى الرسول ﷺ تُكفِّرُ حتَّى بعض أبناء الأمة ممن يؤمنون بالقرآن الكريم ورسالة الرسول محمد ﷺ .. وكنا قد رأينا في محطة سابقة الحديث التالي ..

ابن ماجة (٣٩٨٣) :

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا فَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ

أحمد (١١٧٦٣) :

حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنِ الثَّمِيرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً

.. والكارثة العظمى أن كل فرقة وكل طائفة من طوائف الأمة يزعم أفرادها أنهم هم تلك الفرقة الناجية ، وبالتالي فباقي الفرق في النار .. من هنا نرى أن وضع مثل هذه الروايات المتناقضة أساساً كثوابت يُعايرُ عليها فكرُ الأمة في كل زمان ومكان ، كفيلاً بخطف أي صحوة يُراد منها وحدة الأمة والنهوض بها إلى الدرجة التي تليق بها كأمة حاملة لمنهج الله تعالى .. فمثل هذه الروايات تُعيد الأمة إلى ما تحت الصفر في أي صحوة تملأ نفوس أبنائها ، وذلك من خلال إعطائهم حيثيات التناحر والتكفير والافتتال ..

.. بعد ما رأينا من أحاديث لا يقبلها عقل ولا منطق ، بعد ذلك ، أصبحنا ندرك أن إنكار حديث مشكوك فيه خيرٌ من إدخاله ساحة المقدس ، لأن تقديم رواية مكذوبة على أنها من المنهج ، وإدخالها في ساحة المنهج ، هو جريمة أشنع حتى من جريمة الإعراض عن تدبر المنهج .. فغير المتدبر لمنهج الله تعالى ، ربّما يصحو يوماً ويعود للحق ، عبر فطرته النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، بينما التائه الذي يحسب الباطل حقاً لا يمكنه أن يصل إلى الحقيقة في يومٍ من الأيام ..

وفي كتاب الله تعالى - في سياق تبيان الظلم والافتراء على الله تعالى - نرى تقديم افتراء الكذب على الله تعالى حتى على التكذيب بآيات الله تعالى وبالحق ..

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِقَائِمَتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨]

فافتراء الكذب على الله تعالى هو إساءة لمنهج الله تعالى ، وإضلال للناس ، وإبعاد لهم

عن مُراد الله تعالى ..

وافتراء الكذب على الله تعالى بتلفيق الروايات ونسبها إلى المنهج عبر الزعم بأنها

صحيحة ، وإجبار الأمة على ذلك ، وتغيب العقل ومنعه من النظر في هذه الروايات ،

ومنعه من معايرتها على كتاب الله تعالى ، يخلق مع الزمن حالة يُحمل فيها الرجال

والروايات على سكة التقديس ، وتُخلق فيها الجُدر التي تمنع أبناء الأمة من رؤية الحقّ

الذي يحمله كتابُ الله تعالى ..

.. ففي معيار الفكر والبحث عن الحقيقة ، نرى أنّ القول بعصمة آل البيت وبعُدالة

الصحابة وبأنهم فوق الجرح ، وبأنّ كلّ ما وصلنا عنهم جزءٌ من الدين لا يجوزُ نقده ،

هذا القول ليس أقلّ سوءاً من سبهم ، فالقضية حينما تتعلّق بالفكر وبمنهجية البحث عن

الحقيقة في كتاب الله تعالى ، فإنها تسمو فوق أيّ قيمةٍ شخصيّةٍ لأيّ إنسانٍ مهما كان ..

.. لأنّ هذه التأويلات والتخرجات التي رأيناها ليست منطقيّة ، ولا تتكئ على

قواعد اللغة العربيّة وعلى حيثيات الصياغة اللغويّة للروايات ، ويتم فيها إضافة معاني من

الجيوب لا وجود لها في نصوص الروايات ، لأجل ذلك ، تتفرّق الأمة مع الزمن وتشرذم

إلى مزيد من الانقسام والتفرّق ، وذلك حسب تأويل كلّ مؤوّل .. ولذلك حتّى يستمرّ

فرضُ هذا الفكر التراثي الجمعي ، لا بُدّ - مع الزمن - من استمرار تقديس رجالات

التاريخ وبشكلٍ مُستمر ، ولذلك نرى أنّه في كلّ عصرٍ هناك رجالات يُعدّ كلامهم

مرجعاً لا تجوز مخالفته .. إذا منظومة الوعي الضابط للفكر - في هذه الحالة - تتشكّل من

لبنات الجزئيات التاريخية الموضوعية أصلاً من مادة الهوى والعواطف الهوجاء والمسكوبة في قوالب العصبية المسبقة الصنع ..

.. هناك الكثير من القضايا نتجرعها ببطء على أنها من المنهج وبالتالي نعدّها معياراً للبحث عن الحقيقة ، ولو تدبرناها بشكلٍ مجردٍ لرأينا أنها برزخٌ يحجبنا عن حقيقة تدبر كتاب الله تعالى .. لننظر في الحديث التالي ..

البخاري (٣١١٠) :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ بِشْرِكٍ أَوْ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

البخاري (٣١٧٥) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

البخاري (٦٤٠٧) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

.. بناءً على هذه الروايات الموضوعية ، فإن كلمة : ﴿ يَظْلِمُ ﴾ في الآية الكريمة :

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [الأنعام

: ٨٢ [، هي وَضَعُ لها بغير مكانها ، والأفضل أن تُسْتَبَدَلَ بكلمة (بِشْرِك) .. وهذا قَمَّةُ الإساءة لكتاب الله تعالى ، الذي تكمنُ مُعْجَزَتُهُ في صياغته اللغوية ، فكيف لا يستقيمُ فهمنا لآية كريمةٍ إلاَّ بعدَ أن نستبدلَ - في تفسيرِها - كلمةً بكلمةٍ أُخرى ؟!!! .. الآيةُ الكريمةُ تصفُ حالَ الذين يُعْطِيهِمُ اللهُ تعالى الأَمْنَ ، بأنَّهم يتصفون بصفتين : الصفةُ الأولى هي أنَّهم آمنوا ، والصفةُ الثانيةُ أنَّهم لم يلبسوا إيمانهم هذا بظلم .. ولفهم دلالات هذه الآية الكريمة ما علينا إلاَّ العودة إلى كتاب الله تعالى ، لإدراك دلالات كلمة : ﴿ يَلْبِسُوا ﴾

..

.. في كتابِ الله تعالى تدورُ دلالاتُ الجذر اللغوي (ل ، ب ، س) في إطارِ الإحاطة والتغطية والستر ، فاللباسُ هو ما يُحيطُ باللباس وما يُغْطِيهِ ويستُرُهُ .. يقولُ تعالى ..

﴿ يَنْبِئُ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ط وَلِبَاسُ التَّقْوَى

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكِ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٦]

.. فاللباس الذي يُؤَارِي سَوْءَاتِنَا يُحيطُ بها ويغْطِيها ويسترها ، ولباسُ التقوى هو إحاطةُ أنفسنا وسترُها بالورع وتقوى الله سبحانه وتعالى .. ولباسُ الحقِّ بالباطل هو جعلُ الباطلِ مُغْطِيًا للحقِّ ومحيطًا به وساترًا له .. يقولُ تعالى ..

﴿ يَتَاهَلَّ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿ [آل عمران : ٧١]

.. هكذا نفهم جميعَ مشتقاتِ الجذر اللغوي (ل ، ب ، س) في كتابِ الله تعالى .. وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، هذا القولُ يُبَيِّنُ لنا أنَّ الشْرَكَ ظلمٌ عظيمٌ ، ولا يقتضي ذلكَ أنَّ الظلمَ هو عينُ الشْرِكِ .. فكلُّ شْرِكٍ هو ظلمٌ ، وليسُ كُلُّ ظلمٍ يكونُ شْرِكًا .. هذا ما نُدرِكُهُ في تدبرنا السليم لدلالات الجذرين اللغويين (ظ ، ل ، م) ، و (ش ، ر ، ك) في كتابِ الله تعالى ..

.. والله تعالى لم يقل : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ ظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ، حتى يشقَّ ذلك على الناس ويقولوا يا رسول الله أئنا لا يظلمُ نفسه ، كما يزعمُ واضعو هذه الرواية ، وكما يُسوّقُ من بعدهم عابدو أصنام التاريخ .. إنَّما يقول جلّ وعلا : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ فالفارق بين قول الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ، وبين العبارة المفترضة المناسبة لِزَعْمِ واضعي هذه الرواية : ((وَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ ظُلْمٍ)) .. هذا الفارق شاسعٌ .. ومن الطبيعيّ ألاّ يُدركه الذين لا تعينهم صياغة النصّ القرآني بشيء ، وكلُّ ما يعينهم هو روايات التاريخ ورجالاته ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ، تعني الذين لم يُغَطُّوا إيمانهم بظلم ، أي لم يجعلوه محاطاً ومستوراً بظلم .. فإلباسُ الإيمان بظلم يعني أنّ الإيمان أصبح مغطىً ومحاطاً ومستوراً بظلم .. هذا ما تعنيه العبارة القرآنيّة التي تكمنُ مُعجزةً صياغتها اللغويّة في هذه الصياغة المطلقة ، دون أن نستبدلَ فيها كلمةً بكلمة ، ودون أن نفهم معناها من خلال دلالات كلمات لا وجودَ لها في ظاهر صياغتها اللغويّة إذاً .. مثل هذه الروايات تضعُ سقفاً لتدبّر آياتِ كتابِ الله تعالى ، بحيث يُعطى هذا السقفُ قدسيّةً تستحيلُ معها رؤية الدلالات الحقّ في كتاب الله تعالى ..

الطامّة الكبرى أنّهم يحتجّون علينا بمثل هذه الروايات من أجل منعنا من تدبّر كتاب الله تعالى ، ذاهبين بهذه الروايات إلى ما هو أبعد حتى ممّا ذهب إليه واضعها ، فما يطلبونه ممّا هو عدم رؤية أيّ دلالة في كتاب الله تعالى مهما كانت البراهين التي بين أيدينا ، بحجّة أنّ ذلك لا يتوافق مع رواياتهم الموضوعية ..
.. ولننظر في دلالات قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِمْ ۗ أَلْبَاسًا وَالصَّوَارِءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ

حقيقة المشروح لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ .. قبل ذلك .. لننظر في الرواية التالية لنرى أنَّ فهمنا لهذا الحديث بمكانه ..

البخاري (٣١٨٠) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ أَيَّهَا شَاءَ

.. العبارة المنسوبة - ظلماً - للرسول ﷺ تقول : [] أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ

مِنَ الْعَمَلِ [] .. والله تعالى يقول : ﴿ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢]

[، ويقول تعالى : ﴿ وَتُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾] [الأعراف

: ٤٣] ، ويقولُ تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [

الزخرف : ٧٢] ، ويقولُ تعالى : ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس :

٥٤] ، ويقولُ تعالى : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : ٣٩] ...

بعد كلِّ هذا البيان القرآني ، كيف بنا أن نفهم القولَ الموضوعَ على لسان الرسول ﷺ :

[] أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ [] ؟ !!! .. أليست العبارة [] عَلَى مَا كَانَ

مِنَ الْعَمَلِ [] تعني تحييداً كاملاً للعمل في الدخول إلى الجنة ؟ !!! ..

.. ولو نظرنا في الحديث التالي لتجلت الحقيقة أمام أعيننا ..

البخاري (٦٩٥٣) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَدْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَدْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ
فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعْلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَدْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَدْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ فَقَالَ أَعْلِمَ
عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَدْنَبَ ذَنْبًا
وَرُبَّمَا قَالَ أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ أَدْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعْلِمَ عَبْدِي
أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ

كيف بنا أن نفهم من هذا الحديث آخر عبارة فيه : **[[غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ
مَا شَاءَ]]** .. هل من يُذنبُ ثلاثَ مرّاتٍ يتوبُ بعدها ، هل يستطيعُ أن يفعلَ بعد ذلك
ما شاء معتقداً أنّ ذلك مغفورٌ له ؟!!! .. ألا يعني هذا الكلام الموضوع أنّ العمل لا قيمة
له ؟!!! .. نحن نتحدّث عن نصوصٍ موجودةٍ بين أيدينا ، ولا يعيننا لا من قريب ولا من
بعيد أيُّ تأويلٍ يُؤتى به من الجيوب ..

.. أليس الكلام المنسوب لأبي هريرة في نقله لهذه الرواية عن الرسول ﷺ **[[إِنَّ عِبْدًا أَصَابَ ذُنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ أَصَبْتُ]]** ، فيه من الدقة ما يُلفت النظر ؟ .. فما بين **[[أَصَابَ ذُنْبًا]]** وبين **[[وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذُنْبًا]]** ، حيث تكرر هذا بصيغ متشابهة مرات ، نرى تحريماً لدقة اللفظ .. بعد ذلك نرى - في هذا الحديث - العبارة **[[فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ]]** ، والتي تحمل إمكانية الابتعاد عن منهج الله تعالى بعد التوبة الثالثة ، وذلك بالقيام بأعمال يؤكّد لنا كتاب الله تعالى أنّ القيام بها يُدخل صاحبه النار ، مثل قتل النفس وغير ذلك ؟ ..

.. فكيف إذاً من الممكن أن نوفّق بين هذا التحريّ للدقة في اللفظ من جهة ، وبين مضمون العبارة **[[فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ]]** والتي تتنافى مع جوهر امتحان الإنسان في حياته الدنيا من جهة أخرى ؟!!! .. فهل عبارات الدقة في التحريّ عن حرفية ما نطق به ﷺ موضوعة من أجل لفت النظر بهدف خطف هذا النظر عن مضمون هذه الرواية الموضوعية ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..

.. قد يحلو لبعضهم أن يُلبس على العبارة **[[فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ]]** في نهاية الحديث ، بأنّها تعني عمل الخير وليس الذنوب ، وذلك هروباً من مواجهة استحقاق عدم صحّة هذه الرواية ... إنّ العبارة **[[فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ]]** في هذا الحديث بعد المتن الذي رأيناه ومباشرة بعد العبارة **[[غَفَرْتُ لِعِبْدِي ثَلَاثًا]]** ، هي أقرب إلى عمل الذنوب منه إلى عمل الخير ، لأنّ المغفرة تأتي بعد الذنوب .. فالحديث بصياغته هذه دون أن نضيف له معاني من جيوبنا هو موضوع بكلّ ما تحمل الكلمة من معنى ، وموضوع بأسلوب ذرّ الرماد في الأعين عبر الإيهام بالتحريّ عن دقة اللفظ الحرفي لقول الرسول ﷺ ..

.. الحديث التالي يُعطي تبريراً لممارسة الخطايا وبأنّها ستُغفر. بمجرد أن يقول الإنسان **سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ..**

البخاري : (٥٩٢٦) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ سُمَيٍّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ

.. حسب هذه الرواية الموضوعية ، لا مشكلة مع كثرة الخطايا حتى ولو كانت مثل زبد البحر .. وحسب هذه الرواية لا علاقة للقول بالخطايا ، وبالتالي لا علاقة للقول بالعمل ، وإلا كيف بنا أن نفهم العبارة الموضوعية في هذه الرواية [مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ] .. هذا ما يفهمه من هذه الرواية وغيرها الكثير ، مَنْ يُدْرِكُ الْحَدَّ الْأَدْنَى مِنْ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ..

.. ألا يتناقض هذا القول الموضوع في هذه الرواية مع قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا

عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] !!!؟ .. فكيف إذاً يستقيم القول :

[سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ] مع العمل الذي ينتج خطايا مثل زبد البحر ؟!!!! ..

.. وبالمقابل .. نرى رواية أخرى يُذَكَّرُ فِيهَا أَنَّ امْرَأَةً مُسْلِمَةً ، أَي تَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَتَسْبِيحُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْمِيدَهُ ، نَرَى أَنَّهَا تَدْخُلُ النَّارَ بِسَبَبِ هَرَّةٍ ..

البخاري (٣٢٢٣) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُدِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَأَنَّهَا أَطْعَمَتْهَا وَلَمْ تَحَبِّسْهَا وَإِذَا حَبَّسْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ تَأْكُلُ مِنْ خَشَّاشِ الْأَرْضِ

مسلم (٤١٦٠) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ الصُّبُعِيُّ حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُدِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَأَنَّهَا أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَّسْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ تَأْكُلُ مِنْ

خَشَّاشِ الْأَرْضِ وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَعَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ مَعْنَاهُ وَحَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مَعْنِ بْنِ عَيْسَى عَنْ مَالِكٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ

.. وقبل أن يخرج علينا أحدٌ بتأويلٍ من مثلِ التأويلات التي رأيناها ، لننظر في السنن

التالي الذي نفتطعه من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي فيما يخصُّ هذا الحديث :

[[..... وأما دخولها النار بسببها فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة ، وإنما

دخلت النار بسبب الهرة . وذكر القاضي أنه يجوز أنها كافرة عذبت بكفرها ، وزيد في عذابها بسبب الهرة ، واستحقت ذلك لكونها ليست مؤمنة تغفر صغائرها باجتناّب الكبائر . هذا كلام القاضي ، والصواب ما قدمناه أنها كانت مسلمة ، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث ، وهذه المعصية ليست صغيرة ، بل صارت بإصرارها

كبيرة ،]]

.. ولنقارن بين هذه المرأة التي أدخلت النار بسبب سجنها لهرة ، وبين الرجل المذكور في الرواية التالية ، والذي لم يعمل خيراً قط في حياته ، وفوق ذلك يقتل مائة من الأنفس .. على الرغم من كل ذلك ، تحتصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب في قبض نفسه بعد أن مات ، ويكون الفوز في النهاية لملائكة الرحمة ..

مسلم (٤٩٦٧) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ فَيِّمَن كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فذُلَّ عَلَى رَأْيِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَتَقْتَلُهُ فَكَمَلْ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فذُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا

أَنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدَ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَاتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ فَتَادَهُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ

كيف تختصم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وهم الذين يفعلون ما يأمرهم الله تعالى به !!!؟ .. كيف يختصمون ويريد كل منهما أخذ نفس هذا الرجل إلى موقفٍ مناقضٍ للموقف الذي تريد الملائكة من الطرف الآخر أخذه إليه ، والملائكة من الطرفين يعملون بأمر الله تعالى الذي لا يحمل المتناقضات ولا يُوجد فيه اختلاف !!!؟ ..

.. ثم أليست الخصومة المزعومة في هذه الرواية الموضوعية هي بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، أي بين الملائكة وليس فيهم أحد من بني آدم ؟ ، فلماذا - إذاً - يأتي هؤلاء الملائكة ملكٌ في صورة آدمي ليفصل بينهم هذه الخصومة !!!؟ ..

وهل من يقتل مائة نفس ولم يعمل أيَّ خيرٍ قط في حياته ، هل لا قيمة لعمله هذا لدرجة أن ملائكة الرحمة تفوز على ملائكة العذاب في قبض نفسه !!!؟ .. وحتى لو كُفرت كلُّ الخطايا التي حملها هذا الرجل من قتله لتلك الأنفس ، حتى لو فرضنا ذلك ، كيف سيدخل الجنة دون عمل خير وهو كما ورد في هذه الرواية [] لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ

[] ، والله تعالى يقول : ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] ، والله

تعالى يقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ط

مَسَّيْتُمْ الْأَبْأَسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ ط

أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] !!!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ولننظر في الحديث التالي :

البخاري (٦٣٢٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُوسِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَاصِمِ الْكِلَابِيِّ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ قَالَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ قَالَ وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْ قَالَ حَدَّكَ

.. ولننظر في النص التالي المقتطع من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،

فيما يخص هذا الحديث :

[[..... أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنني زنيت فأقم علي الحد " الحديث فحمله بعض العلماء على أنه ظن ما ليس زنا زنا فلذلك كفرت ذنبه الصلاة ، وقد يتمسك به من قال إنه إذا جاء تائباً سقط عنه الحد ، ويحتمل أن يكون الراوي عبر بالزنا من قوله أصبت حدا فرواه بالمعنى الذي ظنه والأصل ما في الصحيح فهو الذي اتفق عليه الحفاظ عن عمرو ابن عاصم بسنده المذكور ، ويحتمل أن يختص ذلك بالمذكور لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد كفر عنه حدّه بصلاته ، فإن ذلك لا يعرف إلا بطريق الوحي فلا يستمر الحكم في غيره إلا في من علم أنه مثله في ذلك وقد انقطع علم ذلك بانقطاع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم]]

.. أي تأويل يستطيع إسعاف هذه الرواية ؟!!! .. كيف يؤوّل بعضهم هذا الحدّ

المذكور في الرواية على أنه يعني الذنوب الصغيرة ، في الوقت الذي نرى في هذه الرواية الموضوعية أنّ هذا الرجل الذي يطلب إقامة الحدّ عليه يقول : [[يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ]] ، وفي الوقت الذي يُذكر في شرح هذا الحديث : [[أن رجلا

أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنني زنيت فأقم علي الحد .. إذاً هناك حدٌ له عقوبةٌ مذكورةٌ في كتاب الله تعالى ، وهذا الحد أصابه هذا الرجل ، هكذا يفهم كلٌ من يُدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربية ..

.. ثم كيف يُجيبه النبي ﷺ بقوله : **[[فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْ قَالَ حَدَّكَ]]** ، وهو ﷺ لم يسمع من ذلك الرجل ما هو ذنبه : **[[فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ قَالَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ]]** !!!؟ .. فالعبرة : **[[وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ]]** صريحةٌ وواضحةٌ ولا تحتاجُ إلى تأويل .. كيف يستطيع النبي ﷺ أن يعلم الغيبَ بمعرفةِ هذا الحد ، في الوقت الذي نقرأ فيه الحديث التالي :

البخاري (٦٤٥٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ

.. كيف يعلم النبي ﷺ الغيبَ في الحديث الذي يذكرُ الرجلَ الذي يطلبُ إقامةَ الحدِّ عليه ، وفي الوقت ذاته لا يعلم الغيبَ في هذا الحديث حينما يقضي النبي ﷺ بين المتخاصمين !!!؟ .. وكنا قد بينا من كتاب الله تعالى ومن الأحاديث ذاتها أنه ﷺ لا يعلم الغيب ..

.. كيف تُكفرُ فريضةً من فرائض الصلاة حدوداً كحدِّ الزنا !!!؟ .. وكيف بنا أن نفهم تأويلهم الذي أتوا به من جيوبهم : **[[فحمله بعض العلماء على أنه ظن ما ليس زنا زنا فلذلك كفرت ذنبه الصلاة]]** !!!!!!؟ .. فهل هذا الرجل مُغفلٌ لدرجة لا يعرفُ فيها الزنا من غيره !!!!!!؟ .. وكيف يكون مُغفلاً بحيث لا يعرف الزنا في الوقت الذي يعلمُ حدَّه في كتاب الله تعالى !!!!!!؟ .. وهل يُحملُ تأويلهم هذا على أيِّ محملٍ علميٍّ أو منطقيٍّ !!!!!!؟ .. أليس هذا وضعاً يهدفُ إلى تخريبِ فكرِ الأمةِ وإشاعةِ حيثيات

استسهال الفواحش في المجتمع ، من خلال تصويرها بأنها تُكفَّرُ بالصلاة ؟ .. وكيف بنا أن نفهم ذلك على ضوء حدِّ الزنا الواضح الجلي في كتاب الله تعالى ؟!!! ..

.. إذا .. إنسانٌ يرتكبُ حداً كحدِّ الزنا له عقوبةٌ في كتاب الله تعالى ، فتُكفَّرُ عنه بمجرد ما يُصَلِّي فريضةً من الفرائض .. وامرأةٌ مُسلمةٌ تدخلُ النارَ بسببِ سجنها لهرةً ، وبالمقابل تفوز ملائكة الرحمة على ملائكة العذاب في قبضها لنفسِ رجلٍ مات بعد أن قتل مائة نفس ولم يعمل خيراً قط في حياته .. وإنسانٌ يذنب ويتوب ثلاث مرّات ثم يُعطى رخصةً بأن يفعلَ بعد ذلك ما يشاء .. وإنسانٌ يقولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ فَتُغْفَرُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .. وأطفالُ الآخرين ونساؤهم حُكْمُهُمْ كحُكْمِ آبائهم ، يُغارُ عليهم في الليل بحيث لا يُعرَفُ الرجلُ من المرأةِ والصبي فيقتلون ويدبّحون ، فقط لأنهم أطفالُ الآخرين ..

.. وكنا قد رأينا في محطة سابقة كيف يُلفَقُ على لسان الرسول ﷺ أن المُسلم حينما يموت يُدخلُ الله تعالى النارَ مكانه يهودياً أو نصرانياً ، وأنه يقولُ له هذا فكاكك من النار .. ورأينا أن ذنوبَ بعضِ المسلمين وإن كانت مثل الجبال تُوضَعُ على اليهود والنصارى .. وكنا قد رأينا في محطة سابقة كيف يُلفَقُ بأن النبي ﷺ بعدَ ذهابِ شبابه قد أُعطي قوّةً جنسيّةً تُعادلُ ثلاثين رجلاً ، وأنه وهو في الستينات من عمره كان يطوف على إحدى عشرة امرأة في غسلٍ واحد في ساعة واحدة من الليل .. وكنا قد رأينا في محطة سابقة كيف يُلفَقُ بأن من يُوصي النبي ﷺ بأخذ القرآن منه ، كان يعتقد أن المعوذتين ليستا من كتاب الله تعالى .. ورأينا أيضاً كيف تُسيءُ الرواياتُ لصياغةِ النصِّ القرآني بإضافة الحمل وحذفها منه ، ورأينا ورأينا الكثير من الروايات التي لا يقبلها كتابُ الله تعالى ولا عقل ولا منطق .. وما رأيناه - في هذه المحطّات - هو جزءٌ بسيطٌ جداً ممّا تحملُ هذه الروايات من تناقضات ومخالفات لكتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق ..

.. أعتقد أننا أصبحنا نرى بشكلٍ جليّ كيف أن ما يُسمّى بعلوم الحديث لا تنطبقُ عليها صفةُ العلم التي تعني الوقوفَ الكاملَ على حقائق الأشياء .. وبالتالي فإنَّ المقولةَ بأنه لا يحقُّ لأحدٍ التحدّث بمواضيع هذه العلوم إلا أن يكونَ مختصّاً ومن داخل المؤسسة ، هذه

المقولة ليست سليمةً ، لأنّ تلك العلوم مبنيةٌ كما رأينا على مقارباتٍ تاريخيةٍ مليئةٍ بالأخطاء والأهواء والعصبيات المذهبية والطائفية المسبقة الصنع .. فمقارنة علوم الحديث بالعلوم الكونية كالفيزياء والكيمياء ليست مقارنةً سليمةً ، لأنّ مادّة العلوم الكونية موجودةٌ بين أيدينا وتوضّع تحت المجهر وتُعطى عليها البراهين التجريبيّة ، بينما علوم الحديث هي نقلٌ تاريخي فيه من الحق بمقدار ما يتطابق مع كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق ، وفيه من الكذب بمقدار ما يختلف مع كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق ..

.. والقول بأنّ الأُمَّة أجمعت على تصحيح كتب الحديث ، سواءً كان ذلك عند السنّة أم عند الشيعة ، وآته بين أيدينا صحاحٌ لا لبسَ فيها ، هو قولٌ غيرٌ صحيح ، فلا يحقُّ لفردٍ أو جيلٍ أن ينوبَ عن الأُمَّة إلى قيام الساعة ، وهذا يشملُ كلَّ جيلٍ ... فقد رأينا أحاديثَ تُقولُ بتحديدِ جنسِ المولود بعد شهورٍ من الحمل ، ومرّت هذه الأكذوبة قرونًا من الزمن ، دون أن تُثيرَ اهتمامَ أحدٍ .. ولو أنّ العلمَ الحديثَ لم يكتشفْ هذه الحقيقةَ لبقيت هذه الأكذوبة سارية المفعول ... وحتى لو تمّت عملية تنقية للأحاديث قبل الأجيال الأخيرة التي علمت أنّ تحديدَ جنسِ المولود يكون لحظة التلقيح ، حتّى لو تمّت هذه التنقية آنذاك ، كما كُنّا لنعلم أنّ أحاديثَ تحديدِ جنسِ المولود موضوعةٌ على الرسول ﷺ ... من هنا نرى أنّه لا بُدَّ من الاستمرار في معايرة روايات الأحاديث على كتاب الله تعالى وثوابت العلم والمنطق إلى قيام الساعة .. فالحديث الذي نراه صحيحاً اليوم ، قد يثبتُ عدمُ صحّته في الغد ، بسبب تدبّرنا لكتاب الله تعالى وبسبب الاكتشافات العلميّة المتصاعدة ..

.. عابِدو أصنامِ التاريخ يُراهنون على أمرين يسعون لتكريسِهما ، الأمرُ الأوّل هو استغلال عواطف الناس نحو الدين ، في إيهامهم بأنّ نقدَ الروايات بهدف تحريّ الحقيقة ، هو نقدٌ للدين وإنكارٌ للسنّة الشريفة .. والأمرُ الثاني هو عدمُ اطلاعِ معظمِ الناسِ على الروايات التاريخية ، ويكرّسون هذا الأمرَ بأنّ للأحاديثِ علومًا مُحدّدةً وشروحاً لا بُدَّ منها حتّى يفهمَ الدارسُ تلكَ الأحاديث ، وآته لا تجوزُ قراءةُ تلكَ الروايات بشكلٍ مُجرّدٍ

عن تلك الشروح والتأويلات ، وكنا قد رأينا كيف أن تأويلات الأحاديث وشروحها عبارة عن ذرٌّ للرماد في الأعين بهدف عدم الاعتراف بعدم صحة تلك الروايات ..

.. بين هذين الشاطئين تُبحرُ كلُّ مراكبِ التهريج والتجيش المذهبي والطائفي والتخندق في خنادق مذهبية وطائفية ، وبذلك تبقى الحقيقة مُعلَّقة بين السماء والأرض ، ويبقى التهريج سيّد الموقف ، وتبقى الأمة مُمزَّقةً وبعيدةً عن حقيقة منهجها ..

.. ألم تعش الأمة قروناً كثيرةً والكثيرون من أبنائها تملأ حكايات الدجال وعيهم وفكرهم ؟ .. كم من الروايات تُنسبُ إلى الرسول ﷺ في مسألة الدجال ؟ !!! .. ولو عدنا إلى هذه الروايات وقرأناها قراءةً واعيةً على ضوء كتاب الله وثوابت العقل والمنطق ، لرأينا أن المسألة من جذورها مُلفقةٌ ، ولا وجود لها ..

.. هناك أحاديث يُفهم منها أن الدجال هو ابن الصائد ، وهو رجلٌ رآه النبي ﷺ والصحابة ، بمعنى أنه كان حياً في عصرهم .. لننظر في الحديث التالي :

البخاري (٦٨٠٨) :

حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ حُمَيْدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَالَ قُلْتُ تَحْلِفُ بِاللَّهِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسلم (٥٢١٤) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالَ فَقُلْتُ أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. حسب هذه الأحاديث ، الدجال هو ابنُ صائد ، وهو رجلٌ معروفٌ في عصرِ النبي ﷺ .. فليس من المعقول أنْ عُمِرَ يحلف عند النبي ﷺ أن ابن صائد هو الدجال ، ولا ينكر النبي ﷺ عليه ذلك ، إلا إذا كان ابنُ صائد بالفعل هو الدجال ..

.. وفي هذه الرواية نرى أن كلمة **[[الدَّجَالُ]]** تردُّ بأل التعريف ، وتردُّ خبراً لاسمٍ هو ابن الصائد : **[[أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَالُ]]** ، **[[أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالُ]]** .. وهذا ينفي أيَّ ذرٍّ للرماد في الأعين بأن ابن الصائد دجالٌ من الدجالين ، وذلك في محاولة لإخفاء التناقض بين هذه الرواية وبين الروايات الأخرى ، والتي سنرى بعضها ... فلو كانت الرواية تعني أن ابن الصائد دجالٌ من الدجالين ، لوردت على الشكل **[[أن ابن الصائد دجالٌ]]** ، **[[أن ابن صائد دجالٌ]]** ... فإيراد العبارة **[[أَنَّ ابْنَ الصَّائِدِ الدَّجَالُ]]** ، **[[أَنَّ ابْنَ صَائِدِ الدَّجَالُ]]** ، يعني أن ابن الصائد هو الدجال المعني ، الذي يُسمى بهذا الاسم دون غيره .. هكذا يفهم من لم يُطلق عقله مُحترماً الحد الأدنى من قواعد اللغة العربية ..

.. بعد ذلك نرى أحاديث يُفهم منها غير ذلك ، فتصفُ الدجال رجلاً سيولُدُ في المدينة من اليهود لننظر في الحديث التالي ..

الترمذي (٢١٧٤) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيُّ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُكْتُ أَبُو الدَّجَالِ وَأُمُّهُ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرٌ أَضْرُّ شَيْءٍ وَأَقْلَهُ مَنَفَعَةٍ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ثُمَّ نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ أَبُوهُ طَوَالَ ضَرْبِ اللَّحْمِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مَنقَارٌ وَأُمُّهُ فَرِضَاخِيَّةٌ طَوِيلَةُ الْيَدَيْنِ فَقَالَ أَبُو بَكْرَةَ فَسَمِعْنَا بِمَوْلُودٍ فِي الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ فَذَهَبْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبَوَيْهِ فَإِذَا نَعَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمَا فَقُلْنَا هَلْ لَكُمَا وَلَدٌ فَقَالَا مَكُنْنَا ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ ثُمَّ وُلِدَ لَنَا غُلَامٌ أَعْوَرٌ أَضْرُّ شَيْءٍ وَأَقْلَهُ مَنَفَعَةٍ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ قَالَ فَخَرَجْنَا

مِنْ عِنْدِهِمَا فَإِذَا هُوَ مُنْجَدِلٌ فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ وَلَهُ هَمَمَةٌ فَتَكشَّفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالَ مَا قُلْتُمَا قُلْنَا وَهَلْ سَمِعْتَمَا مَا قُلْنَا قَالَ نَعَمْ تَنَاَمَ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ
ولننظر في الحديث التالي :

أحمد (١٩٥٢٢) :

حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمُكْتُ أَبَوَا الدَّجَالِ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُوَلِّدُ لَهُمَا ثُمَّ يُوَلِّدُ لَهُمَا غُلَامًا أَعْوَرُ أَضْرُ شَيْءٍ وَأَقْلَهُ نَفْعًا تَنَاَمَ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ثُمَّ نَعَتَ أَبُوَيْهِ فَقَالَ أَبُوهُ رَجُلٌ طَوَالَ مُضْطَرَبِ اللَّحْمِ طَوِيلُ الْأَنْفِ كَانَ أَنْفُهُ مَنقَارًا وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فِرْصَاخِيَّةٌ عَظِيمَةٌ التَّدْيِينِ قَالَ فَبَلَّغْنَا أَنَّ مَوْلُودًا مِنَ الْيَهُودِ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ قَالَ فَانطَلَقْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبُوَيْهِ فَرَأَيْنَا فِيهِمَا نَعَتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِذَا هُوَ مُنْجَدِلٌ فِي الشَّمْسِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ هَمَمَةٌ فَسَأَلْنَا أَبُوَيْهِ فَقَالَ مَكَّنَّا ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُوَلِّدُ لَنَا ثُمَّ وُلِدَ لَنَا غُلَامًا أَعْوَرُ أَضْرُ شَيْءٍ وَأَقْلَهُ نَفْعًا فَلَمَّا خَرَجْنَا مَرَرْنَا بِهِ فَقَالَ مَا كُنْتُمَا فِيهِ قُلْنَا وَسَمِعْتَمَا قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ تَنَاَمَ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي فَإِذَا هُوَ ابْنُ صَيَّادٍ

.. أوَّل ما نراه في هذه الرواية هو ورود الكلمة **[[يَمُكْتُ]]** بصيغة المضارع وليس

بصيغة الماضي .. **[[يَمُكْتُ أَبَوَا الدَّجَالِ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُوَلِّدُ لَهُمَا ثُمَّ يُوَلِّدُ لَهُمَا]]** ،
إضافة إلى ورود العبارة **[[فَبَلَّغْنَا أَنَّ مَوْلُودًا مِنَ الْيَهُودِ وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ]]** ... هذا يؤكِّد
أنَّ الدَّجَالَ هنا هو شخصٌ آخر غير ابن صائد ..

.. كما أنَّنا نرى في هذا الحديث أنَّ الدَّجَالَ الذي يصفه ﷺ تنطبق عليه كلُّ صفات ذلك المولود الذي وُلِدَ في المدينة من اليهود ، لدرجة تُصوِّرُ فيها - هذه الرواية الموضوعية -
- أنَّ هذا المولود هو - فقط هو - الدَّجَالَ المعني الذي وصفه ﷺ وآخر عبارة في

هذا الحديث تُعيد الأمر إلى ابن صيَّاد **[[فَإِذَا هُوَ ابْنُ صَيَّادٍ]]** ، فالدجال المعني - في هذه الرواية هو ابنُ صيَّاد ..

.. بعد ذلك .. نرى أحاديث تصفُ الدجالَ بأنه رجلٌ موجودٌ في جزيرة ما في البحر ، وبأنه أعظمُ إنسانٍ خلقاً وأشدُّه وثاقاً ومجموعهٌ يدهُ إلى عنقه ما بينَ رُكبتيه إلى كعبيه بالحدِّيد .. وهذا يُناقضُ صفات الدجال في كلِّ من الحالتين السابقتين .. فالدجال في الرواية التالية ، يختلف عن الدجال في أيِّ من الحالتين السابقتين ..

.. ولنقتطع النصَّ التالي من حديث في صحيح مُسلم ، بسبب طول الحديث ، فالحديث طويلٌ لدرجةٍ يستحيل معها نقله قروناً من الزمن حتى فترة تدوين الأحاديث ، هذا فضلاً عن الأساطير الموجودة فيه ..

مسلم (٥٢٣٥) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَدِّي عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذُكْوَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ بَرِيْدَةَ حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيُّ شَعْبُ هَمْدَانَ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَالِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ ثُمَّ أَرْفَعُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعْرِ لَا يَدْرُونَ مَا قَبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ فَقَالُوا وَيْلَكَ مَا أَنْتِ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قَالُوا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالشُّوَاقِ قَالَ لَمَّا سَمِعَتْ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً قَالَ فَاَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى

دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلَقًا وَأَشَدَّهُ وِتَاقًا مَجْمُوعَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ قُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَيَّ خَبْرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ أَنْاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجَ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرِبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِينَا دَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يَدْرِي مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ فَقُلْنَا وَيْلَكَ مَا أَنْتَ فَقَالَتْ أَنَا الْجَسَّاسَةُ قُلْنَا وَمَا الْجَسَّاسَةُ قَالَتْ ااعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً فَقَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَحْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ بَحِيرَةِ الطَّبْرِيَّةِ قُلْنَا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِيهَا مَاءٌ قَالُوا هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ قَالَ أَمَا إِنْ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ قَالُوا عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ قَالَ هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ قُلْنَا لَهُ نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ قَالُوا قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ قَالَ أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْتَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَيَّ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤَدَّنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرَجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّتَا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَيَّ كُلَّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمُنْبَرِ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ فَقَالَ النَّاسُ نَعَمْ فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنْ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ

يَدِيهِ إِلَى الْمَشْرِقِ قَالَتْ فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.....

.. هنا الدجالُ شخصٌ آخر غير الدجال في الروايات السابقة ، فهو موجودٌ في جزيرة ما في البحر وصفائه حسب هذه الرواية هي أنه أعظمُ إنسانٍ خلقاً وأشدُّه وثاقاً مجموعةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ وهنا الدجال رجلٌ يدعو إلى اتباع النبي ﷺ ، وإلا كيف بنا أن نفهم العبارات المنسوبة للدجال في هذه الرواية : **[[قَالَ أَخْبَرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأَمِّيِّينَ مَا فَعَلَ قَالُوا قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ قَالَ أَقَاتَلُهُ الْعَرَبُ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ فَأَخْبَرْتَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَيَّ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ]]** .. ما دام دجالاً كيف يتحوّل فجأةً إلى صادقٍ يدعو لاتباع النبي ﷺ؟! .. ولماذا لم يصل أحدٌ خلال أربعة عشر قرناً إلى هذه الجزيرة ليرى ذلك الدجال؟! .. ثم كيف يستدلُّ النبي ﷺ على أقواله بقصة من رجلٍ نصرانيٍّ جاء فبايع وأسلم؟! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. والأهم من كلِّ هذا أن هذا الدجال يُحيي الموتى .. لننظر في الحديث التالي ..

مسلم (٥٢٣٠) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُهَزَادٍ مِنْ أَهْلِ مَرَوْ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ فَيَقُولُونَ لَهُ أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ قَالَ فَيَقُولُونَ لَهُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا فَيَقُولُ مَا بِرَبِّنَا خَفَاءُ فَيَقُولُونَ اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ قَالَ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ فَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيَشْبَحُ فَيَقُولُ خُدُوهُ وَشَجُوهُ فَيُوسِعُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ ضَرْبًا قَالَ فَيَقُولُ أَوْ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ فَيَقُولُ أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ قَالَ فَيُؤْمَرُ

به فَيُؤْشَرُ بِالْمُبَشَّارِ مِنْ مَفْرَقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ قَالَ ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا قَالَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَنْتُمْ بِي فَيَقُولُ مَا أزدَدْتُ فَيْكَ إِلَّا بَصِيرَةً قَالَ ثُمَّ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ فَيَأْخُذُهُ الدَّجَالُ لِيَدْبَحَهُ فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهَا قَذْفُهُ إِلَى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

البخاري (٦٥٩٩) :

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَالِ فَكَانَ فِيمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ أَنَّهُ قَالَ يَأْتِي الدَّجَالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْزِلُ بَعْضَ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ الدَّجَالُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ فَيَقُولُونَ لَا فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فَيْكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ

.. كيف يعطي الله تعالى صلاحية إحياء الموتى لدجالٍ حتى يضلَّ الناسُ ؟!!! .. ألم

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [

البقرة : ١٤٣] .. ألم يصف الله تعالى الكافرين بأنهم كافرون لأنهم لم يؤمنوا بمعجزات

الله تعالى الخارقة للناموس الذي اعتادوا عليه : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا

كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام : ٤] .. فكيف إذا يعطي الله تعالى معجزة خارقة لدجال

كي يضلَّ الناسُ ؟!!! .. أليس إحياء الموتى من آياتِ الله تعالى ؟ .. أليس إحياء الموتى

مُعْجَزَةٌ عَظِيمَةٌ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ .. كَيْفَ تَنْخَدِعُ الْأُمَّةُ قَرُونًا مِنْ الزَّمَنِ ، بِمَثَلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْمُتَنَاقِضَةِ فِيمَا بَيْنَهَا ، وَالْمُخَالَفَةِ لِثَوَابِتِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ !!! هل بقي دينُ الله تعالى ناقصاً حتى مجيء البخاري ومسلم والكافي وغيرهم ، لِيُكْمَلُوا بَعْدَ قَرُونٍ مَا لَمْ تُذَكَّرْ لَهُ كُليَّةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ .. فكيف إذا يكون ما روي بروايات آحادٍ بعدَ قرونٍ من الزمن ، من نزولِ قولهِ تَعَالَى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] ، كيف يكون فوق

النقد وجزءاً من المنهج يحملُ صلاحيةً نسخِ كتابِ الله تعالى وتخصيصه ؟ !!! وعلى سبيل المثال .. ألم يختار البخاري بضعة آلاف حديث من بين مئات الآلاف الموجودة بين يديه ؟ .. فكيف - إذاً - تنتقل هذه الروايات إلى المُقدَّس بمجرد اختياره لها ؟ !!! .. أليس هذا دليلاً على إعطاءِ رجالِ التاريخ صفةَ القدسيَّةِ ؟ ..

.. أما آن الأوان لعابدي أصنام التاريخ أن يقفوا عند قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ** ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام : ٢١] ، وأن يقفوا عند قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٨] ..

.. أما آن لهم أن يروا حكمة الله تعالى في تقديم عبارة افتراء الكذب عليه ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾ ، على عبارة التكذيب بآياته ﴿ **أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ** ﴾ ، وعلى عبارة التكذيب بالحق من عنده ﴿ **أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ** ۗ ﴾ وبالتالي ، أما آن لهم أن يعلموا أن إدخال أي رواية مُناقضة للقرآن الكريم ولثوابت العلم والمنطق ، إلى ساحة المنهج ، ونسبها إلى الرسول ﷺ ، وفرض ذلك على الناس ، وتكفير من لا يؤمن بها ، واتهامه بأنه منكرٌ للسنة الحق .. أما آن لهم أن يعلموا أن ذلك ظلمٌ عظيمٌ أكبر حتى من ظلم التكذيب بالمنهج ذاته ..

.. أما أن الأوان أن يعلم عابدو أصنام التاريخ أن أكبر دجلٍ هو افتراءٌ مثل هذه الروايات على الرسول ﷺ ، لتشويه منهج الله تعالى ، وأنه لا يوجد دجلٌ أكبر من هذا الدجل إلا تسويقٌ مثل هذه الروايات على أنها دينٌ يُكفّر من يُفكّر مجرد تفكيرٍ بنقدها ؟ ..

.. أما أن الأوان لعابدي أصنام التاريخ أن يُعطوا كتابَ الله تعالى حَقَّهُ من القدسيّة بأن لا يرفعوا أيّ نصٍّ آخر - مهما كان - إلى درجة التسليم الكامل الذي نُسلّم به لكتاب الله تعالى .. أما أن الأوان ليصدّق عابدو أصنام التاريخ قولَ الله تعالى ..

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ

﴾ [الجاثية : ٦]

أما أن الأوان أن يخشى عابدو أصنام التاريخ من أن يكونوا من المعينين بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر : ٤٥]

.. أما أن الأوان أن يقفَ عابدو أصنام التاريخ عند شكوى الرسول يوم القيامة ..

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠]

.. نترك الإجابة على هذه الأسئلة وعلى الكثير غيرها لمن كان له قلبٌ أو ألقى

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..



مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

الخاتمة

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. بعد الاطلاع على الروايات الواردة في محطات هذا الكتاب .. أعتقد أن القارئ لها بتجرّد عن أيّ صنميّة فكريّة ، وعن أيّ ضغطٍ تصوّريٍّ مُسبقٍ الصنع ، سيرى أن تقدّمها كنصوصٍ مقدّسة تُرْفَعُ فيها إلى مستوى كتابِ الله تعالى ، هو جريمةٌ كُبرى في حقِّ الله تعالى وحقِّ كتابه الكريم ..

.. أعتقد أن القارئ لهذه الروايات بتجرّد عن أيّ صنميّة فكريّة ، خالصاً لله تعالى ، مُحْتَرِماً العقل الذي ميّز الله تعالى به الإنسان عن الحيوان ، سيدركُ حجمَ التجهيل والاستعباء الذي يُمارسه الكثيرون على أبناء هذه الأمة .. وسيدركُ درجةَ تغييبِ دلالاتِ كتابِ الله تعالى وتقديمِ التاريخِ عليها كمنهجٍ بديل .. وسيدركُ صدقَ النيةِ الكامنة خلفَ هذا العملِ وخالصها لله تعالى ..

.. أعتقد أن القارئ لهذه الروايات بتجرّد عن أيّ صنميّة فكريّة ، سيدركُ حقيقةَ مُتاجرةِ المهرجين بالدين ، وحقيقةَ الافتراء الذي يكذبونه على كلِّ باحثٍ عن الحقيقة ، وحقيقةَ صدقِ الدعوة بالعودة إلى كتابِ الله تعالى معياراً أولاً وأخيراً لكلِّ ما يتعلّق بمنهجِ الله تعالى ..

.. أعتقدُ أنَّ القارئَ لهذه الروايات بتجرّدٍ عن أيِّ صنميّةٍ فكريّةٍ ، سيدركُ أنَّ كُـلَّ المذاهبِ والطوائفِ لم تكن نتاجاً علمياً فكرياً مستنبطاً من المنهج ، إنّما هي نتاجٌ سياسيٌّ بامتياز .. وسيدركُ أنَّ سلطةَ المذهبِ والطائفةِ عند جميعِ المهرجين المتاجرين بالدين ، هي - في نفوسهم - أكبرُ من سلطةِ المنهجِ ذاته .. وسيدركُ أنَّ سلطةَ العاطفةِ الهوجاءِ - عندهم - أكبرُ من سلطةِ البرهانِ والدليلِ ..

.. أعتقدُ أنَّ القارئَ لهذه الروايات بتجرّدٍ عن أيِّ صنميّةٍ فكريّةٍ ، سيدركُ أنَّ قَوْلَهُ تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] ، يصفُ عابدي أصنامِ التاريخِ ، بدرجةٍ لا تقلُّ عن الدرجة التي يصفُ بها أهلَ الكتابِ .. وسيدركُ أنَّ عابدي أصنامِ التاريخِ هم أوّلُ المعنّيين بقَوْلِهِ تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ - ٢٣]

.. أعتقدُ أنَّ القارئَ لهذه الروايات بتجرّدٍ عن أيِّ صنميّةٍ فكريّةٍ ، سيدركُ - أكثرَ من قبل - حقيقةَ شكوى الرسول ﷺ يومَ القيامةِ : ﴿ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ ..

تمّ بعونه تعالى في : ١ / ٣ / ٢٠٠٨ م

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
	المحطة الأولى
١٧	حكمة تدرّج الرسائل السماوية
	المحطة الثانية
٥١	مفهوم السنة الشريفة
	المحطة الثالثة
٨٧	السنة محتواة في النص القرآني
	المحطة الرابعة
١١٩	القرآن والسنة في حياة النبي
	المحطة الخامسة
١٥٥	المنهج ورجالات الجيل الأول
	المحطة السادسة
١٨٥	فرضية عدالة الصحابة بين الوهم والحقيقة
	المحطة السابعة
٢١٥	فرضية عصمة آل البيت بين الوهم والحقيقة

المحطة الثامنة

٢٤٣ علوم الحديث بين الظن والوهم

المحطة التاسعة

٢٧٧ الحديث وعلومه بين المنهج والتاريخ

المحطة العاشرة

٣١١ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الحادية عشرة

٣٤٣ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الثانية عشرة

٣٧٣ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الثالثة عشرة

٤٠٧ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الرابعة عشرة

٤٤١ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الخامسة عشرة

٤٧٣ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة السادسة عشرة

٥٠٥ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة السابعة عشرة

٥٣٧ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة الثامنة عشرة

٥٧١ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة التاسعة عشرة

٦٠٧ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

المحطة العشرون

٦٤٣ الحديث في ميزان القرآن والعقل والمنطق

٦٧٥ **الخاتمة**

٦٧٧ **الفهرس**

مركز الذِّكْر

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

موقع :

الكاتب والمفكر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

أخي القارئ

تمّ تنضيد الكتب على عجل

وأبيّ خطأ مطبعي

هو نتيجة الإسراع

في تنزيل هذه الكتب على النت

نزولاً عند رغبة الإخوة القراء

ونتيجة عدم مراجعتها

لذلك نعتذر

إن وجدت بعض الأخطاء المطبعية

ونعد بتصحيحها لاحقاً بإذن الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي